



منشورات جمعية تطاون أسمير

سلسلة تراث 12

سُلوك الطَّريق الوارية، في الشَّيخ والمُريد والزّاوية

لأبي عبد الله محمَّد المَنالي الزَّبادي الفاسيّ

(1209-هـ)

تقديم وتحقيق

د. عبد الحيّ اليملاحي

تطوان 1433 هـ - 2012 م

سلسلات التراث والفكر بالمغرب
-1-

سلوك الطريق الوارية، في الشيخ والمريد والزاوية

لمحمد المنالي الزبادي(-1209هـ)

عبد الحي اليملاحي

إسم الكتاب : سلوك الطريق الوارية (في الشيخ والمريد والزاوية)
إعداد وتقديم : عبد الحي اليملاحي
الناشر : جمعية تطاون أسمير
الإيداع القانوني : 2012 MO 0613
الطباعة :مطبعة الخليج العربي 152 شارع الحسن الثاني - تطوان
الهاتف : 05 39 71 02 25
الفاكس : 05 39 71 05 37

تــوطــئـــــة

عرفت الحركة العلمية بالمغرب في القرنين 12 و13 هـ ازدهارا ملحوظا في مجال التأليف والتصنيف، وتحتفظ المكتبة المغربية العامة والخاصة، وخاصة قسم المخطوط منها، بتراث كبير منه يضم عددا من المؤلفات في الفنون المختلفة.

ونظرا لوجود الكتاب المخطوط مفرقا بين المكتبات العامة والخاصة، يعاني الباحثون خاصة مشاكل في توثيق المادة العلمية من الكتاب المخطوط لإنجاز بحوثهم، إما بسبب عدم الحصول عليه، أو لصعوبة الاطلاع عليه، وهما أمران يحدان من الاستفادة العلمية منه. وقد ساهم هاذا في انتشار علم تحقيق التراث، والذي كان من نتائجه ظهور حركة علمية في مجال تحقيق التراث المخطوط. وحققت لأجل ذالك مخطوطات عدة، وأخرجت من طور المخطوط إلى طور المطبوع، سواء أكان أصحابها القائمون بها طلبة جامعيين أم باحثين أحرارا.

ولما كنت في مرحلة الإعداد لأطروحة الدكتوراه، عانيت من المشاكل المذكورة، خاصة وأن موضوع بحثي كان محددا في القرنين 12 و13 الهجريين، وهي مدة لا زال أغلب تراثها مخطوطا. وعندما كنت أعثر على كتاب محقق ومطبوع لأهلهما، كان ذالك يساعدني ماديا ومعنويا، حيث كان يزوي لي الزمان والمكان، وهما ظرفان لا غنى عنهما للباحث.

وقد جعلتني مشاكل إنجاز أطروحة الدكتوراه مهتما بالتراث العلمي بالمغرب، وخاصة في مجال "الفكر الديني"، فكل ما له صلة بذالك، تمنيت لو أتى يوم قريب ويكون جميعه محققا ومخرجا للناس، باحثين وقراء، حتى لا يضيع بين الرفوف وتأكله الأرضة، ويضيع على الخلف كنز معرفي كبير، يستفاد منه في البناء الحضاري، لما للدين من أثر في نهضة الأمم وحياتها.

ولما كان ما لا يدرك كله، لا يترك جله، عزمت على المساهمة في الحركة العلمية الخاصة بتحقيق التراث بالمغرب وإخراجه، فوقع اختياري هاذه المرة على كتاب "سلوك الطريق الوارية، في الشيخ والمريد والزاوية" لمحمد المنالي الزبادي، والذي كان من المصادر التي اعتمدتها في إنجاز أطروحة الدكتوراه، والتي كان موضوعها هو: "الفكر الديني بالمغرب (1171هـ /1238هـ)، تحت إشراف العلامة جعفر ابن الحاج السلمي، نفع الله به.

وقد ضم الكتاب المحقق بين ثناياه فوائد، منها:

– هو كتاب في تاريخ الفكر الديني بالمغرب. فقد ربط مؤلفه كل ما ذكره فيه من أقوال وأفعال بالدين، فبين أن الدين مهيمن على حياة الناس، حيث يبدأ الناس يومهم بصلاة

الصبح، ويستمر معهم طول يومهم بأربع صلوات أخرى، وبالذكر في أعمالهم، فالصانع يذكر الله وهو في عمله، وكذالك التاجر، والأستاذ ، والحاكم، وغيرهم. فالدين هو جزء في عقل وقلب الفرد بالمغرب، فهو يستيقظ بالدين، ويقضي يومه به، وينام به.

ـ يدرس الكتاب التصوف بالمغرب من جانبين: جانب النظر، وجانب العمل.

ـ يرصد الكتاب الحركة العلمية بالمغرب في القرنين 12 و13 الهجريين.

ـ ترجم فيه صاحبه لعدد من أهل وقته، علماء وشيوخ طرق صوفية وعامة، مغاربة وغيرهم، ولذالك فهو كتاب في التراجم والأنساب أيضا.

ـ يعد الكتاب مصدرا لدراسة الطرق الصوفية والزوايا بالمغرب في القرنين الهجريين المذكورين.

ـ فيه إشارات لتاريخ الحكم والمجتمع والمال بالمغرب في القرنين 12 و13 الهجريين.

ـ فيه إشارات لتاريخ أداء فريضة الحج بالمغرب، وما نجم عن ذالك من تواصل بين المغرب والمشرق.

والحاصل، فإن الزبادي أرخ في كتابه لحياة الناس بالمغرب في القرنين 12 و13هـ في مختلف نواحيها، مما يجعل قارئه يعيش في عقله وخياله مع الناس بالمغرب آنذاك. قال الكتاني في وصفه: "وهو كتاب ممتع في أخبار المغاربة"[1].

ونظرا لهاذه القيمة العلمية والتاريخية للكتاب، وحيث إن فائدته ستكون كبيرة إذا أخرج من طور المخطوط إلى طور المطبوع، عزمت على تحقيقه وإخراجه للناس، من قراء وباحثين.

وقد صدرته بمقدمة عن الكتابة الصوفية في القرن 12 و13هـ، والكتابة في التراجم فيهما أيضا، ثم التعريف بصاحب الكتاب، وظروف تأليفه له، ومضمونه.

ولما كان الكمال لله، فإني ألتمس من القارئ والباحث أن يجد المعاذير لمحققه، فالقصد الحسن يغني عن الزلات والهفوات التي قد تشوب إخراج هاذا الكتاب، وقد قال ﷺ : "ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان له من الله عز و جل عون فأنا ألتمس ذلك العون"[2].

---

[1] فهرس الفهارس: 463/1.

[2] مسند أحمد بن حنبل رقم: 26019.

مقدمـــة

أولا: مميزات المؤلفات الصوفية في القرن 12 و13 هـ

اشتهرت الكتابة الصوفية في القرن 12 و13 كثيرا، وتنوعت بين دراسات في التصوف خاصة، وبين أبواب أو فصول مدرجة في باب كتاب في الفقه، أو التاريخ، أو التراجم. وهي إما مصنفات مؤلفة ابتداء، أو مختصرات، أو شروح، أو حواشي، فالتصوف كان مادة مفضلة في التصنيف آنذاك.

وقد أصبح التصوف طرقيا في ذالك العهد، وطغت ممارسات العامة عليه، وعد من الشيوخ الأميون وغيرهم، واعتبر الجذب والبهللة تصوفا وصلاحا، والغناء والشطح والرقص تصوفا، ولم يعد التصوف هو الزهد والاجتهاد في العبادة فقط. وقد أبرزت الكتب المؤلفة في القرنين 12 و13 حالة التصوف ومفهومه لدى أهله، والتحول الذي طرأ عليه مع المتأخرين.

وتميزت الكتب المؤلفة في ذالك العهد من ناحية الشكل بالنقل عن السابقين والمتقدمين، والدلالة بها على الممارسات الصوفية عند أهلهم. فهم يعرفون بالتصوف، وتاريخه، ومبادئه، ثم يتحدثون عن تصوف أهل العصر، ومدى صلته بتصوف السابقين.

وقد كان للتكوين العلمي أو الانتماء الصوفي الطرقي أثر كبير في تحديد منهج الكتاب ومضمونه. فابن المبارك السجلماسي اللمطي مثلا ألف كتاب "الإبريز، في مناقب سيدي عبد العزيز"، ونسب جل ما فيه من علوم وحكم إلى شيخه عبد العزيز بن مسعود الدباغ، الصوفي الأمي الذي لم يجلس في حياته إلى شيخ أو معلم، ولم يحفظ القرآن، ورغم ذالك، نسب له ابن المبارك قول الشعر، والتفسير، واستظهار القرآن، ومعرفة اللغة السريانية، كأن العلم بالإلهام، وليس بالتعلم والجلوس في حلق الشيوخ ومجالسهم.

وذكر الزبادي أن علي التسولي الدرعي طريقة، والمتوفى سنة 1193هـ "كان، رحمه الله، أميا، وله خبرة ومعرفة بالعلوم ما لا يكيف، يجاوب عن كل مسألة بما يناسب من قواعد الفقه والآية والحديث، سريعا في الجواب، ولم أعرف له شيخا غير انتسابه للشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن ﷺ"[1].

وأيضا ابن عجيبة اللنجري التطواني، طغى أثر انتمائه للطريقة الدرقاوية على مؤلفاته الصوفية، ففي تفسيره الإشاري للقرآن الكريم، كان يأول تفسير الآية ليوافق منهج الطريقة الدرقاوية.

[1] سلوك الطريق الوارية:186.

وكذالك الزبادي، فلما أراد إثبات مشروعية منهج الطريقة العيساوية خاصة، تحدث عن الفقر، والحضرة، والسماع، وغيرها، وهي من أسس منهج العيساويين في التصوف، ولذالك تناولها في أبواب الكتاب الأولى، بل إن ما تحدث عنه هو منهج للطرق الأخرى التي انتمى إليها سابقا.

إن الانتصار للطريقة أو الزاوية سمة ميزت التأليف الصوفي في القرن 12 و13، وإن الزبادي رغم ترجمته لعدد من الطرق الصوفية، وتعريفه بها، لم يخف انتصاره للطريقة العيساوية، فقد كان أخوه وشيخه عبد المجيد عيساويا[1]، وكان شيخه محمد بن قاسم جسوس يستضيف العيساويين في بيته، ويتواجد في الحضرة معهم[2]. بل إن الزبادي اختار من الطرق الصوفية ما كان منسجما مع اقتناعه الفكري والصوفي، وأيضا انتقى منها التي لم تكن في صراع مع السلطان، حيث لم يذكر طرقا لها تاريخ كبير، كالطريقة الجعدية، والطريقة الدلائية، وغيرهما. فقد ترجم لمحمد المعطي الشرقي دون أن يخصص لطريقته فصلا مستقلا، بل إنه لم يذكر حتى طريقة الفاسيين أجداده من جهة الأم. وهاذا قد يكون بسبب أن والدته فاسية النسب، وأراد أن يظهر أنه غير متحيز لفئة عائلته من الدم، لأن الدين لا يقبل ذالك. وقد يكون أيضا لمخالطة الفاسيين للمخزن، فقد عاب والد الزبادي على أم زوجته استفادة الفاسيين من مخالطتهم للمخزن[3]. وأيضا فإن انتقاده للطريقة الدرقاوية كان لاعتماد العربي الدرقاوي منهج التجريد، الذي لا يراه الزبادي منهجا صوفيا[4].

وتميزت الكتابة الصوفية بالبساطة وعدم التكلف، كبساطة العصر وأهله، فالأثر الفلسفي والكلامي يكاد يكون معدوما فيها، وحتى لو كان النص فلسفيا، أو كلاميا صوفيا، كنصوص ابن عربي، والحلاج، وابن الفارض، فإن شارحها من أهل العصر يبتعد في شرحه وإيضاحه لها عن التعقيد والفلسفة، فالبعد عن الغرابة سمة ميزت الكتابة الصوفية في القرن 12 و13. وهاذا قد يرجع لسببين اثنين:

الأول: بساطة التكوين العلمي في المغرب آنذالك، فمنهج التعليم بالمغرب تميز بالحفظ والنقل، وغاب عنه المحادثة والمذاكرة.

الآخر:غلبة فئة العوام على التصوف، فقد اعترف الناس وأقروا بمشيخة الأمي، ولم يجعلوا العلم شرطا في التصوف، وإن اعتماد الفلسفة والمنطق مثلا في شرح التصوف، قد يجعله غريبا بين أهل العصر، ويبعده وصاحبه عن الناس، وهو ما يتعارض مع أسلوب الصوفي في الحياة، فالمتصوف وطنه بين الناس، من المريدين والزائرين.

---

[1] سلوك الطريق الوارية:140.
[2] المصدر السابق:136.
[3] المصدر نفسه:407.
[4] نفسه:316.

ثانيا: التراجم في القرن 12 و13 الهجري:

1) تنوع مصادر الترجمة في المكتبة المغربية وكثرتها:

إن الكتاب المحقق هو كتاب مهم في بابه، وقد اعتمده كثير من المؤرخين والمترجمين، كأبي القاسم الزياني في "البستان الظريف"، وأحمد بن عبد السلام بناني في "تحلية الآذان والمسامع، بنصرة ابن زكري العلامة الجامع"[1] عند ترجمته لمحمد بن زكري، والكتاني في "سلوة الأنفاس"، الذي ذكر أنه نقل عنه كثيرا[2].

وتتطلب الترجمة المعرفة والدراية بالمترجم وبعصره، وهو ما يفرض على المترجم أن يتتبع ويستقصي أخبار وأحوال المترجم له ومجتمعه، وقد توفر هاذا الأمر في المؤلف، فقد خالط المترجمين وأصحابهم وأهلهم، ونقل عنهم، وهو بين في "سلوك الطريق الوارية".

وتنوعت كتب التراجم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. فمنها تراجم عامة، ترجم فيها أصحابها لمن اختاروهم من الناس، أو رأوا أن لهم أثرا في المجتمع المغربي. ومنها تراجم خاصة، ترجم فيها أصحابها لفئة من الناس، كالأشراف، أو العلماء، أو المتصوفة.

وقد كانت الترجمة مادة مفضلة، أو مرغوبا فيها للمؤلفين، لأن التعريف بالفرد كان القصد منه إثبات عدالته، وأهليته للاتباع والاقتداء، وخاصة بالنسبة للعالم والمتصوف.

وقد غلب الأثر الديني على التراجم والمترجمين، فالمترجم يبرز عامل الدين في المترجم له، وأثره فيه، فالدين كان مؤثرا، وفاعلا كبيرا في الفكر، فكل أمر يحدد في سياق الدين حسب تصور المترجم.

وتزخر المكتبة المغربية بمادة مهمة في الترجمة، وخاصة لأهل القرن الثاني عشر والثالث عشر، والذين اهتموا بتدوين أخبارهم. ويعد كتاب "سلوك الطريق الوارية، في الشيخ والمريد والزاوية" واحدا من هاذه الكتب.

2) الفئات المترجم لها:

ترجم أهل القرن الثاني عشر والثالث عشر لثلاث فئات من الناس بالمغرب، وهم: العلماء، والمتصوفة، والأشراف.

أ ـ العلماء:

---

[1] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط. رقم 650ك.
[2] سلوة الأنفاس:213/2.

أبرز المترجمون آثار العلماء، وأعمالهم العلمية، وغيرها، ليثبتوا مشروعيتهم العلمية، وليبينوا للناس أن علمهم له سند لم ينقطع، وهاذا يتبين لما يذكر المترجم ما أخذه عن الشيخ المترجم له، والذي أخذه عن غيره في سند متصل.

وتزخر المكتبة المغربية بهاذا الصنف من المؤلفات، وخاصة الفهارس التي ترجم فيها مصنفوها للعلماء الذين ذكروهم في سندهم العلمي، بدءا بالشيخ المباشر لمؤلف الفهرسة، وشيوخ شيخه، وهاكذا.

ورغم وفرة الترجمة للعلماء، إلا أنها في الكثير منها ترجمة ظاهرية فقط، حيث يذكر المترجم الجانب الظاهر في حياة المترجم، كمولده، وموطنه، وتلقيه للعلم، وشيوخه، وأولاده، ووظيفته العملية، وتاريخ وفاته، ومدفنه ... ولاكن الترجمة الخاصة، وأعني حياة الفرد العائلية، لا تذكر. ولا شك أن الحياة الخاصة ضرورية في تحديد ماهية الفرد، ووظيفته في المجتمع، وأثر علمه في الناس، فالناس يقتدون بالأقوال المقرونة بالأفعال، وأما القول بدون فعل، فإن الناس يسخرون من صاحبه عندما يعرفون أنه يقول ما لا يفعل، فالله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)[1].

ب ـ المتصوفة:

ترجم الصوفية لشيوخهم ليبينوا صحة اختيارهم الصوفي، وأن سندهم في التصوف مأثور عن السابقين، وأن طريقتهم ليست محدثة، بل لها سلف في الأمة، وأن التغيير الذي طرأ إنما هو في الاسم، والمكان، والأفراد، وأما المضمون الديني والمنهج، فهما مأثوران. ولذالك حددوا سندهم الصوفي الذي ارتضوه عند الترجمة لهم.

وقد اهتم المترجمون بالمتصوفة، وتتبعوا سيرهم، وحياتهم في المدن والقرى، وفي الجبال والسهول، وركزوا على الجانب الصوفي في حياة المترجم له، وعلى سلوكه، وآثاره في ذالك، ولم يذكروا الجوانب الأخرى في حياته أو يكاد، كمنشأ المترجم، وحياته في صباه، وزواجه، وزوجاته، وأولاده، وحياة أسرته، ومجتمعه، وأثر ذالك في تصوفه وحياته.

وتعددت تراجم الصوفية ما بين تراجم عامة، وترجم خاصة، فالتراجم العامة هي التي ترجم فيها المصنفون لكل من توصل إليهم المترجم، والذي يكون في الغالب غير منتم لأي طريقة، أو فئة صوفية. ويدخل كتاب "سلوك الطريق الوارية" في هاذا الصنف، وإن كان صاحبه ذكر بأنه دخل في الزريبة العيساوية.

والتراجم الخاصة هي التي خصصها صاحبها لفئة صوفية معينة، كـ"تحفة الإخوان في مناقب شرفاء وزان"، لحمدون الطاهري الجوطي. أو التي ترجم فيها المصنف لشيوخه في التصوف خاصة، كالتاودي ابن سودة في فهرسته الكبرى.

---

[1] سورة الصف: 2.

ج ـ الأشراف:

ترجم الناس للأشراف لمكانتهم المتميزة بين الناس، فهم فئة من آل النبي، صلى الله علية وسلم، وذريته، واحترامهم وتقديرهم يقتضي تمييزهم عن الناس، وتمييز أنسابهم عن الآخرين، وهاذا كان منهجا للحكم في المغرب، فقد اكتسب السلاطين العلويون مشروعية بيعتهم بين الناس لأنهم من آل البيت الأشراف، وحظوا بالتقدير والاحترام لأجل ذالك، ولذالك اهتموا هم أيضا بالنسب الشريف، وسعى السلطان إسماعيل بن الشريف، ومن بعده من السلاطين العلويين، إلى تمييز الشرفاء في دواوين خاصة، وأحدثوا نقابة الشرفاء في جهات من المغرب، وأصدروا ظواهر التوقير والاحترام لهم.

وأحدث مفهوم الشرف جدلا كبيرا بين الناس، وخاصة لما أصبح الشرف وسيلة للكسب الدنيوي، والامتيازات، وأيضا وسيلة للتكبر على عامة الناس، والهروب من أحكام الدولة، وألف ابن زكري "الفوائد المتبعة، في العوائد المبتدعة" وتبعه أحمد بن عبد السلام بناني في كتابه "تحلية الآذان والمسامع، بنصرة الشيخ ابن زكري، العلامة الجامع".

وتعددت كتب التراجم في هاذا الصنف، فألف سليمان الحوات "السر الظاهر، فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر، من أعقاب الشيخ عبد القادر"، وصنف محمد الطالب ابن الحاج "الإشراف، على من بفاس من الأشراف"...الخ

ثالثا: التعريف بالمؤلف[1]:

هو أبو عبد الله، محمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد المنالي الزبادي. ووالدته هي السيدة عائشة، المدعوة عشوة بنت الحاج علي بن تابع[2]. ولد بمدينة فاس، وفيها تربى وترعرع. والتحق بالمسيد لتعلم القرآن أولا، وبعد حفظه، جلس إلى العلماء لطلب العلم. ولما أنهى تعليمه، تولى وظائف في حياته، كالشهادة بسماط العدول، والوعظ بضريح المولى إدريس، والتوريق بفاس العليا، وعدول الحبس لأشهر قليلة.

أـ حفظه للقرآن الكريم وتعلمه القرآت:

اعتمد المغاربة حفظ القرآن شرطا ضروريا للجلوس للشيوخ وتعلم العلوم الأخرى. ولما يحفظ الطالب القرآن، يجلس لتعلم القرآت القرآنية.

وقد سلك الزبادي هاذا المسلك، فحفظ القرآن، وتعلم رسمه، وأخذ بعض القرآت. وممن أخذ عنهم القرآن: محمد ابن زكري، الذي كتب له بيده حين ختم سلكة القرآن الأولى، كما بدأ له الثالثة حين ختم الثانية بخط يده[3].

---

[1] ترجمته في: سلوك الطريق الوارية. سلوة الأنفاس:213/2. فهرس الفهارس: 462/1.
[2] سلوك الطريق الوارية:408.
[3] سلوك الطريق الوارية:104.

وبدأ له محمد ميارة الصغير بيده سلكة القرآن الثانية[1].

ومن شيوخه في القرآن أيضا محمد المدرع، قال الزبادي: "كنت أقرأ عليه القرآن خمسة أحزاب في كل يوم، فكانت قراءتي عليه سردا نحو الخمس سلكات، أو ست"[2].

وكذالك عبد الرحمان بن إدريس المنجرة، الذي كان "عالما، عاملا، قارئا، مدرسا للعلوم في كل الأوقات، ومسلكا ألواح القراء عند طلوع الشمس بعنزة القرويين، مكبا على ذلك طول عمره"[3]. قرأ عليه الزبادي سلكة بقالون، وسلكة بورش[4].

كما قرأ الزبادي على شيخه علي المقدم سلكة بقالون، وبدأ أخرى بالمكي، مدة مديدة وسنين عديدة[5].

ب ـ طلبه للعلم وشيوخه:

كانت مدينة فاس مركزا مهما للعلم والعلماء، فقد كان للقرويين مكانته باعتباره أقدم جامع بالمغرب. ولما كان الزبادي من فاس، ساعده ذالك على طلب العلم، واتخذ لذالك شيوخا، منهم:

ـ محمد بن قاسم جسوس، قال الزبادي: "قرأت عليه ﷺ صحيح البخاري نحو ثلاث ختمات، وسلكة سيدي خليل، وشمائل الترمذي، وبعضا من سيدي مسلم"[6].

ـ عبد المجيد الزبادي، قال الزبادي: "قرأت عليه، رحمه الله تعالى، ألفية ابن مالك، ومنظومة القرطبي، ورسالة ابن أبي زيد، والوغليسية، والنصيحة الكافية، لمن خصه الله بالعافية، للشيخ زروقﷺ، وشمائل الترمذي"[7].

ـ محمد الهادي العراقي: قال المؤلف: "قرأت عليه البعض من سيدي خليل، والبعض من البخاري، والبعض من ألفية ابن مالك"[8].

ـ عبد الكبير السرغيني: قال المؤلف: " وكان ﷺ يدرس بكرسي القبة سيدي خليل، وتفسير القرآن، والبخاري. كنت أحضره في بعض الأحيان"[9].

ـ عمر الفاسي: قال المؤلف: "كان، رحمه الله، عالما علامة، مشاركا في كل العلوم، مدرسا للفقه، والحديث، والمنطق، والكلام، والبيان"[10].

---

[1] المصدر السابق: 119.
[2] المصدر نفسه:124.
[3] نفسه:120.
[4] نفسه:121.
[5] سلوك الطريق الوارية:125.
[6] المصدر السابق: 126.
[7] المصدر نفسه: 134.
[8] نفسه: 152.
[9] نفسه: 152.
[10] سلوك الطريق الوارية: 154.

ـ علي قصارة: قال الزبادي: "قرأنا عليه، رحمه الله، الجرومية، وألفية ابن مالك، وسيدي خليل"[1].

ـ أحمد بن مبارك اللمطي: حضر له الزبادي مرة في ختمه لصحيح البخاري. وحضر عنده مرة في ختم الشفاء لعياض، وحضر له عند ختم تفسير القرآن العظيم[2].

ـ عبد القادر بوخريص: قال الزبادي: " قرأت عليه، رحمه الله، ألفية ابن مالك إلى النواسخ، وبعض صحيح البخاري"[3].

ـ محمد التاودي ابن سودة: قال الزبادي: "حضرنا له في ختم صحيح البخاري نحو الأربع ختمات، ولتفسير القرآن مرتين"[4].

وقد خصص الزبادي الباب السادس للتعريف بشيوخه في العلم، والعلوم التي أخذها عنهم وكانوا يدرسونها.

ج ـ وظائفه:

تولى الزبادي الوظائف التي أتاحها له تكوينه العلمي، فتولى وظيفة الشهادة، والوعظ، والتوريق، وعدول الحبس.

ولم يحدد الزبادي تاريخ توليه وظيفة الشهادة، غير أنه يذكر بعض خلطائه فيها، منهم محمد بن الطيب القادري الذي عاشره مدة.

وإن النفس قد تضيق من أمر، فيطمح الإنسان لتغيير حاله، قال الزبادي: " كنت ضاق حالي من الجلوس بسوق الشهود، وأردت في قلبي النزول منه، والإعراض عنه"[5]. ولما تخلى عن وظيفة خطة العدالة، تولى وظيفة "عدول الحبس الموقوف على الضعفاء والمساكين" لمدة عشرة أشهر[6].

وانتصب الزبادي لرواية الحديث في الجمعة والتوريق في فاس العليا عند ولد السلطان، وعند قدوم السلطان، كما تولى الوعظ في الفجر والظهر بكرسي المولى إدريس منذ سنة 1176هـ خلفا لمحمد ابن زاكور[7]. وعزله عنهما القائد محمد الصفار سنة 1180هـ، وبقي معزولا لمدة ثلاثة وعشرين يوما، ورد عليه ذالك السلطان محمد بن عبد الله عند قدومه لفاس[8].

---

[1] المصدر السابق:159.
[2] المصدر نفسه:160.
[3] نفسه:160.
[4] نفسه:162.
[5] سلوك الطريق الوارية:329.
[6] المصدر السابق:329.
[7] المصدر نفسه:183.
[8] سلوك الطريق الوارية:183.

د ـــ مؤلفاته:

شارك الزبادي في الحركة العلمية في زمانه فألف كتبا ومصنفات. وهي:

ـــ سلوك الطريق الوارية، في الشيخ والمريد والزاوية.

ـــ دوحة[1] البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ ابن عبد الرحمن[2].

ـــ تنبيه الفقير، من الغفلة والتقصير[3].

ـــ روضة العاشقين، ونزهة السامعين، في ولادة سيد الأولين والآخرين[4].

هـــ ـــ رحلاته:

كان الزبادي دائم الرحلة لأضرحة الأولياء بالمغرب، كضريح المولى عبد السلام بن مشيش، الذي زاره مرات عديدة، وضريح المولى إدريس الأكبر بزرهون، وضريح قاسم بن للوشة بأرضم وحروش، وضريح محمد بن عيسى بمكناس، وضريح علي بن عبد الرحمان الدرعي، وضريح المولى عبد الله الشريف وأولاده بوزان. وأما أضرحة الأولياء بفاس، فكان دائم الزيارة لها، كضريح المولى إدريس الأزهر، والذي كان واعظا به. وكانت رحلاته وزياراته في المواسم وفي غيرها، فمتى طلب منه ذالك أحد، ممن يعتقد فيه الصلاح والولاية، حزم أمتعته ورحل. ولقي في رحلاته كثيرا من الناس، عامة وخاصة، استفاد منهم، وسمع منهم، وتبرك ببعضهم، وترجم لهم.

وكان لرحلاته أثر كبير في نفسه، فالتقى بأناس من غير أهل فاس، وتعرف عليهم، وترجم للكثير منهم، وتعرف بذالك على تاريخ كثير من المناطق التي زارها وخالط أهلها، وهو ما تجلى في كتابه "سلوك الطريق الوارية"، فقد كتب فيه ما رآه وشاهده وسمعه من أخبار وحكايات وحوادث.

وكان موسم الحج مناسبة لطلب العلم والمعرفة بالنسبة للمغاربة، فالبلدان التي كانوا يمرون منها، كانوا يحطون بها الرحال، ويغتنمون الوقت ـــ في الذهاب وفي الإياب ـــ في تلقي العلم، ونشره، وخاصة في تونس ومصر.

وقد سافر الزبادي للحج يوم السبت، الخامس والعشرين من جمادى الثانية، عام ستة وستين ومائة وألف، بعد شراءه البغلة والكسوة، وأدائه لأجرة "القطعة إلى طرابلس ثلاثمائة مثقال، تنقص شيئا قليلا"[5].

---

[1] ويسمى أيضا "روضة البستان".
[2] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 390د. الخزانة الحسنية، رقم: 13964.
[3] مخطوط المكتبة الوطنية، رقم 2299. والخزانة الحسنية، رقم 202 . ورقم: 13993.
[4] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 447 ك.
[5] سلوك الطريق الوارية:276.

وتعرض ركب الحجيج المغربي الذي كان فيه الزبادي للنهب، قال: "فلما بلغنا واديا بالجريد، يقال له غبيران، وجدنا فيه نحو الأربعمئة فارس كامنين به. فغاروا على الركب، ونهبوا منه مالا كثيرا، ووقع الشر كثيرا، مات من مات، وجرح من جرح"[1].

ولقي الزبادي عددا من الشيوخ في العلم والتصوف بمصر، منهم:

ـ محمود بن أبي زيد الكردي أصلا الشافعي مذهبا، الحفني طريقة، المصري دارا وقرارا (ـ 1195هـ): وهو أول من لقيه الزبادي بمصر، واجتمع معه، وتبرك به، وتواخى معه. وكان هو الواسطة بينه وبين الشيخ الحفني[2].

ـ محمد الحفني المصري (ـ1181هـ): لقيه الزبادي لما نزل مصر في طريقه للحج. ولما أدى المناسك، عام سبعة وستين ومئة وألف اجتمع معه أيضا، وحضر مجلسه في همزية البوصيري ﷺ، من أولها حتى ختمها. وبعد ختمها بدأ كتابا في الإسراء، يسمى "المعراج"، تركه يقرأ منه، وسافر. وطلب منه تلقين الطريقة الحفنية الخلوتية، فأجابه لذالك[3].

ـ محمد كشك، خادم ضريح السيدة نفيسة المصرية، لقيه الزبادي وتبرك به[4].

ـ مكرم العساوي، المغربي أصلا، المصري دارا وقرارا: لقيه الزبادي وتبرك به[5].

ـ محمد بن الطيب الشرقي (ـ 1170هـ): لقيه الزبادي بمصر عام سبعة وستين ومائة وألف، وحضر مجلسه عند قراءته صحيح البخاري بين الظهر والعصر بجامع الأزهار وأبي عثمان[6].

ز ـ زوجاته وأولاده:

تزوج الزبادي ثلاث نساء في حياته، وكان لا يتزوج بواحدة إلا إذا توفيت الأولى. ولم يذكر أسماءهن، ولا أسماء آبائهن، وإذا ذكرهم فنكرة.

تزوج الزبادي أولا سنة 1154هـ بعد عودته من زيارة ضريح عبد السلام بن مشيش، وكانت الزوجة الأولى له هي زوجة أخيه أحمد توفي عنها، وزوجه بها أهله[7].

وتزوج الزبادي مرة ثانية بعد عودته من الحج سنة 1167هـ، وتزوج امرأة ثيبا، وبقيت في عشرته خمسة وثلاثين سنة، وتوفيت سنة 1202هـ[8].

---

[1] المصدر السابق:344.
[2] المصدر نفسه:248.
[3] نفسه:247.
[4] نفسه:237.
[5] سلوك الطريق الوارية:176.
[6] المصدر السابق:325.
[7] سلوك الطريق الوارية:206.
[8] المصدر السابق:250.

وبعد وفاتها تزوج امرأة أخرى، وبقيت في عشرته إلى أن توفي، سنة 1209هـ[1].

وخلف الزبادي أولادا، وذكر أن الزوجة الأخيرة ولدت له ابنا وبنتا، ولم يذكر كم ولد له من الزوجتين الأخريتين.

ح ـ الزبادي المتصوف:

كانت الحياة بالمغرب عامة وبفاس خاصة تعج بالطرق الصوفية في القرن الثاني عشر الهجري والثالث عشر، فقد ذكر الزبادي أن "الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق"[2].

ولم يكن الزبادي بدعا بين الناس، فعايش واقعه وأهله، وأثر فيه ذالك، فانتسب إلى الطريقة الدرعية في صغره لما وجد أهله ملازمين لها بحومة البليدة بفاس، وكانت أول طريقة يعرفها الزبادي في حياته، وذكر أن كل من لقيه أو عرفه من المشائخ كان بفضل شيخ الطريقة علي بن عبد الرحمان[3]، وصار مقدما على الطريقة بفاس مدة. وانتسب أيضا للطريقة القاسمية، ولازمها، كما لازم زيارة مؤسسها أبي قاسم بوعسرية[4]. وكذالك انتمى للطريقة العيساوية[5]، مثل أخيه وأستاذه عبدالمجيد الذي كان قاسمي الطريقة[6].

وذكر المؤلف أنه خالط عددا من الطرق الصوفية، ورافق أهلها، واجتمع معهم، ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، مدة مديدة، وسنين عديدة، وجال في الطوائف جلها، بحثا عن الطريق وأهلها[7]. وبسبب ذالك، اكتسب معرفة صالحة بالطرق الصوفية، وأهلها، ومناهجها، وجعله غير متحيز لأي منها. وقد استغرب بعض العيساويين لمنهج الزبادي في التعامل مع الطرق الصوفية المختلفة، وغيرها من الأولياء الأفراد، فهو كان دائم البحث عنهم، ومخالطة من اختارهم منهم، ورضي منهجهم، فقال بعضهم: "ليس هو من طائفتنا، ولا له مدخل فينا. وقال آخر: إنا نراه مع كل الطوائف، ولا عرفنا من أي طائفة هو"[8].

---

[1] المصدر نفسه: 251.
[2] نفسه: 71.
[3] نفسه: 179.
[4] سلوك الطريق الوارية: 231.
[5] المصدر السابق: 171.
[6] المصدر نفسه: 172.
[7] نفسه: 41.
[8] سلوك الطريق الوارية: 421.

ويرى الزبادي أن السلف أتقى من الخلف، فالتصوف ذهب بذهاب أهله، فهو مع المتأخرين لم يبق منه غير "مجرد الاسم دون المسمى"[1]، وأن الناس قد شاع بينهم "الفساد والإنهاك والخروج عن الطرق الجادة والقطع عنها، وكثرة الطوائف من العامة من غير شيخ حتى يقومهم ويروضهم، وإنما ينتسبون للشيوخ الأموات من غير عمل ولا اتباع، وضاعت الأعمار من غير انتفاع، حتى غابت السنة في الابتداع، وصار العمل رقص وتصفيق وسماع، والفقراء كالغنم الضالة السائمة من غير راع"[2]. وقال أيضا: "جل الفقراء اليوم ليس مقصودهم من الشيخ الإرادة والرياضة للطاعة، وإنما مقصودهم الدنيا وسعتها، والتمتع بزينتها، وظهور الكرامة لهم، والكشف عما يليق بهم من أمورهم المهتمين بها، وإلا فليس بشيخ"[3].

وقد أدى الزبادي وظيفة الحسبة، كما رآها، قولا وعملا في مواطن كثيرة. فلما كان في مجلس لمحمد بن قاسم جسوس، أذن له هاذا بالجواب عن من قال: "كم من كرابيز تحت الدرابيز"، ووافقه على جوابه[4].

وأيضا لما كان في حضرة بزاوية علي الحجام "وجعل بعض الأولاد الصغار من الفقراء الراقصين يرقصون، ويخرجون عن الصف، ويسوق بعضهم لبعض باللعب والمزاح، من هز الأكتاف، وتنبيذ الصفوف، ويلمز أحدهما الآخر بصدره، كما يفعل السفهاء من أهل الزيغ والفساد"، قام إليهم وكسر لهم آلات لهوهم[5].

إن تصوف الزبادي، والذي أبرزه في كتابه، هو تصوف ممارسة وعمل، وليس تصوف نظر ورأي، فالزبادي ذكر فيه ما هو ممارس ومشاهد، فقد عايش الطرق الصوفية، والأفراد المتصوفة، واقتدى ببعضهم، وتبرك ببعض آخر، وانتقد آخرين، وأغفل آخرين طبقا لمنهجه.

ط ــ وفاته ومدفنه:

توفي محمد بن علي المنالي الزبادي أول ربيع النبوي سنة 1209هــ، ودفن بروضة الزباديين بفاس، قرب ضريح أبي ميمونة، الدراس بن إسماعيل، قال الكتاني: "وبني عليه شاهد صغير، وكتب بوسطه تاريخه"[6].

---

[1] المصدر السابق:41.
[2] المصدر نفسه:41.
[3] نفسه:41.
[4] نفسه:129.
[5] نفسه:229.
[6] سلوة الأنفاس: 213/2.

إن العناصر المكونة لعنوان كتاب ما تحدد تصورا عنه، وخاصة مضمونه وما تناوله فيه مؤلفه.

وعناصر عنوان الكتاب المحقق هي:

ــ سلوك.

ــ الطريق الوارية.

ــ الشيخ.

ــ المريد.

ــ الزاوية.

أــ السلوك: ومعناه السير والالتزام.

ب ــ الطريق الوارية: وهو السبيل والمنهج الصوفي المنشود والمبتغى، والذي كان عليه السلف من الأمة، والمأخوذ عن النبي ﷺ.

ج ــ الشيخ: وهو المؤسس للطريقة الوارية، وهو القائد فيها والمربي.

د ــ المريد: وهو "المتجرد عن إرادته"[1] للشيخ، ويكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله، وهو جندي الطريقة وحارسها وحاميها.

هــ ــ الزاوية: وهي المكان الذي تؤسس فيه الطريق الوارية، ومنها تخرج للناس، ومنها ينطلق إشعاع التصوف والطريقة. قال الزبادي وهي "اتخذت أولا، والله أعلم، تشبيها وتبركا وتفاؤلا بالصفة التي كانت بمسجد النبي ﷺ، ليأوي إليها الفقراء، أي الذين لا أهل لهم، ولا مال"[2].

فالكتاب هو تعريف بالطريقة الصوفية الوارية التي ينشدها المؤلف، ويرى أنه يجب سلوكها. وهي تتكون من عناصر أساسية، وهي: الشيخ، والمريد، والزاوية.

2) سبب تأليف الكتاب:

لقد كان الزبادي يبحث عن سيرة السلف من المتصوفة ليبلغها لأهل وقته ومن بعدهم، فأراد أن يكون محتسبا في التصوف، مقتديا في ذالك بمن سبقه، كالشيخ زروق الذي سمي بمحتسب الصوفية، فالزبادي بعد أن تبع المتصوفة الذين رافقهم وخالطهم في "أقوالهم وأفعالهم، وأحوالهم، وسيرتهم، وما كانوا يحضون عليه، ويأمرون به، وما كانوا ينهون عنه، وما كان دأبهم وديدنهم، مما بذلوا فيه أنفسهم من معرفة الطريق"[3]، جمع ذالك

---

[1] رسائل ابن عربي: 407.

[2] سلوك الطريق الوارية:76.

[3] سلوك الطريق الوارية:41.

في هاذا الكتاب، ليبين "ما كانوا عليه، رضي الله عنهم، ليتبين ويظهر ما نحن عليه اليوم مما كانوا عليه، رضي الله عنهم"[1]. وقال أيضا: "والسبب في جمع هاذا الكتاب، هو لما كانت لي خلطة بالفقراء المذكورين، رحمة الله عليهم أجمعين، وخلطة من بعدهم من الفقراء الموجودين، ظهر لي من محبتي فيهم أن أوقظهم من غفلتهم عن السنة، وأردهم عما تولعوا به من البدعة"[2].

3) تاريخ تأليف الكتاب:

لم يحدد الزبادي تاريخا لبداية تأليف كتابه ولا متى انتهى منه. ولاكن بمطالعة الكتاب، وبتتبع الإشارات الواردة فيه، يظهر أن الكتاب هو آخر ما ألفه. فقد أشار في ثناياه إلى أسماء كتبه الأخرى، كـ "دوحة البستان، في مناقب الشيخ ابن عبد الرحمان"[3]، و"تنبيه الفقير، من الغفلة والتقصير"[4]، و "روضة العاشقين، ونزهة السامعين، في ولادة سيد الأولين والأخرين"[5]، وهو ما يبين أنه ألفها قبل الكتاب المحقق.

وقد ترجم في كتابه للفقيه، قاضي فاس في وقته، سليمان بن أحمد الفشتالي، وذكر أنه توفي في مهل رمضان المعظم عام 1208هـ، والمدة التي بينه وبين وفاة الزبادي هي عام وستة أشهر، فقد توفي الزبادي في أول ربيع النبوي عام 1209هـ.

4) مصادر الكتاب:

اعتمد الزبادي في تأليف كتابه على:

أ ـ التكوين العلمي الذاتي:

وهو عنصر أساسي في تحديد مضمون الكتاب، ومنهجه، وأسلوبه، ويحدد أيضا القيمة العلمية للكتاب. ولم يكن الزبادي من العلماء بفاس، بل كان واعظا، وعدلا، ومحتسبا، وموروقا، ولم يذكر هو نفسه أنه تولى وظيفة التدريس، ورغم ذالك، جنح إلى التأليف، فكتب وصنف عددا من الكتب.

وقد جاء كتاب "سلوك الطريق الوارية" مناسبا لمستوى معرفة مؤلفه في الأسلوب والمضمون، فأسلوبه بسيط وواضح، وغلب عليه اللغة غير الفصحى في مواضع منه، خاصة في التراجم، حيث نقل كلام المترجمين في أحيان كثيرة كما هو، كما استعمل هو أيضا كلمات وأساليب غير فصحى، وقد نبهت على هاذا في هوامش النص المحقق.

---

[1] المصدر السابق:41.
[2] المصدر نفسه:421.
[3] نفسه:270.
[4] نفسه: 128.
[5] نفسه: 63.

ب ـ المصادر المكتوبة:

اعتمد الزبادي عدة مصادر في الكتاب، وتظهر هاذه المسألة المجهود الذي بذله في التأليف والتصنيف، من حيث الجمع والتنسيق، وكذلك تبرز المصادر التي كانت متداولة في وقته، وخاصة المصادر الصوفية.

والمصادر التي اعتمدها الزبادي هي:

ـ القرآن الكريم.

ـ السنة والحديث النبوي.

ـ تقاييد لعبد المجيد الزبادي.

ـ تنبيه الفقير، من الغفلة والتقصير، إلى الخدمة والتشمير[1]، لمحمد المنالي الزبادي (المؤلف).

ـ الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرآن الكريم)، لأبي عبد الله، محمد القرطبي.

ـ الجامع لجمل من الفوائد والمنافع، لأحمد زروق.

ـ الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري.

ـ الدر المنثور، في التفسير بالمأثور، لجلال الدين لسيوطي.

ـ روضة البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان، لمحمد الزبادي[2] (المؤلف).

ـ روضة العاشقين، ونزهة السامعين، في ولادة سيد الأولين والآخرين، لمحمد الزبادي[3] (المؤلف).

ـ سلوة المحبين والمريدين، ونكاية الحاسدين والجاحدين، في مناقب سيدي محمد بن الفقيه، أحد الأفراد العارفين، لعبد الله بن محمد بن يخلف[4].

ـ شرح الحكم العطائية، لابن عباد.

ـ شرح المباحث الأصلية، لأحمد زروق.

ـ شرح ميارة على ابن عاشر، لمحمد ميارة.

ـ شرح النصيحة الكافية، لمحمد بن عبد الرحمان ابن زكري.

ـ الصراط النبوي، لمحمد بن عمر الواقدي.

ـ طبقات الأولياء، لابن الملقن، عمر بن حفص الأنصاري.

ـ فيض القدير، لعبد الرؤوف المناوي.

ـ لطائف الإشارات، لعبد الكريم القشيري.

ـ لطائف المنن، لابن عطاء الله السكندراني.

---

[1] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم 2299. والخزانة الحسنية رقم 202 و 13993.

[2] مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط رقم: 13964.

[3] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 447 ك.

[4] مخطوط المكتبة الوطنية رقم: 4643 د.

ـ المباحث الأصلية، عن جملة الطرق الصوفية، لأحمد بن البنا السرقسطي.
ـ المدخل، لابن الحاج.
ـ المرشد المعين، لعبد الواحد ابن عاشر.
ـ مناقب سيدي يوسف، لمؤلف مجهول.
ـ مؤلف لعبد الوهاب الشعراني.
ـ النصيحة الكافية، لأحمد زروق.
ـ نظم ابن الفارض.
ـ نظم عبد الرحمان الششتري.
ـ نظم عبد الرحمان المجذوب.

ج ـ المشاهدة والمعاينة والمخالطة:

ذكر الزبادي في كتابه كثيرا مما شاهده وعاشه من حوادث. فهو لقي كثيرا من الناس، وشاهد كثيرا من الوقائع والحوادث.

وقد كان يميز من لقي من الناس، وترجم لهم في فصول خاصة، وعنونها بـ: "في ذكر من أدركناه من...". وبـ" في ذكر من لقيناه...". وتحدث عن سيرتهم وأحوالهم، ونقل بعض كلامهم معه.

وامتلأ "سلوك الطريق الوارية" بذكر ما رآه مؤلفه، بل إنه هو الغالب في الكتاب، فقد كان الزبادي دائم البحث والسؤال والتنقيب.

كما ذكر الزبادي أحداثا وقعت بالمغرب، منها ما تعلق بالحكم والمخزن، ومنها ما تعلق بالكوارث والمجاعات، ومنها ما تعلق بحياة الناس.

وأرخ الزبادي لعهد "الفترة" الذي جاء بعد وفاة السلطان إسماعيل العلوي إلى أن تولى السلطان محمد بن عبد الله. فقد عرف المغرب عهد "الفترة"، وهو سنوات الاضطراب في الحكم، حيث تولى سلاطين كثر من أبناء السلطان إسماعيل الحكم، كعبد الله بن إسماعيل، ومحمد بن عربية، وآخرون. واستتب الأمر للسلطان محمد بن عبد الله، من عام 1171 إلى أن توفي عام 1204هـ، حيث تولى السلطان اليزيد بن محمد الحكم، ثم قتل سنة 1206هـ في مواجهة أخيه هشام الذي تولى الحكم بمراكش. ثم تولى بعده السلطان سليمان بن محمد سنة 1206هـ، والذي توفي المؤلف في عهده.

وأشار الزبادي إلى واقعة "قطع الكلام" في مسألة الحكم عن الناس، وعدم الخوض في ذالك في عهد الفترة، وإعلام الناس بذالك من خلال "البريح" في الأسواق والمدن والقرى[1]، والذي يعبر عنه في العصر الحاضر بـ "حالة الطوارئ".

---

[1] سلوك الطريق الوارية: 178.

وذكر الزبادي كوارث عاشها الناس بالمغرب في القرن 12هـ، وتحدث عن ما عرفه المغرب من غلاء، وأشار لغلاء عام 1150هـ وقال: "لا أعاده الله"[1]، إشارة وبيانا لخطورته الكبيرة. وذكر ما أصاب أهل المغرب من الطاعون حيث فشى الموت في الناس، ومات خلق كثير سنة 1194هـ، وهو قد ماتت بنت له من أولاده[2].

إن إشارات الزبادي في كتابه لمثل ما ذكر من أحداث ووقائع قد لا توجد في كتب التاريخ، يبين أن "سلوك الطريق الوارية" له قيمة تاريخية أيضا، ويحتاجه الباحث في تاريخ المغرب، وأيضا القارئ.

والحاصل، فقد فإن المشاهدة والمخالطة للناس كانت مصدرا أساسيا في الكتاب، فجاءت ترجمته للناس ترجمة مخالطة ومعاينة ومشاهدة، وكذالك وصفه للأحداث والمظاهر، فليس من رأى كمن سمع، وبذالك يكون الكتاب ذو قيمة علمية كبيرة في الكثير مما ذكره من ذالك.

د ـ المصادر الشفوية:

تعتبر المصادر الشفوية مادة مهمة في الكتاب، فما لم يستطع التوصل إليه من أخبار مترجم له أو حوادث، بسبب بعد الزمان أو المكان، يسأل عنه الناس، ويكتب ما سمعه مع ذكر مصدره.

وهاذه اعتمدها في التعريف بالطوائف الصوفية الأحد عشر ومتصوفة آخرين. وهي تكون غالبا إما رواية عن السابقين من الذين لم يرهم الزبادي ولم يلقهم، أو رواية عن معاصرين له أراد التعريف بهم وروى له أحد ما لم يشاهده.

وقد كان الزبادي دائم البحث عن الصالحين، ومعروفا بين الناس بذالك[3]، فهو كان يترك عمله سواء في الشهادة، أو في عدول الحبس، أو في الوعظ من أجل ذالك. وإذا كان في زيارة لضريح ولي، لا يعود إلا إذا حصل ما أراد، فهو يذكر أنه كان من عدول حبس المساكين، وجاء الأمر مرة بمحاسبة نظار الحبس، إلا أنه كان في زيارة ضريح قاسم بن للوشة، ولم يعد في وقت المحاسبة[4].

وقد ساعد الزبادي مخالطته للناس في الكشف والتنقيب عن المترجمين، ولذالك فقد ترجم لمن لم يلقهم أيضا، وخاصة من أهل الطرق الصوفية الأحد عشر، واعتمد في الكثير منها على ما سمعه من المقدمين، أو المريدين، أو الزائرين.

---

[1] المصدر السابق:315.

[2] المصدر نفسه:286. وانظر لمزيد من التفصيل عما عرفه المغرب من مجاعة وأوبئة "تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب": 35-83.

[3] سلوك الطريق الوارية:384.

[4] المصدر السابق:232.

وتصرف الزبادي في أحيان قليلة في الرواية الشفوية، لما لم يتأكد من صحتها، وذكرها بصيغة تدل على ذالك، مثل: قيل، أو: كما زعموا.

الحاصل، لقد كانت الرواية الشفوية مصدرا مهما من مصادر "سلوك الطريق الوارية"، ولذالك فقد جاء الكتاب بزيادة على ما جاء في كتب سابقة من تراجم لأناس ذكرهم، ويعد بذالك قيمة إضافية في مجال الترجمة والتاريخ.

هـ ـ الرؤيا في المنام:

اعتمد الزبادي الرؤيا في المنام مصدرا في كتابه كثيرا. وهي بذالك تكون مادة مهمة أيضا في الكتاب، وخاصة في التراجم، والتعريف بالطرق الصوفية ومناهجها...الخ

وتتنوع الرؤيا إلى:

ـ رؤيا رآى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم.

ـ رؤيا ولي في حالة معينة.

ـ رؤيا بموت أو تولية أو عزل ...الخ

وتهدف الرؤيا إلى:

ـ إثبات كرامة الزبادي وولايته هو نفسه.

ـ إثبات ولاية شيخ أو مريد.

ـ إثبات صحة وصواب منهج طريقة صوفية.

وقد تكون الرؤيا تصريحا، كأن يرى أمرا، فيقع كما رآه، وقد تكون تلويحا وإشارة، فيرى أمرا لشخص، وإذا مات، أو سافر مثلا، يؤوله بذالك، وغالبا ما يكون جنازة ميت.

إن تأويل الزبادي لأحداث الرؤيا بكونه بالموت غالبا، يبين أن امتهانه لغسل الأموات أثر فيما كان يراه، فالموت، والغسل، والقراءة على الميت، والدفن، والجنازة، حاضرون دائما في عقله وخياله. وقد يرى حلقة للذكر والحضرة، والزيارة، والضريح، والموسم، وغير ذالك مما له علاقة بمنهج التصوف الطرقي، فيكون بذالك أيضا تأثير للواقع الذي كان يعيشه في نفسه.

إن المتصوفة الأفراد أو شيوخ الطرق والطوائف الذين ترجم لهم الزبادي، وذكرهم في كتابه، جلهم يعتقدون بصحة الرؤيا، واعتمدوها منهجا في التصوف، فهي عندهم ليست أضغاث أحلام، بل إشارة وتنبيه للإنسان في حالة اليقظة.

إن الرؤيا عند الزبادي هي من المسلمات التي تقع في الحين، أو بعد أيام، فليست هناك رؤيا لم تقع. وهو لما يرى أمرا، فإنه يشاركه فيه أولياء أموات، كالمولى إدريس، أو علي بن عبد الرحمان، أو عبد السلام بن مشيش، أو قاسم بن للوشة....الخ أو قد يقول له أحد في المنام أن النبي ﷺ موجود في مكان ما، وبينما هو في الطريق لرؤيته، يذكر أنه استيقظ، فوجد وقت الفجر. ولم يذكر الزبادي أنه رأى النبي، صلى الله عليه وسلم، بل

رأى أولياء متصوفة، في حين نسب رؤية النبي، صلى الله عليه وسلم، لعدد من المترجم لهم.

وأما مكان الرؤيا، فهو كثيرا إما في زاوية، أو ضريح ولي. وأما زمانها، فهو وقت الفجر غالبا، أو قرب وقت صلاة ما.

ولما كان الزبادي مهتما بالرؤيا، ومصدقا لها، نصحه شيخه محمد بن قاسم جسوس يوما أن لا يأخذ ولا يعتد بها، لأنها خيالات فقط.

وهاذه نماذج لها:

"رأيت يوما في النوم رجلا من أهل الخير من الأموات، وهو مسافر، فقلت له: مالك يا سيدي مستعجل؟ فقال لي: إني تابع النبي ﷺ لحضور جنازة رجل من تسول، توفي الآن. ولما أصبح، سألت عن صاحب الترجمة، فقيل لي: غائب. فقطعت نهاري سائلا ممن مات ذالك اليوم، فلم أجد خبرا. فقلت في نفسي: ولعله سيدي علي، توفي ببلده في هاذا اليوم. فكان الأمر كذالك، رحمه الله تعالى، ونفعنا به آمين"[1].

"ومنها أني رأيت يوما في علم النوم، رن علي بباب الدار رجل ليلا قبل الفجر، فخرجت عنده، وفتحت الباب، فوجدته رجلا قصيرا، أعور اليمنى، عليه جلابية، والزنقة بها رحيل بعفش، فقال لي الرجل المذكور: جئتك بهاذا الرحيل من عند امرأة تريد سكناها عندك. فقلت: إني لا أسكن أحدا معي. فأغلظ علي الكلام، فشتمته عند ذالك وهددته. فدخل في الحائط المقابل لباب الدار، وجعلت ذاته تصغر، فأغلقت في وجهه الباب ودخلت. وإذا برجل يتوضأ بسقاية الدار، فسألته من هو. فقال: أحمد. قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن يحيى. فقلت له: كيف يا سيدي أنت هنا، وهاذا الكلب الملعون يريد أن يسكن الناس معي رغما علي. واستيقظت، فقمت وتوضأت، وخرجت في الوقت"[2].

والحاصل، فقد كانت الرؤيا في المنام مصدرا للزبادي لجمع كتابه، وامتلأ الكتاب بها، وهو بذالك تابع لمن سبقه من المتصوفة الذين يروا أن الرؤيا هي للأولياء فقط.

5) التصوف في "سلوك الطريق الوارية":

تناول الزبادي التصوف في كتابه من جانبين: جانب النظر وجانب العمل.

فجانب النظر في التصوف، ضمنه في مقدمة الكتاب، والأبواب الخمسة الأولى. وضمن الباب السادس، والسابع، والثامن، والخاتمة جانب العمل منه.

---

[1] سلوك الطريق الوارية:186.

[2] المصدر السابق:131.

1ـ5) التصوف من جانب النظر:

عند مطالعة الأبواب الخمسة الأولى من "سلوك الطريق الوارية"، يلاحظ تشابه دراسة الزبادي لمواضيع التصوف من جانب النظر مع السابقين له والمعاصرين له، من حيث النقول الحرفية، وعناصر المسألة التي تناولها. مثلا: مسألة الشيخ والمريد، وعلاقتهما ببعضهما، لا نجد اختلافا بين ما أورده الزبادي عنها، وما أورده السابقون له، وكذالك ما أورده أهل عصره في مؤلفاتهم.

بدأ الزبادي كتابه بدراسة مسائل من التصوف، فخصص المقدمة، والأبواب الخمسة الأولى منه لتناول وبيان ذالك. ومن المسائل التي تناولها: مسألة الفقر والفقراء، ومسائل الصحبة، والسنة والبدعة، ومسألة الشيخ والمريد، ومسائل الزاوية، والحضرة، والرقص والتصفيق.

لقد انتقى المؤلف من مسائل التصوف لدراستها ما يناسب تصوف أهل وقته، وعالجها بطرق أهل عصره، فهو لم يوغل في الفلسفة الصوفية، بل إنه اختار من النصوص الصوفية للاستشهاد ما يمكن إدراكه لأهل وقته، كنصوص الجنيد، والجزولي، وابن عطاء الله، وأحمد زروق، وأبي مدين الغوث. وابتعد عن نصوص الغزالي والحاتمي والجيلي، تبعا لوصية شيخه محمد بن قاسم جسوس الذي كان يوصي طلبته "على كتب الغزالي، وكتب الجيلي، وكتب الحاتمي، إذا وقفتم على كتاب منها، فامشوا مع فهمكم طول ما هو مشروحا. فإذا تكدر عليكم، فقفوا عند ذالك، ولا تزيدوا، فإن الموضع موضع مخوف"[1].

---

[1] سلوك الطريق الوارية:156.

إن الابتعاد عن كتب تصوف أهل الإشراق والفلسفة، هو نتيجة لما آل إليه حال علم التصوف مع المتأخرين، فلم يعد طلب العلم ضروريا بالنسبة للمريد، ولم تعد الزوايا مركزا للعلم والتعليم، كما كانت من قبل، فقد ذكروا أن المريد يكفيه أن يتعلم منه ما يقيم به فرضه، ولذالك؛ لما كان يدخل عالم في طريق صوفية، كان أول ما يبدأ لهم به هو تعلم الضروري من الدين، كعبد المجيد الزبادي الذي كان يعلم المريدين العيساويين أمر دينهم. بل إنه طرأ تحول وتغير في مفهوم التدين، فالذكر أصبح هو الصلاة، بل مقدم عليها عند بعضهم، فلما كان علي الجمل في حضرة الذكر مع أصحابه، قال له أحدهم: "يا سيدي، الصلاة. أذنت المغرب. فقال الشيخ: وهاذه صلاة، أو نحن في الصلاة"1.

ومن خلال منهجية الزبادي في كتابه التي ذكرها في تمهيد الكتاب، يمكن تحديد رؤية الزبادي للتصوف، فالتصوف عنده لا بد فيه للسالك من صحبة شيخ عارف بالتصوف، يسلب له الإرادة، ويكون بين يديه، كالميت بين يدي غاسله، وهو لا يكون إلا في زاوية يجتمع فيها الناس لذكر الله بشروط الذكر، والتي عبر عنها بالحضرة.

2ـ5) التصوف من جانب العمل في سلوك الطريق الوارية:

ضمن الزبادي التصوف من جانب العمل في كتابه في الباب السادس، والباب السابع، والباب الثامن، والخاتمة، وبينه في سلوك المترجمين، وأقوالهم، وأحوالهم، من علماء، وشيوخ صوفية، من أهل السلوك والجذب.

ويمكن تقسيم دراسة الزبادي للتصوف من جانب العمل إلى ثلاثه أقسام:

ـ التصوف الفردي، وينقسم إلى: تصوف العلماء وتصوف الأولياء وتصوف العوام.

ـ التصوف الجماعي: وهو تصوف أهل الطرق الصوفية.

أولاـ التصوف الفردي:

أـ تصوف العلماء:

ترجم الزبادي في الباب السادس لعدد من علماء وقته ممن أدركهم وقرأ عليهم، أو أدركهم وتبرك بهم فقط، قال: "وقدمناهم لأنهم أهل للتقديم، والاحترام، والتعظيم".2 وذكر الزبادي سيرة العالم المترجم له، وما تلقاه من علوم، وما درسه -بفتح تشديد الراء-، وقد يذكر بعض تلاميذه وطلبته الذين لازموه في طلبهم للعلم.

ولم يغفل الزبادي أثر التصوف في حياة العالم، فجلهم وسمهم بالزهد والورع والعبادة، كما ذكر مخالطة بعضهم لأهل الزوايا والطوائف الصوفية.

إن أخذ العالم لعلم التصوف من الكتب والحلقات العلمية -في نظر الزبادي- لا يكفي ليكون العالم متصوفا، أو عارفا بتصوف أهل الأذواق، فعند المتصوفة أن التصوف لا

---

[1] سلوك الطريق الوارية:318.

[2] المصدر اسابق:104.

يؤخذ من الأوراق، وإنما من أهل الأذواق. ولذالك لا بد للعالم من مخالطة أهلـه العـاملين به من الشيوخ والأولياء، وأن يسلب لهم الإرادة. وقد كانت هاذه سيرة الكثير من العلماء.

فقد أخذ أحمد بن المبارك اللمطي العلم عن شيخه العربي الفشتالي، ثم أخذ التصوف عن شيخه عبد العزيز الدباغ، وألف في مناقب شيخه عبد العزيـز الـدباغ كتابـا سـماه: "الإبريز، في مناقب سيدي عبد العزيز".

وسلك محمد بن قاسم جسوس الطريق، وكانت له محبة وولـوع فـي أهـل الخيـر المنسوبين الدراويش1. كما كان يتكلم "في شأن الأولياء والصالحين، ممن له أتباع، وممـن لا، وفي كراماتهم وخوارق عاداتهم"2.

وكان عبد المجيد المنالي الزبادي-أخ المؤلف- "عالما ملازمـا، زاهـدا صـوفيا"3، "ويحب الاجتماع مع الفقراء والمساكين، ويحب مباشرتهم كيف ما كانوا. وكـان يحـضر معهم في حالة الذكر والحضرة، ويتواجد عند ذالك"4. وقد أخذ الطريقـة القاسـمية عـن الشيخ أحمد السوسي، وولده أحمد العباس، وأخذ الطريقة العيـساوية عـن الـشيخ روان بنعيسى5. وجلس الزبادي المؤلف إلى عدد من شيوخ التصوف، من أهل الطوائف الأحـد عشر التي ذكرها، أو غيرها، وكان منهم الكثير من الأميين، وأخذ عنهم، وسمع منهم مـا يقولونه، ورأى ما يفعلونه، وصدقهم في كل ذالك، واعتبره من التصوف.

ب ـ تصوف الأولياء:

إن الأولياء الذين ترجم لهم الزبادي يسلم لهم العقال، فهـو يعتقـد فـيهم الـصلاح والولاية، وأيضا هم ممن تنطبق عليهم شروط الشيخ التي ذكرها في البـاب الرابـع مـن الكتاب. وقد كانت علاقته بهم علاقة المريد بالشيخ، فهو لما يكون معهم، أحياء أو أمواتـا، يسلم الأمر لحيهم، ولمقدم ضريح ميتهم، أو زاويته، وإذا رأى في المنام أن الشيخ آمـره، يكون أمره مطاعا، فالمريد مع الشيخ يكون كالميت بين يدي غاسله.

إن أمر الشيخ في التصوف له أسرار لا يعلمها إلا الله، فإذا أمر المريد بشيء، وأراد المريد أن يكون منه شيء، فعليه بالسمع والطاعة، لأن في إتيان أوامر الـشيخ، واجتنـاب نواهيه الربح التام للمريد.

هُمُ الْفُقَرَاءُ عَنْهُمْ فَارْوِ ذِكْرَا ** وَحَدِّثْ عَنْهُمْ سِرًّا وَجَهْرَا

إن أقوال وأفعال الأولياء عند المتصوفة لها ظاهر وباطن، فهي وإن كانت تبدو مخالفة للشريعة، فذالك ظاهرا فقط. وأما باطنا، فهي صحيحة ومقبولة، وموافقة للشريعة،

---

1 سلوك الطريق الرارية:126.
2 المصدر السابق:129.
3 سلوك الطريق الوارية:134.
4 المصدر السابق:134.
5 المصدر نفسه:141.

فالولي قد يأتي الفواحش والمحرمات، قولا وفعلا، ورغم ذالك لا يناقش، ولا يعترض عليه.

وذكر الزبادي بعض أقوالهم الفاحشة، وأعمالهم المحرمة، كتناول الخمر، والحشيش، وتابغة، ولم ينكرها، وقد يذكر أنه استحيى لما سمعها أو رأى أمرا محرما صدر عن ولي، ولاكنه ينقله في كتابه كما سمعه أو رآه بأمانة تامة [1]. فلو لم يعتقد الزبادي بأن لذالك أسرارا، لما نقلها كما هي، بل لتصرف فيها، أو سكت عن ذالك.

ج ـ تصوف العوام:

العوام إما سالكون أو مجذوبون. والمجذوبون إما مجذوبون جذبا تاما، أو يجمعون بين السلوك والجذب. وضمن الزبادي الباب الثامن تصوف العوام السالكين، أو الذين يجمعون بين السلوك أحيانا والجذب أحيانا أخرى، أو من أهل الجذب التام.

إن التصوف ـ كما بينه الزبادي ـ لا يحتاج المريد في طلبه إلى التعلم في المدارس أو الجوامع، فلا يشترط العلم في التصوف، بل إن تصوف الأمي يراه الزبادي هو التصوف الخالص، فالأمي، وخاصة الفقير، لا يخالط الكبراء وأهل الجاه والنفوذ، من أهل اللهو والفساد، ولا يخالط الحاكم، سواء أكان سلطانا أم غيره. بخلاف العالم الذي يخالط الحكام خاصة، ويقبل هداياهم وعطاياهم، دون أن يسأل عن مصدرها.

وإن جل المتصوفة الأفراد الذين ذكرهم الزبادي هم من الأميين؛ غير المتعلمين، وأيضا أغلبهم لهم حرفة، أو صنعة يكسبون منها رزقهم، وهاؤلاء خالط الكثير منهم. وقد كان لوالده "مرمة" للغزل والنسج[1]، وكان هاذا سببا في مخالطة الزبادي لهاذه الفئة من الناس، فرأى أفعالهم، وسمع أقوالهم.

ورغم ممارسته لوظيفة الشهادة بسماط العدول بفاس، لاكنه لم يذكر عن عدل شاهد متصوف، أو انخرط في سلك الطرق الصوفية، فهو لم يترجم إلا لفردين اثنين من هاذه الفئة من الناس، وهما محمد بن الطيب القادري، والطيب المريني. وقد يكون السبب أن طبيعة أعمال العدول الشهود لا تمكنهم أن يسلكوا طريق التصوف، فهم يتعاملون بالمال مع الناس، ويشهدون ويوثقون عقود الأموال، وقد يكون اهتمامهم بهاذا الجانب أكثر.

إن المتصوف الفرد ليس راهبا في نظر الزبادي، فالتصوف يعيشه الفرد ويمارسه وهو في عمله، ولا يتجرد عن عمله بسبب التصوف، إلا إذا غلبه الحال. فقد وجد من يمتهن الحياكة وهو يذكر الله، ولا ينزل عن مرمته إلا إذا غلبه الحال، فيخرج من حانوته مهللا، ومكبرا، ومبرحا، قاصدا الزاوية، أو داره، أو السوق.

إن المتصوف، وخاصة المجذوب، أو الذي اعتراه الجذب، ينطق بالإشارات، فتراه "يبرح" وينادي في الأسواق بكلام كله معاني، ولا يبالي بأحد، ويتكلم في شؤون الملك

---

[1] سلوك الطريق الوارية: 343.

والحكم، وكان كذالك حتى في الوقت الذي منع فيه "البريح". وإذا نبهه أحد، أشار عليه أنه لا يخاف ولا يبالي بأي كان.

وحال المجاذيب هي حال واحدة، فهم يلبسون لباسا رثا، ويتكلمون كلاما بمعنى وبدون معنى، والذي يؤوله الزبادي بإشارات للمستقبل القريب أو البعيد، وغالبا ما يكون قريبا. وسلوك المجذوب الغريب خارق، لذالك لا يعترض على أقواله ولا على أفعاله، وكل من فعلٍ يتعرض للعقاب. فهاذا مؤذن مسجد القرويين، كسر "قصبة" المجذوب علي بن ناصر الورياجلي، واستنكر الناس فعله، وقالوا: "التسليم لذالك الرجل أسلم". ودعى عليه المجذوب، فقال: "هرستها، الله يهرس مزودتك". وقال له أيضا: "والله لا مت إلا بالحديد". قال الزبادي: "ثم إن غدا أو بعد غد، تخاصم المؤذن المذكور مع رفيق له بسوق غزل الكتان من رحبة الزبيب، وهدده وشمته. فانسل ذالك الرفيق من الحديد، وضرب المؤذن على بزولته اليسرى، فسقط المؤذن ميتا من حينه"[1].

وهاذا ولد السلطان، الحفيد بن إسماعيل، لقي المجذوب محمد مساء الخير يوما، فقال له: "أنت مرابط بالحق؟ فقال له سيدي محمد: إذا قالها الله. فقال له ولد السلطان: وهل تعرف الله؟ قال نعم. قال: وبم عرفته؟ فقال له سيدي محمد: عرفته يقتلك، ولا يعطى فيك دية. فصد الشريف عنه وتركه. ومن الغد أصبح الشريف ولد السلطان ميتا"[2].

والجذب هو حال أقرب للتقوى، بل المجذوب حقيقة متقي، مرفوع عنه القلم، وكامل في عبوديته، فهو لا يعصي الله، وكل أقواله وأفعاله في علم الغيب، والتي يأخذ منها العاقل الإشارات، والأمارات، والمنهج، حيث يشير المجذوب لشيء حال، أو مستقبل، قولا كان أو فعلا، لذالك يجب اتقاء ما يقوله، وللناس عبرة فيمن آذى المجاذيب.

لقد كان قاسم بن للوشة مجذوبا، وأصيب بالبله لما "عركه" محمد الشرقي، وهو صبي، في قصعة ماء[3]. وتبعه الناس، وبنيت على قبره قبة. وتخاصم وتقاتل على جثمانه قبيلتا "أرضم" و"حروش"، وأصبح ضريحه وقبره في القبيلتين قبلة للزائرين، يسبقون الزيارة من وادي أرضم، ويزورون ويعمرون الموسم المذكور على سبيل العادة. وبعد ذالك، حين يفرغون من الموسم، يذهبون منه إلى حروش، فيزورونه كذالك[4].

ثانيا) التصوف الجماعي: التصوف عند الطرق الصوفية والزوايا:

خصص الزبادي الباب السابع من كتابه للتعريف بأحد عشر طائفة صوفية وزاوية وجدت بالمغرب على عهده. ويبدو أن الزبادي انتقى ما رآه منها منسجما مع توجهه

---

[1] سلوك الطريق الوارية: 275.
[2] المصدر السابق: 289.
[3] المصدر نفسه:230.
[4] نفسه: 232.

ورأيه، وهي التي خالط أهلها، وإلا فإن الطرق الصوفية كما ذكر هي "عدد أنفاس الخلائق"[1].

وحدد الزبادي مناهج الطرق الصوفية التي ذكرها في الأبواب الخمسة الأولى من الكتاب، فالشيخ، والمريد، والحضرة، والذكر، والرقص، والتصفيق، هي مسائل اتفقت عليها الطوائف التي ذكرها وخالطها.

وبدأ الزبادي بالتعريف بشيخ كل طريقة، ومنهجه وسلوكه في التصوف. ثم ذكر ما له من الأصحاب من الذين لقيهم، أو سمع عنهم، وعن سيرتهم وأحوالهم.

ونبه الزبادي إلى ما شاب الطرق الصوفية من مخالفة لمناهج الشيوخ، كالذي أحدثه العيساويون في الحضرة، من "الرقص على هول البنادير والغطا، وغير ذالك، والتصفيق من غير فهم المعاني، ويغير الرجل غيره للرقص، أحب أم كره"[2].

والطوائف التي خالطها الزبادي هي:

ـ **الطائفة العيساوية:** وهم أصحاب وأتباع محمد بنعيسى. وبدأ الزبادي بالطريقة العيساوية لأنها طريقته التي ينتمي إليها.

ـ **الطائفة الدرعية:** وهم أصحاب أبي الحسن، علي بن عبد الرحمن الدرعي، وهي أول طريقة عرفها وخالط أهلها.

ـ **الطائفة التهامية الوزانية:** وسماها التهامية، لأنها اشتهرت في عهد التهامي بن محمد بن عبد الله، وأما مؤسسها فهو عبد الله الشريف.

ـ **طائفة ابن الفقيه:** وهم أصحاب وأتباع الشيخ أبي عبد الله، محمد ابن الفقيه بن الحسن بن العافية المصمودي الزجني. وذكر الزبادي أنها فرع من الطائفة التهامية الوزانية أصلا وفرعا ومددا.

ـ **الطائفة القاسمية:** وهم أصحاب الشيخ أبي عبد الله، أبي القاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم بن للوشة السفياني، الشهير بأبي عسرية.

ـ **الطائفة الحفنية:** وهم أصحاب الشيخ أبي عبد الله، محمد ـ بالفتح ـ الحفني المصري، وأتباعه.

ـ **الطائفة السفيانية:** وهم أصحاب الشيخ أبي علي، الحسن بن ابراهيم السفياني الفاسي.

ـ **الطائفة الفيلالية:** وهم أصحاب أبي العباس، أحمد عبد الصادق الفيلالي.

ـ **الطائفة الحمدوشية:** وهم أصحاب الشيخ أبي الحسن، علي بن حمدوش.

ـ **الطائفة الغازية:** وهم أصحاب أبي محمد، أبي القاسم بن محمد الدرعي الفيلالي الغازي.

---

[1] سلوك الطريق الوارية: 71.

[2] المصدر السابق: 170.

ـ **الطائفة الناصرية**: وهم أصحاب أبي عبد الله، محمد بن ناصر الدرعي.

3 ـ5) ظاهرة زيارة الأولياء:

تبين ظاهرة المواسم أو الزيارة عقيدة الناس في الأولياء. فهم يتبرك بهم، أحياء وأمواتا، لأنهم صالحون ومختارون، ويزورهم الناس جميعا، علماء وعامة، نساء ورجال، شباب وشيوخ. فقد كانت أضرحة الأولياء وجهة للزائرين، حيث يأتون بالهدايا والعطايا للولي الحي، وأما الولي الميت، فيقدمونها لأهله والمنسوبين إليه؛ المحترمين بالضريح، أو الزاوية، وقد تكون منقولات، أو عقارات.

وقد كان الموسم مناسبة لتجمع الناس، فيقرؤون القرآن، والأحزاب، والأوراد في الزاوية، بحضور الولي الحي، أو في غيبته، وفي الضريح عند قبر الولي الميت.

ويقبل الزائرون يد الولي الحي، ورجليه، وثيابه، ويطلبون منه بركته ودعاءه، وقد يقدم لهم "حروزا" للاستشفاء والتداوي من الأمراض الحسية والمعنوية. وأما الولي الميت، فيتبركون بقبره، ويتمسحون به، ويستشفون بتراب قبره.

وذكر الزبادي أن قصد الناس من زيارة الأولياء في عهده لم يكن دينيا خالصا، بل لطلب الدنيا أيضا[1]. فلما كان الولي وسيطا بين الله والناس، قصده الناس. ولذالك، فإن الفكرة الدينية لم تغب عن الناس، رغم طلبهم للدنيا في زيارتهم للولي.

وقد جسد الزبادي عقيدة الناس في الأولياء كثيرا، فهو كان دائم الزيارة للأولياء، وخاصة لضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش، وإدريس الأكبر بزرهون، وضريح إدريس الأصغر، وضريح الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي، وضريح الشيخ محمد بن عيسى، وضريح الشيخ قاسم بن للوشة.

ولم تكن زيارة الزبادي للأضرحة عرضا، بل كانت لها أسبابها ودوافعها، فهو اختار من الأولياء بعضهم. لقد زار عبد السلام بن مشيش، نظرا لمكانته الصوفية بالمغرب، وأيضا لنسبه الشريف، فهو إدريسي النسب. وقد خالط أهل الطائفة الوزانية، وهم شرفاء يملاحيون مشيشون إدريسيون، والزبادي إدريسي النسب، وشريف مثله مثل ابن مشيش. وزار الزبادي ضريح إدريس الأكبر، مؤسس دولة الشرفاء بالمغرب، وهو شريف النسب إدريسي.

وأما علي بن عبد الرحمان الدرعي، فقد زاره الزبادي لأنه كان من طائفته، والتي كانت أول الطوائف الصوفية التي عرفها، وأيضا أسندت إليه وظيفة مقدم الطائفة الدرعية بفاس مدة صالحة من الوقت.

---

[1] سلوك الطريق الوارية:41.

ولما انتسب الزبادي للطائفة العيساوية، زار ضريح مؤسسها وشيخها؛ محمد بنعيسى، وكان ملازم الزيارة له برفقة العيساويين بفاس. ولم يترك الزبادي موسم أبي قاسم بن للوشة، فزاره مع الطائفة القاسمية بفاس.

ويذكر الزبادي عددا من الكرامات وقعت له في أضرحة الأولياء المذكورين. فلما عزله حاكم فاس في وقته عن كرسي القرويين، ونفذه للغير، حكى له رجل لا يعرفه، بضريح المولى إدريس، أنه رآى في المنام أن علي بن عبد الرحمان جاء بالزبادي وقدمه أمانة للمولى إدريس الأصغر، وعند ذالك استيقن الزبادي بتوليته الكرسي من جديد، وهو ما كان لما قدم السلطان محمد بن عبد الله لفاس[1].

ومنها لما كان في زيارة لضريح عبد السلام بن مشيش، اختلف هو ومن معه حول الطريق في شعبة من الشعب بتازروت، وأنه سلك الصحيح منها هو ومن صاحبه، وأما الذين اختلفوا معه، فقد "سرقتهم" الطريق، وتاهوا في الغابة. ولما التقوا به، ندموا على مخالفته، وطلبوا منه الصفح عن ما صدر منهم[2].

وأيضا لما عزم على زيارة عبد السلام بن مشيش، اعترض عليه من علم بالخبر، لأن الفصل فصل الحر والصيف، وأن الزبادي وأصحابه، منذ أن خرجوا من فاس، أرسل الله عليهم الغيم والريح الغربي، من باب فاس إلى أن زاروا ضريح ابن مشيش. ونزلوا لتطاون، وأقاموا بها خمسة أيام، والقائلة والحر الشديد، ولما خرجوا من تطوان، أعطاهم الله تعالى الغيم والسحاب حتى دخلوا فاسا[3]. قال الزبادي بعده: "فانظر أخي بركة الأجواد، مع فضل الله تعالى ومراده، وسعة رحمته سبحانه. فوالله ما كنت في سفري ذالك أدخل شعبة، ولا غابة، ولا أقطع واديا، إلا ولقيت من يقول لي: اعزم ولا تتراخى، خفية من رفقائي"[4].

وبسبب زيارة الزبادي لضريح قاسم بن عسرية ونيله بركته، سلم من سوء الحساب لما كان ناظر الحبس الموقوف على الضعفاء والمساكين في عهد السلطان محمد بن عبد الله[5].

وكانت أضرحة الأولياء مكانا للصلح وإنهاء الخصام، فقد تخاصم الفقراء القاسميون؛ أهل مكناسة، زاوية مع أخرى، وسافر الزبادي مع فقراء قاسميين من فاس إليهم، وصالحوا فيما بينهم، وعقدوا الصلح عند ضريح أبي قاسم بن عسرية[6].

إن الولاية بالمغرب أدت وظائف دينية ودنياوية، فالناس كانوا يقصدون زوايا الأولياء وأضرحتهم من أجل ذالك. ومنذ دخول المولى إدريس، ارتبطت الولاية الدينية

---

[1] سلوك الطريق الوارية:183.
[2] المصدر السابق:291.
[3] المصدر نفسه:290.
[4] المصدر نفسه: 290.
[5] نفسه: 232.
[6] نفسه: 241.

بالدنيا، فقد كان المولى إدريس سلطانا حاكما، كما كان في الآن نفسه وليا صوفيا. ولما كان كذالك، وانتشر الأدارسة في نواحي المغرب، ساروا بسير مؤسس الدولة الإدريسية، وأسسوا زوايا وأضرحة، وحافظ المتصوفة على ذالك إلى عهد الزبادي، والذي نقله ووصفه بكل أمانة.

الحاصل، إن الكتاب المحقق هو واحد من الكتب التي لا غني عنها للباحث والقارئ في دراسة التصوف والطرق الصوفية بالمغرب، فهو خالط أهلها وسمع ما قالوا، ورأى ما فعلوا، فكان بذالك مصدرا في التعريف بالطوائف المذكورة وأهلها. وهو أيضا مصدر في دراسة الحركة العلمية بالمغرب في عهده وما قبله، خاصة في القرنين 12 و13. وهو كذالك مصدر في دراسة تاريخ علم الاجتماع والحكم بالمغرب.

إن كتاب "سلوك الطريق الوارية، في الشيخ والمريد والزاوية، هو لأجل ما ذكر ستزدان به المكتبة المغربية والإنسانية، العامة والخاصة، ويمثل قيمة علمية مضافة في سلسلات التراث والمعرفة بالمغرب.

ثالثا) معجم المصطلحات الصوفية الواردة في الكتاب:

لما كان "سلوك الطريق الوارية" كتابا في التصوف، فقد وردت به مصطلحات صوفية يعرفها أهل الفن. وتبعا لذالك، ارتأيت أن يكون من مواد هاذا التقديم جرد للمصطلحات الصوفية الواردة بالكتاب، وتعريف بها، يهتدي القارئ بهما لمضمون الكتاب، ويتبين له ما طرأ على مفهوم التصوف مع المتأخرين.

وقد ورد بهاذا الكتاب جملة من المصطلحات الصوفية، وهي:

- الأنس: الأنس أتم من البسط. وحق البسط صحو بحق، فكل مستأنس صاح. ثم يتباينون حسب تباينهم في الشرب[1].
- الاتصال: هو اتصال الوجود بتوالي الجمع، لاكن لا يدرك هاذا الاتصال بوصف ولا ينال بجد، وإنما هو اسم لا تكشف عن مسماه العبارة وإن أومأت إلى نحوه الإشارة[2].
- الإرادة: وهي قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة، أو التحبب إلى الله بما يرضى، والخلوص في نصيحة الأمة والأنس بالخلوة، والصبر على مقاساة الأهوال، ومنازلات الأحوال، والإيثار لأمره، والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوبه،

---

[1] الرسالة القشيرية: 69. وانظر بغية السالك: 233. الإنالة: 160.
[2] بغية السالك: 302.

والتعرض لكل سبب يوصل إليه، وصحبة من يدل عليه، والقناعة بالخمول، وعدم سكون القلب إلى شيء دون الوصول، وهي أول منزلة القاصدين، وبدء طريق السالكين[1].

- الاسم المفرد، ويسمونه الاسم الأعظم: وهو الذكر المفرد، وهو قولك الله[2].
- الاشتياق: وهو ارتياح القلب إلى دوام الاتصال بالحبيب[3].
- البدلاء: وهم سبعة رجال، وهم كل من سافر من موضع وترك به خليفة على صورته لا يعرف أنه فقد[4].
- البسط: حالة بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف. وهو يكون لمعنى حاصل في الوقت[5].
- البعد: هو التدنس بمخالفة الله والتجافي عن طاعته[6].
- البقاء: البقاء هو قيام الأوصاف المحمودة بالعبد. أو: هو رؤية العبد قيام الله تعالى على كل شيء[7].
- التجلي: ما ينجلي للقلوب من أنوار الغيوب[8].
- التحقيق: وهو الوصول إلى المعرفة بالله الذي لا تدركه الحواس بتخليص المشرب من الحق بالحق في الحق حتى تسقط الشهادات وتبطل العبارات وتفنى الإشارات[9].
- التسليم: وهو نزوع العقول من شغب التدبير فيما غابت عاقبته خلف أستار الغيوب. أو: هو الانقياد لأمر الله تعالى، وترك الاعتراض فيما لا يلائم[10].
- التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال. وهو

---

[1] معراج التشوف: 37.
[2] بغية السالك:349.
[3] معراج التشوف: 36.
[4] التعريفات: 49. الإنالة: 161. معراج التشوف: 79.
[5] الرسالة القشيرية: 68. وانظر بغية السالك: 300. الإنالة: 160. معراج التشوف: 50.
[6] الرسالة: 85. وانظر الإنالة: 161.
[7] الرسالة القشيرية: 75. الإنالة: 160. بغية السالك: 301. معراج التشوف: 59.
[8] التعريفات: 57. وانظر: الرسالة القشيرية: 79. الإنالة: 161.
[9] بغية السالك: 300. وانظر التعريفات: 59. الإنالة: 161.
[10] بغية السالك: 209. التعريفات: 63. وانظر معراج التشوف:31.

أيضا علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وله معاني صوفية عديدة[1].

- التعظيم: وهو تعظيم الحق سبحانه بقطع الشواغل عنه، وتسليم الحكم لـه مـن غيـر عوض[2].
- التلبيس: والمراد به تغطية الأسرار بأستار الأسباب، إبقاءا على الكافـة بمـا تحملـه مشاربهم تربية لأبناء الحكمة[3].
- التواجد: التواجد استدعاء الوجد تكلفا بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد[4].
- التوكل: وهو ثقة القلب بالوكيل الحق تصديقا بوعده وسكونا عـن الاضـطراب مـع اضطراب الأسباب تعويلا على المسبب[5].
- الثقة: ومعناها ثلج اليقين بما دارت عليه الأحكام وثبت في أم الكتـاب مـن توزيـع الأقسام على الأنام، وجريان الأقدار في الوجود[6].
- الجلال: هو ما يتعلق بالقهر والغضب[7].
- الجمال: وهو من الفن ما يتعلق بالرضا واللطف[8].
- الجمع: الجمع هو ما سلب عنك، وهو ما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسـداء لطف وإحسان. فمن أشهده ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه فهو عبد يشاهد الجمع[9].
- الحال: معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهـم، مـن طرب أوحزن أو بسط أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو احتياج[10].
- الحذر: وهي الحيطة من الوقوع فيما قد علمت هلكة عاقبته ، والحذر يصاحبه التـشم، يؤذن ببراءة الذمة، ويفصح عن ارتفاع الهمة، ويقضي بالخلاص من التبعات[11].

---

[1] التعريفات:65. الإنالة: 162. معراج التشوف: 25-26.
[2] بغية السالك: 210.
[3] بغية السالك: 301.
[4] الرسالة القشيرية: 70. وانظر: التعريفات: 76. الإنالة: 161. معراج التشوف: 63.
[5] بغية السالك: 186. وانظر التعريفات: 76. معراج التشوف: 30-31.
[6] بغية السالك: 208. وانظر التعريفات: 78.
[7] التعريفات: 82. الإنالة: 162.
[8] التعريفات:83. وانظر الإنالة: 162.
[9] الرسالة القشيرية: 73 التعريفات:83. الإنالة: 69. معراج التشوف: 60.
[10] الرسالة القشيرية: 67. وانظر: التعريفات: 86. الإنالة: 162. معراج التشوف: 48.
[11] بغية السالك: 89.

- الحزن: وهو توجع الباطن بما فاته من الخير، وتألمه لما ناله من الشر والتضييع[1].
- الحس: عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهرا[2].
- الحضرة: هي ما اشتمل عليها مقام الإحسان، وبابها المراقب، والموضع الذي أشرف منه على بعض الصفات هو الطمأنينة[3].
- الحضور: هو حضور القلب بالحق إذا غاب عن الخلق[4].
- الحق: هو اسم من أسماء الله تعالى. والشيء الحق أي: الثابت حقيقة، ويستعمل في الصدق والصواب، يقال: قول حق وصواب[5].
- الحقيقة: هي مشاهدة الربوبية، بالتزام العبودية[6].
- الخلاص: وهو الانتفاض من قيود الأهواء وأغلال الأوهام، بلوغا إلى مبادئ عز الحرية بإحكام التصفية والمبالغة في الروحانية، وذالك يرقى بالروح عن غبش الجسمان وظلام الهوى[7].
- الخُلُق: وهو هبارة عن هيئة للنفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة ، سميت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا[8].
- الذكر: وهو اتصال حقيقة الذكر في القلب مع الأنفاس تخلصا من وهن الغفلة بعز الحضور. وهو ركن قوي في طريق الوصول[9].
- الذوق: وهو عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباط من غير أو ينقلوا ذالك من كتاب أو غيره[1].

---

[1] بغية السالك: 88. وانظر التعريفات: 91.
[2] معراج التشوف: 61.
[3] بغية المسالك: 144.
[4] الرسالة القشيرية: 77. الإنالة: 162.
[5] التعريفات:93. وانظر الإنالة: 162.
[6] الرسالة: 87. وانظر: الإنالة: 163. معراج التشوف: 71.
[7] بغية السالك: 259.
[8] التعريفات: 104 وانظر بغية السالك: 188.
[9] بغية السالك: 235. معراج التشوف: 47.

- الرضا: وهو سكون القلب بجريان الأقدار، ونفوذ الأقضية بترك انكماش الباطن لهبوب رياح المكاره وإن عظم أمر الوارد[2].
- الروح: الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة، فمنهم من يقول إنها الحياة، ومنهم من يقول إنها أعيان مودعة في هاذه القوالب[3].
- الزهد: وهو خلو الباطن من الميل إلى فان، وفراغ القلب من الثقة بزائل، تنزها عن الاشتغال بمضمون، لأن ذالك مما لا يعني، وتفرغا إلى عمارة الوقت بالمهم الباقي الثابت، وإن كانت اليد معمورة بحلال[4].
- الستر: عبارة عن غيبة العبد عن ربه ترويحا وتنزلا أو شغلا بشأن من شؤون النفس[5].
- السر: هو لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محل المشاهدة، كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المشاهدة[6].
- السكر: غيبة بوارد قوي[7].
- السكينة: وهي خاصية من خواص الطمأنينة، وإن كانت للعارف سكينة أخرى فهي فوق الإشارة. وهي تقضي بكمال الإيمان، وتفضي إلى الإحسان، وهي أول درج من أدراج الولاية[8].
- السماع: هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى[9].
- الشاهد: هو ما يكون حاضر قلب الإنسان، وهو ما كان الغالب عليه ذكره، حتى كأنه يراه ويبصره وإن كان غائبا عنه[1].

---

[1] التعريفات: 109. وانظر الرسالة القشيرية: 79بغية السالك: 258. الإنالة164. معراج التشوف: 65.
[2] بغية السالك: 209. وانظر التعريفات: 112.
[3] الرسالة القشيرية:91. وانظر التعريفات: 114-115. معراج التشوف: 51.
[4] بغية السالك: 185. وانظر التعريفات: 117. معراج التشوف: 30.
[5] معراج الشوف: 67. وانظر: الرسالة القشيرية: 79.
[6] الرسالة القشيرية: 91. التعريفات: 120. وانظر بغية السالك: 301. الإنالة:170. معراج التشوف: 73.
[7] الرسالة: 78. وانظر: بغية السالك: 286. التعريفات: 122. الإنالة: 170. معراج الشوف: 66.
[8] بغية السالك: 233. وانظر التعريفات: 122.
[9] الفتوحات الإلاهية:327.

- الشريعة: هي أمر بالتزام العبودية[2].
- الشكر: وهو إفراد القلب بالثناء على المنعم الواحد الحق بإمحاض القصد، وتصفية السعي من شوائب عثرات الخطرات[3].
- الشوق: وهو هبوب الروح إلى غائب أو ما في معناه، وهو الشوق إلى الله عز وجل بما تقعد في الروح من معنى توحيد صفاته حتى بغضه ما سواه[4].
- الصبر: وهو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله، لا إلى الله[5].
- الصحو: هو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة[6].
- العبادة: وهي الاجتهاد في أداء الوظائف التكليفية. أو هي: قيام الظاهر مع تعلق الباطن بالطاعات[7].
- العلم: ويعني به المتصوفة العلم الخفي الثابت في قلوب أهل الطهارة والرياضة الخاصة بأصحاب الهمة الشريفة، وهو مؤذن بأوائل عين اليقين، معرب عن مبادئ حقائق توحيد النعوت، ولا يدرك إلا بطمأنينة القلب بذكر الله وليس بعلم الرسوم[8].
- الغربة: وهي غربة الهمة في طلب الحق حتى ظهرت له الأسرار على أكمل ما تقتضيه عيون الحقائق، فهو ريب الدنيا والآخرة[9].
- الغنى: وهو غنى اللب بسلامته من فتن الأسباب، والإذعان لمس\الة الحكم، والخلاص من الخصومة[10].
- الغيبة: هي غيبة القلب عن كل ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه[11].

---

[1] الرسالة القشيرية:89. وانظر التعريفات: 126. الإنالة: 170. معراج التشوف: 76.
[2] الرسالة: 87. وانظر: التعريفات: 128. معراج التشوف: 71.
[3] بغية السالك: 187. وانظر التعريفات: 129. معراج التشوف: 29.
[4] بغية السالك: 257. وانظر التعريفات: 131. معراج التشوف: 36.
[5] التعريفات: 132.
[6] الرسالة: 78. وانظر: بغية السالك: 300. التعريفات: 133. الإنالة: 167.
[7] الإنالة: 155. بغية السالك: 154. التعريفات: 147.
[8] بغية السالك: 235.
[9] بغية السالك: 288.
[10] بغية السالك: 186.
[11] الرسالة: 76. التعريفات: 162. الإنالة: 168.

- الغيرة: وهي عبارة عن التلبس بالرسوم، والكتم عن البشر، والإشارة دون تصريح صيانة للأسرار واتساعا لمحل الأمانة[1].
- الفرار: وهو الهرب من الشر إلى الخير، ومن البعد إلى القرب، ومن الهلاك إلى النجاة، فيستدعي الجد، ويمحو أثر البعد ، وهو من أول أبواب الابتهال إلى الله عالى والإجابة لأمره[2].
- الفقر: وهو نفض اليد من الدنيا ضبطا أو طلبا، وسكوت اللسان عنها مدحا أو ذما. وهو أيضا نهاية التصوف، وقيل البراءة الملكية[3].
- القرب: هو القرب من طاعة الله والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته[4].
- القلق: وهو فرق من الإياس وضيق صدر لتوقع الخيبة[5].
- القناعة: وهي الاقتصاد والاقتصار على الضروري، توسطا بين طرفي الزهد والتكاثر. أو: هي السكون عند عدم المألوفات[6].
- المحافظة: وهي لزوم طريق الإنابة تعرضا لنفحات القبول، وصونا لعقود العهود، واحتياطا لشرط المتاب[7].
- المحبة: وهي المحبة الخاصة الناشئة عن مشاهدة المحبوب، فليست محبة الخبر كمحبة العيان، وهي التي يعبر عنها بمحبة الجلال، ودونها محبة النوال. فالأولى تختص بمقام الإحسان، والثانية تختص بمقام الإيمان، والثالثة تختص بمقام الإسلام[8].
- المقام: ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إيه بنوع من تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، فمقام إقامته عند ذالك وما هو مشتغل بالرياضة له[9].

---

[1] بغية السالك: 287. وانظر التعريفات: 162. الإنالة: 168. معراج الشوف: 36.
[2] بغية السالك: 80.
[3] بغية السالك: 186. الإنالة: 169. وانظر التعريفات: 167. معراج التشوف: 45.
[4] الرسالة: 85. وانظر التعريفات: 172.
[5] بغية السالك: 257.
[6] بغية السالك: 155. التعريفات: 242. وانظر معراج التشوف: 41.
[7] بغية السالك: 89.
[8] بغية السالك: 287.
[9] الرسالة القشيرية: 66. وانظر التعريفات:220. الإنالة:165. معراج التشوف: 49.

- المكاشفة: وهي بلوغ لما وراء الحجاب وجودا[1].
- النفس: هي ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه وأفعاله[2].
- الهمة: وهي عبارة عن غلبة الانبعاث إلى حصول الأمل خالصة من شوائب الالتفات لغيرها، ترقى بصاحبها عن طلب الأعواض واعتبار الدرجات بما لاح من أنوار حقائق توحيد الصفات[3].
- الهيبة: الهيبة أعلى من القبض. وحق الهيبة الغيبة فكل هائب غائب. ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة[4].
- الوارد: هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد، وكذالك ما لايكون من قبيل الخواطر فهو أيضا وارد. ثم قد يكون وارد من الحق ووارد من العلم. فالواردات أعم من الخواطر، لأن الخواطر تختص بنوع الخطا، أو ما يتضمن معناه. والواردات تكون وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط، إلى غير ذالك من المعاني[5].
- الوجد: الوجد ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا[6].
- الوجود: وهو الفوز بحقيقة الشيء، وهو وجود مقام تضمحل فيه الرسوم حتى رسم الوجود بالاستغراق قي الأولية، وذالك يرقى بالروح عن تلمح ضلال الأوهام عند سطوع أنوار الحقائق[7].
- الورع: هو صيانة النفس في حفظ الحدود، بترك ما لا بأس به إبقاء على صيانة التقوى، وصعودا إلى التخلص من اقتحام الحدود[8].

---

[1] بغية السالك: 286. التعريفات: 221. الإنالة: 167. معراج الشوف: 67.
[2] الرسالة القشيرية:90. وانظر التعريفات: 234-235. معراج التشوف:51.
[3] بغية السالك: 234. وانظر التعريفات: 248.
[4] الرسالة القشيرية: 69. وانظر التعريفات: 249. الإنالة: 171.
[5] الرسالة القشيرية: 89. وانظر التعريفات: 240. الإبانة: 171. معراج التشوف: 51.
[6] التعريفات: 241. وانظر الرسالة القشيرية: 70. الإنالة: 171. معراج التشوف: 64.
[7] بغية السالك: 300. وانظر التعريفات: 241. معراج التشوف: 65.
[8] بغية السالك: 155. وانظر التعريفات: 242. معراج التشوف: 29.

- الوقت: حادث متوهم، علق حصوله على حادث متحقق. فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم، تقول: آتيك رأس الشهر، الإتيان متوهم، ورأس الشهر حادث متحقق، فرأس الشهر وقت الإتيان[1].
- اليقين: هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف، ولا يطلق في وصف الحق لعدم التوقيف. فعلم اليقين هو اليقين، وهو ما كان بشرط البرهان[2].

خامسا: التحقيق:

1ـ وصف نسخ الكتاب المعتمدة في التحقيق:

ـ نسخة مصورة لمخطوط بخزانة الشيخ محمد بوخبزة التطواني:

وهي خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ. وعدد صفحاتها 295 صفحة. وهي ناقصة غير تامة، وينقص منها صفحات في الباب الثامن. وهي قليلة الأخطاء، ولذالك اعتمدتها أصلا فيما هو تام منها، والمبتور منها اعتمدت فيه أصلا نسخة الخزانة الحسنية. وهاذه النسخة هي أقدم النسخ التي اعتمدتها، ورمزت لها بحرف "أ".

وكتب قارئ هاذه النسخة ومالكها عباس بن إبراهيم في ختامها: "الحمد لله وحده، استوفيت مطالعتي لهاذا الكتاب الفريد في بابه، بحر التاريخ والأنساب والتصوف، في ليلة 11 رجب عام 1331 في يوم وزيادة. جزا الله مؤلفه خيرا. وكتب عبد ربه تعالى، عباس بن إبراهيم، وفقه الله".

ـ مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط رقم 12244:

وهي نسخة تامة وبخط مغربي، ونسخت عام 1353هـ. وعدد صفحاتها 315 صفحة. وهي نسخة متأخرة في الزمن عن النسخة "أ"، ورمزت لها بحرف "ج".

وختمت هاذه النسخة بقول الناسخ: "قد تم والحمد لله على يد الوضيع المتواضع لأبواب الله، مرقمه (اسم كتب شكلا، ولا يقرأ)، جعله الله ممن ختم لهم بالحسنى، بمنه وجوده وفضله وكرمه، إنه على ما يشاء قدير. وأتوسل بكل ما له بركة وجاه عند الله، أن لا يخيب قصدي فيما رجوته من العفاف والكفاف والغنى عن مخلوقه، وذالك خامس ربيع النبوي الأنور، على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام، عام 1353هـ".

ـ مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم 247ك:

وهي نسخة بخط مغربي، وهي عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ. وعدد صفحاتها 454 صفحة. ونساخها متعددون، لتعدد الخطوط المكتوبة بها. وهي أيضا نسخة

---

[1] الرسالة:65. وانظر بغية السالك: 258. الإنالة:171. معراج التشوف:48.

[2] الرسالة القشيرية: 89. وانظر بغية السالك: 209. التعريفات: 156، 251. الإبانة: 168. معراج التشوف: 43.

غير تامة، وناقص منها ما هو ناقص بالنسخة "أ"، كأنها نسخت منها، أو مما نسخت منه النسخة "أ". وهي غير مرتبة الصفحات، وضمن مجموع. وتبدأ بقول الناسخ: "قال العالم المؤرخ الصالح أبو عبد الله، محمد بن علي الزبادي الفاسي، رحمه الله رحمة واسعة". ورمزت لها بحرف "ب".

ـ مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط رقم 6025:

وهي نسخة ناقصة غير تامة، وكتبت بخط مغربي مشكول، وبهامشها بعض الطرر، وعدد أوراقها 12 ورقة، وهي من الصفحات الأولى من الكتاب.

2ـ عملي في التحقيق:

اتبعت في التحقيق الخطوات التالية:

ـ المقارنة بين النسخ وترجيح نسخة "أ" واعتمادها أصلا في التحقيق، لقلة أخطائها، ولقدمها عن باقي النسخ.

ـ نسخ الكتاب المخطوط.

ـ مقابلة النسخة "أ" مع باقي النسخ، وترجيح الأقرب إلى الصحة، وما كان من بتر أو محو بنسخة "أ" اعتمدت باقي النسخ لملئه وتصحيحه.

ـ تخريج لنصوص الواردة في المتن المحقق، كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبعض النصوص التي نقلها من بعض الكتب، من نثر أو نظم.

ـ وضع عناوين لبعض الفقرات وتمييزها عن عناوين المؤلف بوضعها بين معقوفتين [].

ـ وضع فهارس للكتاب ليسهل الأمر على الباحث والقارئ.

ـ تحرير مقدمة للتحقيق، عرفت فيها بالمؤلف وبالكتاب ومحتواه يهتدي بها القارئ إلى الاطلاع على مضمونه.

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

[تـــمـــهـيـــــــــد]

الحمد لله الغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، سبحانه، لا إلاه إلا هو، ولا معبود بحق سواه، والشكر له على ما أولانا من نعمه وأسداه، لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطاه، ولا مضل لمن هداه، ولا مهدي لمن أضله واتبع هواه، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نورٍ مِن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ﴾[1]، والقائل جل مجده وعلاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾[2]، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عظيم الجاه، الشاهد البشير النذير، السراج المنير، والداعي إلى الله بإذن الله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه التابعين له في سره ونجواه، صلاة وسلاما تامين دائمين إلى يوم وعده ولقاه.

أما بعد، فإنه لما كان أفضل الصحبة صحبة العلماء العاملين، والصلحاء السالكين المسلكين العارفين، والفقراء التابعين لهم المتحابين كما أخبر به سيد المرسلين ﷺ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، فقال ﷺ: "إن الله ينظر إلى هاذه الأمة بالعلماء والفقراء"[3]، يعني العلماء العاملين الراسخين، والفقراء أهل الاستقامة في الدين.

وقد حصل لنا، والحمد لله، معرفتهم وصحبتهم، ومخالطتهم ومرافقتهم، واغتنمنا بركتهم، والاجتماع معهم ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، مدة مديدة، وسنين عديدة، وجلنا في طوائفهم جلها، واستفدنا من أهل الخير منها محبة فيهم وبحثا عن الطريق وأهلها، حتى ظهر لنا من بركاتهم على قدر الطاقة والوسع الحق حقا، والباطل باطلا، مما سمعنا منهم بشواهد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

[الرجز]

نَهْنَأُ بِالْبُشْرَى وَنَحْمَدُ رَبَّنَا ... وَنَشْكُرُهُ لَمَّا حَبَانَا بِصُحْبَةِ

---

[1] سورة الزمر: 21.
[2] سورة فاطر: 15.
[3] إرشاد القلوب: 364/1.

ولما رأينا ما كانوا عليه ﷺ في أقوالهم وأفعالهم، وأحوالهم وسيرتهم، وما كانوا يحضون عليه ويأمرون به، وما كانوا ينهون عنه، وما كان دأبهم وديدنهم، مما بذلوا فيه أنفسهم لله عز وجل من معرفة الطريق، التي هي غاية السالكين، ونهاية المسافرين إلى الله عز وجل، وهي الصفقة التي بذلوا فيها أنفسهم، وإن كان لم يبق فيها اليوم غير مجرد الاسم دون المسمى، أردت من تجاسري وفضولي، ونقصان عقلي، وقلة حيائي، وسوء أدبي، أن أقيد مختصرا، أذكر فيه ما كانوا عليه ﷺ، ليتبين ويظهر ما نحن عليه اليوم مما كانوا عليه ﷺ، وإن كنت لست أهلا لذالك.

لاكن لما رأيت من الفساد والإنهماك والخروج عن الطريق الجادة والقطع عنها، وكثرة الطوائف من العامة من غير شيخ حتى يقومهم ويروضهم، وإنما ينتسبون للشيوخ الأموات من غير عمل ولا اتباع، وضاعت الأعمار من غير انتفاع، حتى غابت السنة في الابتداع، وصار العمل رقص وتصفيق وسماع، والفقراء كالغنم الضالة السائحة في الغابة من غير راع، وشاع ذالك فيهم وذاع، وذالك كله من قلة معرفة الأشياخ الأحياء، والغفلة عنهم وعن البحث عن سيرتهم، اكتفاء بالنسبة إلى الأموات، وإن كانوا لم يروهم، ولا رأوا من رآهم، وهاذا مما لا يفيد شيئا، ولا يحصل صاحبه على طائل، لأن الشيخ الحي يؤدب صاحبه ويهذبه، ويدله على مولاه ويوصله، والشيخ الميت إنما يحصل لصاحبه منه الوسيلة به والتبرك بآثاره، والقسم الأول قليل ما هم، والقسم الثاني هو الغالب اليوم. لأن جل الفقراء اليوم ليس مقصودهم من الشيخ الإرادة والرياضة للطاعة، وإنما مقصودهم الدنيا وسعتها، والتمتع بزينتها، وظهور الكرامة والكشف لهم عما يليق بهم من أمورهم المهتمين بها وإلا فليس بشيخ. وهاذا من أقبح المقاصد، وهو الظاهر في وقتنا والمشهور، وقد عمت البلوى به، نسأل الله سبحانه الهداية والتوفيق، والإلهام للصواب والتحقيق.

وسميته "سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية".

وافتتحته بمقدمة، توطئة لمضمن الكتاب، وإعانة لمطالعه من ذوي الألباب، وبوبته في ثمانية أبواب، نسأله سبحانه التوفيق للصواب.

الباب الأول: في ذكر الصحبة وأهلها، واتباع السنة وحفظها، واجتناب البدعة وتركها، وآداب ذالك.

الباب الثاني: في معرفة الشيخ وأحواله، واتباعه في أقواله وأفعاله، والإكثار من محبته وإعظامه وإجلاله.

الباب الثالث: في صفة المريد، وآدابه مع الشيخ والإخوان، والصدق معه في السر والإعلان.

الباب الرابع: في ذكر الزاوية وسببها، وشروط آداب الاجتماع بها، وثمرة ذالك.

الباب الخامس: في ذكر الحضرة وشروطها، والرقص والتصفيق فيها، ومن يسلم له من أربابها، وما ينشأ عن الذكر من المواهب والمواجد لديها، وتهزيز الأرواح والأشباح لخالقها.

الباب السادس: في ذكر من أدركناه من العلماء، وتبركنا به، ومن قرأنا عليه منهم وانتفعنا به.

الباب السابع: في ذكر من صحبناه من أهل الخير، وتتبعنا له الأثر من فقراء الطوائف الإحدى عشر.

الباب الثامن: في ذكر من لقيناه، واجتمعنا به من أهل السلوك والجذب من غير الطوائف المذكورة.

وختمته بخاتمة، أذكر فيها أقواما مجاذيب وبلهاء أدركناهم في حالة الصغر، ورأينا أحوالهم، ولا نعرف أسماء بعضهم ولا كنيته، عدى الألقاب، نفعنا الله ببركاتهم، آمين.

فسبحان المولى الذي أخرجنا من العدم إلى الوجود، وأكرمنا بمحمد ﷺ أفضل كل مولود، صاحب الوسيلة والشفاعة والمقام المحمود، والدرجة الرفيعة والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الكرم والجود، والتابعين لهم بإحسان، الواقفين بعدهم على الحدود، وله الحمد والشكر على ما أسبغ علينا من نعمه الظاهرة والباطنة، والآلاء في الصدور والورود. نسأله سبحانه أن يجعلنا يوم لقاه من خيار الوفود، ويسكننا بفضله ومنه الفردوس الأعلى من دار الخلود، فإنه الجواد الكريم الذي لا يرد قاصده وراجيه عن المقصود.

المقدمـــة

ورد في الحديث عن ابن عمر[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أحب الخلق إلى الله الفقراء"[2]، وورد أيضا: "مفتاح الجنة الفقراء"[3]، وورد: "أكثروا من معرفة الفقراء، وفي لفظ الأصدقاء، واتخذوا عندهم الأيادي، فإن لهم دولة يوم القيامة. قالوا: وما دولتهم يا رسول الله؟ قال: إذا كان يوم القيامة، قيل لهم: انظروا من أطعمكم كسرة، أو سقاكم شربة، أو كساكم ثوبا، فخذوا بيده، ثم أفضوا به إلى الجنة"[4].

والفقر، قال في كتاب "الانتباه"[5]: الفقر لغة عبارة عن خلو اليد من متاع الدنيا.

والفقر اصطلاحا عبارة عن خلو القلب مما سوى الله.

والفقر حقيقة هو ما بينه رسول الله ﷺ لجعفر الخلدي ﷺ، قال: "خدمت ستمائة شيخ، فما وجدت شفاء قلبي في أربع مسائل، حتى رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي ﷺ: سل يا جعفر عن مسائلك الأربع؟ فقلت: يا رسول الله: ما العقل؟ قال: أدناه ترك الدنيا، وأعلاه ترك التفكر في ذات الله سبحانه. فقلت: وما التوحيد؟ فقال: كل ما أتى به الوهم، أو جلاه الفهم، فربنا عز وجل مخالف لذالك. فقلت: وما التصوف؟ فقال: ترك الدعاوي وكتمان المعاني. فقلت: وما الفقر؟ فقال: هو سر من أسرار الله يودعه فيمن شاء، فمن كتمه، فهو من أهله، وزاده الله منه، ومن باح به، قفاه الله عنه"[6].

قلت: قول النبي ﷺ: "الفقر سر من أسرار الله" إلى آخر الحديث، لأن السر كنز من كنوز الله تعالى، والكنز لا يكون إلا مخزونا مدفونا، وما دام مخزون ومكنوز وهو سر، وإذا ظهر، لا يقال فيه كنز ولا سر، كما قيل: سرك هو سرك، قال لي فالمثل طول ما هو (فصدرك)[7] وهو عسل، حين تبح لغيرك يرجع لك دفل.

---

[1] عبدالله بن عمر بن الخطاب (84هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 39. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف:43/1، هامش: 74.

[2] تنبيه الغافلين، باب فضائل الفقراء: 111.

[3] انظر مثله في إحياء علوم الدين: 238/4، ونصه: "إن لكل شيء مفتاحا، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء".

[4] إحياء علوم الدين:235/4. تنبيه الغافلين، باب فضائل الفقراء: 110.

[5] اسم الكتاب كاملا هو: "الانتباه في سلائل أولياء الله وأسانيد وارثي رسول الله"، للشيخ ولي الله الدهلوي.

[6] التدوين في أخبار قزوين: 73/3. نحوه. وانظر معراج التشوف:46.

[7] ج: في صدرك.

وقال الشيخ أبو مدين[1] ﷺ:

وَفِي السِّرِّ أَسْرَارٌ دِقَاقٌ لَطِيفَةٌ   تُرَاقُ دِمَانَا جَهْرَةً لَوْ بِهَا بُحْنَا[2]

وقال أيضا في قصيدة أخرى[3]:

وَلاَزِمِ الصَّمْتَ إِلاَّ إِنْ سُئِلْتَ فَقُلْ   لاَ عِلْمَ عِنْدِي وَكُنْ بِالصَّمْتِ مُسْتَتِراً

ويقال:

وَمُسْتَخْبِرِي عَنْ سِرِّ لَيْلَى رَدَدْتُهُمْ   بِعَمْيَاءَ مَنْ لَيْلَى عَنْ غَيْرِ يَقِيـــنِ
يَقُولُــونَ خَبِّرْنَــا فَأَنْــتَ أَمِينُهَــا   وَمَا أَنا إِنْ خَبَّــرْتُهُمْ بِأَمِيـــــنِ

فانظر يا أخي قرب معنى التصوف من معنى الفقر، كلاهما يشير إلى الخمول. ولهاذا المعنى عاب صاحب المباحث الأصلية على مدعي الفقر، وإن كان مع توفر شروطه، بقوله[4]:

قَوْلُ الْفَقِيرِ إِنَّنِي فَقِيرٌ   فَلِلظُّهُورَ أَبَداً يُشِيرُ

قال الشيخ زروق[5]، رحمه الله تعالى، في شرحه لها: أما قول الفقير أني فقير، هو إشارة إلى الظهور، كما قال الناظم. قال: وذالك محمود ومذموم بحسب قصده، كما في حديث البخاري[6]: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"[7]. لأن انتشار الصيت قد يكون محمودا وقد يكون

---

[1] أبو مدين، شعيب بن حسن الأنصاري (-594هـ). ترجمته في: التشوف: 319-326. لواقح الأنوار: 219. نيل الابتهاج: 193-199. سلوة الأنفاس:416/1-418. شجرة النور: 164/1.

[2] ديوان أبي مدين: 60. وانظر الفتوحات الإلاهية: 103.

[3] الديوان: 58.

[4] الفتوحات الإلاهية:569.

[5] أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي زروق (-899هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 48-51. نيل الابتهاج: 130-134. رقم 125. طبقات الحضيكي: 17/1. وانظر أيضا مصادر ترجمته في الإشراف:110/1، هامش: 420.

[6] أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (-256هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 92. وانظر مصادر ترجمته في الإشراف:81/1، هامش:258.

[7] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم: 1.

مذموما، محمودا إذا كان قصده إرشاد الخلق ونفعهم، ومذموما إذا كان قصده تعظيم نفسه واحتقار غيره.

الحاصل، أن كل فقير مهما انقلب ومال إلى حب الجاه والرياسة، إلا انقطع عن الطريق.

فعلى ما ذكر، يجب عليه الخمول، وتعاطي الأسباب والصناعات، ولبس الثياب التي تسقط منزلته عند الناس، وهاذا حال المريد الصادق. قال سيدنا إبراهيم ابن أدهم ﷺ[1]: "ما صدق من أحب الشهرة"[2]، فإن حب الشهرة والرئاسة والجاه كله مذموم، لا يخلو من الرياء والمرائي، لا شك أنه يريد أن تكون له منزلة عند الناس. قال[3] في المدخل: "الفقير من افتقر في كل أحواله إلى ربه عز وجل، وسكن قلبه إليه، وإن كانت الخواطر تلدغه، فهو لا يلتفت إليها"[4].

وقال الشيخ أبو مدين ﷺ:

اَلْفَقْرُ فَقْرٌ مَا دُمْتَ تَسْتُرُهُ فَإِذَا أَظْهَرْتَهُ ذَهَبَ نُورُهُ[5]

فقوله: تستره، يعني في الأقسام الثلاثة في اللغة والاصطلاح والحقيقي، لأن التستر واجب في الجميع. وهو من أدب العبد مع مولاه، بأن لا يدعي في القسم الأول بفاقة ولا قلة، ولا برد ولا حرارة، ولا يظهر ذالك لأحد، فيكون شكوى بمولاه وعدم الرضا. وفي القسمين الثاني والثالث لا يدعي بدعوى، قهرا للنفس، وأدبا مع مولاه، وهو المراد بقوله: فإذا أظهرته، يعني بما ذكر من شكواك ودعواك، ذهب نوره، ولقوله ﷺ في الحديث المتقدم: "ومن باح به قفاه الله عنه".

وقيل في معنى الفقير:

[البسيط]

فَــاءُ الْفَقِيـــرِ فَنَـــاؤُهُ لِبَقَائِـــهِ وَالْقَافُ قُــرْبُ مَحَلِّــهِ لِلِقَائِــهِ
وَالْيَاءُ يَعْلَمُ كَوْنُـــهُ عبــداً لَـــهُ فِي جُمْلَةِ الْعُتَقَاءِ مِــنْ طُلَقَائِــهِ
وَالرَّاءُ رَاحَةُ جِسْمِهِ مِنْ كَــدِّهِ وَبَلاَئِـــهِ وَعَنَائِـــهِ وَشَـــقَائِهِ
هَاذَا الْفَقِيرُ إِذَا طَلَبْتَ وَجَدْتَـــهُ فِي جُمْلَةِ الأَصْحَابِ مِنْ رُفَقَائِهِ

---

[1] إبراهيم بن أدهم (-162هـ). ترجمته في: رسالة القشيري: 17رقم:49. لواقح الأنوار: 97. وانظر أيضا مصادر ترجمته في الإشراف:96/1، هامش: 341.

[2] تفسير ابن كثير: 1465/3. شرح ابن عباد على الحكم:12/1.

[3] أبو عبدالله، محمد بن محمد العبدري الفاسي (737هـ). ترجمته في: الديباج: 255/2. لواقح الأنوار: 286.

[4] المدخل: 180/3.

[5] غير موجود في ديوانه المطبوع.

أَصْلُ الصِّيَانَةِ وَالدِّيَانَةِ وَالتُّقَى مَضْمُونُ قَصْدِ الْحَقِّ مِنْ تِلْقَائِهِ

وقال الشيخ أبو مدين[1] ﷺ:

[البسيط]

مَا لَذَة الْعَيْشِ إِلاَّ صُحْبَةُ الْفُقَرَا هُمُ السَّلاَطِينُ وَالسَّادَاتُ وَالأُمَرَا

فَاصْحَبْهُمْ وَتَأَدَّبْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَخَلِّ حَظَّكَ مَهْمَا خَلَّفُوكَ وَرَا

وَلاَزِمِ الصَّمْتَ إِلاَّ إِنْ سُئِلْتَ فَقُلْ لاَ عِلْمَ عِنْدِي وَكُنْ بِالصَّمْتِ مُسْتَتِرَا

أي: الفقراء الذين هم على الوصف المذكور هم السلاطين، وهم السادات، وهم الأمرا، فإذا صحبتهم، فكن في مجالستهم محل لحظك متواضعا لهم ولو خلفوك ورا، وكن ملازما للصمت في معرفتهم وفي مجالستهم وطريقتهم، إلا إن سئلت، فقل لا علم عندي، وتستر بالصمت، إلا إذا غلب عليك، من حال أو جذب أو إذن لك، فما عليك، فهم مسلم.

فهؤلاء هم الفقراء الحقيقيون الماشون على هذا الطريق الموصلة. وأما المتشبهون بهم، فإن كان قصدهم الإلحاق بهم، ويكون ذالك بالأخذ في طريقهم، واتباع سبيلهم، فهم ملحقون، فهم حسبما يشهد لذالك ما خرجه أبو داوود بإسناد جيد عن ابن عمر، والطبراني بإسناد حسن عن حذيفة: "من تشبه بقوم كان منهم"[2]. قال المناوي: من تزي في ظاهره بزي الصلحاء، وهو من أتباعهم، يكرم بما يكرمون به الصلحاء، ومن تشبه بالفساق، يهن ويحذر"[3]. وقال في عدة المريد: "قال المشائخ رحمهم الله تعالى: وكل تشبه لا يصحبه عمل، فهو تلبيس وليس تشبيه"[4]. وقال إمام العارفين أبو القاسم الجنيد[5] ﷺ: "الطرق إلى الله تعالى أكثر من عدد النجوم في السماء، وطريق الفقراء هو أصحها، لأن الفقر سر مخزون زين الله تعالى به قلوب أوليائه وأحبائه، لأن ظاهره البلوى، وباطنه النعمى، وقع عليه كريم الجزاء، ومن نظر إلى ذالك الجزاء، هان عليه ما عاين إلى البلواء.".

قال[6]:

[الطويل]

تَهُونُ عَلَيْنَا فِي المَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ مَهْرٌ

---

[1] الديوان: 58.

[2] سنن أبي داوود: 720. كتاب اللباس، رقم: 4031. المعجم الأوسط رقم: 8327. ونصه فيهما: " من تشبه بقوم فهو منهم".

[3] فيض القدير: 135/6.

[4] في عدة المريد المطبوع: 527. قال المشائخ رحمهم الله تعالى: وكل تشبه لا يصحبه عمل فليس بتشبيه، إنما هو تلبيس".

[5] أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد (-297هـ). ترجمته في: الرسالة القشيرية: 38-40. لواقح الأنوار: 122. بغية السالك: 394-395.

[6] هذا البيت من قصيدة للشاعر أبي فراس الحمداني. انظر تاريخ الإسلام للذهبي: 208/6.

وقيل:

[الخفيف]

لَيسَ لِمَا قَرَّتْ بِهِ الْعَينُ ثَمَنُ لاَ بَأسَ بِالْغَالِي لِذَا قِيلَ حَسَنُ

وقيل:

[المديد]

أَيُّهَا الْعَاشِقُ مَعْنَى حسْنِنا مَهْرُنَا غَالٍ لِمَنْ يَخْطُبُنَا

جَسَدٌ مُضْنَى وَرُوحٌ في الْعَنَا وَجُفُونٌ لاَ تَذُوقُ الوَسَنَا

وَافنَ إن شِئْتَ بَقَاءً سَرْمَداً فَالْفَنَا يُدْنِي إلَى ذَالِكَ الفَنَا

وَاخْلَعِ النَّعْلَيْنِ إنْ جِئْتَ إلَى ذَالِكَ الْحَيِّ فَفِيهِ قُدْسُنَا

وَعَنِ الكَونَينِ كُنْ مُنْخَلِعًا وَأزِلْ مَا بَيْنَنَا مِنْ بَيْنِنَا

وَإذَا قِيلَ فَمَنْ تَهْوَى فَقُلْ أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

وقيل:

[البسيط]

الحُبُّ دِينِي فَلاَ أَبْغِي بِهِ بَدَلاَ وَالْحُسْنُ أمْرٌ مُطَاعٌ جَارَ أَمْ عَدَلاَ

وَالنَّفْسُ عَزَّتْ وَلاَكِنْ فِيكَ أَبْذُلُهَا وَالذُّلُّ مُرٌّ وَلاَكِنْ فِي رِضَاكَ حَلاَ

كَأَنَّمَا الْقَلْبُ مِنِّي عَنْبَرٌ عَبِقٌ يَزْدَادُ فِي حُبِّكُمْ طِيبًا إذَا اشْتَعَلاَ

يَا مَنْ عَذَابِي عَذْبٌ فِي مَحَبَّتِهِ لاَ أَشْتَكِي مِنْكَ لاَ صَدًّا وَلاَ مَلَلاَ

وقيل:

[الخفيف]

إنْ شَكَوْتَ الْهَوَى فَمَا أَنْتَ مِنَّا فَاحْمِلِ الصَّدَّ وَالْجَفَا يَا مُعنًّا

تَدَّعِي مَذْهَبَ الْهَوَى ثُمَّ تَشْكُو أَيْنَ دَعْوَاكَ فِي الْهَوَى قُلْ لِي أَيْنَا

لَوْ وَجَدناكَ صَابِراً لِهَوَانَا (لَعَطينَاكَ)[1] كُلَّ مَا تَتَمنَّا

[1] ج: لأعطيناك.

قال ذو النون المصري[1]، رحمه الله تعالى: "إن لله عبادا البلايا عندهم عسل، والشدائد عندهم سكر". لأن المحب إذا كمل شهوده بجمال معذبه، لم يحس بألم العذاب، وهاذا أمر معلوم عند من له أدنى ذوق في باب الحب، لأن المحب الصادق في محبة محبوبه، يسهل عليه حمل المشاق في مرضاته، وتعود مرارة المشقة حلاوة، وربما حمل الأثقال ولم يحس بثقلها، كما قيل:

تَصْبِرُ عَلَى هَاذَا الْهَوَى سَبْعِينَ لِتَلَّـــا   تَشْرَبَ كُؤُوسَ الْحَنْظَلِ وَالْمُرُّ يَحْــلاَ

ويحكى أن بعض المحبين ضرب بحضرة سلطان الوقت تسعة وتسعين سوطا، لم يتأوه في واحدة منها، وفي السوط المكمل المئة تأوه، فقيل له في ذالك، فقال: كان حبيبي حاضر معي فيها، وفي السوط الأخير غاب عني، فتألمت.

[1] أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم، ذو النون المصري (-245هـ). ترجمته في: الرسالة القشيرية: 433-434. لواقح الأنوار: 102-104.

الباب الأول

في ذكر الصحبة وأهلها، واتباع السنة وحفظها، واجتناب البدعة وتركها

قلت في القصيدة المعلومة (لنا) [1]:

إِذَا صَحِبْتَ (فَاصْحَبْ)[2] مَاجِداً   ذَا عَفَافٍ وَحَيَا فِي طَبْعِهِ

أي: إذا أردت أخي أن تصحب أو تعرف أو تخالط، فاختر من هو خير منك، بأن يكون موصوفا بالأوصاف الحميدة والأخلاق الكريمة، من المجادة، والسخاء، والكرم، والديانة، والعفة، والأمانة، والنصيحة، والزهد، والصدق، وعلو الهمة عما في أيدي الناس، ويكون الحياء طبعه وشيمته، لأن الحياء شعبة من شعب الإيمان، كما في البخاري[3].

فما ينبغي لك أخي أن تصحب الأشرار المتصفين بالأوصاف الذميمة الخبيثة، البشيعة الشنيعة المخالفة، المباعدة عن الشريعة والحقيقة دينا ودنيا، من التلبس بالمعاصي، وتتبع البدع والشهاوي، والتكبر والدعاوي، والرياء والسمعة، ولا يبالي بشيء من ذالك، فإن الناس يقولون: مع من رأيتك شبهتك. و: مع من تكن، كيف هو تكن. و: من خالط قوما، كان منهم، أو حشر معهم، كما تقدم في الحديث[4]:

[الطويل]

فَمَنْ جَالَسَ العَطَّارَ طَابَ بِطِيبِهِ   وَمَنْ جَالَسَ الْحَدَّادَ نَالَ السَّوَائِدَا

وفي الحديث: "المرء على دين خليله، فليختر من يخالل"[5]. ويقال: لا تخالط إلا عاقلا تقيا، ولا تجالس إلا عالما بصيرا. وسئل رسول الله ﷺ: "أي جلسائنا خير؟ قال: من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله"[6]. ويقال: وكل صاحب لا تزداد به خيرا في كل يوم، فانبذ عنك صحبته. وقال مولانا علي بن أبي طالب[7] ﷺ:

---

1 ج: لها.

2 ب: فاصحب ساقط.

3 صحيح البخاري. كتاب الإيمان، رقم: 9.

4 المستدرك على الصحيحين: 21/3. رقم: 4353.

5 مسند أحمد: 303/2. رقم: 8015. المستدرك على الصحيحين: 285/4. رقم:7398. شعب الإيمان: 44/12. رقم: 8890.

6 شعب الإيمان: 49/12. رقم: 9000.

7 علي بن أبي طالب (-40هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:49/1، هامش: 102.

"من خالط الأنذال احتقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن مازح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به"[1]. وقيل: من خالط العلماء أدبوه، ومن جالس السفهاء أفسدوه، وأعظم الآفات صحبة الأحداث.

وقال الشيخ الجزولي[2] ﷺ: "ما أفلح من أفلح، إلا بصحبة من أفلح، ولا هلك من هلك، إلا بمجالسة من هلك". يريدون الياقوت بآخر في الحديد، يريدون مقامات الرجال بأعمال الجهال، يريدون أحوال الأبرار بأعمال الفجار. وقال ﷺ: "مخالطة العموم تذهب بنور القلوب وهيبة الوجه، من مات على مخالطة العموم، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر المخسوف لا نور له. فليجتهد العاقل في مخالطة الخصوص، ففي مخالطة الخصوص ثلاث خصال: اكتساب العلم، وصفاء القلب، وسلامة الصدر. وقال ﷺ: "اهربوا من مجالسة الفجار، فمن جالس الفجار قسا قلبه، ومن جالس الأبرار استنار قلبه".

وإنما ينبغي لك صحبة الأخيار ومجالستهم، المتصفين بالأوصاف المحمودة الآثار، القائمين بأمور الدين، التابعين سنن المهتدين، الواقفين عند الحدود، السالكين طريق الملك المعبود، ذوو المجادة والعفاف، والسخاء والإنصاف، فإن العفة من أوصاف الأخيار، ومن أحوال الأحرار، الراشدين الأبرار، تخلق بها نبينا المختار، صلى الله عليه وعلى آله، آناء الليل وأطراف النهار. فلا بد للفقير من أن يكون عفيفا في دينه ودنياه. والعفاف هو الإمساك عن محارم الله، فإذا تعفف العبد عن محارم الله تعالى، كان عفيفا حقا، فلا يصحب إلا عفيفا متنزها عن المعاصي والدناءات، ومحترزا من النقائص والآفات، معرضا عن الدنيا وأهلها، الملحين عليها تبرءا من الشبهات، وقد قيل:

[السريع]

اِخْتَرْ لِصُحْبَتِكَ مَنْ أَطَاعَا … إِنَّ الطِّبَاعَ تَسْرِقُ الطِّبَاعَا

وقال سيدي عبد الله بن الشيخ الشهيد سيدي عبد السلام جسوس، رحمه الله:

[البسيط]

صَاحِبْ ذَوِي الفَضْلِ تَسْعَدْ مِنْ كَرَامَــاتِهِمْ … وَاخْدُمْهُمْ صَــادِقًا وَاصْــدُقْهُمْ خَبَــرَا

كَمْ صُحْبَةٌ أَلْحَقَتْ مِــن شَــوقِهَا ضَــرَرَا … وَصُحْبَةٌ طَوَّقَــتْ مِــنْ يُمْنِهَــا دُرَرَا

وَشَاهِدَيْ كَلْبِ أَهْلِ الْكَهْــفِ مَــعَ ضَعَــةٍ … مِنْ أَجْلِ صُحْبَتِهِمْ فِي الْوَحْيِ قَدْ ذُكِرَا

---

1 وينسب مثله لعمر بن الخطاب. انظر المعجم الأوسط: 372/2. رقم 2259.

2 محمد بن سليمان الجزولي (-870هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:98/1، هامش: 360.

وقال أبو العباس المرابي[1]، رحمه الله تعالى:

[البسيط]

إِصْحَبْ أَخِي كِرَامَ النَّاسِ مَنْ كَمُلَتْ ... كُلُّ الْمَحَاسِنِ فِيهِمْ أَيْنَ مَــا ظَهَــرُوا

وَاخْضَعْ لَهُمْ وَتَأَدَّبْ فِــي مَجَالِــسِهِمْ ... تَحْظَى بِمَا لَهُمْ وَكُــلَّ مَــا ظَفَــرُوا

إِنَّ الْكِـــــرَامَ إِذَا رَأَوْا مُحِـــــبَّهُمْ ... يَسْعَى فِي خِدْمَتِهِمْ بِحُبِّــهِ ابتَــدَرُواْ

وقال الشيخ أبو مدين، رحمه الله تعالى، في الأبيات المتقدمة:

[البسيط]

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلاَّ صُحْبَةُ الْفُقَرَا ... هُمُ السَّلاَطِينُ وَالسَّادَاتُ وَالْأُمَرَا

وقد أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز، فقال عز من قائل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[2]، وهم أهل اليقظة. ونهانا عن غيرهم من أهل الغفلة، فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَبَعَ هَوَاهُ﴾[3].

وفي الحكم: "لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله"[4]. قال ابن عباد[5] ﷺ: "هاذا كلام في الصحبة، وهي أصل كبير من أصول القوم، وفيها منافع ومشاهد، ولذالك استمر عليها شأنهم قديما وحديثا"[6]. وأوصى بعضهم ولده، فقال: يا بني، لا تصحب إلا من يخاف الله تعالى، فإن أحبك، نفعك في الدنيا والآخرة، وإن كرهك، لا تلحقك منه مضرة، لأنه يرده عنك خوف الله تعالى.

وليوسف بن الحسين ﷺ[7]:

[الطويل]

أُحِبُّ مِنَ الإِخْوَانِ كُلَّ مُوَاتِي ... وَفِي غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثَرَاتِ

يُوَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُحِبُّهُ ... وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ وَفَاتِ

فَمَنْ لِي بِهَاذَا لَيْتَنِي وَجَدْتُهُ ... أُقَاسِمُهُ مَالِي مَعَ الْحَسَنَات

---

1 أبو العباس، أحمد بن عبدالله المرابي (-1034هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 38/1. الإعلام: 231/3.
2 سورة الكهف: 28.
3 سورة الكهف: 28.
4 الحكم العطائية: 54.
5 أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم النفزي الرندي، المشهور بابن عباد (-792هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف: 152/1، هامش: 644.
6 شرح ابن عباد على الحكم: 37/1.
7 شرح ابن عباد على الحكم: 38/1. وينسب للشافعي أيضا، انظر ديوان الشافعي: 36.

"الحاصل من هاذا أن صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين إلى الدين والعلم، لأنهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها أحد، وسريان ذالك من الصاحب إلى المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب"[1]. وريء بعضهم في المنام، فقيل له: بماذا تأمرنا؟ قال: اتباع الآثار، وصحبة الأخيار، ينجيان من النار، ويقربان من الجبار. وقال ﷺ: "من أراد الله به خيرا، رزقه خليلا صالحا وصادقا، إن نسي ذكره، وإن ذكره أعانه"[2]. وهاذا هو المراد من قول الحكم المتقدم: "لا تصحب من لا ينهضك حاله إلى الله، ولا يدلك مقاله على الله"[3]. وقال أيضا في الحكم: "ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا، إنما العجب من عاقل يصحب الجاهل صاحبا"[4]. لأن صحبة الجاهل لا يحصل منها للعاقل فائدة، وصحبة العاقل فيها حكمة زائدة. والمراد بالعاقل الفطن الذكي النبيه، أو العالم العامل العارف، وهو أبلغ. وفي الحديث: "ما اصطحب اثنان على طاعة إلا افترقا عليها، ولا على معصية إلا افترقا عليها"[5]. وفي الحديث الصحيح: "يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه"[6].

وسئل أبو بكر بن هوارة[7] ﷺ عن الصحبة وحقيقتها، فأجاب، رحمه الله، فقال: "اعلم أن الصحبة ستة أقسام:

"الأول: الصحبة مع الله سبحانه، بحسن الأدب معه، ودوام الهيبة منه، ملازمة المراقبة له والرضا عنه، وترك الاختيار معه سبحانه.

"الثاني: الصحبة مع رسول الله ﷺ، باتباع سنته وسيرته، وملازمة العلم والعمل به.

"الثالث: الصحبة مع الأولياء بالاحترام والأدب والخدمة والمحبة، وترك الاعتراض عليهم إلا فيما حرم الله.

"الرابع: الصحبة مع الأهل، بالبشاشة وحسن الخلق والصبر.

"الخامس: الصحبة مع الإخوان؛ أهل المحبة في الله، بدوام البشرة والحنانة والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وحفظ أسرارهم، ما لم يكن إثما (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[8].

---

1 نقله عن شرح ابن عباد على الحكم: 39/1.
2 مسند أحمد: 70/6. رقم: 24459.
3 الحكم العطائية: 54.
4 لم أقف عليه في النسخ التي اعتمدتها.
5 لم أجده في ما تيسر لي من مصادر ومراجع.
6 فيض القدير: 520/5. رقم:8171. وفي صحيح مسلم. كتاب الجنة، رقم: 83. قال النبي ﷺ:"يبعث كل عبد على ما مات عليه".
7 أبو بكر بن هوارة البطائحي . ترجمته في: لواقح الأنوار: 189.
8 سورة المائدة: 3.

"السادس: الصحبة مع الجهال، بالدعاء لهم بالرحمة، والإعراض عنهم، لقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1]. انتهى.

فصل
[السنة والبدعة]

وأما اتباع السنة واجتناب البدعة، فقال في النصيحة الكافية: "هو العصمة من كل ضلال"[2].

اعلم، وفقني الله وإياك، أن الله تعالى لا يعرف ولا يعبد الا بالعلم. قال سفيان الثوري[3] ﷺ: ما أعلم عملا أفضل من طلب العلم. وقال الشافعي[4] ﷺ: "طلب العلم أفضل من النافلة"[5]. وقال مالك[6] ﷺ لابن وهب[7] لما جمع كتبه وقام يتنفل: "ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا أحسنت النية"[8]. وقيل لأحمد بن حنبل[9]: "هاذا العلم، فما العمل؟ قال: ألسنا نحن في عمل". وورد في الحديث عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء"[10]. وأخرج ابن عبد البر[11] عن إبراهيم النخعي ﷺ قال: "يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه يوم القيامة فيرجح . فيقال له: أتدري ما هاذا؟ فيقول: لا. فيقال له: هاذا فضل العلم الذي كنت تعلمه للناس"[12]. وأخرج ابن المبارك[13] ﷺ عن حماد بن أبي سليمان، قال: يجيء الرجل يوم القيامة فيرى عمله محتقرا، فبينما هو كذالك إذ جاءه مثل السحاب فيقع في ميزانه، فيقال له: هاذا ما كنت تعلم الناس من الخير، فورث بعدك،

---

1 سورة الأعراف: 199.
2 النصيحة الكافية:89.
3 سفيان الثوري (161هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 70.
4 أبو عبدالله، محمد بن إدريس الشافعي (-204هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 74.
5 انظر إحياء علوم الدين: 26/1.
6 مالك بن أنس الأصبحي (- 179هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 77. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف:80/1، هامش: 256.
7 أبو محمد، عبدالله بن وهب (197هـ). ترجمته في: الديباج:360/1.
8 إحياء علوم الدين: 26/1. وفيه ابن عبدالحكم بدل ابن وهب.
9 أبو عبدالله، احمد بن حنبل البغدادي (-241هـ). لواقح الأنوار: 80. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف:69/1، هامش: 193.
10 الدر المنثور:349/3. فيض القدير: 466/6. ونحوه في الإحياء: 25/1.
11 أبو عمر، يوسف بن عبدالله، ابن عبدالبر (463هـ). ترجمته في: الديباج: 297/2-295.
12 الدر المنثور:347/3.
13 عبدالله بن المبارك (181هـ). ترجمته في: الديباج: 355/2. لواقح الأنوار: 86.

فأجرت فيه"[1]. وفي الحديث أيضا: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له بخير، أو علم يبثه في صدور الرجال"[2].

[أقسام العلم: علم ظاهر وعلم باطن]

واعلم أن العلم علمان: علم كسبي، وعلم ذوقي، وكل من العلمين يشتمل على علوم شتى. فالعلم الكسبي هو العلم الظاهر، أعني علم الأحكام الشرعية، كالوضوء، والغسل، والتيمم، وستر العورة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف وضده، ونوافل الخيرات كلها، والبيع، والشراء، والإجارة، وبيان الحلال في ذالك من الحرام، والمكروه، والمستحب، إلى غير ذالك. وهاذه كلها أحكام الجوارح.

والعلم الذوقي، الذي هو علم الباطن، علم قلبي مبني على التوحيد الحقيقي، كالإيمان، والنية، والعقائد، والمحبة وضدها، والأسرار، والمواهب، والهداية، والإلهام، والعلم بالله، والحب فيه، والبغض فيه، والتوكيل عليه، والثقة به، والخوف منه، والرجاء فيه، إلى غير ذالك، والتسليم له، والرضا بقضائه. فهاذه كلها أحكام قلبية باطنة. قال ابن أبي زيد[3]: "وقد فرض الله على القلب عملا من الاعتقادات، وعلم الجوارح الظاهرة عملا من الطاعات"[4]. والقلبي هو الأصلي، والكسبي فرع عنه. وبالكسبي تصح عبادة الله، وبالذوقي يتوصل إلى المعرفة بالله، وكلاهما مستمد من الآخر، ولا يصح أحدهما، أي لا يستغني أحدهما عن الآخر، وكلاهما يحتاج إلى شيخ يعلمه قواعده وقوانينه ويروضه. ولاكن إنما يتحدث في كل علم مع أربابه الذين سلكوه، وسلكوا طريقه؛ سهله ووعره، وعرفوا مقاماته ومنازله، لأن العامة تقول: كل سبع زهار في غابته[5]، ولا يعرف ما في المزود إلا من أكل بها[6]، ولا يعرف الشوق إلا من يكابده.

وأقل ما يكفي لمن سمع شيئا من أسرار هاذا الطريق، الإيمان به، والحض عليه، وحسن الظن به وبأهله، والتسليم لهم. جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. فإن هاذا الطريق غريب الوجود، عزيز المنازل، شريف الأحوال، وكله راجع إلى الأذواق، فمن لم يكن

---

1 الدر المنثور:349/3.

2 سنن الترمذي، كتاب الأحكام، رقم: 1380 وفيه: ""إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

3 عبدالله بن أبي زيد القيرواني (-368هـ). ترجمته في: الديباج: 371/1. الفكر السامي: 140/2-141.

4 الرسالة:6.

5 مثل عامي. مقابله في العربية: كل فرد أسد في عرينه.

6 مثل عامي، مقابله في العربية: لا يعرف العصا إلا من ضرب بها.

عنده منه ذوق، فليكن عنده إيمان به. وإلى هاذا المعنى يشير أبو مدين، رحمه الله، بقوله[1]: [الخفيف]

إِذَا لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ النَّاسُ فِي الْهَوَى ... فَبِاللهِ يَـا خَـالِي الْحَـشَا لاَ تُعَنِّفَنَـا
وَسَـلِّمْ لَنَـا فِيمَـا ادَّعَيْنَـا لِأَنَّنَـا ... إِذَاغَلَبَـتْ أَشْـوَاقُنَا رُبَّمَـا صِـحْنَا
وَتَهْتَـزُّ عِنْـدَ الاِسْـتِمَاعِ قُلُوبُنَـا ... (وَلَوْلاَ هَوَاكُمْ فِي الْحَشَا مَا تَحَرَّكْنَا)[2]

مع أنه لم يبق من هاذا العلم غير رسوم داثرة وآثار متغيرة. فليت شعري مع من يتحدث بهاذه الأسرار، وعلى من تتلى سور هاذه الأخبار، ولدى من تجلى عرائس هاذه الحقائق والأنوار. جعلنا الله سبحانه ممن قسم له منها بأوفر نصيب، إنه سميع قريب مجيب.

واعلم أخي أنه لا علم أشرف من علم المعرفة بالله تعالى، وهو أحد العلمين المتقدمين، لأن معرفة الله سبحانه بها يعرف العبد نفسه، فلا يعرف نفسه إلا بربه، ولا يعرف العبد ربه إلا بربه سبحانه، والمعرفة والعبودية لا تصح إلا بالمحبة، والمحبة لا تصح إلا بالطاعة، لأن الطاعة هي عين المحبة، فإن لم تكن طاعة فلا محبة، وإذا لم تكن محبة فلا معرفة، لأن من أحب شيئا عرفه، وكان له عبدا مطيعا. وفي لفظ: أكثر من ذكره، ولا يرضى الله تعالى عبده أن يكون عبدا لغيره، لأنه سبحانه غيور لا أغير منه، فالمحبة والطاعة متلازمان، وقد قيل[3]:

[البسيط]

تَعْصِي الْإِلاَهَ وَأَنْتَ تُظْهِـرُ حُبَّـهُ ... هَـاذَا مُحَـالٌ فِـي الْقِيَـاسِ بَـدِيعُ
لَوْ كَـانَ حُبُّـكَ صَـادِقًا لَأَطَعْتَـهُ ... إِنَّ الْمُحِـبَّ لِمَـن يُحِـبُّ مُطِيـعُ

والطاعة هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي من حيث هي.

(فصل)
[المحبة عند الصوفية]

ومحبة الله لها علامات لا تصح إلا بها، منها محبة رسول الله ﷺ، كمال قيل:

---

1 الديوان: 60.

2 كذا. في الديوان: إذا لمْ تجدْ كتْمَ المَوَاجيدِ صَرَّحْنا.

3 إحياء علوم الدين: عوارف المعارف: 326/5. وفيه: "الفعال" بدل "القياس". والإنشاد لرابعة العدوية.

[الطويل]

أَلاَ يَا مُحِبَّ الْمُصْطَفَى زِدْ صَبَابَةً ... وَضَمِّخْ لِسَانَ الذِّكْرِ دَأْبًا بِطِيبِهِ
وَلاَ تَعْبَأَنَّ بِالْمُبْطِلِينَ فَإِنَّمَا ... عَلاَمَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ حَبِيبِهِ

فكما أن محبة الله تعالى لا تصح إلا بطاعته ومحبة رسوله ﷺ، كذالك محبة رسوله ﷺ لا تصح إلا باتباع سنته وسيرته، والتخلق بأخلاقه في أقواله وأفعاله وأحواله؛ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي بما جاء به عن الله تعالي بقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] الآية. وقوله عز وجل: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله)[2] الآية. وتسمى هذه الآية آية المحبة. وروي عن الحسن[3] ﷺ أن قوما قالوا: يا رسول الله، إنا نحب الله. فأنزل الله هاذه الآية[4].

والمعنى: إن كنتم صادقين في ادعائكم محبة الله، فاتبعوني وتمسكوا بطريقتي، لأني قائدكم وسائقكم وموصلكم إليه، ومعرفكم به ودالكم عليه، إذ أنا رسولكم إليه، ومبين دينه الذي ارتضاه لكم، فلا آمركم إلا بما فيه رضاه، ولا أنهاكم إلا عن كل ما فيه سخطه.

وعلامة المحبة سعي المحب في رضى محبوبه، ويكون ذالك غاية مرغوبه. فحب الله تعالى هو الذي يصير هواه تابعا لما جاء به رسول الله ﷺ عن الله، وبين سبحانه وتعالى نتيجة ذالك بقوله: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[5]. فنتيجة اتباع الرسول ﷺ وثمرته هي المحبوبية للعبد من الله تعالى، وهو أشرف المقامات وأعلاها. قيل لرسول الله ﷺ: متى أكون مؤمنا صادقا؟ قال: إذا أحببت الله. فقيل: ومتى أحب الله؟ قال: إذا أحببت رسوله. فقيل: ومتى أحب رسوله؟ قال: إذا اتبعت طريقته، واستعملت سنته، وأحببت بحبه، وأبغضت ببغضه، ووليت بولايته، وعاديت بعداوته. ويتفاوت الناس في الإيمان على قدر تفاوتهم في محبتي، ويتفاوت الناس في الكفر على قدر تفاوتهم في بغضي. ألا لا إيمان لمن لا محبة له. قالها ثلاثا"[6].

قال أبو القاسم الجنيد ﷺ: "الطرق إلى الله تعالى كلها مسدودة، إلا من اقتفى آثاره ﷺ"[7]. لأنه باب الله الأعظم، والوسيلة العظمى.

ورحم الله الأسلم البكري حيث قال:

---

1 سورة الحشر: 7.
2 سورة آل عمران: 31.
3 الحسن بن علي بن أبي طالب (48هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 40. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف:63/1، هامش: 171.
4 الشفا: 371.
5 سورة آل عمران: 31.
6 دلائل الخيرات:18-17.
7 الرسالة: 39. وانظر بغية السالك: 394.

[السريع]

مَا أَرْسَلَ الرَّحْمَانُ أَوْ يُرْسِـــلُ　　مِنْ رَحْمَـــةِ تَـصْعَدُ أَوْ تَنْـــزِلُ
فِـــي مَلَكُـــوتِ اللهِ أَوْ مُلْكِـــــ　　ــهِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَصُّ أَوْ يَشْمَلُ
أَلاَ وَطَـــهَ الْمُـــصْطَفَى عبـــدهُ　　نَبِيُّـــــهُ مُخْتَـــــارُهُ الْمرْسَـــــلُ
وَاسِـــطَةٌ فِيهَـــا وَأَصْـــلٌ لَهَـــا　　يَعْلَـــمُ هَـــاذَا كُـــلُّ مَـــنْ يَعقِـــلُ

إلى أن قال:

وَأَنْتَ بَابُ اللهِ أَيُّ أَمْرِ بِي　　وَافَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لاَ يَدْخُلُ

وقال البوصيري[1]، رحمه الله تعالى، في همزيته[2]:

وَبِحبِّ النَّبِيِّ فَابْغِ رِضَى اللهِ　　فَفِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحَبَاءُ

الحاصل، أن من علامات المحبة: الطاعة للمحبوب في كل أقواله وأفعاله وسيرته وأحواله، وإذا لم تكن طاعة فلا محبة، كما قدمنا.

والطاعة هي الأمر والنهي، وهو اتباع السنة واجتناب البدعة، لما في الحديث الصحيح:" إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة وصاحبها في النار"[3]. وقال ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني"[4]، "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجد"[5]. وقال ابن عطاء الله[6]: من ألزم نفسه آداب السنة، نور الله قلبه بنور المعرفة.

ولا مقام أشرف من مقام متابعة الرسول ﷺ في أوامره ونواهيه، وأخلاقه وأحواله كلها. وهاذه الأصول من ضيعها حرم الوصول. وقال الشيخ سيدي الحسن بن مسعود اليوسي[7]، رحمه الله تعالى، في وصيته: إخواني عليكم بمحبة النبي ﷺ، والمحافظة على

---

1 شرف الدين، محمد بن سعيد البوصيري (694هـ). ترجمته في: شذرات الذهب: 432/5. هدية العارفين: 138/2.
2 انظر همزية البوصيري مع دلائل الخيرات: 163.
3 سنن النسائي. كتاب صلاة العيدين. رقم: 1578.مسند أحمد: 310/3. رقم: 14471.
4 صحيح البخاري، كتاب النكاح، رقم: 5063.
5 صحيح مسلم. كتاب الطلاق. رقم 1401. سنن ابن ماجة. باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. رقم: 42.
6 أبو العباس، أحمد بن محمد الأسكندري، ابن عطاء الله (709هـ). ترجمته في: الديباج:221/2. لواقح الأنوار:312. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 109/1، هامش: 413.
7 الحسن بن مسعود اليوسي (-1102هـ). ترجمته في: التقاط الدرر: 258-260. نشر المثاني: 25/3-49. طبقات الجضيكي: 206212/1. رياض الورد: 65/1-167. الفكر السامي: 337/2-338. الإعلام: 154/3. النبوغ المغربي: 248/1-286. الحركة الفكرية: 503/2.

سنته، واتباع سيرته، فإنها سفينة النجاة، ومفتاح الوصول، فإن أصل كل مقام الاتباع لخير الأنام، والإكثار من الصلاة عليه والسلام. وقلت:

اعْرَفْ ربَّكْ وكُنْ طَايَعْ مَتْمَسْكَنْ — وَاعْمَلْ بحقِيقَةْ الشَّرِيعَة وَارْضِيهَا
حَسَّنْ ظَنَّكْ كَانْ تَبْغِينِـي تَـتْمَكَّنْ — بـالله ولَعْبَـادْ وَالـنَّفْسْ انْكَيهَـا
وتْحَزَّمْ للذِّكرْ دَايـمْ مَـا يَمْكَـنْ — وَالدُّنْيَا لاَ تْمِيـلْ لِيهَـا وَارْمِيهَـا
خَالطْ الِّي يْكُونْ لِيهَا مَا يَرْكَنْ — وتْجَنَّبْ منْ يْكُونْ دَايـمْ يَبْغِيهَـا

هَاذَا شُورْ الطَّرِيقْ يَا قَاصَدْ لِيهَا

فهاذا أساس الطريق الذي عليه مبناها، وعليه منشأها ومجراها، وهو ما ذكرناه من أول الكتاب إلى هنا، وكذالك فيما يأتي إن شاء الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ هَاذِه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ الآية[1]. وقال عز وجل ﴿ وَأَنَّ هَاذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية[2].

ألا وإن من سلك طريقا غير طريق الكتاب والسنة، وأراد دخولا على باب غير بابه ﷺ، فقد سدت دونه الأبواب، وبينه وبين مراده الحجاب، وتاه في ميدان البطالة، وسعى في حتف أنفه لامحالة، وكتب في ديوان الغافلين، وحشر في زمرة الخاسرين، وقيل:

كُلُّ مَنْ يَهْوَى وَلاَ يَهْوَى الرَّسُولَ — كَيْـــفَ يُعْبَـــأُ بِـــهِ
هُـــوَ بَـــابُ الله — مَا ثَمَّ الْوُصُولُ إلاَّ منْ بَابِــه
حُبُّـهُ فَـرْضٌ عَلَيْنَـا لاَ يَـزُولُ — اللهُ أَوْصَـــى بِـــهِ

1 سورة يوسف: 108

2 سورة الأنعام: 154.

قال في الشفاء: "فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامات ذالك عليه، وهي: الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله"[1]، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الآية[2]. وقال سبحانه: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[3]. وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4]. وقال عز من قائل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾[5].

قال أبو العباس المرسي[6]، رحمه الله:

[المجتث]

إِنْ شِئْتَ أَنَّكَ تَظْفَرُ	فَكُنْ فِي حُبِّكَ صَادِق
عَنْ سَاقِ عَزْمِكَ شَمِّرْ	وَانْبُذْ جَمِيعَ الْعَلاَئِق
سِرُّ الْمَوَالِي مَا يَظْهَرُ	إِلاَّ عَلَى مَنْ هُوَ عَاشِق

وسئل أبو العباس زروق، رحمه الله تعالى، عن أصل طريقته، فقال: "أصول طريقتنا خمسة: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء"[7].

وقال غيره: "اعلم أن أصول هاذه الطريقة خمسة: الطاعة للمعبود، والصبر على المفقود، والرضا بالموجود، والوقوف على الحدود، والوفاء بالعهود. ومن أخطأ واحدة من هاذه الخمسة، فلا يقال فيه فقير".

---

1 انظر الشفا: 386. فيه: "أولها" بدل "وهي".
2 الأحزاب: 21.
3 سورة النساء: 79.
4 سورة النور: 61.
5 سورة النساء: 114.
6 أبو العباس، أحمد بن عمر الأنصاري المرسي الأندلسي (- 685هـ). ترجمته في: نيل الابتهاج: 81. رقم: 48. وانظر مصادر ترجمته أيضا في: الإشراف:50/1، هامش:109.
7 أصول الطريقة: 243.

البـــــاب الثانـــــي
في معرفة الشيخ وأحواله، واتباعه في أقواله وأفعاله، والإكثار من محبته وإعظامه وإجلاله

قال الشيخ سيدي عبد الواحد بن عاشر الأنصاري[1]، رحمه الله تعالى، في منظومته المشهورة:

يَصْحَبُ شَيْخًا عَارِفَ الْمَسَالِكْ　　　يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكْ

قال شارحه الشيخ سيدي محمد ميارة[2]، رحمه الله تعالى: "أما صحبة الشيخ العارف بالمسالك، جمع مسلك، وهو الطريق الموصلة إلى الله تعالى الذي يقي صاحبه المهالك، ويذكره الله تعالى إذا رآه، ويوصله إلى مولاه"[3]، ففي الحديث: "لما نزل قوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، قالوا: صفهم لنا يا رسول الله؟ قال: "هم الذين إذا رؤوا ذكر الله"[5].

قال ابن عباد ﷺ: "ولا بد للمريد في هاذا من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه، وتخلص من هواه، فليسلم نفسه إليه، وليلزم طاعته، والانقياد إليه في كل ما يشير به من غير ارتياب ولا تردد، فقد قالوا: من لم يكن له شيخ، فالشيطان شيخه.

وقال ابو علي الثقفي، رحمه الله تعالى: لو أن رجلا جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه عن إمام أو ناه يزيل عيوب أعماله ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المقامات"[6].

---

[1] عبدالواحد بن عاشر (-1040هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 154. التقاط الدرر: 91. سلوة الأنفاس: 2/310-312. الحركة الفكرية: 2/370. الموسوعة المغربية: 2/35. جامع القرويين: 2/518.

[2] محمد ميارة (-1072هـ). ترجمته في:طبقات الحضيكي: 1/309. الحركة الفكرية:371.

[3] الدر الثمين:272.

[4] سورة يونس: 62.

[5] الفردوس بمأثور الخطاب: 1/138. رقم487.

[6] انظر شرح ابن عباد على الحكم: 2/68.

وقد سئل أبو عبد الله الدقاق[1] ﷺ: "بم يقوم الرجل اعوجاجه؟ فقال: بالتأدب بإمام، فإن من لم يتأدب بإمام بقي بطالا"[2]. وقال الشيخ أبو مدين، رحمه الله تعالى، ورضي عنه: "من لم يأخذ الأدب من المؤدبين، أفسد من تبعه"[3].

قال في لطائف المنن:

"إنما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه، وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لربه، فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته، فألقيت القياد إليه، فسلك بك سبيل الرشاد، يعرفك برعونات نفسك في كمائنها ودفائنها ودسائسها، ويدلك على الجمع على الله، ويعلمك الفرار مما سوى الله، ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله، يوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك إحسان الله إليك، فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهروب منها، وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك والإقبال عليه، والشكر بل والقيام بالشكر إليه، والدوام على ممر الساعات بين يديه. قال: فإن قيل: فأين من هاذا وصفه؟ فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين، فإنما يعوزك وجدان الصدق في طابهم، جد صدقا، تجد مرشدا، قال الله تعالى: ﴿أمنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[4]، وقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[5]. فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته، لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا، ولوجدت الوصول إليه غير متعذر عليك، ولتوجد الحق بتيسير ذالك عليك"[6].

قال أبو يزيد البسطامي[7] ﷺ: "من أخذ هاذه الطريق عن خبر متصل الإسناد، كان في غاية القرب من رب العباد، ومن لا أستاذ له، فالشيطان أستاذه".

وقال الشيخ زروق ﷺ:

"فالواجب على من أراد أن يتخذ شيخا أن ينظر لأهل وقته لمن له نسبة لهاذه الطريق، فليقتدي به على سبيل المشيخة أو على سبيل الأخوة بعد تحصيل الأصول فيه، وهي خمسة: ترك الطمع، والاستغناء بالله، وسهولة الدنيا عليه سخاء منه وزهدا فيها، واستعمال مكارم الأخلاق طبعا وتطبعا والإنصاف في الحق". وقال بعضهم: "ينبغي لمن أراد الدخول في هاذه الطريقة المباركة أن لا يدخلها إلا بشيخ محقق عارف بربه، تابع لسنة نبيه ﷺ، حافظا لأحكام دينه، راض بقضاء ربه، صابرا على أحكامه وقهره". وقال بعض العارفين ﷺ: "ينبغي للفقير الذي مات شيخه وتركه غير كامل الأحوال، أن ينظر

---

[1] أبو عبدالله الدقاق (توفي أوائل القرن 7هـ). ترجمته في: التشوف: 156-157. الروض العطر الأنفاس: 266-271. سلوة الأنفاس: 3/127-129.

[2] انظر شرح الحكم العطائية لزروق:86.

[3] انظر شرح ابن عباد على الحكم: 2/68. الدر الثمين:273.

[4] سورة النمل: 64.

[5] سورة محمد: 22.

[6] لطائف المنن:71.

[7] أبو يزيد. طيفور بن عيسى البسطامي (-261هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 117.

في إخوانه أحسنهم علما ودينا ومعرفة، ويحسن ظنه به، ليتوصل منه بما فاته من الشيخ، وإن كان ذالك المكمل من طائفة أخرى، لأن الفقير كالنحل أين ما وجد النوار رعاه، ولا يبيت إلا في وكره، يعني شيخه".

وانظر قضية السيد سلمان[1] ﷺ حين أراد الله به خيرا في الجاهلية، وهو على غير دين الإسلام، فلم يقنعه دينه الذي عليه أسلافه، فانتقل إلى دين النصرانية، فذهب إليه وصحب راهبا من أفضل رهبانهم، وبقي معه في خدمته إلى أن حضرته الوفاة، فدله على راهب آخر في بلدة أخرى، فلما توفي، انتقل إليه، وجعل يخدمه كما كان يخدم الأول، فلما حضرته الوفاة، طلب منه أن يدله على غيره، فدله على راهب آخر ببلدة أخرى، فلما مات ذهب إليه وجعل يخدمه، وبقي كذالك يندرج من هاذا إلى هاذا بعده حتى آخرهم أخبره ببعثة النبي ﷺ قريبا وظهوره، وأمره باتباعه، ووصفه له، ونعت له المدينة المشرفة، فذهب إليها وأخذ بالطريق، وبيع، والذي اشتراه، باعه بالمدينة، وبقي مملوكا على وجه الرقية حتى ظهر رسول الله ﷺ ولقيه وأسلم. حكاية طويلة ذكرها أهل السيرة النبوية، فانظرها إن أردتها كاملة في كتابنا "روضة العاشقين، ونزهة السامعين، في ولادة سيد الأولين والآخرين"[2].

فهاذه شروط الداخل في هاذه الطريق، وكيفية الدخول فيها.

ومن لم يجد شيخا، فليستعن عليها بأخ صالح إن وجده، وليلزم معه الإنصاف وحسن الظن به، وإن لم يجده، فليقف بباب الله تعالى وحسن التوجه إليه، وملازمة اللجا والاضطرار إليه، والخوف منه، فإن الله تعالى إذا علم منه ذالك، يرشده ويهذبه ويوفقه، إما على يد شيخ يلقيه به حيا أو ميتا، نوما أو يقظة، يمده به من ظهر الغيب، أو على يد رسول الله ﷺ، أو يمنحه من غير واسطة، والله ذو الفضل العظيم.

وقيل:

لاَكِنْ سِرُّ اللهِ فِي صِدْقِ الطَّلَبِ كَمْ رِيءَ فِي أَصْحَابِهِ مِنَ الْعَجَبِ

وقال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني[3] ﷺ: "لابد لكل داخل في هاذه الطريق من شيخ، إما من مشائخ هاذا الزمان، وإما على يد النبي ﷺ، أو من الجذب الإلاهي من غير واسطة. لاكن هاذا لا يصلح أن يكون مسلكا للمريد بجهله بالتحقيق بمقامات الطريق. قال: "ولا تغفل أخي عن صحبة العلماء لإصلاح دينك، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[4]".

---

[1] سلمان الفارسي (عاش 250 سنة). ترجمته في: لواقح الأنوار: 37.
[2] مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 447ك.
[3] عبدالوهاب بن أحمد الشعراني المصري (- 973هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف: 131/1، هامش: 538.
[4] سورة النحل: 43.

واعلم أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد إذا صدق في إرادته، وبذل في مناصحة مولاه جهده استطاعة على ما يتوهمه من لا علم عنده، وعند ذالك يوفقه الله لاستعمال الأدب معه، مما أشهده من علو مرتبته رفع درجته. قال الشيخ سيدي أبي مدين ﷺ: "الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم، وسرك بالتعظيم. الشيخ من هداك بأخلاقه، وأدبك باطلاعه، وأنار باطنك بإشراقه. الشيخ من جمعك في حضوره، وحفظك في غيبته"[1]. وفي لطائف المنن: "وليس شيخك من سمعت منه، إنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته، إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب، إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله، إنما شيخك من نهض بك حاله. شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى، شيخك هو الذي لا زال يجلو مرآة قلبك، حتى تتجلى فيك أنوار ربك، نهض بك إلى الله، فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، ولازال هاديا لك حتى ألقاك بين يديه، فخرج بك في نور الحضرة، وقال: ها أنت وربك"[2]. انتهى.

[1] انظر شرح ابن عباد على الحكم" 68/2. عدة المريد: 403. شرح الحكم لزروق: 175.
[2] لطائف المنن: 205. انظره في: شرح ابن عباد على الحكم" 68/2. عدة السريد: 403-404.

الباب الثالث

في آداب المريد مع الشيخ والإخوان، والصدق معه في السر والإعلان

قال الشيخ زروق، رحمه الله تعالى، ورضي عنه: وآداب المريد مع الشيخ والإخوان خمسة: امتثال الأمر وإن ظهر خلافه، يعني فلا يعترض عليه لأجل مخالفته، ولو في قلبه، واجتناب النهي وإن كان فيه حتفه، وحفظ حرمته، حاضرا وغائبا، حيا وميتا، والقيام بحقوقه بحسب الإمكان بلا تقصير، وعزل عقله وعلمه ورياسته إلا ما يوافق ذالك من شيخه، ويستعين على ذالك بالإنصاف والنصيحة، وهي معاملة الإخوان، إن لم يكن شيخ مرشد. قال: وينبغي للفقير أن يلازم خدمة الشيخ وطريقه، مما يأمره وينهاه، بل يجب ذالك عليه واتباعه، لأن المقصود من صحبة المشائخ عبادة الله تعالى، واتباع ما يأمره به من الطاعات واجتناب المنهيات، ما ينهى عنه من المعاصي. وليس المقصود التردد إليهم من غير اتباع لهم.

وقال الشيخ سيدي أبو القاسم القشيري[1]ﷺ: فشرط المريد أن لا يتنفس نفسا إلا بإذن شيخه، ومن خالفه في نفس سرا أو جهرا فسيرى (غبه)[2] من غير ما يحبه سريعا". وقال أيضا، رحمه الله: "من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة"[3].

الحاصل، أن حالة المريد مع الشيخ قالوا كالميت بين يدي غاسله[4]، لا يتكلم ولا يتأوه، ولا يعترض ولا يمتنع من شيء أمره به، أمرا أو نهيا، ولا يفعل المريد فعلا، ولا يبرم أمرا، إلا عن إذن الشيخ ومشورته، لا ما قل ولا ما جل، وإليه يشير القشيري بقوله: ومن خالفه في نفس واحد سرا أو جهرا. خلاف ما يفعله بعض المنسوبين في وقتنا، يتجردون للسياحة من غير إذن، ويتخذون الخلوة والزاوية ويجمعون عليهم الناس في مواضع الشهرة، وكل ذالك من غير إذن، وإنما هو من عند أنفسهم، وكل ذالك لم يسخره الله تعالى على فاعله، لأنه من محبة الظهور، ومحبة الظهور لا تخلو من الرياء، لا سيما إن كان الظهور من غير شيخ أذن فيه.

وقال اليافعي، رحمه الله تعالى: وليحذر المريد كل الحذر من الاغترار بصحبة الشيخ والانتساب إليه من غير عمل، فإن المعتمد والمقصود من صحبة الشيخ إذا رفع

---

[1] عبدالكريم بن هوزان القشيري (-465هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان:205/3. شذرات الذهب: 319/3.
[2] ج: غيه.
[3] الرسالة: 325.
[4] بغية المسالك: 18.

الشيخ قدما، وضع المريد أخرى، كما أن الشيخ إذا رفع النبي ﷺ قدما، وضع الولي أخرى. وهاذا معنى قول أبي يزيد البسطامي ﷺ: خضنا بحورا وقفت الأنبياء بسواحلها. وأكثر الناس الكلام عليه في ذالك، وفي تأويل (قولته)[5]، وكل واحد وكيف فهمها وأولها، حتى فهم من لم يفهم، وأن الأولياء خاضوا البحور، أي بحور المعرفة بالله، والأنبياء وقفوا عند سواحلها، ولم يخوضوا كما خاض الأولياء. وهو محال وبعيد، لأن الأنبياء سبقوا لخوضه، فخاضوه. والأولياء أقدامهم على أقدام الأنبياء، ولما دخل الأولياء يخوضون فيه، خرج الأنبياء إلى الساحل الآخر، وقفوا عندما حد لهم من الحق. فإن خوض الأنبياء بعد وقوف الأولياء بالساحل الأول، ولما خاض الأنبياء وخرجوا للساحل الثاني، خاض بعدهم الأولياء، وهو حدهم ومقامهم، ووقوف الأنبياء بالساحل الآخر، لأنه ثم انتهى مقامهم، لأنه ما وراءه إلا الحق سبحانه وتعالى. وهاذا معنى: "ما رفع النبي قدما إلا وضع الولي أخرى". انتهى.

قال الشيخ أبو مدين[6]:

[البسيط]

وَرَاقِبِ الشَّيْخَ فِي أَحْوَالِهِ فَعَسَى	يُـرَى عَلَيْـكَ مِـنِ اسْتِحْـسَانِهِ أَثَـرَا
وَقَدِّمِ الْجِدَّ وَانْهَضْ عِنْـدَ خِدْمَتِـهِ	عَسَاهُ أَنْ يَرْضَى (وَاحْذَرْ)[7] أن ترى ضَجِرَا
فَفِي رِضَاهُ رِضَى الْبَارِي وَطَاعَتُهِ	فَرْضٌ عَلَيْـكَ وَكُـنْ مِـنْ تَرْكِهَـا حَـذِرَا

وقال الشيخ الجزولي ﷺ: "آداب المريد مع شيخه عشرون: خمسة في حال الجلوس، وخمسة في حال الغيبة عنه، وخمسة في حال ذكره، وخمسة في حال محبته.

"فأما الخمسة التي في حال الجلوس: فهي السكينة، والوقار، والهيبة، والحياء، والخوف.

"وأما الخمسة التي في حال الغيبة عنه، فهي: المراقبة نحوه، والافتقار إليه، والتواضع، والاستمساك بعنايته، والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم.

"والخمسة التي في حال ذكره فهي: النظر إليه، والرجاء فيه، والانتصار ببركته، والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة.

"والخمسة التي في حال المحبة، فهي: مداومة الحب، والشوق والحمى نحوه والهيج والاندهال من الاشتياق إليه، فإن من تأدب مع شيخه، تأدب مع ربه. وحرمة الشيخ على المريد كحرمة النبي ﷺ مع الأصحاب. ويقال: ورد في الخبر: "الشيخ في أهله كالنبي في أمته"[8].

---

[5] كذا.
[6] الديوان: 58.
[7] الديوان: وحاذر.
[8] التدوين في أخبار قزوين: 96/3.

"وإن أول ما يأتي المريد للشيخ بالمحبة الصادقة والتعظيم، فيزيد المدد. ولن تزداد من المدد على يد عبد الا بحسب ما تزيد فيه من الود". وقال، رحمه الله: "ومن علامات المريد الصادق: صدقه في محبة شيخه حتى يؤثره على نفسه، وامتثال أمره في كل ما يأمره أو ينهاه، وترك الاعتراض عليه، ولو بالباطل، في ليل أو نهار، في غيبة أو حضور، وسلب الاختيار معه. فكل من جمع هاذه الصفات، فقد صحت قبيليته، ونفذ فيه الحال، ونفع فيه الدواء. وهاذا هو المراد بالمريد.

وسئل أبو القاسم الجنيد ﷺ عن صفة عباد الرحمان، فقال: "الفقر كرامتهم، والطاعة حلاوتهم، ومع الله تجارتهم، وعليه اعتمادهم، وبه أنسهم، والعلم فائدهم، والصبر قائدهم، والذكر همتهم، والقرآن حديثهم، والتقوى زادهم، والليل فكرهم، والنهار عبرتهم، والحياة مراحلهم، والدنيا مزبلتهم، والموت منازلهم، والقبور حصونهم، ويوم القيامة عيدهم، وفي ظل العرش مجلسهم، وفي الفردوس مسكنهم، والنظر إلى الله أمنيتهم"[9].

وقيل فيهم:

[البسيط]

هُمُ الْفُقَرَاءُ عَنْهُمْ فَـارْوِ ذِكْـراً ... وَحَدِّثْ عَـنْهُمْ سِـرًّا وَجَهْـرًا

هـمُ الْفُقَـرَاءُ أَهْـلُ الله حَقًّـا ... وَقَدْ حَازُوا بِزَيِّ الْفَقْـرِ فَخْـراً

همُ الْفُقَرَاءُ قَدْ صَـبَرُواْ وَذَلُّـواْ ... فَعَوَّضَهُمْ بِذَاكَ الـصَّبْرِ أَجْـراً

همُ الْفُقَـرَاءُ وَالـسَّادَاتُ حَقًّـا ... وَمِنْهُمْ تَكْتَسِي الأَكْـوَانُ عِطْـراً

وَقَدْ كَسَرُوا النُّفُوسَ لَهُ وَذَلُّـواْ ... فَأَتَـاهُمْ بِـذَاكَ الْكَـسْرِ جَبْـراً

وَقَدْ زَارُواْ الْحَبِيـبَ وَشَـاهَدُوهُ ... وَقَدْ سَجَدُواْ لَهُ حَمْـداً وَشُـكْراً

فهاذه طريقة للإرادة لمن أراد أن يسلكها ﴿وَأَنَّ هَاذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[10] الآية. وهي الطريق الموصلة إلى الله تعالى، لا الموصلة إلى الدنيا وأهلها.

وقال الجنيد ﷺ: "وصفة الفقراء أن يكون أكلهم أكل المريض، وكلامهم كلام الجرحى، وجلوسهم جلوس الرعاة، ونومهم نوم المرضى، وليلهم ليل المطلوبين، ونهارهم نهار المحزونين. ثم أنشد[11]:

[البسيط]

لله فِـي الْخَلْـقِ أَنْـوَارٌ وَأَسْـرَارُ ... وَيَصْطَفِي اللهُ مَا يَرْضَى وَيَخْتَـارُ

لاَ تَحْقِرَنَّ حَقِيراً إِنْ مَـرَرْتَ بِـهِ ... فَقَـدْ يَكُـونُ لَـهُ حَـظٌّ وَمِقْـدَارُ

---

[9] الزهد الكبير: 288/2. رقم 752.

[10] سورة الأنعام: 153.

[11] انظر التشوف: 144، وأيضا البحر المديد: 169/7 مع تقديم وتأخير وتغيير خفيف.

الْمَرْءُ بِالْقَلْبِ لاَ بِـــاللِّبْسِ تَعْرِفُــهُ قَدْ يَخْلُقُ اللهُ مَــا يَــشَاءُ وَيَخْتَــارُ
التِّبْرُ بِالتِّبرِ قَــدْ تَخْفَــى مَكَانَتُــهُ حَتَّى يُخَالِطُهُ فِي الــسَّبْكِ صَــيَّارُ

وقال الشيخ أبو مدين[12] ﷺ:

[البسيط]

مَتَى أَرَاهُــمْ وَأَنَّــى لِــي بِــرُؤْيَتِهِمْ أَوْ تَــسْمَعِ الأُذْنُ مِنِّــي عَــنْهُمْ خَبَــرًا
مَنْ لِي وَأَنَّــى لِمِثْلِــي أَنْ يُــزَاحِمَهُمْ عَلَى مَوَارِدَ لَمْ (يُلْــفِ)[13] بِــهِ كَــدَرًا
قَوْمٌ كِرَامُ السَّجَايَا (أَيْنَمَــا)[17] جَلَــسُوا يَبْقَى الْمَكَانُ عَلَــى آثَــارِهِمْ عَطِــرًا
يُهْــدِي التَّــصَوُّفُ مِــنْ أَخْلاَقِهِــمْ طُرَفًا حُسْنُ التَّصوفِ فيهم رَاقَنِ نَظَرًا
(فَكَمْ تَنَــشَّقْتُ مِــنْ أَنْفَاسِــهِمْ نَفَــسًا أَذْكَى مِنَ الْمِسكِ تَنْفِيسًا إِذَا انْتَشَــرَا)[14]
أُحِـــبُّهُمْ وَأُدَارِهِـــمْ وَأُوْثِـــرُهُمْ مُهْجَتِــي وَخُــصُوصًا مِــنْهُمْ نَفَــرَا
هُمْ أَهْلُ وُدِّي وَأَحِبَابِي الذِينَ (عَلَوْا)[18] عَمَّنْ يَجُرُّ ذُيُــولَ (التِّيــهِ)[15] مُفْتَخِــرَا
لاَ زَالَ شَمْلِي بِهِمْ فِــي اللهِ مُجْتَمِعًــا (وَحُبِّي فِــيهِمْ مَوْفُــورًا)[16] وَمُغْتَفِــرَا
بِجَاهِ سَيِّدِنَا الْمُخْتَــارِ صَــلَّى عَلَيْــهِ اللهُ مِــنْ صَــادِقٍ أَوْفَــى بِمَــا نَــذَرَا

ومما كتب به الشيخ سيدي أحمد زروق ﷺ إلى أصحابه، ما نصه:

"الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. من عبيد الله تعالى، الفقير إلى رحمته، أحمد بن أحمد بن محمد زروق، أصلح الله حاله، إلى السادات الفقراء والأحباب في الله تعالى، فلان، وفلان، وسائر الإخوان، ممن أراد الدخول في دائرة الأصحاب، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد بلغني عنكم كتاب يتضمن كمال الوداد، وحسن الظن وجميل الاعتقاد، وأخبرتم فيه باشتياقكم إلينا، وانعطافكم بكنه الهمة علينا، فأسأل الله تعالى أن يبلغ نياتكم، وينفعنا بصالح مقصدكم، وإلا فنحن عصاة مذنبون، نطلب عفو الله في كل حال، ونتمسك بأذيال السادات من أهل الكمال.

[12] الديوان: 58-59، مع تقديم وتأخير وتغيير.
[13] الديوان: ألف.
[14] الديوان: البيت ساقط.
[15] الديوان: العز.
[16] الديوان: وذنبنا فيه مغفورا.
[17] الديوان: حيثما.
[18] الديوان: هم.

"ويا أخي، "طلبتم منا إدخال فلان في الدائرة، ليس ذالك يا أولادي باختيار نفسي الجائرة العاصية، ولاكن قل لهم، يقول لكم عليكم باللجا إلى الله في مقصدكم، ودعوا الحول والقوة وراء ظهوركم، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من الله إلا من رحم وتعطف عليه.

"أوصيكم بخمس خصال، إن لازمتموها وصلتم واتصلتم، وإن أهملتموها تركتم وانقطعتم:

"أولها: لزوم خمس صلوات في الجماعة، فإنها العصمة من كل آفة.

"الثانية: تجنب مجالسة أهل العناد من الظلمة وغيرهم.

"الثالثة: إذا كانت لكم حاجة إلى أحد من الخلق، أو له عندكم حاجة، فقدموا الدعاء في قضائها قبل التوجه إليها بأنفسكم.

"الرابعة: القيام بحقوق الخلق، بالرحمة للصغير، والحرمة للكبير، والشفقة على العاصي، والتواضع للمطيع، والإحسان لمن أساء إليكم، والدعاء بالإصلاح من غير حقد عليه ولا ذلة لأحد.

"الخامسة: الرفق بالنفس من غير تفريط ولا إفراط.

إلى أن قال: "والعمل القليل في سنة، خير من عمل كثير في بدعة. والفقير مثل النحلة، ترعى من كل نابتة، ولا تبيت إلا في وكرها، وهو شيخه، وإلا فلا ينتفع بعسله.

"وإياكم وسوء الظن بعباد الله، والانتصار للنفس والفضول، والاشتغال بما لايعني، وعليكم بالألفة وإكرام الأصحاب، وهم ثلاثة: صاحب لدنياك، فلا تراعي فيه إلا الإحسان، وصاحب لآخرتك، فلا تراعي فيه إلا الله، واقبله كيف كان، وصاحب للتأنس به، فلا تراعي فيه إلا السلامة من شره.

"وإياكم وخلطة فقراء هاذا الزمان، وعظم الفقهاء لأنهم حملة الشريعة، ولا تخالطهم لأن نفوسهم غالبة عليهم، وأكرم أهل الدنيا تنتفع بهم، ولا ترفعهم على الفقراء، فتسقط من عين الله، وتزدري عندهم، والجأ إلى الله في كل أمورك، تجد الإجابة".

قال، رحمه الله: "قد رأيت فقراء هاذا الزمان ابتلوا بخمسة أشياء: إيثار الجهل على العلم، والاغترار بكل ناعق، والتهافت في الأمور، والتعزز في الطريق، واستعجال الفتح دون شرطه. فابتلوا بخمسة أشياء: إيثار البدعة على السنة، واتباع أهل الباطل دون أهل الحق، والعمل بالهوى في كل أمر أو في جل الأمور، وطلب الترهات دون الحقائق، وظهور الدعاوي دون صدق".

قال الشيخ أبو مدين[19] ﷺ:

[البسيط]

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ   وَكُلُّ مَنْ يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى

---

[19] الديوان:12.

وقال الشيخ سيدي أبو القاسم القشيري، رحمه الله تعالى: "اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هاذه الطريقة أو الطائفة قد انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا إلا آثارهم:

[البسيط]

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا[20]

ثم قال، رحمه الله: "مضى الشيوخ الذين بهداهم اهتدوا، وبسنتهم اقتدوا، وزال الورع وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالات بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام، واستخفوا بآداب العبادات، وركنوا إلى اتباع الشهوات"[21].

وقال الشيخ سيدي الحسن اليوسي، رحمه الله: "طوائف الفقراء اليوم كالغنم الضالة في الغابة، من غير سارح يقوم بحقوقها وأمورها، إلا قليل ممن قويت نيتهم، وغلبت عليهم مع همة المشائخ محبتهم، وإن كانوا أمواتا".

قلت: وإذا كانت هاذه الأوصاف في فقراء أهل زمانهم مع وجودهم، ﷺ، بين أظهرهم، فما بالك بنا نحن السالكون مع فقراء أهل زماننا، الذي كثرت فيه الدعاوي، وظهرت فيه المساوي، وقل فيه الحياء، وكثر فيه الرياء، وضعف فيه العلم، وقوي فيه الجهل، وسطا فيه أهل التلبيس في الطريق، وخمد فيه أهل التحقيق، وانتصر فيه لأهل البدع، ورفض فيه الورع، وصار التفاخر في مرابطيه بزينة الدنيا وشهواتها، وغابوا في نعيمها ولذاتها، وحادوا عن طريق أسلافهم التي كانوا معتكفين عليها، حتى نالوا ما نالوا من عمايتها.

"ولا تفهم أخي أو تعتقد أن ما قلناه قصدنا فيه تنقيصهم، أو تحقيرهم، أو لي فضل عليهم، أو مزية، نعوذ بالله من ذالك. فإياك أخي، ثم إياك أن تظن شيئا من ذالك، فإن الله تعالى مطلع على القلوب، ورقيب عليها، لا يعلمها أحد سواه، لأنها بيده سبحانه يقلبها كيف شاء. وإنما مقصودنا ومرادنا هو قول النبي ﷺ: "الدين النصيحة"[22]. وإن من نصحك فقد أحبك، ومن داهنك فقد غشك، ومن لم يقبل نصيحتك فليس بأخ لك.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "لا خير في قوم ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين":

نَصَحْتُ وَالنُّصْحُ فَنِّي فَلْتَأْخُذِ النُّصْحَ عَنِّي

---

[20] انظر الرسالة القشيرية: 4.

[21] المصدر السابق: 4.

[22] صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب قول النبي ﷺ: "الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

دَعْ عَنْكَ مَــا لَــيْسَ يَعْنِــي فَـــــذَاكَ شَــــيْءٌ يَعْنِـــي

وما أنا إلا كما قيل: إني لآمركم بالخير ولا أفعله، ولا كني أرجو به الفضل من قبلكم، يعني إذا فعلتموه. وما زعمت[23] على ذالك إلا من كثرة حبي إياهم، وليكون صغيرهم أحسن مني حالا ومآلا، وليكونوا كلهم سادتي وأنا عبدهم، لأن العامة تقول: من أين الفارس؟ فيقال: من سربتنا. لاكن باتباع الكتاب والسنة، لأنها الطريق الجادة الموصلة إلى الله سبحانه، لا باتباع طريق البدع والشهاوي المألوفة المبعدة عن الله تعالى.

قال أبو سليمان الداراني[24] ﷺ: لا تقلدونا في جميع ما يصدر منا قولا كان أو فعلا، ولاكن إذا سمعتم أو رأيتم منا شيئا فلا تقبلوه حتى تعرضوه على عدلين مقبولين، فإن قبلاه، وإلا فاجلدوا به الأرض، والعدلان هما الكتاب والسنة.

فإن الطرق إلى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق، وكلها مبناها على الكتاب والسنة، وإن كانت طريق خرجت عن الكتاب والسنة، فإنها مطموسة عن الله، مردودة على صاحبها، إلا ما يصدر من أهل الجذب التّام، أو من أهل الأحوال في بعض الأحيان، فإنه لعله مخالف لما يظهر، وفي الباطن موافق للشريعة والحقيقة، كقضية سيدنا موسى، عليه السلام، مع سيدنا الخضر، عليه السلام، المذكورة في القرآن وفي الحديث.

وأما ما ذكره الأئمة من أوصاف فقراء أهل زمانهم، وما أشاروا به عليهم، وهم موجودون بين أظهرهم، ﷺ، وهم أهل الدواء، فاعلم أخي أن ذالك كله إشارة لنا وتنبيه، وتربية للفقراء وقتنا، وتيقظ لنا من الغفلة عن ذالك، لاكن كما قالوا، لأن نظرتهم كاملة، والنظرة الكاملة ترى ما قبلها وما بعدها، ولما نظروا ما نظروا من أهل هاذا الزمان، أشاروا به على أهل زمانهم ليبقى إلى زماننا دواء لنا، لأنهم لا يكون المجتمع معهم والمستمع منهم إلا على هدى مستقيم، كيف وهم القوم لا يشقى جليسهم، والنظرة منهم تغني.

وقلت متطفلا عليهم، سقانا الله تعالى من مددهم، آمين:

إِذَا نَظَرْتَنِــي لَنَظْــرَةً صَــالِحَا	يَخْضَرُّ جَنَــانِي وَالتَّمْــرُ يَطِيــبْ
وَإِذَا هَجَرْتَنِــي عُــدِمَتُ الرَّاحَــا	تَكْثُرُ أَهْوَالِي وَالسَّرَابُ يَغِيــبُ
أَيَا هَــلَ اللهْ يَــا السُّرْبَا الفَالْحَــا	إِلَّي قْصَدْكُمْ مَــا نَظُــنْ يَخِيــبْ
لَوْلاَ أَنْتُمْ مَــا صَــلَحْتُ لِلصَّالْحَا	لَوْلاَ ادْوَاكُمْ (مَا وْجَدْتْ)[25] طْبِيبْ

[23] قوله: (زعمت على)، كلمة دارجة، ومعناها: الإقدام على أمر من فعل أو قول.
[24] أبو سليمان، عبدالرحمان بن أحمد بن عطية العنسي الداراني (-204هـ)، وقيل في غيرها. ترجمته في: لواقح الأنوار: 115. رقم:150.
[25] ب: ووجدت.

وَاللهْ مَا نَعْلَـمْ فِـيَ (جَارْحَـا)[26]   إِلّـي تْـدِيرْ سِـوَاكُمْ حْبِيـبْ

فصـــــــل
[في مخالفة الخلف للسلف]

واعلم أخي، وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، أن الذي في أيدينا اليوم هو الانتساب إليهم فقط، والمحبة لهم باللسان من غير عمل ولا اتباع، فما أبعدنا عن طريقهم وسيرهم وسيرتهم، لتساهلنا وغفلتنا عما كان عليه الأسلاف، وما جهلناه وفرطنا فيه وضيعناه من السنة، واشتغلنا عن ذالك بالبدعة، حتى وقع لنا ما وقع من تيهنا عن الطريق إلا من رحم الله، واتبعنا طريق العامة الجهلة، من غير شيخ حي ولا ميت، الذين لم يروا الشيخ، ولا رأوا من رآه، ولا من رأى من رآه. وإنما يدخل الرجل في زمرتهم، ويسيرونه بسيرهم، معتقدون أنهم على شيء، وليسوا على شيء. وإنما انتسبوا لمولانا عبد القادر الجيلالي[27]، فكانوا جيلانة، ولسيدي محمد بن عيسى، فكانوا عيساويين، ولسيدي قاسم، فكانوا قاسميين، ولسيدي علي بن حمدوش، فكانوا حمدوشيين، وقس على هاذا، عدى الوزانيون والصقليون، فإنهم رأوا الشيخ، وساروا بسيره.

وأما المنتسبون للأموات، فلوا علموا بأحد منهم يجتمع بأحد من غيرهم، واعتقد فيه الخير، صنفوه ووبخوه وهجروه وأبعدوه، وما علموا أن الفقير كالنحلة (يرعى)[28] النوار أين ما وجده كما قدمنا. وأما إن وعظهم أحد، أو نهاهم عما يليق بالجانب والمنصب، لم ينصتوا له ولا لقوله، واستثقلوه، وظهر لهم أنه على الباطل، وهم على الحق والصواب، وذالك مما سرى في قلوبهم، وامتزج في دمائهم، واستولى عليهم من الجهل والغفلة. وأصل ذالك كله الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة، عدم الرضا منك عنها. ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه. فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه، وكذالك الفقير. انتهى.

قال الشيخ ابن عباد ﷺ: "لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه، ويلزم من ذالك عدم الرضا عنها. وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه، يصح له حاله، ويعلو مقامه"[29]. "وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه، والكريم بن الكريم بن الكريم يقول: ﴿وَمَا

---

[26] ب: جارخا.

[27] أبو محمد، عبدالقادر بن موسى الجيلاني (-561هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 181. نشر المثاني: 4/268-272. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 2/60، هامش: 209.

[28] كلمة دارجة، معناها يأكل.

[29] شرح ابن عباد على الحكم: 1/31.

أُبَرِّؤُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[30]"[31]. وإياك أيها العاقل أن تغفل عنها، وافهم الكلام. إن أعظم الناس علما من عرف نفسه، فإنه حيث لم يفته العلم بنفسه الموجب لعدم الرضا عنها الذي هو أصل كل طاعة وخير، كأنه لا أهل عنده، ومن فاته ذالك كأنه لا عنده.

وهو المراد بقول الحكم: "فأي علم"[32] الخ. وفي الحديث: "أعدى الأعادي إليك نفسك التي بين جنبيك"[33]. وإنما صارت أعدى أعدائك، لطاعتك لها، وقد ورد: أقسم الملك القدوس أن لا يدخل حضرته أحد من أهل النفوس، لأن الشيطان لا يستطيع أن يغوي بني آدم ويفتنه ويهلكه إلا بعد الاستعانة بالنفس، ولولا النفس ما قرب الشيطان ابن آدم، لأنه مملوك لها تحت أمرها ونهيها، وملازم لها. قال بعض العارفين: "النفس أخبث من سبعين شيطانا"[34]، فلا تأديب إلا بمخالفتها، ولا رياضة إلا بموالمتها وتهمتها وإن نصحت، والرضا عنها أصل الكفر، وهو الذي حمل إبليس اللعين على قوله: ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[35]، وهي أول معصية وقعت في الوجود.

قال سيدي أحمد الرفاعي[36] ﷺ: من لا خد له يداس، لا كف له يباس . وفي النصيحة الكافية: "وأعظم الناس جهلا من جهل نفسه وأهمل أحواله حتى دخل رمسه"[37]. قال الشارح ابن زكري، رحمه الله تعالى: "إنما كان من ذكر أعظم الناس جهلا لأنه حيث فاته العلم بنفسه ولم يعرف مكائدها وخدعها، ولم ينتبه لغرورها وتلبيسها، أوقعته في المهالك وهو لا يشعر، وقادته إلى الفضائح اللتي لا يزال ضررها يعظم ويكبر.

وبالجملة، فالجهل بها أصل كل طاعة وخير، كما تقدم. ورحم الله القائل حيث قال:

[رجز]

وَاعْلَــــمْ هَـــــدَاكَ اللهُ لِلتَّحْقِيـــــقِ	هِدَايَـــــةَ الفَــــــارُوقِ وَالـــــصِّدِّيقِ
لاَ تَطْمَعَـــنَّ فِـــي مَقَـــامِ الْـــأُنِيسِ	مَــــا لَــمْ تُجَــاوِزْ عَقَبَــاتِ الـــنَّفْسِ
فَــإِنْ أَرَدْتَ قَطْعَهَــا فِـــي الْوَقْــتِ	أَكْثِرْ عَلَى النَّفْسِ مِــنْ ذِكْــرِ الْمَــوْتِ

---

[30] سورة يوسف: 53.
[31] شرح ابن عباد على الحكم:32/1.
[32] الحكم العطائية: 52.
[33] الزهد الكبير: 157/2. رقم 343.
[34] هاذا عجز بيت وهو:

توق نفسك لا تأمن غوائلها   فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

انظر عدة المريد: 484. في هامش محققه: البيت هو لزين العابدين. وانظر منهاج العابدين: 181.
[35] سورة ص: 75.
[36] أبو العباس، أحمد بن علي الرفاعي (-578هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 200. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف:131/1، هامش:437.
[37] النصيحة الكافية: 35.

ويروى أنه تشاجر أبو ذر وبلال، رضي الله عنهما، فعير أبو ذر بلالا بالسواد، فشكاه إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: "يا أبا ذر، أما علمت أنه بقي في قلبك من كبر الجاهلية شيء". فألقى أبو ذر نفسه، وطلب أن لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه، فلم يرفعه حتى فعل بلال ذالك.

وفي كفاية المريد، قال ابن عبد الله الرعيني، رحمه الله تعالى: "كثيرا ما يقع هاذا بين بعض الفقراء إذا كان بينهم تشاجر. وقال: ما تشاجر اثنان وفعلا هاكذا، إلا أزال الله تعالى الشحناء من قلوبهما ببركة الشيخين أبي ذر وبلال، رضي الله عنهما، ومن بركة صحبة الفقراء ومخالطتهم ومعرفة أهل الله تعالى، فمن أراد التخلق بالأخلاق الحميدة، من الحلم والتواضع والحياء وغير ذالك، فليلزم الفقراء، فحتما يتخلق بأخلاقهم، وتعود عليهم بركتهم".

حكي عن الشيخ اليافعي، رحمه الله تعالى، أنه بعدما تمهر في العلم، بقي ثلاثة عشر سنة وهو يتردد في الدخول في زمرة الفقراء، إلى أن دعي يوما لوليمة فلقي فيها شيخا من شيوخ الطريقة، فقال له الشيخ: إنك قد قرأت العلوم، وفتح عليك، فهلا قرأت علم القوم ليكمل لك الخير؟ فقال له: يا سيدي، ثلاث عشرة سنة وأنا أريد أن أعمل ذالك. فقال له الشيخ: وما حبسك عن ذالك؟ قال: ما عرفت الفرق الذي بين العلماء والفقراء. فقال له الشيخ" هو في نفس الأمر لا فرق، ولاكن شيء قريب إذا أردته، فالحق إلى الزاوية وجيء معك بعالم من العلماء. فذهب الشيخ إلى موضعه الذي يجتمع فيه مع أصحابه، وقال لهم: إذا دخل عليكم الآن رجلان وسلما، فلا تردوا عليهما السلام، ولا تفسحوا لهما مجلسا. فلما دخلا عليهما، يعني اليافعي والعالم الذي معه، وسلما، فعل الفقراء ما أمرهم به الشيخ، فما ردوا السلام، وأفسحوا له المجلس، فقال العالم الذي مع اليافعي: ردوا السلام يا جهال. فقال شيخهم: يا سيدي، لعل الفقراء في خاطرهم شيء عليك. فقال العالم: لا صف الله خاطرهم، وخرج مغضبا. فقال الشيخ لليافعي: اجلس، فجلس وبعث إلى شيخ من مشائخ الطريقة، وقال لأصحابه: إذا جاء، فافعلوا كما فعلتم أولا مع الآخر. فلما جاء سلم، فلم يردوا عليه. فقال: ردوا السلام يا إخواننا. فقال لهم شيخهم كما قال للآخر. فجمع الشيخ نعالهم، وجعلها على عاتقه، وقال: والله يا سيدي، لا أضعهم حتى يصفى خاطرهم علي. فقال الشيخ لليافعي: هاذا هو الفرق الذي بين العلماء والفقراء.

فقبل اليافعي عند ذالك يد الشيخ ورجليه، وطلب منه القبول، فكان ذالك سببا في دخوله لزمرة الفقراء، واشتغل بقراءة علم القوم، وعلم أن الفقر مبني على التواضع والأدب ومكارم الأخلاق. هاكذا سمعناه من شيخنا وأستاذنا وعمدتنا سيدي محمد جسوس، وكتبتها من خط يده:

[الطويل]

سَلاَمٌ كَمِثْلِ الْمِسْكِ أَوْ هُوَ أَضْوَعُ   عَلَى مَعْشَرِ الْوَعْظِ وَالرُّشْدُ أَسْرَعُ

سَـــلاَمُ مُحِـــبٌّ فِـــيهِمْ غَيْـــرَ أَنَّـــهُ … أَتَاكُمْ بِنُصْحِ الْحُـــبِّ إِن كَـــانَ يَـــسمَعُ

وَلاَكِنْ مِنْ بَعْدِ الصَّلاَةِ عَلَـــى الَّـــذِي … لَهُ الْمَنْزِلُ الأَسْمَى لَـــهُ الْقَـــدْرُ يُرْفَـــعُ

مُحَمَّـــدُ الْمَبْعُـــوثُ بِـــالْحَقِّ وَاضِـــحًا … صَلاَةً لَهَا فِي الْقَلْبِ جَـــدْوَى وَمَوْقِـــعُ

يَا مَعْشَرَ الْعُشَّاقِ جِـــدُّوا وَأَسْـــرِعُوا … فَمَا الْعبـــد إِلاَّ مَـــنْ يُطِيـــعُ وَيَجْـــزَعُ

وَمَا الْعُمْرُ إِلاَّ الْغُنْمُ إِنْ كُنْـــتَ طَائِعًـــا … وَإِلاَّ فَمَـــوْتُ الْمَـــرْءِ لاَ شَـــكَّ أَنْفَـــعُ

فَلاَ خَيْرَ فِي عَـــيْشٍ يُرِيـــكَ نَدَامَـــةً … إِذَا النَّاسُ لِلْعَـــرْضِ الْعَظِـــيمِ تَجَمَّعُـــوا

وَنَبِّهْ أَخًا فِي الدِّينِ إِنْ كُنْـــتَ غَـــافِلاً … وَكَانَ لِمَا قَـــدْ يَحْمَـــدُ الـــشَّرْعُ يَنْـــزَعُ

وَمُرْهُ بِمَعْـــرُوفٍ تَكُـــنْ خَيْـــرَ آمِـــرٍ … وَعَنْ مُنْكَرٍ فَإِنَّـــهُ الـــذِي فِيـــهِ يَرْتَـــعُ

فَإِمَّـــا بِقَـــوْلٍ إِن وَجَـــدْتَ إِجَابَـــةً … وَإِمَّـــا بِفِعْـــلٍ وَهُـــوَ لِلْجِـــدِّ أَرْدَعُ

فَإِنْ خِفْتَ مِنْ هَاذَا وَمِنْ ذَالِكَ وَاقِعًـــا … فَبِالْقَلْـــبِ خِبْـــرَةٌ لِمَـــا يُتَوَقَّـــعُ

وَلاَ تَنْهَ عَـــنْ شَـــيْءٍ وَتَـــأْتِ بِمِثْلِـــهِ … يَكُنْ نَهْيُكَ الشَّيْءَ الَّـــذِي لَـــيْسَ يَنْفَـــعُ

إِذَا لَمْ تَكُنْ عَنْ نَفْسِكَ الـــضُّرَّ دَافِعًـــا … فَكَيْفَ تَرَى عَنْ غَيْرِكَ الـــضُّرَّ تَـــدْفَعُ

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[38]. وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذالك أضعف الإيمان"[39].

---

[38] سورة التوبة: 72.

[39] سنن أبي دوواد: باب الصلاة في العيد، رقم 1140.

الباب الرابع
في ذكر الزاوية وسببها، وشروط آداب الاجتماع بها، وثمرة ذالك

فأما الزاوية فإنها اتخذت أولا، والله أعلم، تشبها وتبركا وتفاؤلا بالصفة التي كانت بمسجد النبي ﷺ ليأوي إليها الفقراء الذين لا أهل لهم ولا مال، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1]. أنزلت في أهل الصفة[2]، وهم أربعمئة من المهاجرين، أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا.

﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ﴾، أي: سعيا في الأرض للتجارة والمعاش، لشغلهم عنه بالجهاد.

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ علاماتهم من التواضع والجهد.

﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ فيلحفون إلحافا، أي: لا سؤال لهم أصلا، فلا يقع منهم إلحاف، وهو الإلحاح.

وكان الصحابة، ﭬ، على عهده ﷺ يوغلون إلى الصفة ما استطاعوا من الطعام، وكان ﷺ يأتيهم عند انصرافه من صلاة الغداة أوالعشاء، فيقول ﷺ لهم: "كيف أصبحتم؟ أو كيف أمسيتم يا أهل الصفة. فيقولون: بخير يا رسول الله.

قال سيدنا أبو ذر الغفاري ﭬ: كنت من أهل الصفة، فكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ، فيأمر ﷺ أصحابه أن ينصرف كل رجل برجل معه. فإذا بقي من بقي، فيؤتى رسول الله ﷺ بعشائه، فنتعشى معه. فإذا فرغنا، قال رسول الله ﷺ: قوموا في صفتكم.

وفي البخاري عن عبد الرحمان بن أبي بكر ﭬ: إن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء، وإن النبي ﷺ قال مرة: "من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس، فسادس". أو كما قال. وإن أبا بكر[3] جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة[4]. قال: فهو أنا أبي وأمي، ولا أدري هل قال امرأتي وخادمي بين بيتنا وبيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع

---

[1] سورة البقرة: 272.

[2] انظر تفسير القرطبي:4/339-340.

[3] أبو بكر الصديق (13هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 29.

[4] صحيح البخاري. كتاب المناقب. رقم: 3581.

فلبث حتى تعشى رسول ﷺ، فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله. قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك، أو ضيفك؟ فقال: أو عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء.

وروي عن أنس ﵁ أن جماعة من الصحابة، ﵃، قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا يوما ولأهل الصفة يوما. فأرسل إليهم علي بن أبي طالب ﵁ بذالك، فقال لهم: نبيكم يسلم عليكم، إن أصحابه قصدوا أن يكون لهم يوم ولكم يوم، فاليوم لهم وغدا لكم. فلما بلغهم علي الرسالة، قاموا يتواجدون، ويقولون: قال لنا نبينا: اليوم لكم وغدا لهم. فدخل الوجد في علي ﵁، فصار يدور معهم، ويقول مثل قولهم. فاستبطأه النبي ﷺ، فأرسل عثمان بن عفان ﵁، فلما نظر إليهم دار معهم، وقال مثل قولهم. فاستبطأه النبي ﷺ، فأرسل عمر بن الخطاب ﵁، ثم أبا بكر ﵁. فجاءهم النبي ﷺ، فوجدهم يتواجدون، ويقول: قال نبيكم ﷺ: اليوم لكم، وغدا لهم. فتحرك النبي ﷺ معهم حتى سقط رداؤه عن منكبه، فنزل جبريل فأخذ بردته، فجعلها على جسده، وأنزل الله عليه ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[1] الآية.

وأما الاجتماع فيها، يعني بالزاوية، فلجلب منافع شتى:

منها: قراءة الأحزاب، إن كان للشيخ حزب، وردا في الصباح أو في المساء أو فيهما.

ومنها: نزول الأضياف الواردين من الإخوان.

ويكون الجلوس في حالة الاجتماع للحزب أو للذكر مع بعضهم، ومع من يفد بآداب في الجلوس والقيام والمرور والأكل والشرب والسؤال والجواب، وكل ذالك بالسكينة والوقار، فيجلس الكبير في موضع مناسب له، والصغير في موضع يناسبه، لا بحيث يجلس الصغير في موضع الكبير في صدر المجلس، والكبير أسفله أو متأخر، ويعين الصغير الكبير في القيام وغيره، ويتأخر الصغير عن الكبير في المرور، ولا يبدأ الصغير في الأكل حتى يبدأ الكبير، والشرب كذالك. بخلاف فقراء وقتنا، الكبير والصغير عندهم سواء، في أمورهم كلها، وهو من سوء الأدب وعدم المربي، والطريق مبنية على الأدب والتربية.

قال الشيخ أبو مدين[2] ﵁:

[البسيط]

(فَاسْتَغْنِمِ)[2] الْوَقْتَ وَاحْضُرْ دَائِمًا مَعَهُمْ	وَاعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضَا يَخُصُّ مَنْ حَضَرَا
وَإِنْ بَدَا مِنْكَ ذَنْبٌ فَاعْتَرِفْ وَأَقِمْ	وَجْهَ اعْتِذَارِكَ عَمَّا فِيكَ مِنْكَ جَرَا
وَقُلْ عُبَيْدُكُمْ أَوْلَى بِصَفْحِكُمْ	فَسَامِحُوا وَخُذُوا (بِالْعَفْوِ)[3] يَا فُقَرَا

---

[1] سورة الأنعام: 53.
[2] الديوان: 58.
[3] الديوان: بالرفق.

هُمْ بِالتَّفَضُّلِ أَوْلَى وَهُوَ شِيمَتُهُمْ فَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ دَرَكًا وَلاَ ضَرَرَا
وَبِالتَّفَتِّي عَلَى الْإِخْوَانِ جُدْ أَبَدًا حسًّا وَمَعْنًى وَغُضَّ الطَّرْفَ إِنْ عَثَرَا
وَلاَ تَرَ الْعَيْبَ إِلاَّ فِيكَ مُعْتَقِدًا (بِأَنَّهُ بَيِّنٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ ظَهَرَا)[1]
وَحُطَّ رَأْسَكَ وَاسْتَغْفِرْ بِلاَ سَبَبٍ وَقُمْ عَلَى قَدَمِ الْإِنْصَافِ مُعْتَذِرَا

وقال الشيخ زروق ﷺ: وأما الآداب مع الإخوان فثلاثة: الحرمة للأكابر سنا أو دينا أو مروءة أو نحو ذالك، كل بحسبه، والرحمة للأصاغر كذالك، بمراعاة حق الله تعالى في كل أحد من حيث أمره ونهيه، والنصيحة للجميع بكف الأذى وبذل الندى على حسب الإمكان. وإذا علمت هاذه، فمن خلي من شيء من هاذه الآداب فقد استوجب العقوبة.

فينبغي للفقير أن يلازم خدمة الشيخ أو من ولاه الشيخ عليه، بأن يكون عند أمره ونهيه في أقواله وأفعاله وأحواله، وأن يكون ملازما للزاوية، إلا عن عذر بين، مع الإخوان في محادثاتهم والاجتماع معهم للذكر والذكرى والتذكر بما يناسب في الآداب (الشرعية) [3] في القول والفعل والحال، بأن يكون الكبير يرحم الصغير، والصغير يوقر الكبير في الكلام معه، والجلوس بين يديه، والقيام والمرور معه، لقوله ﷺ "ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير "[4]، وورد "لا تزال أمتي بخير ما دام كبيرها يرحم صغيرها، وصغيرها يوقر كبيرها ".

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[5] ﷺ: أربعة إذا خلا الفقير عنها فاجعله هو والتراب سواء: الحرمة للأكابر، والرحمة للأصاغر، والانتصاف من النفس، وترك الانتصاف لها. وقيل في ذالك[6]:

[البسيط]

ارْحَمْ أُخَيَّ عِبَادَ اللهِ كُلَّهُمُ وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ اللُّطْفِ وَالشَّفَقَة
وَقِّرْ كَبِيرَهُمْ وَارْحَمْ صَغِيرَهُمْ وَرَاعِ فِي كُلِّ خَلْقٍ وَجْهَ مَنْ خَلَقَه

---

[1] الديوان: عيبا بدا بينا لاكنه استترا.
[2] الديوان: واستغنم.
[3] ج: المشروعة.
[4] في سنن الترمذي، كتاب البر والصلة رقم: 1924: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا".
[5] أبو الحسن الشاذلي (-658هـ). ترجمته في: لطائف المنن. لواقح الأنوار: 290. وانظر أيضا مصادر ترجمته في الإشراف: 107/1، هامش: 405.
[6] انظر شرح الحكم لزروق:145.

وقال محمد بن كعب القرظي[1] ﷺ: "إذا أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير القوم لك أبا، وأصغرهم لك ولدا، وأوسطهم لك أخا، فبر والدك، وارحم ولدك، وأكرم أخاك".

وأما جلب المنافع من الاجتماع بها، فهو ترتيب الأحزاب فيها والأوراد، وحفظ الأوقات، وعمارتها بكثرة ذكر الله، والتذكر مع نفسك والإخوان، والوعظ والصلاة على النبي ﷺ، وكذالك صلة الأرحام بينهم، والشفقة والحنانة والتودد وائتلاف القلوب، واجتماعها على الله. وبسبب ذالك يحصل لهم العلم عمن مرض منهم، ومن مات، وبمن غاب، وبمن قدم، وبمن أصابته مصيبة أو عافية، أو في خير أو غيره.

وإذا بطل الجمع فيها وتفرقوا، لم يعلم أحد بأحد ما هو عليه من الخير أو الشر، وفاته فضل المنافع وهو ثوابها، من عيادة المريض، وتشييع الجنازة، وحضورها، والصلاة عليها، والدفن، والتعزية، والتصبر، وكل بقيراط، قيراط مثل جبل أحد، وتشييع المسافر، وتلقي القادم، وتهنئة الإخوان فيما يتزايد عندهم وما نقص.

وهاذه المنافع تحصل من لزوم الزاوية، وهي غنيمة ونعم الغنيمة، والغيبة عنها تحول بينه وبين هاذه الفضائل، لما ورد في الجزاء عليها، كما يأتي ذالك، إن شاء الله تعالى، مبنيا في بابه.

وذكر أن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن[2] الأندلسي ﷺ غاب عن الزاوية في ابتداء أمره نحوا من ثلاثة أيام أو أربعة، فقال شيخه أبو المحاسن، سيدي يوسف بن محمد الفاسي ﷺ لأصحابه: مال أخيكم سيدي محمد غاب عن الزاوية، وليس ذالك من عادته؟ انظروا ما عذره، أمرض أو غيره؟ فقالوا له: ليس به مرض، ولاكنه مشتغل بإصلاح دار محاجيره. فقال أبو المحاسن: إن المريض مريض الذات، والذي يبني الدار مريض الذات مريض الكيس، قوموا بنا نعوده . فقام ﷺ وقاموا معه لعيادة سيدي محمد بن عبد الله، ﷺ ونفعنا ببركتهم آمين .

ووقعت حكاية أخرى زمن "حيزة" الأربعين سنة، وهي: خرج بعض السماسرة قرب الفجر من داره، وكان من أهل زاوية الشيخ المذكور بعد موته، فدخل بعض اللصوص لدار السمسار المذكور بعد خروجه قرب الصبح، وأخذوا له ما عنده من حوائج الناس، وجاء شاكيا باكيا إلى الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي العارف بالله، أخو أبي المحاسن، فقال له سيدي عبد الرحمن: وهل غبت عن الزاوية اليوم أو أمس؟ قال: نعم . فقال له الشيخ: المفرط أولى بالخسارة[3].

---

[1] محمد بن كعب القرظي (117هـ): ترجمته في: لواقح الأنوار:59.

[2] محمد بن عبدالله معن الأندلسي (-1010هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 222/1-223.

[3] في عدة المريد قول: "المفرط أولى بالخسارة" هو لأبي يوسف الدهماني (-621هـ). ترجمته في: شجرة النور: 168-169.

ووقعت أخرى بالزاوية الرحمانية أن رجلين من الفقراء أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبدالرحمن الدرعي ﷺ، داين أحدهما الآخر، فلما حل الدين لربه، دفع ما دفع، وبقي ما بقي عجز فيه، فاغتاض عليه، واستحيا الآخر منه، وغاب عن الزاوية من أجل ذالك حياء وخوفا. ولما غاب، تذكره مقدم الفقراء، فقال للفقراء: أين أخوكم فلان؟ فيما ذا هي غيبته عنا؟ فقيل له: إنه خائف من فلان، ومستحيى منه ومن الإخوان، كانت بينهما مخالطة وفوت طرفا من المال، ولم يجد ما يفي به وحل. فقال المقدم: أفما نهاكم الشيخ عن مخالطتكم في الدنيا وخالفتماه، فهاذه والله عقوبتكما. ثم قال لبعض الإخوان: قم يا فلان املأ الحلاب بالماء، وأنزله هناك بناحية من الزاوية، وكل من أطلق الله شيئا على يده، فليجعله في ذالك الحلاب. ثم وضع الحلاب بالماء كيف أمر المقدم، وجعل الناس يرمون في الحلاب، كل واحد على قدر طاقته ووسعه ونيته. ثم بعد أيام، تفكر المقدم الحلاب، فأجلس الغريم ورب المال بين يديه، وأمر بغلق الزاوية، وبالحلاب فأفرغ من الماء، ووضع بين يديه، فأفرغه تحت جناحه، وجعل يدخل يده ويخرج شيئا فشيئا، ويعطي للغريم، ويقول له: احسب، والغريم يحسب لرب المال، حتى قضاه دينه الذي له عليه، وقال له: اسمح لأخيك، وإياكم ومخالطة بعضكم بعضا في الدنيا. ثم رفع جناحه عن الباقي، وقال للغريم: خد ما أعطاك الله. قال: فجعل الغريم يبكي، ويقول: إني تائب لله. ثم إن صاحب الحق عانق الغريم وهو يبكي، ورد له جميع ما أخذ منه وسامحه فيه، وكثر البكاء بينهما حتى شاع البكاء في جميع الحاضرين.

فانظر أخي معرفة أهل الخير وأهل الدواء، وثمرة لزوم الزاوية وما يحصل منها ومن أهلها، وكل ذالك من بركة الشيخ ﷺ.

وقيل في خلطة الإخوان في الدنيا:

[الرجز]

لاَ تَسْلِفَنَّ الصَّدِيقَ شَيْئًا   إنْ شِئْتَ تُبْقِي لَهُ وِدَادَه

فَالْأَخْذُ مِثْلَ النِّكَاحِ حُلْوٌ   وَالرَّدُّ صَعْبٌ مِثْلَ الوِلاَدَه

فعلى هاذا أسست الزوايا وبنيت، وعليها كان من أدركناه من الأسلاف المتقدمين، فكانوا، رحمهم الله، يعودون المرضى، ويحضرون الجنائز، ويعزون الثكلى، لما في البخاري من حديث البراء بن عازب ﷺ، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المرضى، وإجابة الداعي، ونصرة المظلوم، وإبرار القسم، ورد السلام، وتشميت العاطس[1].

[1] صحيح البخاي: كتاب الجنائز. رقم: 1239.

وفيه أيضا عن أبي هريرة[1] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"[2].

وأخرج أحمد وأبو نعيم[3] عن وهب بن منبه[4] ﷺ قال: "قال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذين يعودون المرضى، ويعزون الثكلى، ويشيعون الموتى"[5].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: "قال موسى عليه السلام: يارب ما لمن عز الثكلى؟ قال: أظله بظلي يوم لا ظل إلا ظلي"[6].

وكانوا، رحمهم الله، يشيعون المسافر، ويتفكرونه في غيبته، ويتلقونه عند القدوم، ويصالحون بين اثنين تشاجرا، لقوله تعالى (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ)[7] الآية، ولقوله (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)[8].

وكانوا، رحمهم الله، يأخذون بيد الضعيف، ويعينونه من عند الغني، ولا يمنون ولا يتمننون، لا في إكرام، ولا في نزاهة، ولا في عون، ولا في زيادة، ولا بما يصدر من بعضهم لبعض، كل بحسب طاقته ووسعه، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. قال الله تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[9].

وكانوا، رحمهم الله، يراودون العاق باللطافة والحنانة واللين حتى يريضونه للخير بالمواعظ ذات الوعد والوعيد، الكبير في ذالك والصغير . فأما الكبير الذي هو في القديم مولدا إذا فرط نصفوه، فإن تاب ورجع وإلا أعادوا حتى يرجع إلى الله ولا يعيبونه.

وكانوا، رحمهم الله، لا يحقرون أحدا من خلق الله منهم كيف ما كان ولو من غيرهم، ولا يفضلون القوي على الضعيف، ويحبون كل من يتقرب إليهم وينتسب عليهم أو على غيرهم من أهل هاذه الطريق الشريفة كيفما كان، ولا يباعدون أحدا، ولا يتباعدون من أحد، وذالك كله من شدة الحب في الله وقوة النية، وحسن الظن بالله تعالى وبعباده.

---

[1] أبو هريرة، عبدالرحمان بن صخر الدوسي (57هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 39. انظر مصادر ترجمته في الإشراف:25/2، هامش:95.

[2] صحيح البخاي: كتاب الجنائز. رقم: 1240.

[3] أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني (430). ترجمته في: لواقح الأنوار: 94. وانظر مصادر ترجمته أيضا في: الإشراف:46/1، هامش:90.

[4] أبو عبدالله، وهب بن منبه (114هـ). ترجمته في: لواقخ الأنوار :60.

[5] حلية الأولياء: 45/4.

[6] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، رقم: 6408. قريب منه.

[7] سورة الحجرات: 10.

[8] سورة الأنفال: 1.

[9] سورة المائدة: 3.

وكانوا، رحمهم الله، يقبضون (أنصف)[1] ممن ينقط القاف من الإخوان في الجماعة، في الزاوية أو في غيرها، ونقطة سوداء كان بالتذكير أو بالتأنيث، والصغير والكبير في ذالك سواء، والعمد والسهو سواء. وكانوا، رحمهم الله، ينصفون الحالف إذا أمره أحد أو نهاه وحلف، أو ما أشبه ذالك، وهاذا كله تربية وآداب.

فانظر أيها الفقير ما كان عليه السلف قبلكم من أفعال البر والخير، وانظر لما كان عليه حبيبك ونبيك وشفيعك ﷺ، ولما كانوا عليه أصحابه من بعده، فما نهوا عنه، فاجتنبه، وما أمروا به، فافعله، وبما ساروا به من الأقوال والأفعال والأحوال، سر به وتحفظ عليه، ولا تتراخى، ولا تكن غافلا عن شيء من عملك، ولا تحقرن شيئا من الطاعة ولا من المعاصي، ولا تمل، فإن الله مولاك سبحانه لا يغفل عنك، ولا يمل حتى تمل، كما في الحديث[2]، والهداية والتوفيق بيده ومن عنده، وهو الرقيب على عبده، ونحن السائلون له من فضله، والله ذو الفضل العظيم.

ومن وفقه الله تعالى وهداه، وعمل بما ذكر، فقد حصل طاعة الله، ومن حصل طاعة الله، فقد حصل طاعة رسوله، قال الله سبحانه (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ)[3] الآية. وقال سبحانه (مَن يُّطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ)[4]، وقال عز من قائل (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولاَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ)[5] الآية. ومن حصل طاعة رسوله، فقد حصل طاعة الشيخ، ومن حصل طاعة الشيخ، فقد وصل الإخوان وحصل بركتهم وآثارهم، فيزداد عند ذالك ولوعا ومحبة وشوقا واشتياقا بحبهم وذكرهم وذكر حديثهم.

قال أبو مدين[6] ﷺ:

[الطويل]

يُحَرِّكُنَا ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ عَنْكُمْ   وَلَوْلاَ هَوَاكُمْ فِي الْحَشَا مَا تَحَرَّكْنَا

لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره، ومن أحب قوما كان منهم وحشر معهم[7]. وقال ﷺ: "المرء مع من أحب"[8] وقيل: من شبه بقوم كان منهم. ومحبة الشيخ ومحبة النبي ﷺ ومحبة الله سبحانه كلها مرتبطة ببعضها، فلا تصح واحدة منها بدون الأخرى، لأن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: قل يا محمد (قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهَ)[9] الآية، إن

---

[1] ج: النصف.
[2] صحيح البخاري، كتاب التهجد، رقم:1151.
[3] سورة الأنفال: 20.
[4] سورة النساء: 79.
[5] سورة النساء: 68.
[6] الديوان: 59.
[7] المستدرك على الصحيحين: 21/3. رقم: 4353.
[8] صحيح البخاري. كتاب الأدب. رقم: 6168. المعجم الأوسط. 286/2. رقم: 2001.
[9] سورة آل عمران: 31.

كنتم صادقين في ادعائكم بمحبة الله، فاتبعوني فيما آمركم به من طاعته وفيما أنهاكم عنه من معاصيه، يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، هاذه ثمرة المحبة لله وفي الله.

واعلم أخي، وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، أن الفقر ثلاثة أقسام: عام، وخاص، وخاص الخاصة. فالعام هو قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ)[1] الآية. والخاص هو قوله عز وجل: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ)[2] الآية. وخاصة الخاصة هو قوله عز من قائل: (يَا أَيُّهَا الذينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)[3] الآية، أي اعرفوه حق معرفته، فإن من لم يعمل بأعمال نبيه ﷺ وأعمال أصحابه من بعده وأعمال أشياخهم من بعدهم وأعمال إخوانه من بعدهم، ولم يسر بسيرهم، صار بعيدا عنهم، لأن حب القوم بلا اتباع، ليس فيه فائدة ولا به انتفاع.

وقد اختصرت ما ذكرت في أبيات:

يَا نَدِيمُ اصْغِ لِنْظَامِي وَكُـــنْ فَــاهِمْ	رَدْتْ نُوصِيكْ أُوْصَايَا فِي طْرِيقْ الإِخْــوَانْ
كُنْ عَايَقْ وَاعْرَفْ يَا صَاحِ مَنْ يْوَالَمْ	لاَ تْخَالِطْ مَنْ بِطْرِيــقْ الْأَسْــلاَفْ جَهــلاَنْ
رُدْ بَالِكْ لِطْرِيقَــكْ لاَ تْعُــودْ فَــاقِمْ	نِيْتَـــكْ جْعَلْهَـــا فِـــالله يْكُـــنْ عْــوَانْ
حُسْنْ ظَنَّــكْ بِــالله وَبِالَعْبَــادْ لاَزِمْ	وَيَّكْ تَحقَّرْ شِي فِي الطَّاعَا وَلاَ فِي عِصيَانْ
لاَ تْكَثَّرْ مِنْ قَوْلْ وَقِيلْ يَــا ابْــنَ آدَمْ	لاَ تْكَــافَفْ خُوتَــكْ بِعَمْـــدْ وَلاَ بْنِـــسْيَانْ
لِلْكْبِيــرْ تْــوَقَّرْ وَلِلــصْغِيرْ رَاحِــمْ	وَالضّْعِيفْ بِقْلَبْ تَرْفَــعْ يْكُــنْ لَــكْ شَــانْ
لُوقَاتْ احْفَظْهَــا وَالزَّوَايَــا تْــلاَزَمْ	بِـــالأَحْزَابْ وَالأَوْرَادْ تْبِيـــتْ هَمْيَـــانْ
يَا فْقِيرْ السُّنَّة تْبَــعْ تْــصِيرْ نَــاجَحْ	يَا فَقِيــرْ الْبِــدْعَا جَنَّــبْ هِــيَ الْحِرْمَــانْ
مَنْ يْخَالَفْ (السُّنَّا)[5] لاَ اغْنَــاهْ نَــادَمْ	مَــنْ يْوَالَــفْ (بِالْبِــدْعَا)[4] لاَ غْنَــاهْ يْهَــانْ
إِذَا تْوَقَّفْتْ فِي أَمْرَكْ سِرْ سَأَل عَــالَمْ	يْبَصَّرَكْ بِعْيُوبَــكْ حَتَّــى تْــصِيرْ يَقْظَــانْ
يَا فْقِيرْ صَنْعَتَكْ هْــيَ الــذِّكْرْ دَايَــمْ	وَالصَّلاَ وَالــسَّلاَمْ عَلَــى النَّبِــي الْعَــدْنَانْ
هَاكْذَا الْمَنْهَجْ الْوَارِي بِشْبُور سَــالَمْ	لِلْفَقِيــرْ الــسَّالِكْ بِحَــدِيثْ وَآيْ قُــرْآنْ

---

[1] سورة فاطر: 15.
[2] سورة الحشر: 7.
[3] سورة آل عمران: 102.
[4] الديوان: بالبدعة.
[5] ج: السنة.

البـــــاب الخامـــــــس

في ذكر الحضرة وشروطها، والرقص والتصفيق فيها، وذكر من يسلم له، ومن لا من أربابها، وما ينشأ عن الذكر فيها من المواهب والمواجد، وجذب القلوب، وتهزيز الأشباح والأرواح لعلام الغيوب

اعلم أخي، أن إياك ثم إياك أن تعتقد وتعتمد في رقصك وتصفيقك أنه شرط من شروط الفقر أو ركن من أركان الطريق، يصح به الفقر، أويبطل بتركه، فهاذا اعتقاد فاسد. ولا تعتقد أيضا أنه قربة يتقرب به إلى الله سبحانه، فهاذا أيضا اعتقاد فاسد، ومحض زور.

وأما الحضرة فإنها حضرتان، ربانية وشيطانية شهوانية. فالربانية هي حضرة الذكر التي تحضرها الملائكة الكرام الذين يلتمسون الذكر من أفواه الذاكرين، كما في الحديث:"إن لله ملائكة سياحين يطوفون بحلق الذكر، يلتمسون الذكر"[1] الحديث. وهي محفوظة بالمذكور، فلا يتطفل عليها إلا من جذبته عنايتها إليها، ولها حفظة يحفظونها ويذودون عنها كما يحفظ الراعي إبله، فلا يطرقها طارق لا جني ولا إنسي إلا نال البركة منها بقدر حظه الأزلي، قل ذالك أو أكثر. قال الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي ﷺ: الحضرة سيرتنا وسيرة أسلافنا، ولها شروط عند أربابها، وهي: الزمان والمكان والإخوان[2]، وعدم حضور النساء والولدان، ومن قام بموجب، فله مالنا، وعليه ما علينا، ومن قام بغير موجب، فلا يلومن إلا نفسه.

وأما الحضرة الشيطانية الشهوانية فهي المحرمة، التي يحضرها أهل اللهو واللعب والعناد، المتشبهون أهل الفساد، الذين صار الرقص حرفتهم، واشتهروا به، هاذا مع كونها من حيث هي ليست بعمدة، وإنما هي شبه اللعب، لاكن أجازوها في حق من تولعه وتعينه على الذكر من أهل البداية، حسبما روي عن مالك ﷺ أنه سئل عن قوم يذكرون الله كثيرا ويرقصون كثيرا، فقال: ذالك إعانة للعبد على ما هو عليه. فقيل: ذكر الله لا يكون إلا بالسكينة والوقار. فقال: إذا لم يحضر وجد هاذا، حضر الوجد، فلا حكم على الجوارح.

---

[1] مسند أحمد: 566/1. رقم 3421، ونصه فيه: "إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام".

[2] قال الجنيد: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان والمكان والإخوان. وانظر الرسالة: 332. رقم 1608.

فعلى هاذا يكون سبب الرقص الوجد، وسبب الوجد الذكر، وإذا لم يحضر وجد فلا شيء، وإنما هو لعب من جملة البدع والمزاح، كما (يفعلون)[1] بعض أهل زماننا، يبدءون بالرقص من أول مهلة من غير ذكر ولا وجد، لأن سبب الوجد هو الذكر، وإذا لم يكن، فهو دليل التحريم والبطلان، ولاسيما الذين يخرجون عن الصف بالسوق هاذا لهاذا، وهز الأكتاف منهما والمؤخر، وتنبيد الصدور، ويلتقيان بصدورهما معا، وشبه هاذا من الصناعات، وهو ما يفعله السفهاء في الولائم وفي مجالس الخمر والزنا واللهو، ومواضع الزيغ والفساد والمنكر، وكيف يحل هاذا الفعل البشيع الشنيع في الحضرة المنسوبة لله ولأهل الله، ولا يقدر أحد على تغيير هاذا المنكر، أو ينهى عنه، كيف والنبي ﷺ يقول:"من تشبه بقوم كان منهم"[2]، وفي لفظ"حشر معهم"[3]، ولاسيما مع حضور أكابر القوم ورؤسائهم، ولا ينهونهم عن فعلهم، والنبي ﷺ يقول: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[4]، والمقدم عليهم لم ينههم، خوفا منهم أن يهجروه ولا يعودون للجمع معه. وإذا كان كذالك، فيصير جمعهم لغير الله، ولاسيما فعلهم، وهاذا عين الفساد. فالحضرة الشيطانية هي التي وصفنا، فلا يحضرها إلا الشياطين.

وأما الربانية التي يحضرها الملائكة المتلقون للأذكار، فهي التي تكون خالية مما ذكر، ويهيج فيها الوجد والشوق، وترد فيها المواهب من الله، ويشرق فيها نور الأحوال، ويظهر في أربابها، ولاسيما إن تقدمها ذكر أو صلاة على النبي ﷺ، لأن الذكر المعتمد فيه هو المذكور، ويحصل الفرح عند ذالك به، بالمدح والثناء عليه الجميل، لقوله تعالى (قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذالك فَلْيَفْرَحُواْ)[5] الآية، والذكر، قال ﷺ:" إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلق الذكر"[6]. وقال عليه السلام: "اذكر الله حتى يقولوا مجنون"[7]. وقال: "أفضل الذكر لا إلاه إلا الله"[8]. وقال: "أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي: لا إلاه إلا الله"[9]. وقال: "مفتاح الجنة لا إلاه إلا الله "[10]. قال مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "عجب ممن يكون مفتاح الجنة تحت لسانه، كيف يطبق شفتيه" . وورد في الخبر القدسي: "لا إلاه إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني، أمن من عذابي"[11]. وورد في الصحيح: "لو وضعت

---

1 كذا.
2 سنن أبي داوود: 720. كتاب اللباس، رقم: 4031. المعجم الأوسط. 179/. رقم: 8327. ونصه فيهما: "من تشبه بقوم فهو منهم".
3 المستدرك على الصحيحين: 21/3. رقم:4353.
4 صحيح البخاري. كتاب الجمعة، رقم: 893.
5 سورة يونس: 58.
6 مسند أحمد: 150/3. رقم 12545.سنن الترمذي، كتاب الدعوات، رقم: 3519. إحياء علوم الدين: 56/1.
7 مسند أحمد: 71/3. رقم: 11692.
8 سنن الترمذي، كتاب الدعوات، رقم:3392.
9 تفسير القرطبي: 11/1.
10 صحيح البخاري: 252.
11 إحياء علوم الدين: 219/1. وانظر فيض القدير: 641/4، رقم: 6047.

السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما فيهن في كفة، ولا إلاه إلا الله في كفة، لرجحت بهن لا إلاه إلا الله "[1]. وقال الله تعالى في كتابه العزيز: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)[2]، وقال سبحانه وتعالى: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)[3]. وقال جل من قائل: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم) [4] الآية. وقال جل وعلا: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ) [5] الآية. وقال تبارك وتعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)[6].

قال بعض العارفين ﷺ: "الذكر منشور الولاية وعنوانها، وسلاح المؤمن، وسلاح الفقير. وقيل: الذكر هو أقرب الطرق إلى الله تعالى، وهو علم على وجود ولايته، فمن وفق للذكر، فقد أعطي المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل. وقيل:

[البسيط]

اَلذِّكْرُ أَعْظَمُ بَابٍ أَنْتَ دَاخِلُهُ ... للهِ فَاجْعَلْ لَهُ أَنْفَاسًا حُرَّاسَا

قال أبو القاسم القشيري، رحمه الله: "الذكر عنوان الولاية، ومنار الوصلة وتحقق الإرادة، وعلامة صحته البداية وولاية النهاية. فليس وراء الذكر شيء، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر، ومنشأة منه، وفضائله أكثر من أن تحصى، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)[7]"[8] لكفى، والله أعلم .

واعلم، وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه بفضله، وأدخلني وإياك لحضرة قدسه وأنسه، أن الفقراء المجتمعين على الله وعلى ذكر الله، إذا رقصوا من غير وجد على تعظيم الله والثناء عليه، أو تعظيم نبيه والثناء عليه، أو ذكر أحد من أولاده، وذالك هو مشربهم وديدنهم. وقال ابن عطاء الله، رحمه الله تعالى: كل ما يذهب الغفلة عن القلب فهو ذكر، سواء كان ذالك ذكرا، أو صفة، أو حكما، أو فعلا، أو استدلالا، أو دعاء، أو ذكر رسول، أو نبي، أو ولي، أو منتسب، أو مقرب، أو قراءة، أو شعرا، أو غناء يفهم، أو محاضرة، أو مذاكرة، أو حكاية، أو عبرة، أو ما يكون من هاذا المعنى قريبا.

فإذا كان الحامل على رقصهم هو الفرح بالله وفضله ومحبته كما في الآية، وكذالك محبة رسوله ﷺ، أو بمدح أو ذكر أحد من أهل الكمال من أولياء الله تعالى، فهو

---

[1] الدر المنثور :397/3.
[2] سورة البقرة: 151.
[3] سورة الأحزاب:41.
[4] سورة الأحزاب: 35.
[5] سورة آل عمران:191.
[6] سورة العنكبوت:45.
[7] سورة البقرة: 151.
[8] انظر هاذا النص في شرح ابن عباد على الحكم: 59.

جائز، لأنهم لا يجتمعون إلا عليه، فإذا سرى ذالك في قلوبهم، فينشأ عن ذالك الفرح والسرور على قدر الإيمان والمحبة لمن ذكر، ما يحملهم على الرقص والتصفيق والتمزيق والصياح وغيره على قدر تفاوتهم في المحبة لما في الحديث: قيل لرسول الله ﷺ: نرى مؤمنا يخشع، ومؤمنا لا يخشع. ما السبب في ذالك؟ فقال ﷺ: "من وجد لإيمانه حلاوة، خشع، ومن لم يجدها، لم يخشع"[1] الحديث.

وشكى بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر، ولا يجد له حلاوة في قلبه. فقال: لأنك عندك بنت إبليس، وهي الدنيا، ولابد للأب أن يزور ابنته في بيتها، وهو قلبك، ولا يؤثر دخوله إلا فسادا. وقال أبو تراب ﷺ: إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوة قبل أن يعمله، وإذا أخلص فيه، وجد حلاوة مباشرة العمل. والأعمال الموصوفة بهاذه الصفة مقبولة بفضل الله تعالى.

الحاصل، فإن كان الراقص رقص من حلاوة إيمانه، ومحبته في الله وفي رسوله ﷺ وفي أوليائه، فهاذا لا يتعرض له أحد، وإنما التعرض للراقص على آلة الطرب وميزانها وكثرة هولها، ولا سيما اليوم زاد أهل وقتنا على البنادير الطرور والطبلات والطاسة والطاسات، وفي بعض الأحيان يزيدون في الهول الغيطة والغيطات، حتى لا يسمعون هم ولا غيرهم من الحاضرين سيما من كثرة الهول، والناس أهل الذوق حاجتهم بسماع الذكر الذي يخرج من أفواه الذاكرين، مما (قالوه)[2] الناس من كلام العارفين بالله، وحين يكثر الهول لا يسمع أحد شيئا، لا ما يذاق ولا ما يلذ، لأن معاني تلك الأذكار هي التي تجلب المواجد والمواهب، لما في الحديث: "إن لله نفحات، فتعرضوا لها"[3].

فإذا كثر الهول، يكون الرقص على هول المواعين، وإنما يرقص الراقص صناعة لا لمعاني ولا لوجد، وإنما ذالك تصنع لما يرى الناس، وهو عين الحرمة، لا من أهل المواعين ولا من الراقصين.

وحرمة ذالك من وجوه ثلاثة:

-الوجه الأول: من جهة التصنع لما يرى الناس، فيدخله الرياء، والرياء حرام.

-الوجه الثاني: من قبل القيام والصياح من غير موجب، وقبل سماع الذكر، وليس وجد قبل الذكر، فيكون لهوا ولعبا، وذالك حرام.

-الوجه الثالث: الرقص على ميزان المواعين وغيرها من غير سماع الذكر ولا فهم معانيه، مع كون سماع المعاني وفهمها هي التي تخرق القلب وتزعج الذات، حتى يقع التصفيق والرقص والتمزيق والصياح والهيام. فإذا كثر الهول كما قلنا، غاب فهم المعاني، ولم يحضر وجد، ولم تحصل فائدة. وما لا فائدة فيه يحرم فعله، والاغتباط فيه.

---

[1] دلائل الخيرات: 18.
[2] كذا.
[3] المعجم الأوسط. رقم: 6243..

أخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن المنكدر[1] والدينوري[2] عن مجاهد[3] والديلمي عن جابر، قالوا: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة، قال الله تعالى: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم عن مزامير الشيطان؟ ميزوهم. فيميزون في كثائب المسك والعنبر، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم من تسبيحي وتحميدي وتمجيدي وهيللتي. قال: فيسبحون بأصوات لم يسمع السامعون بمثلها قط"[4].

وأما إن كان الراقص مغلوبا عليه فمسلم. فينبغي حينئذ للحاضرين معه أن يعينوه على حاله بما أمكن مما يهيجه ويقويه، حتى تتمكن منه المواهب والموارد، ويقومون معه لسترته، كما نص على ذالك –أئمة الطريق ﷺ، وحق له الرقص عند ذكر محبوبه، كما قيل:

[الطويل]

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكَ هَزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

وقال الشيخ سيدي محمد بن محمد بن الحسن الدادسي الووزغتي ﷺ:

اَلْعُــودُ يَــابَسْ مَــا يَنْهَــزّْ وَلَــوْ يْكُــونْ الــرِّيحْ قْــوِي
وَالذِي بِغَيْــرْ أَشْــوَاقْ انْهَــزْ هَــاذَاكْ يُــسَمَّى بِــدَعْ

وكان الشيخ أبو مدين الغوث ﷺ في ابتداء أمره يحركه الوجد عند السماع، فكان يتواجد ويرقص، وشهرته بالعلم أكثر. وكان أستاذه الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، العارف بالله أبو الحسن، سيدي علي بن حرزهم[5] العثماني ﷺ. ولما اشتهر أبو مدين وظهر مع الفقراء بما ظهر فيه، وبلغ خبره لقاضي الوقت، لم أقف على اسمه، بأنه يحضر مع أهل الحضرة، ويرقص معهم، جاء القاضي يوم الجمعة إلى الشيخ ابن حرزهم، شيخ أبي مدين المذكور، وشكى له بما يفعله أبو مدين، فقال له: كيف يا سيدي وهو عالم من علماء المسلمين، ومنسوب ومحسوب عليك، ويكون على هاذه الحالة، يدخل لحضرة العوام، ويرقص معهم فيها، هاذا والله لا ينبغي لمن ينتسب لجنابك أن يكون على هاذا الحال، وما رضينا ذالك له ولا لك. فقال الشيخ ابن حرزهم للقاضي: وهل رأيته؟ فقال: لا. ولاكن بلغني ذالك عن كم من واحد. فقال الشيخ: إن كنت رأيته فنعم، وإلا فلا

---

[1] محمد بن المنكدر (130هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار:57.
[2] أبو العباس، أحمد بن محمد الدينوري (-340هـ). ترجمته في: بغية السالك: 392-393. لواقح الأنوار: 174.
[3] مجاهد بن حنين (102هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار:58.
[4] تفسير القرطبي: 13/14.
[5] علي بن إسماعيل بن حرزهم (-559هـ). ترجمته في: التشوف: 168-173. بغية السالك: 387-389. نيل الابتهاج: 309-310. الروض العطر: 58-70. سلوة الأنفاس: 3/90-94. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف:13/2، هامش:45.

تثق بأحد في قوله، فإن الناس لها أغراض في الناس. فقال الشيخ للقاضي: ابعث له عونا من أعوانك يناديه. فبعث القاضي عونا من أعوانه، فذهب العون، وأبطأ جدا. فبعث القاضي ثانيا، فأبطأ كذالك، ثم ثالثا فأبطأ كذالك، كقضية أهل الصفة معه ﷺ المتقدمة. فعند ذالك قال الشيخ للقاضي: قم بنا إليه، حتى تنظر بعينك. فقام الشيخ والقاضي، وذهبا معا إلى الزاوية. والقاضي مراده توبيخ أبي مدين، والشيخ مراده رؤية القاضي ما لا يعلم. ولما قربا من الزاوية، لقيهما بعض الناس من الفقراء ممن كان في الزاوية، فسأله القاضي عن أبي مدين، فقال: إنه هناك يرقص في الحضرة. فقال له: أين الأعوان؟ فقال: إنهم يرقصون معه. فزاد الشيخ والقاضي. فلما بلغا للزاوية، فإذا بالحضرة والفقراء يرقصون، وأبو مدين معهم والأعوان، كما أخبرهما الذي لقياه. فدخل الشيخ الزاوية ولم يتحرك فيه شيء، والقاضي خلع النعل من إحدى رجليه، ودخل بالآخر، وجعل يطرح ثيابه، حاجة بعد حاجة، إلى أن بلغ للصف في السراويل فقط، وهو يرقص ويعلو أكثر من الراقصين. فعند ذالك هدأه الشيخ، وقال له: أعلى هاذه الفضيحة تدور؟ هاكذا وقفنا عليه في بعض كتب التواريخ والتعريف بكرامات الشيخ أبي مدين وابن حرزهم، نفعنا الله بهما، آمين.

قلت: إعلان هاذه القضية هي كانت سبب نظم الشيخ أبي مدين، رحمه الله، القصيدة آلتي مطلعها:

تَضِيقُ بِنَا الدُّنْيَا.

إلى أن قال، بعد أبيات:

[الطويل]

يُحَرِّكُنَا ذِكْرُ الأَحَادِيثِ عَنْكُمْ   وَلَوْلاَ هَوَاكُمْ فِي الْحَشَا مَا تَحَرَّكْنَا

فَقُلْ لِلَّذِي يَنْهَى عَنِ الْوُجْدِ أَهْلَهُ   إِذَا لَمْ تَذُقْ مَعْنَى شَرَابِ الْهَوَى دَعْنَا

إِذَا اهْتَزَّتِ الْأَرْوَاحُ شَوْقًا إِلَى اللِّقَا   نَعَمْ تَرْقُصُ الْأَشْبَاحُ يَا جَاهِلَ الْمَعْنَى

أَمَا تَنْظُرُ الطَّيْرَ الْمُقَفَّصَ يَا فَتَى   إِذَا ذَكَرَ الْأَوْطَانَ حَنَّ إِلَى الْمَغْنَى

يُفَرِّجُ بِالتَّغْرِيدِ مَا بِفُؤَادِهِ   فَتَضْطَرِبُ الْأَعْضَاءُ فِي الْحِسِّ وَالْمَعْنَى

وَيَرْقُصُ فِي الْأَقْفَاصِ شَوْقًا إِلَى اللِّقَا   فَتَهْتَزُّ أَرْبَابُ الْعُقُولِ إِذَا غَنَّى

كَذَالِكَ أَرْوَاحُ الْمُحِبِّينَ يَا فَتَى   تُهَزِّزُهَا الْأَشْوَاقُ لِلْعَالَمِ الْأَسْنَى

أَنُلْزِمُهَا بِالصَّبْرِ وَهِيَ مَشُوقَةٌ   وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ مَنْ شَاهَدَ الْمَعْنَى

إِذَا لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ النَّاسُ فِي الْهَوَى   فَبِاللهِ يَا خَالِي الْحَشَا لاَ تُعَنِّفْنَا

وَسَلِّمْ لَنَا فِيمَا ادَّعَيْنَا لِأَنَّنَا   إِذَا غَلَبَتْ أَشْوَاقُنَا رُبَّمَا صِحْنَا

وَتَهْتَــزُّ عِنْــدَ الاسْــتِمَاعِ قُلُوبُنَــا   إِذَا لَمْ نَجِــدْ كَــتْمَ الْمَوَاجِــدِ (بَرَّحْنَــا)[1]

ثم قال:

وَصُنْ سِرَّنَا فِي سُكْرِنَا عَنْ حَــسُودِنَا   وَإِنْ (أَبْصَرَتْ)[2] عَيْنَاكَ شَيْئًا فَــسَامِحْنَا
فَإِنَّــا إِذَا طِبْنَــا وَطَابَــتْ نُفوسُــنا   وَخَامَرَنَــا خَمْــرُ الْغَــرَامِ تَهَتَّكْنَــا
فَلاَ تَلُمِ الــسَّكْرَانَ فِــي حَــالِ سُــكْرِهِ   فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيــفُ فِــي سُــكْرِنَا عَنَّــا

فانظر أخي، رحمك الله، إلى القاضي، فإنه لما أراد الله به الخير والشفاء مما كان به من الوهم وسوء الظن بأهل هاذه الطريق، ألهمه إلى ملاقاة أهل الدواء، وذهب إلى الشيخ ابن حرزهم، فقصد الشكوى لأبي مدين والإنكار عليه مما يصدر منه وزجره عنه، فكشف الغيب خلاف ذالك من عدم ذوقه، فكان اعتراضه وشكواه من عدم ذوقه، ولما ذاق، صدر منه ذالك الفعل الذي نهى عنه غيره، كما قيل[3]: [الرجز]

أَتَنْهَى عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ   عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ولأن العامة تقول: لا تعب لئلا تبتلى. وهو المعنى بقول أبي مدين في القصيدة المذكورة[4]، بقوله: فقل للذي ينهى عن الوجد أهله. أي: قل يا شيخ للذي ينهى، يعني القاضي، أهل الوجد عن الوجد، إذا ظهر فيهم، إذا لم تذق معنى شراب الهوى، أي المحبة، دعنا ولا تلمنا.

وانظر إلى الطير الذي هو في القفص، إذا اشتاق إلى وطنه وطيرانه، جعل يغني ويغرد ويصيح ليفرج عن فؤاده بذالك التغريد ما به من الشوق والهم، حتى يزيد على التغريد بالرقص، واهتزاز أعضائه كلها.

وكذالك أرواح المحبين المشتاقين تهززها الأشواق، ولا تقدر ولا تقوى على الصبر في تلك الساعة، ولا يكلفها به أحد، وإذا كلفت، لم تطقه، لأنها تكون في عالم آخر.

ثم قال: إذا لم تذق أيها القاضي ما ذاقت الناس من حر الهوى، يعني المحبة ونارها، فبالله يا خالي القلب من تلك المحبة لا تعنفنا ولا تزعفنا بنهيك واعتراضك علينا، وسلم لنا فيما رأيته صدر منا، لأننا إذا غلبت علينا أشواقنا إلى من نحبه، ربما صحنا مما نزل بنا، وصفقنا وشطحنا ومزقنا، لأننا تهتز عقولنا عند سماع الحديث عمن نهواه ونحبه، حتى إذا لم نجد، يعني نقدر على كتم ما ينزل بنا وعلينا، برحنا به وبحنا:

---

[1] الديوان: صرحنا.
[2] الديوان: أنكرت.
[3] انظر بغية السالك: 19. وفيه: لا تنه عن خلق.
[4] الديوان: 59.

[الطويل]

(ألاَ فَاسْقِني خَمْراً)[1] وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ   ولاَ تُسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الْجَهْرُ

وَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى الخ[2].

وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا إن أمكنك صونه وبقيت صاحيا، وإن أنكرت عيناك شيئا مما لم تذقه ولم تعرفه فسامحنا، (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)[3]. ولا تلم السكران في حال سكره، وأنت (صاحيا)[4] **لم تذقها ولم تستنشقها، فإن السكران في حال سكره يرفع عنه التكليف الشرعي الذي كلف به الصاحي، لأنه** مغلوب عليه، فسلم لنا في سكرنا ما ادعيناه، ما رأيته أو سمعته، لأننا إذا غلبت علينا أشواقنا، أي أحوالنا، لأجل اهتزاز قلوبنا عند استماع المعاني، ولم نجد، أي نطق صبرا لما يرد على القلب من المواجد والمواهب والموارد، ربما صحنا وبرحنا وصفقنا ومزقنا. فإن أنكرت عيناك أيها الصاحي شيئا من ذالك، فسامحنا، وسلم لنا ولا تلمنا، فإنا إذا طبنا وطابت، أي نشطت نفوسنا بسكرها بخرق المعاني لها، وخامرنا خمر الغرام، تهتكنا، وفاضت عناية الله فينا، فتبخترنا وشطحنا بمعاني الممدوح في الذكر، والممدوح هو المقصود. وقلت ملحونا في المعنى:

مَنْ لاَمْنِي فِي هَوَايَا مَا لُو ادرَايا لِلْحُبْ مَادًّا غَايَا

(الِّي)[5] عَشَقْتْ أَنَايَا مَالُوا نْهَايَا حُبُّ سْكَنْ فِي عْضَايَا

سُلْطَانْ كُلّْ (اوْلاَيا)[6] صَاحِبْ الَعْنَايَا هُوَ الطَّبِيبْ (دْوَايَا)[7]

هُوَ ذِكْرِي (وَعْنَايَا هُوَ مْنَايَا)[8] هُوَ حَجِّي وْصَلاَيَا الْعَاشْقِينْ مْعَايَا

---

[1] ساقط من المخطوط. الزيادة والتصحيح من ديوان أبي نواس.
[2] ديوان أبي نواس: 242. والقصيدة مكونة من 13بيتا.
[3] سورة الإسراء: 36.
[4] كذا.
[5] ج: الذي.
[6] ج: الاوليا.
[7] ج: لدايا.
[8] ج: واغنايا يا من هو منايا.

(سَيّدْ)[1] الْبَرَايَا   نَارْ الَهوَى (مْدَايَا)[2]

وقلت أيضا:

مَنْ لاَمْنِي فِي هْوَايَا   يَلْقَى   بْلاَيَا   حَتَّى يْجَرَّبْ دَايَا

يَكْوِي زَيْ كْوَايَا   يَبْكِي   بْكَايَا   يَعْذَرْنِي فِي هْوَايَا

يَشْرَبْ مَا مِنْ مَايَا   يَرْوَى   ارْوَايَا   يَغْرَفْ دْوَايَا مِنْ دَايَا

يَدْخُلْ اسْوَاقْ مْعَايَا   يَشْرِي   شْرَايَا   حَتَّى يْسِيرْ نْهَايَا

اَلْحَامْلِينْ   الرَّايَا   وَقْفُوا   هْنَايَا   اَلْحِقْدْ رَاهْ وْرَايَا

(هُوَ)[3] كْلاَمْ وْصَايَا   مَا هُوَ   حْكَايَا   لِلْفَاهْمِينْ   الْغَايَا

فهاذه المعاني التي تخرق الحشا وتهز الأعضاء، وتجلب العقول لعالم آخر، لأنها خرجت وبرزت من قلوب كذالك، فعند ذالك يقع الصياح والرقص والتصفيق والتمزيق والرعدة والبرودة والسخانة والعرق والقلق والعري والذهول والوله، والناس في ذالك أحوال، كل واحد وحاله، لأنهم ألوان وأشكال، فكل واحد وبم تشرق به حاله، وما يرد عليه.

وقد تقدم بل تكلم أهل الذوق في هاذه المعاني وأشاروا، وكثيرا ما قالوا منظوما وملحونا، وكل واحد ومشربه، الزهر ألوان والماء واحد.

وللإمام الششتري[4] في هاذا المعنى ديوان وقفت عليه في الملحون منه قوله:

يَا نَدِيمْ امْلأْ الْأَوَانِي   وَاسْقِنِي كَاسْ الْحَمِيَّا

أَنَا مَحْبُوبِي دْعَانِي   نَغْتَنَمْ سَاعَا هْنِيَّا

---

[1] ب، ج: سيدي.
[2] ج: حدايا.
[3] ج: هذا.
[4] علي بن عبدالله النميري الششتري (-668هـ). ترجمته في: الديباج: 321، رقم: 409.

ذَا الشّرَابْ لَهُ أَوَانِي   مَا يْذُقْهُ مَنْ هُوَ جَاهَلْ

إلاَّ مَنْ يَدْرِي الْمَعَانِي   وَيْكُنْ فِي الْحُبْ وَاصَلْ

افْرَحْ يَا رُوحِي بِرُوحِي   لاَحَتْ الأَنْوَارْ عَلِيّا

أنَا مَحْبُوبِي دْعَانِي   نَغْتَنَمْ سَاعَا هْنِيًّا

إلى آخرها، وهي قصيدة كبيرة طويلة، وكل قسم منها ينسيك ما قبله.
وقال في غيرها:

مَنْ يَهِيمْ فِي جَمَالِي   وَيْعَوِّلْ عَلَيَّا

لاَ يَرَى مَعِي غَيْرِي   لَوْ يَذُقِ الْمَنِيًّا

وهي طويلة أيضا .
وقال المجذوب[1]، رحمه الله تعالى، في كلام رباعي كثير، وقفت عليه في كنانيش، منه قوله:

أَهْلُ الْحُبْ قَالُوا لِي   إذَا بْلاَكْ اللهْ بِهَا

مَقَامْهَا عَالِي غَالِي   أَهْلُ الْكُتُبْ حَارُوا فِيهَا

وقال أيضا:

لاَ (تَحِـــــبْ)[2] إلاَّ بِوْصُــــولْ   وَلاَ وْصُـــــولْ إلاَّ غَـــــالِي
وَلاَ شْـــــرَابْ إلاَّ مَخْتُـــومْ   وَلاَ مَقَـــــامْ إلاَّ عَـــــالِي

وقال أيضا:

---

[1] أبو زيد، عبدالرحمان بن عياد المجذوب (-976هـ). ترجمته في: طبقات الحضيكي: 434440/2. رقم: 574.
[2] ب: محب. ج: محبة.

قَلْبِي مْرِيضْ مْرِيضْ مْرِيضْ (وَالْهَـــوَى زَلَّـــعْ بِيَــا)[1]
(مَــــا لِـــــي دْوَا إِلاَّ رَبّْ وَالـــــصَّالِحِينْ مَوَالِيَـــا)[2]
(وَمَالْ قَلْبِي يَـارَبّْ)[3] نْعَـالَجْ مــــا أَبَـــــى يَبْـــــرَا
وَقَــــالْ وَاحِــــدْ خَمَّــــارْ مَــــا ادْوَاهْ إِلاَّ الْحَــــضْرَا

وقال أيضا:

الْحُبْ مَنَّكْ مَــا هُــوَ لِــي وَأَنْــتَ الْحبيــبْ (إِلِّــي)[4] نَهْــوَا
أَيَـــا حَبِيبِــــي مُحَمَّـــدْ ريـــــتْ حُبَّـــكْ فِيـــهْ دْوَا

ومن كلام الشيخ سيدي محمد الشرقي[5]، نفعنا الله به، وله كلام كثير منه قوله:

انْظَرْتْهُمْ نَظْرُونِي شَرَقُوا عْيُونِي وَشْفَوْا مِنِّي كِيفْ شْفِيتْ أَنَا

ومنه أيضا:

ارْقَدْتْ فِي يَدِّي مَدْرَعْ قَوْسِي مْطَلَّعْ لِمَنْ لْقِيتْ نْزَلَّعْ

ومنه أيضا:

الْغَادِي سَايَحْ بَرِّي السَّوَايِحْ هَذِي بْلاَدْ (سْلاَلَخْ)[6] وَالْغَابَا

وقلت:

سَاقِي الرَّحَالْ سْقَانِي كَاسُو رْوَانِي رَبّْ الْكْرِيمْ عْطَانِي
مَنْ ذَاقْ بِالإِخْوَانِي كَاسْ الْمَعَانِي يَبْقَى يْهِيمْ نَشْوَانِي

---

[1] ج: ساقط.
[2] ج: ساقط.
[3] ج: ساقط.
[4] ج: الذي.
[5] محمد بن قاسم الشرقي (-1010هـ). ترجمته في: التقاط الدرر: 27. طبقات الحضيكي:339340/2.
[6] ب: سايخ.

يَرْقُصْ عَلَى الدَّنْدَانِي فِي حَالُ عَانِي (لِأَنَّهُ)[1] عَشِيقْ وَفَانِي

بِيرْ لَغْرَامْ دْعَانِي بِمُحَالْ جَانِي عَيَّطْتْ يَا تَمْحَانِي

إلخ.

والقصائد في هاذا المعنى لا تحصى لسيدي عبد الوارث اليصلوتي[2]، وسيدي الحاج المفضل، وسيدي محمد بن الحاج، دفين وطا فرقاشة، وللأديب ابن زاكور[3] المكناسي، ولغيرهم ممن لا نعرفه، ولابن الفارض[4]، ﷺ، وسقانا من مددهم بفضله وكرمه آمين.

وكذالك أيضا في مدح النبي ﷺ كما للشيخ سيدي محمد بن سعيد البوصيري، والشيخ ابن الفارض، والشيخ سيدي عبد الرحيم البرعي، والرفاعي، والبغدادي[5]، وعياض[6]، والإمام البكري[7]، وغيرهم ممن لم يحضرني.

وسمعت من أخ في الله، وكان حافظا، رحمه الله، أنه كان يحفظ من كلام ابن الفارض ستة آلاف بيت، وسيأتي التعريف به، إن شاء الله، ولاسيما القصيدة المشهورة بمدح النبي ﷺ، ولم أقف على ناظمها، وهي:

[الطويل]

تَنَعَّمْ بِذِكْرِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ وفِي ذِكْرِهِ الْعَيْشُ الْمُهَنَّأُ وَالْأُنسُ

أَيَا شَادِيًا يَشْدُوا بِأَمْدَاحِ أَحْمَدِ سَمَاعُكَ طِبٌّ لَيْسَ يَعْقُبُهُ نَكسُ

فَكَرِّرْ رَعَاكَ اللهُ ذِكْرَ مُحَمَّدِ فَقَدْ لَذَّتِ الْأَسْمَاعُ وَارْتَاحَتِ النَّفسُ

وَطَابَ نَعِيمُ الْعَيْشِ وَاتَّصَلَ الْمُنَى وأَقْبَلَتِ الْأَفْرَاحُ وَانْتَعَشَ الْحِسُّ

أَلاَ فَاسْمَعُوا فَخْرًا مَاثِلَ مَجْدِهِ فَقَدْ عَزَّ أَنْ يُلْقَى لَهُ فِي الْوَرَى جِنسُ

لَقَدْ عَجَزَتْ عَنْ أَنْ تُحِيطَ بِوَصْفِهِ وَأَمْدَاحِهِ الْأَقْلَامُ وَالنَّفْسُ وَالطِّرْسُ

أَيَا سَامِعِي ذِكْرَ الْحَبِيبِ تَأَهَّبُوا فَقُومُوا بِنَا نَشْكُوا فَقَدْ سَامَنَا الْيَأْسُ

---

[1] ج: بل.

[2] أبو محمد، عبدالوارث بن محمد اليصلوتي (-1076هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 5-6. الروض العطر الأنفاس: 309. سلوة الأنفاس: 246/1.

[3] الأديب ابن زاكور المكناسي (-1120هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 220/3-221.

[4] عمر بن أبي الحسن ابن الفارض (-632هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: 456/3. شذرات الذهب: 149/5.

[5] أبو بكر، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (463هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:58/1، هامش: 147.

[6] عياض بن موسى اليحصبي السبتي (-544هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:103/1، هامش: 378.

[7] شمس الدين، أبو المكارم، محمد بن محمد البكري (-994هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 289/1. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف:232/1، هامش: 990.

وَقُوفًا عَلَى الْأَقْدَامِ فِـي حَـقِّ سَـيِّدٍ تُعَظِّمُهُ الْـأَمْلَاكُ وَالْجِـنُّ وَالإِنْـسُ
فَيَا جُمْلَـةَ الْعُـشَّاقِ أَيْـنَ وُلُـوعَكُمْ فَشُهْرَتُكُمْ فِي حُبِّهِ مَـا بِهَـا بَـأْسُ
أَلَا فَـاطْرَبُوا أُنْـسًا بِحُـبِّ مُحَمَّـدٍ فَقَدْ لَاحَتِ الْأَنْوَارُ وَارْتَفَـعَ اللُّـبسُ
فَكُـلٌّ لَـهُ عُـرْسٌ بِـذِكْرِ حَبِيبِـهِ ونَحْنُ بِذِكْرِ الْهَاشِـمِيِّ لَنَـا عُـرْس

فهاذه المعاني هي التي ترقص وتحزن القلوب وتبتكها من أهل المحبة والذوق وتزعجهم، حتى يصدر منهم ما يصدر وتحرك منهم ما سكن، وبالشطحة قبل النقرة من غير ذكر ولا معنى، كما يفعله اليوم أهل زماننا.

ولهاذا ومن أجله كان السماع والرقص جائزا في حق قوم، ومحرما في حق آخرين. قال عز الدين بن عبد السلام، رحمه الله تعالى: والوجد أقسام، ما نزل على الرأس اهتز به، وما نزل بالعين أبكاها، وما نزل باليدين صفق بهما أو مزق، وما نزل بالرجلين رقص بهما، وما نزل باللسان صاح به، وما نزل بالقلب غشى عليه، ومن أراد السلامة فليسكن دار السلام.

وقال في النصيحة الكافية: ولا ينكر على الفقير إلا محرم مجمع على تحريمه[1]. ويعني هنا بالفقير السالك الذي لاحت عليه علامات الخصوصية.

قال في "الجامع": "ويسلم لمن ظهرت عليه آثار الولاية فيما يباح"[2]، كغلبة الحال والجذب، فيكون ما صدر من الفاعل يقبل التأويل، كقصة موسى مع الخضر، عليهما السلام، المذكور في الكهف من القرآن وفي البخاري.

فإن قيل: فمن لنا بأن هاذا الراقص إنما حمله عليه محبة الله ومحبة رسوله، ووجود الفرح بذالك، كما قال الششتري:

اِفْرَحْ يَا رُوحِي بِرُوحِي لَاحَتْ الْأَنْوَارْ عَلَيَّا

قلنا: هاذا أمر لا سبيل لأحد إلى الاطلاع عليه، وإنما يعلمه علام الغيوب، العالم بذات الصدور، لأن الشارع ﷺ نهانا عن التطلع على ذالك، والبحث عنه، كما في حديث أسامة ﷺ حين قال له ﷺ: أقتلته بعدما قال لا إلاه إلا الله. فقال أسامة: إنما قالها خوفا من السلاح. فقال ﷺ: أفلا شققت على قلبه"[3]. الحديث.

---

[1] النصيحة الكافية: 100.
[2] الجامع لجمل من الفوائد والمنافع: 7ب.
[3] صحيح مسلم: 96/1. كتاب الإيمان. رقم: 96.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: "إن (أناسا كانوا يؤخذون)[1] على عهد رسول الله ﷺ بالوحي، والوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه، وليس من سريرته شيء، الله يحاسبه بسريرته، ومن أظهر لنا سوءا، لم نأمنه ولم نصدقه"[2].

واعلم أخي أن السماع سفر إلى الحق، ورسول من الحق، وهو في لطائف الحق وزوائده، وفوائد الغيب وموارده، وبوادي الفتح وعوائده، ومعاني الكشف وبشائره، فهو للأرواح قوتها، وللأشباح غذاؤها، وللقلوب حياتها، وللأسرار بقاؤها، فطائفة أسمعها الحق بنعت الرحمة، وطائفة أسمعها الحق بشاهد التوبة، وطائفة أسمعها بنعت الربوبية، وطائفة أسمعها بوصف القدرة، فقام الحق لهم مسمعا وسامعا، وإليه أشار الششتري بقوله:

اِسْمَعْ قَوْلِي اِسْمَعْ قَوْلِي بَدِيعْ

(لِمَنْ نَقُولْ)[3] اِسْمَعْ وَأَنَا السَّمِيعْ

أَنَا هُوَ الْقَائِلْ وَالْمُسْتَمِعْ

فإن السماع هتاك السر، وكشاف السر ومرقة .لمعت، وشمس طلعت، وسماع الأرواح. فإسماع القلوب على بساط القرب بشاهد الحضور، ومن غير تصور النفس، فيكون في كل فكرة ولحظة، وتدبر وتفكر، وهبوب كل ريح، وحركة كل شجرة، وخالق كل ناطقة في الكون، وتراهم والهين حيارى، مرافقين له أسارى، خاشعين سكارى.

واعلم أن الله، جل جلاله، خلق من نور بهائه سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين، وأقامهم بين العرش والكرسي في حضرة الأنس، لباسهم الصوف الأخضر، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قاموا متواجدين والهين، حيارى خاشعين، سكارى منذ خلقوا والهين يهرولون من ركن العرش إلى ركن الكرسي، لما بهم من شدة الوله، فهم صوفية أهل السماء، إخواننا في النسب، فإسرافيل قائدهم ومرشدهم، وجبريل رأسهم ومتكلمهم، والحق تعالى أنيسهم ومليكهم، فعليهم السلام. انتهى من خط الإمام الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد[4]، العارف بالله ﷺ مع هاذه الأبيات[5]:

---

[1] في المخطوط: "إن ناسا كانوا يأخذون"، التصحيح من صحيح البخاري.
[2] صحيح البخاري، كتاب الشهادات، رقم: 2641.
[3] ب: لم نقول.
[4] عبدالرحمان بن محمد الفاسي (- 1036هـ). ترجمته في: الروض العطر: 110-115. التقاط الدرر: 85-86. نشر المثاني: 150/1. سلوة الأنفاس: 341/2-345. زهر الآس: 70-71. الفكر السامي: 275/2. الحركة الفكرية: 366.
[5] انظر التشوق: 276277، مع تقديم وتأخير.

[الطويل]

وَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ السَّمَاعُ بِطِيبِهِ فَذَالِكَ أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى التَّصَوُّرِ
وَأَهْلُ الحِجَا أَهْلُ الْحِجَازِ وَكُلُّهُمْ رَأَوْهُ مُبَاحًا عِنْدَهُمْ غَيْرُ مُنْكَرِ
وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قَالَ زَيِّنُوا بِأَصْوَاتِكُمْ آيَ الْكِتَابِ الْمُطَهَّرِ
فَإِنْ تَكُ مُغْرًى بِالسَّمَاعِ وَطِيبِهِ فَحَسْبِي اقْتِدَاءً بِالْكَرِيمِ ابْنِ جَعْفَرِ
زِيَادَةُ حُسْنِ الصَّوْتِ زِينَةٌ يَرَوْنَ بِهَا بَحْرَ الْقَرِيضِ الْمُجْتَرِ
فَكُلُّ امْرِئٍ عَابَ السَّمَاعَ فَإِنَّهُ مِنَ الْجَهْلِ فِي غَشْوَائِهِ غَيْرُ مُبْصِرِ
وَهَامَ بِهِ أَهْلُ التَّصَوُّفِ رَغْبَةً لِتَهْيِيجِ شَوْقٍ نَارُهُ لَمْ تُسَعَّرِ
وَزَانَتْ لِدَاوُودَ النَّبِيِّ زَبُورُهُ مَزَامِيرُهُ بِالنَّوْحِ فِي كُلِّ مَحْضَرِ
وَللهِ فِي الْأَرْوَاحِ عِنْدَ ارْتِيَاحِهَا إِلَى اللَّحْنِ سِرٌّ لِلْوَرَى غَيْرُ مُظْهَرِ

وقد أكثر الناس الكلام في هاذا الشأن، وأطالوا مما لا يطيقه هاذا التقييد، لاكن اختصرنا منه ما هو ظاهر ومفيد. والله سبحانه المقصود والمسؤول أن يذيقنا حلاوة ما قلناه بجاه سيدنا ومولانا محمد عظيم الجاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من والاه.

والقصد بهاذا والمراد، الاقتداء بقول خير العباد: "الدين النصيحة"[1]، و"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[2]. وكله منتخبا من كلام الأئمة الأقدمين المحققين، ونصوص السادات العارفين، وشواهد المحدثين، ونصائح الناصحين، ولست من أهل الاختراع والابتداع، وإنما رجائي وقصدي في الانتفاع.

وإن جميع ما ذكرناه وتكلمنا عليه، من الرقص والسماع والهز وغير ذالك، فإنما هو في حق السالكين من أهل المحبة والشوق والوجد، الذين غلب عليهم واردهم، وخرجهم عن الصحو. وأما أهل الجذب المغلوبون، فلا سبيل لأحد في الكلام معهم في ذالك، وكيفما عملوا فهم أولى بالتسليم. ولا تفهم أخي أن التسليم المطلوب في العموم، بل إنما التسليم للغائب غيبة اتصال، أو غيبة انفصال، أي غيبة جذب متصل، أو جذب ممزوج بالسلوك انتهى .

واعلم أخي أن أهل هاذا الفن مستمدون من علم أصله قديم أزلي، أبرزه الله تعالى للوجود يوم خلق الأرواح كالذر، قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ

---

[1] صحيح البخاري: 26. كتاب الإيمان. باب قول النبي ﷺ: "الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى: (إذا نصحوا لله ورسوله).
[2] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي. رقم 01.

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى)[1]، فحينئذ حصل لكل واحد منهم ما حصل من التلذذ بخطابه، وبما سبق له من التخصيص الإلاهي القديم الذي يبدل ولا يحول، فوقع لهم حين سمعوا كلام الحق سبحانه مواجهة من الوله والطيش والذهول والقلق ما وقع، فمنهم من غاب عن وجوده، ومنهم من وله في شهوده، ومنهم من غرق في التلذذ بكلام معبوده، فعبروا عنه بالشراب. وهاذا العلم المخزون عند رسول الله ﷺ يفرقه على أولياء الله تعالى، كل واحد منهم بما سبق له في الأزل، فتبين أن هاذا الشراب الذي يعنون هو علم من علوم الله، مخزون عند رسول الله ﷺ، يغترف منه كل واحد منهم على قدر شربه من رسول الله ﷺ ومحبته فيه، وشدة شوقه إليه.

فيا له من علم ما أشرفه وأعزه وأنفسه، ﴿وَفِي ذَالِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2]، فيا سعد من منَّ عليه مولاه ولو بقطرة من شرابه، فتاه في جمال ربه وكماله.

وهو، أي الشراب، على عكس شراب الدنيا، كلما ازداد صاحبه شربا، ازداد صحوا، وهو الشراب الذي (يمدحونه)[3] أهل الغرام، وينوهوا بقدره في النظام، كقولهم:

[السريع]

يَـا سَـاقِي الْقَـوْمِ مِـنْ شَـدَاهُ	هَلْ كُـلُّ مَـنْ قَـدْ سَـقَيْتَ تَـاهُ
غَـابُوا وَبِالسُّكْرِ فِيـكَ طَـابُوا	وَصَـرَّحُوا بِـالْهَوَى وَفَـاهُ
يَـا عَـاذِلِي خَلِّنِـي وَشُـرْبِي	فَلَـسْتَ تَـدْرِي الشَّرَابَ مَـاهُ
قُـمْ وَاسْـتَمِعْ صَـفْوَةَ الْمَعَـانِي	فِـي صَـفْوَةِ الْكَـأْسِ إِذْ جَـلاَّهُ
وَاسْـمَعْ إِذَا غَنَّـتِ الْمَثَـانِي	تَقُولُ يَـا هُـوَ لَبَّيْـكَ يَـا هُـو
مَـا قُلْـتُ لِلْقَلْـبِ أَيْـنَ حُبِّـي	إِلاَّ وَقَـالَ الـضَّمِيرُ هَـا هُـو

وقولهم[4]:

[الطويل]

يَا مَنْ تَعَـاظَمَ حَتَّـى رَقَّ مَعْنَـاهُ	وَلاَ تَـرَدَّى رِدَاءَ الْكِبْـرِ إِلاَّ هُـو
(تَاهُوا)[5] بِحُبِّكَ أَقْوَامُ وَأَنْـتَ لَهُـمْ	نِعْمَ الْحَبِيبِ وَإِنْ هَامُوا وَإِنْ تَـاهُوا
وَلِي حَبِيبٌ عَزِيـزٌ لاَ أَبُـوحُ بِـهِ	أَخْشَى فَضِيحَةَ وَجْهِي يَـوْمَ أَلْقَـاهُ
أُغَالِطُ النَّـاسَ طُـرًّا فِـي مَحَبَّتِـهِ	وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْـبِ إِلاَّ هُـو

---

[1] سورة الأعراف:172.
[2] سورة المطففين: 26.
[3] كذا.
[4] هاذه القصيدة قال ابن عجيبة في شرحه لها إنها تنسب للشيخ الرفاعي. انظر سلسلات نورانية فريدة: 11.
[5] كذا.

قَالُوا أَتَنْسَى الذي تَهْوَاهُ فَقُلْتُ لَهُمْ   يَا قَوْمُ مَنْ هُوَ رُوحِي كَيْفَ أَنْسَاهُ
وَكَيْفَ أَنْسَاهُ وَالأَشْيَا بِهِ حَسُنَتْ   مِنَ الْعَجَائِبِ يَنْسَى العبد مَوْلاَهُ
مَا غَابَ عَنِّي وَلاَكِنْ لَسْتُ أُبْصِرُهُ   إِلاَّ وَقُلْتُ جِهَارًا قُلْ هُوَ اللهُ
مَاذَا يَقُولُ اللواحي ضَلَّ سَعْيُهُمْ   وَمَا تَقُولُ الأَعَادِي زَادَ مَعْنَاهُ
هَلْ غَيْرَ أَنِّي أَهْوَاهُ وَقَدْ صَدَقُوا   نَعَمْ نَعَمْ أَنَا أَهْوَاهُ وَأَهْوَاهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلاَّ مِنْ مَحَبَّتِهِ   فَإِنَّهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ أَلْقَاهُ
فَإِنْ يَقُولُوا بِأَنَّ الْحُبَّ مَعْصِيَةٌ   فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يَلْقَى بِهِ اللهُ

وكقول ابن الفارض، رحمه الله تعالى[1]:

[الطويل]

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً   سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ
لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا   هِلاَلٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

إلى أن قال[2]:   [الطويل]

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمْرُ سَاعَةٍ   تَرَى الدَّهْرَ عبد ا طَائِعًا وَلَكَ الحُكْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ   وَلَيْسَ لَهُ (مِنْهَا)[3] نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمُ

وقال الشيخ سيدي علي بن وفا[4]، رضي الله تعالى عنه:

[الطويل]

كَرِّرْ حَدِيثَ أَحِبَّتِي يَا مُطْرِبُ   إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الأَحِبَّةِ طَيِّبُ
أَحْيَيْتَ أَمْوَاتَ الْقُلُوبِ بِذِكْرِهِمْ   (فَاعَشْ)[5] وَقُلْ لاَ عَاشَ مَنْ لاَ يُطْرَبُ
وَإِذَا تَهَتَّكَ عَاشِقٌ مِنْ عِشْقِهِ   وَبَكَى وَبَاحَ بِسِرِّهِ لاَ يُعْتَبُ
مَنْ ذَا يُطِيقُ الصَّبْرَ عِنْدَ سَمَاعِهِ   أَوْصَافَ مَنْ لَهُمُ المَلاَمَةُ تُنْسَبُ
طَابَ السَّمَاعُ فَكُلَّمَا وَافَيْتَهُ   تِذْكَارُهُمْ مِنْ كُلِّ طِيبٍ أَطْيَبُ

---

[1] ديوان ابن الفارض: 179.
[2] ديوان ابن الفارض: 184.
[3] الديوان: فيها.
[4] علي بن محمد ابن وفا (807هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 315. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 110/1، هامش: 422.
[5] كذا.

وَعَلَـى الْوُجُـودِ أُدِيـرُ كَـأْسَ هَـوَاهُمْ ... يَـا أَيُّهَـا الظَّمْـآنُ لِـمَ لاَ تَـشْرَبُ
هُـمْ جِيـرَةُ الـوَادِي الـذِينَ بِقُـرْبِهِمْ ... تَحْيَـى قُلُـوبُ الْعَاشِـقِينَ وَتُـسْلَبُ

وقال كاتبه، يغفر الله له، آمين:

[الطويل]

بِمَدْحِ رَسُولِ اللهِ قَدْ لَـذَّ لِـي سُـكْرِي ... وَبِـذِكْرِهِ يَـسْلُو الْفُـؤَادُ وَيَفْـرَحُ
أَهِـيمُ بِـهِ وُجْـداً وَحُبًّـا وَرَغْبَـةً ... وَأَرْقُصُ مِنْ شَوْقِ الْحَبِيـبِ وَأَشْـطَحُ
فَيَـا مَعْـشَرَ الْعُـشَّاقِ هَـاذِهِ حَـالَتِي ... وَهَاذَا غَرَامِي لَيْسَ لِـي عَنْـهُ أَبْـرَحُ
حَبِيبِي وَمَحْبُـوبِي وَرَاحِـي وَرَاحَتِـي ... وَكَأْسِي وَمَشْرُوبِي مِنْهُ الْغُـصْنُ يَلْقَـحُ
عَلَيْـهِ صَـلاَةٌ مَـعَ سَـلاَمٍ مُوَاصِـلٍ ... عَلَى مَـنْ لَـهُ كُـلُّ الْخَلاَئِـقِ يَجْـنَحُ

فإذا تأملت أخي فيما سبق، فهمت معنى إشارتهم وما عنوا (بأمداحاتهم)[1]، وعلمت أن الماء واحد والزهر ألوان، فسبحان المتفضل المنان الذي تجلى لقوم بهيبة الجلال، فغرقوا في بحر الخوف، فأفنوا نفوسهم في تعاطي العبادات، وأمحقوا ذواتهم في ارتكاب المشقات، فلا يألفون الناس، ولا يحبون الاستئناس، وهم السادات العباد، الفارون بأنفسهم لشواهق الجبال والأوهاد.

وتجلى لقوم بالجمال فتاهوا في بسط الأفضال، وغابوا في سيدهم، وفقدوا غيره من قلوبهم، فلم يشاهدوا سوى الأنعام، وتقلبهم في الفضل والإكرام، فيرون النقمة نعمة، والمصيبة رحمة، فهم في مقام الرضا كيفما حكم عليهم القضا.

وأنشدوا:

[الوافر]

أَفْرَدَنِـي عَـنْهُمْ هَـوَاهُ ... وَلَـيْسَ لِـي مَقْـصَدُ سِـوَاهُ
أَهِـيمُ وَحْـدِي بِقَـصْدِ وُجْـدِي ... وَحُـسْنُ ظَنِّـي عَـسَى أَرَاهُ
لِـذِكْرِ صَـحْبِي غَـرَامُ قَلْبِـي ... وَمَـا دَرَوْا مَـا الـذِي دَهَـاهُ
أَحْيَـتْ مَـوْلَى إِذَا تَجَلَّـى ... اقْتَـبَسَ الْحَـقُّ مِـنْ سَـنَاهُ
تَحَيَّـرَ النَّـاسُ فِيـهِ طَـرًّا ... وَجُمْلَـةُ الْخَلْـقِ فِيـهِ تَـاهُ
وَلاَ أُسَـمِّيهِ غَيْـرَ أَنِّـي ... إِنْ غَلَـبَ الـشَّوْقُ قُلْـتُ فَـاهُ

---

[1] كذا.

قال ابن عباد ﷺ: "عباد الله المخصوصون ينقسمون إلى قسمين: (مقربون)[1] وأبرار. فالمقربون هم الذين اخذوا علم حظوظهم وإرادتهم عبودية له وطلبا لمرضاته، وهاؤلاء هم العارفون والمحبون. والأبرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وإرادتهم، وأقيموا في الأعمال والطاعات، ليجزون عنها برفع الدرجات، وهاؤلاء هم الزاهدون والعابدون. وكل واحد منهم ممدود في مقامه الذي هو فيه (بمقام)[2] إلاهي"[3].

والعارفون بالله حقا هم الذين قيل فيهم: قوم كنست بأرواحهم المزابيل[4]. وهم نوعان: أهل الدنيا والبرهان، وأهل الشهود والعيان. قال في الحكم[5]: "العارف إذا مدح انبسط، والعابد إذا مدح انقبض"[6]. لأن العارفين يرون الأشياء (كلها)[7] من خالقها وموجدها وهم غائبون عن الخلق، فيرون مدح الخلق لهم مدح من الله لهم، ولأن العابدين عليهم الخوف، فيروا أنفسهم غير مستحقين لذالك، لما شهدوا من أنفسهم من التقصير، وكلهم على صواب ﷺ بمنه وسقانا من مددهم بفضله آمين.

وقال أيضا ﷺ: العارفون قسمان: "مرادين ومريدين. قال: وإن شئت، قلت: مجذوبين وسالكين، وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق. قال الله تعالى: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)[8]. فالمريدون السالكون إلى الله تعالى في كل سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار، فالأغيار والأكوان ظاهرة لهم موجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم، فهم يستدلون بها عليه في حال ترقيهم، والمريدون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم، وتعرف إليهم، فعرفوه بهاذا الوجه، انحجبت عنهم الأغيار فلم يروها، فلم يستدلون به عليها في حال تدليهم. فهاذا هو حال الفريقين"[9].

ثم اعلم أن أهل هاذا الفن على قسمين: قسم ورثوا من رسول الله ﷺ أقواله وأفعاله وأحواله الباطنة، فحصلت لهم الاراثة الكاملة، فمن حصل له ذالك، فهو الوارث حقا، واستحق أن يكون خليفة عن رسول الله ﷺ في أمته، ونائبا عنه في منزلته، والمسمى بالقطب والفرد والجرس الذي لا يشارك في منزلته طول حياته، لأنه نائب في المقام عن خير الأنام، وقلبه على قلبه، وهو محل نظر الله تعالى فلا يحمل تلك النظرة غير قلبه

---

[1] شرح ابن عباد على الحكم: مقربين.

[2] شرح ابن عباد على الحكم: بمدد.

[3] شرح ابن عباد على الحكم: 58/1.

[4] انظر عوارف المعارف من الإحياء: 83/5. الطبقات الكبرى للشعراني: 128، ونسبه لنصر الدقاق الكبير . عدة المريد: 465.

[5] ب: في الحكم العطائية.

[6] في الحكم العطائية: 70. "الزهاد إذا مدحوا انقبضوا، لشهودهم الثناء من الحق، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا، لشهودهم ذالك من الحق".

[7] ب: ساقط.

[8] سورة الشورى: 11.

[9] شرح ابن عباد على الحكم: 27/1.

المؤيد المحفوظ، ومن تلك النظرة تفرق تلك الأمداد الإلاهية والمواهب اللدنية على جميع أولياء الله تعالى، حتى الملائكة يستمدون منه، وجميع خلق الله الوارثين من رسول الله ﷺ.

وقسم يلونهم في المرتبة، وهم قوم أخذوا عن رسول الله ﷺ أفعاله الظاهرة وأحواله الباطنة، كالزهد في الدنيا، والعلم، والحلم، والحياء، والصبر، والرضا، والقناعة، والتوكل، والمحبة، والتسليم، وتحمل الأذى، والتواضع، والغنى بالله تعالى، والفقر مما سواه، والمراقبة، وتطهير الباطن عن المحرمات القلبية، كحب الدنيا، والحسد، والبغض، والغش، والخيانة، والكبر، والرياء، وغير ذالك من الخصال المذمومة، وهي ضد ما ذكرناه أولا، ففاتهم العلم بأقواله ﷺ التي تمنع حاملها من الخروج عن الحد، وترده إلى السكينة والهدنة والتؤدة، ولم يحصلوا من الأقوال إلا ما يحتاجون في سلوكهم. فهاؤلاء ربما تغلب على بعضهم الأحوال، فتصدر منهم أقوال وأفعال، فربما صاحوا، وربما رقصوا وشطحوا، وتجد كثيرا منهم يميل إلى السماع، فإذا وجده سارع إليه حاله غاية الإسراع، وهاذا كله مما يدرك بالعيان، فلا يحتاج إلى إقامة برهان.

وقلت:

[المديد]

يَاَ أُهَيْلَ الْحَيِّ مِنْ حَـيِّ الْحِمَـا	وَحُمَـاةُ الْمُـستَجِيرِ الْمُـستَهَامْ
إِنَّنِـي عبـد ضَـعِيفٌ خَـائِفُ	مِنْ ذُنوبٍ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي عِظَـامْ
فَارْحَمُوا ذُلِّي وَسَـقَمِي وَالْعَنَـا	وَاصفَحُوا عَنْ مَا جَنَيْتُ مِنْ آثَامْ
أَنْتُمْ قَـصْدِي وَسُـؤْلِي وَالْمُنَـا	أَنْتُمْ رُوحِـي وَرَاحِـي وَالْمُـدَامْ
سَـادَتِي لاَ تَطْرُدُونِـي عَـنْكُمْ	وَاجْبُرُوا كَـسْرِي فَـأَنْتُمْ كِـرَامْ
فَبِحَـقِّ جَـاهِكُمْ وَمَجْـدِكُمْ	وَبِحَـقِّ رَبْعِكُـمْ وَبِالْخِيَـامْ
عَلِّلُـونِي بِلِقَـاكُمْ سَـادَتِي	ذَابَ جِسْمِي مِنْ هَوَاكُمْ وَالْغَـرَامْ
لاَ تَلُمْنِـي يَـا عَـذُولِي إِنَّنِـي	فِي هَوَاهُمْ لاَ أُبَالِي مِـنْ مَـلاَمْ
أَنَـا مَجْنُـونُ هَـوَاهُمْ وَالِـهٌ	فِيهِمْ فِـي حَيْـرَةٍ وَفِـي هِيَـامْ
أَنَـا مَمْلُـوكٌ لَهُـمْ فِـي رِقِّهِـمْ	مَلَكُوا بَعْـضِي وَكُلِّـي بِالتَّمَـامْ
لَمْ يَزَلْ لِي مَطْمَعٌ فِـي عِـتْقِهِمْ	وَهُـمْ أَهْـلُ الْوَفَـاءِ وَالـذِّمَامْ
أَنَـا بِالْبَـابِ مُقِـيمٌ دَائِمًـا	لاَئِذٌ بِالْمُـصْطَفَى خَيْـرِ الأَنَـامْ
صَـلِّ يَـا رَبِّ عَلَيْـهِ دَائِمًـا	وَعَلَى الآلِ مَعَ الصَّحْبِ الْكِـرَامْ

الباب السادس
في ذكر من أدركناه من العلماء وتبركنا به ومن قرأنا عليه منهم وانتفعنا به

فصل
في ذكر من تبركنا به منهم في ابتداء القرآن، وبالجلوس لديهم في بعض الأحيان

وقدمناهم لأنهم أهل للتقديم والاحترام والتعظيم، وإن أولى وأحق ما يبتدئ به الإنسان القرآن الكريم.

[محمد بن عبد الرحمان بن زكري][1]

فمنهم الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، المشارك الصوفي المتقشف، أبو عبد الله، سيدي محمد -بالفتح- بن عبد الرحمن بن زكري، رحمه الله.

كان ﷺ عالما عاملا مشاركا، الغالب عليه التصوف، وكان متخلقا به. له تآليف عديدة، وقفت منها على شرح "ألفية ابن معطي"، وشرح "النصيحة الكافية، لمن خصه الله بالعافية" للشيخ زروق، وشرح همزيته المضاهية لهمزية البوصيري، وما لم أقف عليه كثير. كتب لي بيده حين ختمت سلكة القرآن الأولى، كما بدأ لي الثالثة حين ختمت الثانية بخط يده المباركة.

وكان ﷺ في ابتداء أمره يخدم صناعة الدباغة مع والده، وكان والده مصاحبا للشيخ العلامة الشهير، الموصوف بالقطبانية، سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، رضي الله عنهما، وملازما لمجلس تدريسه. وكان صاحب الترجمة، رحمه الله، يحضر مجلس الشيخ المذكور مع والده المذكور، وكان لصغره يجلس في مؤخر الناس، وكان، رحمه الله تعالى، يبحث الشيخ كثيرا ويسأله، وكان الشيخ ﷺ يعجبه سؤاله وبحثه ويستحسنه، ولم يعرفه. فأقامه الشيخ ﷺ يوما من مؤخر الناس، وقدمه إليه وقربه، وقال له: مثلك لا يتأخر. وذلك لما ظهر له من فطنته وقابليته، مع ما سبق في الأزل.

---

[1] محمد بن عبدالرحمان بن زكري (- 1144 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 3/338-339. التقاط الدرر: 356-357. سلوة الأنفاس: 1/171-173. النبوغ المغربي: 1/288-289. الحياة الأدبية: 217-219. الأعلام: 6/197.

ثم إن الشيخ ﷺ رأى يوما في يدي صاحب الترجمة أثر الدبغ، فسأل عنه، فقيل: إنه ولد سيدي عبد الرحمان بن زكري. وقال له والده: هو ولدي. فقال له الشيخ: وهل يخدم الصنعة؟ قال: نعم. فقال له الشيخ: إنه لا تناسبه الصنعة، وإنما تناسبه قراءة العلم، لنجابته وفطنته. فأخرجه من الصنعة، ولا تتركه فيها أصلا، واجعله في قراءة العلم، ولك أجره. وإن عجزت عن شيء من شؤونه، فأنا أعينك، والله المستعان، ولا تتركه يخدم الصنعة أصلا.

فأخرجه عند ذالك والده، وتركه لقراءة العلم. فكان يقرأ، حتى فتح الله عليه، وكان منه ما كان، ببركة الشيخ ﷺ ومعرفة الأجواد، لأن العامة تقول: معرفة الأجواد كنوز، مع التوفيق من الله تعالى . والشيخ، قالوا: هو الذي يظهر عليك فضله مع فضل الله تعالى وما سبق في الأزل.

وكان سكنى صاحب الترجمة، رحمه الله، بالديوان من حومة الصاغة من فاس القرويين، وكان إماما بالمسجد الذي هنالك، وكانت له به مجالس علم، وكان يقرأ فيه صبيحة الخميس والجمعة الحكم لابن عطاء الله ﷺ، وكان له فيه عمارة كثيرة، حتى ضاق المسجد، وصنع به مقعد يجلس عليه من لم يسعه المسجد من الازدحام.

حج ﷺ سنة أربعين ومائة وألف، ولقي هنالك ناسا من أهل الخير، ولما دخل، رحمه الله، مصر، ورأى ما هم عليه الناس من الولوع بشرب تبغة؛ الشريف والمشروف، والقوي والضعيف، والكبير والصغير، والعلماء والقضاة والحكام، عاب ذالك عليهم، وأكثر الكلام فيه، وصرح بتحريمه، وبلغ ذالك لأهل البلد وشاع وذاع، اهتزت البلاد من أجل ذالك، حتى سدوا مسجد الأزهار، وعزموا على إقامة الحجة على صاحب الترجمة، فاجتمع بالأزهار أعيان البلاد وحكامها وعلماؤها، وبعثوا له من يناديه فجاء وحضر معهم، وتكلم معهم في ذالك، ومهما احتج عليهم بنص، يقولون له: أنت مالكي المذهب، ونحن الحنفيون والشوافع، وطال المجلس بينهم في الجدال. ثم قال لهم، رحمه الله: أضرب لكم مثلا: وهل إذا دخل عليكم النبي ﷺ وهي بأيديكم وفي أفواهكم تشربونها، ما كنتم فاعلين؟ أتتركونها وتنزعونها من أيديكم أو من أفواهكم، أو تتمادوا عليها؟ وبعد ما سكتوا عن الجواب، قالوا: ننزعها (ونخفوها)[1] منه حياء وأدبا، فقال لهم ﷺ: (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ)[2]، كل ما يستحيى به من النبي ﷺ، ويخبأ عنه، فهو حرام، ولا شك في حرمانه، لأن الحياء في الحق بدعة، والبدعة وصاحبها في النار، وإخفاء المعصية عن النبي ﷺ، وظهور نفيها يكون نفاقا. فانبهروا، ورجعوا بعد ما كانوا راموا الحجة عليه، أقامها هو عليهم بلسانهم.

[1] كذا.
[2] سورة الأحزاب: 53.

ولو لم يكن، رحمه الله تعالى، قريب السفر حادث في بلادهم، لتسببوا له في قتله بما أمكن لهم، فإنهم لم يرضوا بغلبه، وحين كان مسافرا، سكتوا عنه، ودحضت حجتهم، من بركته وبركة مولانا إدريس، نفعنا الله به، ولم يقدروا له على جواب.

ولما كنت بمصر عام ستة وستين ومائة وألف، سمعت بعض الطلبة هناك يتحدثون بهاذا الحديث.

توفي، رحمه الله، ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من صفر الخير عام أربعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بقعر الدرب الطويل من فاس الإدريسية، جوار الشيخ سيدي محمد بن عزيز، نفعنا الله بهم. آمين.

[نص تقييد لعبد المجيد الزبادي في التعريف بابن زكري][1]

ولقد وجدت تقييدا مقيدا من خط المؤلف، ألفه بقاهرة مصر، وهو شيخنا وأخونا، العالم العلامة الصوفي، أبو محمد، سيدي عبد المجيد بن علي المنالي، رحمه الله، عرف فيه بشيخه الإمام بن زكري، صاحب الترجمة ﷺ، ما نصه:

"بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه آل المجد والتعظيم، أما بعد:

"فإن من منن الله تعالى على كاتبه، عبد المجيد بن علي بن محمد بن علي المنالي، ثم الصوفي الحسني، وفقه الله، معرفة الشيخ الإمام، الحبر الهمام، الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت والسمت، العلامة الفهامة الدراكة المشارك، الذي لم يعقه عن الانفراد بدائرة وقته متدارك، من ازدان به نظمي ونثري وادان بالجولان في معانيه فكري، أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن زكري، أفاض الله عليه سجال الرحمة والعرفان، وأضاف إليه خلال الرضا والغفران.

"فلقد ربحنا، بحمد الله، بمحبته وشيخوخته وصحبته بأول مجلس جلسناه بين يديه، فجلب القلوب، لديه مجلس كان يقرئ فيه همزيته، وحكم ابن عطاء الله، وشرح ابن عباد عليها، حضرته أياما عديدة، واقتبست منه أنوارا مفيدة، ثم بعض الرسالة لابن أبي زيد، ثم بعض المرشد المعين لابن عاشر، ثم جميع البردة[2] للبوصيري، ثم جميع الحكم وجميع

---

[1] مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط رقم: 13991.

[2] قصيدة"البردة" للإمام محمد البوصيري. مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وآخرها:

شرحه عليها، بعض العهود الكبرى للشعراني، ديباجة الشفا للقاضي عياض، أوائل أرجوزة ابن سينا، بعض مختصر خليل، بعض التلخيص للقزويني، بعض ألفية ابن مالك، الربع الأول والربع الأخير من صحيح البخاري، ومواضع كثيرة من وسط التفسير، من الفاتحة إلى وسط الأعراف، أوائل التنوير، فهاذه مجالس المساجد.

"وأما مجالس باب داره وغيرها من الموارد، التي صفا ماؤها العذب للصادر والوارد، وتحاشت أن يعبر لسان عما كان بها من الفوائد، فقد حضرنا منها العدد العديد، وظفرنا منها بالمدد المديد، مما أرجو أن أستوجب بشكره المزيد، وأستوعب به من الله تعالى خير الدنيا والآخرة، فهو سبحانه القادر على ما يشاء من نفع العبيد.

"ولنذكر ما علمناه من تآليفه الحسنة، وتعاليقه المستحسنة:

"فمنها شرح الألفية الفريدة للجلال السيوطي[1]، وشرح النصيحة الكافية للشيخ زروق، وشرح الصلاة المشيشية[2]، وشرح المنظومة الهمزية[3]، وشرح الحكم لابن عطاء الله، وشرح القواعد الزروقية، وحاشية على توضيح ابن هشام لم تكمل، وتعليق على صحيح البخاري، وتفسير مواضع من القرآن، كالبقرة، والكهف، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين، وغير ذالك من الآيات والسور، والفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة. وله في النحو واللسان والمنطق وأصول الفقه والدين والتصوف وغير ذالك تقاييد، أبحاثها أبحاث النحرير، وأجوبتها أجوبة من دأبه التحرير، اشتملت فوائدها على العلم الغزير، وأتحفت مسائلها بالتحقيق الكثير.

"وله في النظم مسائل مطولات ومختصرات ومتوسطات توذن بسجيته الكريمة، وتنبئ عن طريقته المستقيمة، وتقضي بثقوب ذهنه، وجودة ذوقه وحدة ذكائه، وأنه اغترف من بحور العلم بدلائه وركائه، ولولا اجتناب الطول، لأثبت منها ما يوقع العقول في الذهول، ولاكن نلت منه على جهة البركة بيسير يوجبه للقرائح الساكنة الحركة، فمن ذالك قوله:

وهاذه بردة المختار قد ختمت   الحمد لله في بدء وفي ختـــم

أبياتها قد أتت ستين مع منـــة   فرج بها كربنا يا واسع الكرم

[1] عبدالرحمان بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (911 هـ). انظر مصادر ترجمته في: الإشراف:51/1، هامش:118.

[2] دعاء "الصلاة المشيشية" لعبدالسلام بن مشيش. أولها: "اللهم صل على من منه انشقت الأنوار". آخرها: "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين. الحمد لله. رب العالمين". قد اهتم بها المغاربة شرحا وتلاوة وتبركا.وممن شرحها العلامة محمد الطيب ابن كيران. وقد طبع بتحقيق بسام محمد بارود. المجمع الثقافي. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة. 1420هـ - 1999م

[3] قصيدة "الهمزية" للإمام محمد البوصيري. مطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

وآخرها:

ما أقام الصلاة من عبدالله   وقامت بربها الأشياء

[الطويل]

تَجَلَّتْ لَنَا شَمْسٌ كَسَتْ أُفُقَ الْحُسن ... جَمَالاً فَجَاءَ الزَّيْنُ يُجَلَّى عَلَى الزَّيْن

فَتَاهَتْ قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ تَوَلُّهًا ... لِمَا لاَحَ مِنْ حُسْنٍ مُضَافٍ إِلَى حُسْنٍ

فَلاَ تَعْجَبُوا مِنْ تِيهِهَا إِنَّهَا رَأَتْ ... مَلِيكَةَ جُنْدِ الْفَاتِكَاتِ الَّتِي تُفْن

خَلِيلِي مُتْ فِيهَا تَعِشْ عِيشَةَ الرِّضَا ... وَتَعْتَاضُ أُنْسَ الْوَصْلِ مِنْ وَحْشَةِ الْبَيْنِ

وَعَمِّرْ بِتِذْكَارٍ لَهَا عُمْرًا تَفُزْ ... بِأَعْلاَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ قُرْبًا وَمِنْ عَدَنِ

رَعَى اللهُ إِخْوَانًا يُرِيدُونَ ذِكْرَهَا ... بِنَغْمَةِ صَوْتٍ يَجْرَحُ الْقَلْبَ بِاللَّحْنِ

وَيَا حَاكِيًا أَنْشِدْ حُلاَهَا وَكَرِّرْهُ ... أَحَادِيثُهَا بِالرُّوحِ تَصْغُرُ وَبِالأُذْنِ

وَإِن شِئْتَ أَنْ تَحْظَى بِنَيْلِ شُهُودِهَا ... وَتَجْلُوا عَلَيْكَ مَغْرِبَ النَّعْتِ وَالْمَيْنِ

فَلُذْ بِلِبَابِ الْعَالَمِينَ وَيَمِّمَنْ ... خُلاَصَةَ كُلِّ الْكَوْنِ وَانْهَضْ إِلَى (الْمَغْنِ)[1]

أَعَمُّ الْوَرَى جُودًا وَأَرْحَبُهُمْ يَدًا ... وَأَطْوَلُهُمْ بَاعًا عَلَى الْقَطْعِ لاَ الظَّنِ

رَسُولٌ تَمِيلُ الرُّسْلُ يَومَ مِيعَادِنَا ... عَلَيهِ يَنْمَحِي الْكُلُّ مِنْ مَوْقِفِ الْحُزْنِ

وَكَمْ مِنْ عُلُومٍ خَصَّهُ رَبُّهُ بِهَا ... وَفِي كُلِّ فَنٍّ هُوَ أَعْلَمُ ذِي فَنِّ

خُصُوصًا لَهُ أَعْطَى عُمُومَ رِسَالَةٍ ... إِلَى عَالَمِ الْأَمْلاَكِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ

وَفِي حَضْرَةِ الأَنْوَارِ نُورُهُ سَابِقٌ ... وَمِنْهُ بَدَا نُورُ الْوُجُودِ بِلاَ مَيْنِ

فَمِنْ ثَمَّ فِي حَشْرٍ يُنَادِيهِ آدَمُ ... أَيَا وَلَدِي رُوحًا وَفِي الذَّاتِ أَنْتَ أَيْنَ

نَبِيٌّ وَجِيهُ الْجَاهِ فَرْدٌ جَلاَلَةً ... مُفِيضُ الْعَطَا فِي ذِي الْخَصَاصَةِ وَالْوَهَنِ

أَصِيلٌ كَرِيمُ الْأَصْلِ سَامٍ فَخَارُهُ ... جَلِيلٌ جَلِيٌّ جُودُهُ ظَاهِرُ الْيُمْنِ

وَسِيمٌ نَسِيمٌ أَبْلَجُ الْوَجْهِ أَدْعَجُ ... أَزَجٌّ بَهِيٌّ نَيِّرٌ أَزْهَرُ اللَّوْنِ

كَلُومٌ لُجَيْنٌ مَشْرَبُ لَوْنِ عَسْجَدٌ ... جَبِينٌ وَمِنْهُ الْحَاجِبَانِ كَنُونَيْنِ

أَسِيلٌ كَحِيلٌ أَسْطَعُ الْوَجْهِ رَبْعَةٌ ... يَطُولُ الطِّوَالَ فِي اعْتِدَالِهِ كَالْغُصْنِ

فَصِيحٌ بَلِيغٌ جَزْلُ لَفْظٍ كَأَنَّهُ ... لآلٍ نُظِمْنَ يَنْحَدِرْنَ عَلَى هَوَنِ

سَجِيَّتُهُ الْبُشْرَى إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا ... تَبَدَّا سَنَا بَرْقٍ عَلَى جَوْهَرِ الْمُزْنِ

خَشُوعٌ عَطُوفٌ رَاحِمٌ مُتَوَاضِعٌ ... لَمْ تَزْدَرِيهِ الْعَيْنُ مِنْ حَرٍّ أَوْ قَنِ

ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ للهِ نَصْرُهُ ... إِذَا قَامَتِ الْهَيْجَاءُ لِلْبَطَلِ الْقَرْنِ

صَبُورٌ شَكُورٌ وَمُخْلَصٌ مُتَوَكِّلٌ ... عَفُوٌّ غَفُورٌ لِلْجَرَائِحِ وَالضَّغْنِ

وَفِيٌّ مَنْصِبَ التَّسْلِيمِ رَاضٍ بِعِوَضٍ ... وَمِنْ زُهْدِهِ الإِعْرَاضُ عَنْ سَائِرِ الْكَوْنِ

وَيَكْفِيهِ تَخْصِيصٌ بِرُؤْيَةِ رَبِّهِ ... بِعَيْنَيْهِ تَحْقِيقًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَنِ

لِأَنَّهُ مَحْبُوبٌ عَزِيزٌ مُفَضَّلٌ ... عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ عَزِيزٍ وَذِي شَانِ

وَفِي كُلِّ إِبْهَامٍ تَضَمَّنَ رِفْعَةً ... وَتَنْوِيهَ مِقْدَارٍ هُوَ الْعَلَمُ الْمَعْنِ

---

[1] ب: الصالحين.

لِشُهْرَتِهِ بِالْهَادِي يَعْرِفُونَهُ … وَآيَةُ رَفْعِ الْبَعْضِ عَنْ ذِكْرِهِ تَكُنْ
وَيَكْفِيكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلاَلُهُ … عَلَى خَلْقِهِ وَالْخَلْقُ فِي كُتُبِهِ شَنْ
وَأَوْصَى جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ أَنْ آمِنُوا … بِهِ وَانْصُرُوهُ فَهُوَ مُبَلِّغُكُمْ عَنْ
فَمَنْ لِبَعِيدِ الدَّارِ أَنْ يُبْصِرَ الْحِمَى … بِعَيْنَيْهِ وَهُوَ فَارِغُ الْقَلْبِ وَالذِّهْنْ
وَهَلْ يَسْمَحُ الدَّهْرُ الشَّحِيحُ بِزَوْرَةٍ … لِطِيبَةِ دَارِ الْوَحْيِ وَالْيُمْنِ وَالأَمْنِ
وَهَلْ أَشْهَدُ الأَنْوَارَ وَهْيَ لَوَامِعٌ … وَنَحْنُ مِنَ الأَفْرَاحِ نَهْتَزُّ بِالزَّفْنِ
(سُرُورٌ آيَاتُهُ)[1] بَدَتْ مِنْ مَفْرَجٍ … فَتَجْرِي مِنَ الشَّوْقِ الْجَدَاوِلُ مِنْ جَفْنِ
وَتَرْتَجُّ أَصْوَاتُ الْحُدَاةِ صَبَابَةً … وَتَنْقَادُ لِلسَّبْقِ الْمَطَايَا بِلاَ رَسَنِ
هُنَاكَ تَرَى رَكْبَ الْحَجِيجِ كَأَنَّهُمْ … طُيُورٌ وَأَيْنَ الْمَاءُ مَعَ ظَمَأٍ مُضْنِ
إِذَا مَا بَدَتْ أَعْلاَمُ دَارِ مُحَمَّدٍ … فَمَنْ مَاتَ وُجْدًا حَازَ رِبْحًا بِلاَ غَبْنِ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُمَرِّغُ وَجْنَتِي … وَأَنْتُمْ تُرْبًا هُوَ بَرْءٌ مِنَ الشَّيْنِ
إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ أَرْفَعُ حَاجَتِي … فَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِيَ الْمَعَاصِي فَأَنْقِذْنِي
وَكَمْ شَاحِطٍ دَارَ إِلَيْكَ جَذَبْتَهُ … فَيَا أَجْوَدَ الأَجْوَادِ بِاللهِ فَاجْذِبْنِي
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِنَيْلِ رِضَاكُمْ … فَفَضْلُكُمْ أَهْلٌ لِنَيْلِي وَمَنْ مَيْنِ
وَقُلْ لابْنِ زَكْرِي عِنْدَنَا مَا يَسُرُّهُ … وَأَكْبَرُ مِنْهُ عِنْدَكُمْ لِي فِي ظَنِّ
وَلَيْسَ غَرِيبًا عِنْدَكُم نَقْلُ مُذْنِبٍ … مِنَ اللاَّمِ تَلْوَ الذَّالِ لِلزَّايِ وَالْعَيْنِ
كَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ غَرِيبًا عِلاَجُكُمْ … عَلَيًّا بِنَفْثِ الرِّيقِ مِنْ وَتَدِ الْعَيْنِ
وَلَيْسَ عَجِيبًا مِنْكُمْ رَفْعُ جَاهِلٍ … لِعِلْمِ الْيَقِينِ وَالْحَقِيقَةِ وَالْعَيْنِ
كَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَجِيبًا شِفَاؤُكُمْ … قَتَادَةَ لَمَّا جَاءَكُمْ سَاقِطَ الْعَيْنِ
وَلَوْلاَ رَجَائِي مِنْكُمْ مَا يَسُرُّنِي … لَكَانَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ أَضْيَقَ مِنْ سِجْنِ
وَحَاشَا نَدَاكُمْ أَنْ يُخَيِّبَ مَادِحًا … يُؤَمِّلُ مِنْ جَدْوَاكِ جَائِزَةً تُغْنِ
(وَكَعْبًا)[2] أَجَزْتُمْ بِالْمَدِيحِ هُنَيْوَةً … مِنَ الإِبِلِ يَنْزِلُ الْكَوَامِلُ فِي السِّنِ
وَرَاقَ خِلْعُ الْبُرْدِ مِنْكُمْ جَلاَلَةً … مُبَشِّرُ عِلْمِ الإِكْرَامِ لِلْبُلَغَا اللُّسْنِ
وَحَسَّانُ بَشَّرْتُمْ وَمِنْ دَعَوَاتِكُمْ … مَنَنْتُمْ عَلَيْهِ مَادِحًا أَعْظَمَ الْمَنِّ
وَإِنِّي لأَسْتَشْفِي فَأَشْفِي بِذِكْرِكُمْ … وَإِنِّي بِكُمْ عِنْدَ افْتِقَارِي أَسْتَغْنِ
مَدِيحُكُمْ رُكْنِي أَصُولُ عَلَى الْعِدَى … بِهِ إِنْ أَرَادُوا الْبَغْيَ آوِي إِلَى الرُّكْنِ
وَذِكْرُكُمْ حِصْنِي الْمَنِيعُ وَعِصْمَتِي … وَكَيْفَ أَخَافُ الْكَيْدَ فِي ذَالِكَ الْحِصْنِ
مَتَى عَنْ أَمْرٍ صَحَّتْ يَا لَمُحَمَّدٍ … أَيَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ تَدَارَكْنِي
فَتَأْتِي رِيَاحُ الْغَيْثِ مُسْرِعَةَ الْجِدَا … مُبَشِّرَةً بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ وَالْعَوْنِ
فَهَاذَا الَّذِي بِمَوَدَّتِنَا عَاجِلاً فَكُنْ … شَفِيعًا لَنَا يَوْمَ الْجِبَالِ كَمَا الْعَيْنِ

---

[1] ب: سرور بأيات.
[2] ب: فكعبا.

وَكُنْ حَافِظِي إِذَا مَا الصَّحَائِفُ نَشَـرَتْ وَعِنْدَ انْتِصَابِ الْجِسْرِ وَالحَوْضِ والوَزْنِ
وَصَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يَا خَيْرَ شَافِعٍ وحِزْبُكَ مَا طَهَّـرْتَ قَلْبًـا مِـنَ الـرَّيْنِ

قال، رحمه الله تعالى:

ولنقتصر على هاذا المقدار، ففيه ساعدتنا الأقدار. (ولنتمم)[1] ببعض ما صدر منا في جانبه من النثار والنظام التي بضم فرد جوهرها النظام، ووضح قصد نهارها وليلها في ترجيح الأنظام، وصرح برد كوثرها بالإجلال والإعظام، فمن ذالك قولي في شرحه لألفية جلال الدين السيوطي، المسماة ب"الفريدة":

[الخفيف]

يَا إِمَامًا لَهُ الْخِصَالُ الحَمِيـدَةُ وَالسَّجَايَا مَـعَ المَزَايَـا العَدِيـدَة
وَأَطَاعَتْ لَهُ العُلُـومُ أُصُـولاً وَفُرُوعًـا لَهَـا البِحَـارُ المَدِيـدَة
وَضَحَ النَّحْوُ مِثْلَ شَمْسٍ بِأُفُقٍ عِنْـدَمَا جِئْتَنَـا بِـشَرْحِ الْفَرِيـدَة
فَجَـزَاكَ الإِلاَهُ خَيْـرَ جَـزَاءٍ يَا ابْنَ زَكْرِي كَمَا نَفَعْـتَ عَبِيـدَه

قال: "وقولي في شرحه للنصيحة الكافية:

[الخفيف]

يَا إِمَامًا حَوَى الْفُهُومَ الفَـسِيحَةَ وَرَوَى مُسْنَدَ الْعُلُومِ الصَّحِيحَةَ
لَمْ تَزَلْ تُتْحِفُ الْبَرَايَـا بِنُـصْحٍ ثُمَّ أَكْمَلْتَهُ بِشَرْحِ النَّـصِيحَةَ

قال: وقولي في شرحه لحكم ابن عطاء الله:

[المتدارك]

جُزِيتَ ابْنَ زَكْرِيٍّ بِخَيْرٍ فَكَـمْ نَهَـاكَ بِرَفْـعِ الْمَحَـلِّ حِكَـم
مَدَى الدَّهْرِ تُرْشِـدُنَا لِلْهُـدَى وَتَشْفِي مِنَ الْجَهْـلِ كَيْفًـا وَكَـم
وَأَتْحَفْتَنَـا وَلَـكَ الأَجْـرُ إِذْ مَنَحْتَ الْمُرِيدِينَ شَـرْحَ الْحِكَـم

قال: "وقولي في سائر كتبه، نفع الله به:

---

[1] ج: ولنلمم.

[البسيط]

أَطَالِبَ الْعِلْمِ إِنْ تَشَأْ بَدَائِعَهُ ... وَشَرْحَ غَامِضِهِ وَفَكَّ مُعْضَلَهِ
وَعَقْلَ شَارِدِهِ وَنَفْيَ وَارِدِهِ ... وَجَبْرَ نَاقِصِهِ وَذِكْرَ مَعْقِلِهِ
وَجَمْعَ مفتَرِقٍ وَنَظْمَ منتَثِرٍ ... وَقَصرَ مَا طَالَ مَعَ تَبيينِ مُشْكَلِه
فَانْظُرْ تَآلِيفَ شَيْخِنَا ابْنَ زَكْرِيٍّ تَجِدْ ... لِلْعِلْمِ فِي طَيِّهَا سَيقًا بِمَنْصِلِهِ

قال: "وقولي فيه:

[المجتث]

أَجَلْتُ فِي النَّاسِ فِكْرِي ... فِي الصَّحْوِ مِنِّي وَسُكْرِي
فَلَمْ أَجِدْ طُولَ عُمْرِي ... شَيْخًا كَشَيْخِي ابْنِ زَكْرِي
يَا أَهْلَ وُدِّي وَسِرِّي ... وَمَنْ ثَوَوْا وَسْطَ صَدْرِي
إِنْ شِئْتُمْ نَيْلَ ذُخْرِي ... عَلَيْكُمْ بِابْنِ زَكْرِي

قال، رحمه الله: "ومن ذالك هاذه القصيدة التي خاطبته بها يوم ختم الجامع الصحيح للبخاري في صفر سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف:

أَبَرْقٌ لاَحَ أَمْ بَدْرٌ تَلَألأَ ... أَمِ الحَوْرَاءُ قَدْ أَرْخَتْ دَلاَلاَ
أَمِ الزَّهْرُ الثَّوَاقِبُ أَمْ رِيَاضٌ ... بِهَا زَهْرٌ غَدَا يَزْهَى دَلاَلاَ
أَمِ الْحِبْرُ الْهُمَامُ لِبَحْرٍ أَضْحَى ... يَبُثُّ الْعِلْمَ أَوْ يُغْلِي رِجَالاَ
مُحَمَّدٌ الرِّضَا الْمِفْضَالُ مَنْ قَدْ ... حَيَّاهُ اللهُ خَالِقُهُ وَوَالاَ
وَآتَاهُ الْمَكَارِمَ فَهُوَ شَمْسٌ ... تَبَدَّتْ لِلْوَرَى فَغَدَا ذُبَالاَ
وَأَوْلاَهُ الْمَحَاسِنَ وَالْجَلاَلاَ ... وَخَلاَّهُ المَحَامِدَ وَالخِلاَلاَ
إِمَامٌ عَالِمٌ عَلَمٌ جَلِيلٌ ... لَهُ رُتَبٌ وَقَدْرٌ لَنْ يُنَالاَ
سَرِيٌّ مَاجِدٌ سَهْمٌ ذَكِيٌّ ... أَنَالَهُ رَبُّهُ مِنْهُ نَوَالاَ
(خِضَمٌّ أَرِيحِيٌّ (أَلْمَعِيٌّ)[1])[2] ... أَنَاخَ الْجُودُ وَالكَرَمُ الرِّحَالاَ

---

[1] ج: بالشحيح.
[2] ب: الشطر ساقط.

فَسَلْهُ مَا تَشَاءُ وَلاَ تُبَالِي   يُجِبْكَ نَعَمْ وَلَيْسَ يَقُولُ لاَ لاَ
فَمَا أَوْلاَهُ يُنْشِدُ قَولَ حَذِقٍ   إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَرِدَ الزُّلاَلاَ
فَيَمِّمْنِي فَإِنِّي الْبَحْرُ مَهْمَا   تَسَلْنِي لاَ أَرُدُّ لَكَ السُّؤَالاَ
شِعَارُ الدِّينِ وَالتَّقْوَى حُلاَهُ   تَمَدَّى يَرْقَى حَدَّ أَوْجِهَا انْتِقَالاَ
سَمَا وَعَلاَ فَأَضْحَى فِي الْمَعَالِي   يَخُوضُ بِحَارَهَا حَالاً وَمَجَالاَ
غَدَا لِلْحَقِّ وَالتَّحْقِيقِ آلاَ   وَأَصْبَحَ غَيْرُهُ فِي النَّفَّاعِ آلاَ
وَأَمْسَى فِي ذَوِي التَّعْلِيمِ شَيْخًا   وَلِلأَيْتَامِ وَالفُقَرَا تَمَالاَ
تَخَالُ النَّاسَ فِي التَّدْرِيسِ زَهْرًا   تَحفَتُهُ وَتَحْسِبُهُ هَمَالاَ
كُلُّ الْمُشْكِلاَتِ وَكُلُّ صَعْبٍ   وَفَكُّ الْمُعْضِلاَتِ تَرَى نِصَالاَ
فَيَا لله بَحْرٌ طَاوَلَتْهُ   نَحَارِيرُ فَطَالَهُمْ وِصَالاَ
وَفِي حُكْمِ الصَّحِيحِ بَدَا سُرُورٌ   وَنُورٌ أَكْسَبَ الشَّمْسَ الْجَمَالاَ
وَيَا لله يَوْمٌ تَمَّ فِيهِ   بِحَمْدِ الله جَلَّ وَقَدْ تَعَالاَ
فَيَا مَوْلاَيَ فَاقْبَلْهَا عَرُوسًا   تَفُوقُ الْغُصْنَ قَدًّا وَاعْتِدَالاَ
شَذَاهَا أَوْرَثَ الأَزْهَارَ طِيبًا   سَنَاهَا عَلَّمَ الْبَدْرَ وَالْكَمَالاَ
وَلاَ رَامَتْ قِرًى وَلاَ قَبُولاً   وَغُفْرَانَ الْجَرَائِحِ وَالْوِصَالاَ
أَتَتْ مَغْنَاكُمْ مِنْ عِنْدِ مَنْ قَدْ   ثَوَتْ فِيهِ مَحَبَّتُكَ انْفِعَالاَ
مُسَلِّمَةٌ عَلَيْكُمْ كُلَّ حِينٍ   مُقَبِّلَةٌ يَدَيْكُمْ وَالنِّعَالاَ
وَمُنْشِدَةٌ بِحَضْرَتِكُمْ مَقَالاً   أَبَرْقٌ لاَحَ أَمْ بَدْرٌ تَلاَلاَ

قال، رحمه الله تعالى: ومن ذالك أيضا هاذه القصيدة، خاطبته بها يوم ختم حكم ابن عطاء الله وشرحه عليها، أواخر جمادى الثانية من السنة المذكورة:

[الطويل]

تَبَسَّمَتِ الأَكْوَانُ وَازْدَادَ زَهْوُهَا   وَهَنَئَتِ الدُّنْيَا وَفَاضَ نَعِيمُهَا
وَطَابَتْ رِيَاضُ الأُنْسِ وَازْدَانَ نُورُهَا   فَرَاقَتْ بِأَنْوَارٍ وَرَقَّ نَسِيمُهَا
وَنِلْنَا الْمُنَى وَالأَمْنَ فِي رَوْضَةِ التُّقَى   فَعَمَّ انْتِفَاعًا كَاسُهَا وَهَشِيمُهَا
وَدَارَتْ كُؤُوسُ الصِّدْقِ بَيْنَ أَحِبَّةٍ   فَقَالَ الْهَوَى صِنْدِيدُهَا وَضَعِيفُهَا

وَتَمَّتْ لَهُ الْخَيْرَاتُ وَالْفَضْلُ كُلُّهُ ... وَمَا يُنْكِرُ الْخَيْرَاتِ إلاَّ عَدِيمُهَا

فَمَا ثَمَّ إلاَّ أَقْلُبٌ زَالَ غَيْمُهَا ... وَأَفْئِدَةٌ وَلَّتْ وَجَرَتْ هُمُومُهَا

وَذَالِكَ مِنْ سِرِّ الإمَامِ مُحَمَّدٍ ... إمَامِ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَهُوَ قَوِيمُهَا

سُرَّ مَنْ سَرَتْ مِنْهُ الْخَيْرَاتُ وَقَدْ غَدَى ... بِهِ تَبْتَدِي الطُّلاَّبُ وَهُوَ أَيْضًا رَحِيمُهَا

خِضَمٌّ هَضُومٌ (أَرِيحِيٌّ عَشَمْشَمٌ)[1] ... ثَمَالُ الْيَتَامَى وَهُوَ أَيْضًا رَحِيمُهَا

عُلُومُ أُصُولُ الدِّينِ وَالْفِقْهِ حَازَهَا ... بِهِمَّتِهِ تَرْمِي المبَارِي كَتُومُهَا

حَدِيثٌ وَتَفْسِيرٌ بَيَانٌ وَمَنْطِقٌ ... وَنَحْوٌ وَتَارِيخٌ حُجَّةُ رُسُومُهَا

فَتَحْسِبُهُ فِي الدَّرْسِ بَحْرًا مُنَوَّرًا ... تَجَفَّتْ بِهِ زَهْرُ السَّمَا وَنُجُومُهَا

فَلِلَّهِ (حَرْفٌ)[2] لَوْ دَعَى مُنْجِدٌ ... جَلِيلُ الْمَزَايَا وَالخِصَالِ فَخِيمُهَا

شَرِيعَتُهُ ضَمَّتْ إلَيْهَا حَقِيقَةً ... فَيَا حُسْنَهَا مِنْ شِرْعَةٍ طَاَب خَيْمُهَا

طَرِيقَةُ أَقْوَامٍ يَضَعُ مَنْ يُحِبُّهَا ... شَذًى وَيَضَعُ فِي قَوْمِهِ مَنْ يُدِيمُهَا

كِرَامٌ غَطَارِيفٌ شِهَامٌ حَلاَحِلٌ ... عِظَامٌ حَجَاجِيمٌ مَتِينٌ بَرِيمُهَا

وَلابْنِ عَطَاءِ اللهِ فِي الْقَوْمِ نِسْبَةٌ ... شَهِيرَةُ قَدْرٍ لَيْسَ يَخْفَى صَمِيمُهَا

فَلَوْ طُولِبَ الْيُونَانُ فِي جَمْعِ حِكْمَةٍ ... مِنَ الْحِكَمِ الْغَرَّا لَطَالَ كَظُومُهَا

وَأَتْحَفَهَا الشَّيْخُ الإمَامُ مُحَمَّدٌ ... بِشَرْحٍ كَإِصْبَاحٍ فَبَانَتْ عُلُومُهَا

وَبَانَتْ خَبَايَا الْمَتْنِ وَالشَّرْحِ كُلُّهَا ... لَدَى الدَّرْسِ مِمَّا قَدْ حَوَتْهُ رُقُومُهَا

فَلِلَّهِ نِحْرِيرٌ هُمَامٌ سُمَيْدَعٌ ... عَزِيزُ النَّدَا مُتَمِّمُ السَّجَايَا كَرِيمُهَا

إذَا مَا الْهُدَى شَاءَ امْرُؤٌ فَلْيَؤُمَّهُ ... وَمَا يَعْرِفُ الأَعْلاَمَ إلاَّ شُهُومُهَا

وَمَا حَزَّهَا إنْ كَانَ ذُو الْجَهْلِ عَاذِلاً ... فَلَوْ زَاحَ عَنْهُ الْجَهْلَ رَاحَ يَرُومُهَا

يَذُورُ مَا مِنْ جَهْلِهِ بِسَقَامِهِ ... إذَا الشَّمْسُ لَمْ يُبْصِرْ ضِيَاهَا يَلُومُهَا

عَلَيْكَ بِهِ إنْ كُنْتَ تَبْغِي مَكَارِمًا ... فَفِي مُلْكِهِ أَسَاسُهَا وَرَضِيمُهَا

وَفِي رَبْعِهِ خَطَّ الرِّحَالَ وَعِنْدَهُ ... يَحِقُّ لِذَاتٍ أَنْ يَسِيلَ حَمِيمُهَا

وَلاَ تَعْجِزَنَّ عَنْهُ فَتَظْمَى وَأَبْجِرْ ... حَوَالَيْكَ حَاوَى لاَ يَقْصُرُ حَمِيمُهَا

وَتَشْكُو ظَلاَمًا وَالْبُدُورُ طَوَالِعُ ... وَتَبْكِي الْمَعَالِي وَهُوَ حَقًّا حَمِيمُهَا

---

[1] ب: ساقط.

[2] ب، ج: خرف.

وَعِنْدَ اتِّقَــادِ الْحَــرْبِ يُــدْرَى لَطِيمُهَــا ... وَعِنْدَ اشْتِدَادِ الْجَرْيِ يَــرْدِي كَلِيمُهَــا
وَحَمْدُ السُّرَى عِنْــدَ الــصَّبَاحِ وُقُوعُــهُ ... وَفِي الرِّيحِ تَجْرِ الكَمْدُ تَجَلَّى غِمْــدُهَا
فَعُــذْرًا أَبَــا عَبْــدَ الإِلاَهِ لِمَــادِحٍ ... قَصِيرِ خُطَى الأَفْكَارِ وَهُــوَ جَــذِيمُهَا
وَلَــيْسَ لَــهُ فِــي الْعِلْــمِ بَــاعٌ يُعِينُــهُ ... وَلاَ مِــنْ بَنَــاتِ الْفِكْــرِ إِلاَّ يُــدِيمُهَا
وَلَــيْسَ بِأَهْــلٍ أَنْ يُخَاطِــبَ مِــثْلَكُمْ ... أَيُمْــدَحُ مَمْــدُوحُ الْخِــصَالِ ذَمِيمُهَــا
فَأَوْصَــافُكُمْ جَلَّــتْ وَآثَــارُكُمْ سَــمَتْ ... وَسِــيرَتُكُمْ عَلَــتْ وَإِنِّــي خَــدِيمُهَا
يَمِينًا بِــرَبِّ الْعَــرْشِ لاَ حِلْــتُ عَــنْكُمْ ... وَلاَزِلْتُ مَا يَبْــدُو لِنَفْــسِي رَزِيمُهَــا
لَقَدْ كُنْــتُ ذَا جَهْــلٍ بِأَشْــيَا فَجَرَّبْتُهَــا ... بِتَعْلِــيمِكُمْ فَــاللهُ رَبِّــي يُــدِيمُهَا
وَكُنْتُ بَعِيــدًا عَــنْ عُلُــومٍ فَهَــا أَنَــا ... أَشُــمُّ لَهَــا رِيحًــا وَقَلْبِــي يَــسُومُهَا
وَقَــدْ جِئْــتُكُمْ فِــي ذَا النِّظَــامِ بِمِدْحَــةٍ ... عَنِ الْوَصْفِ بِالإِجْلاَلِ كُــلُّ نَظِيمُهَــا
وَلَــيْسَ كَمَــالُ الْفَــضْلِ إِلاَّ قَبُولُهَــا ... فَهَــلْ يُحْــسِنُ الأَقْــوَالَ إِلاَّ تَمِيمُهَــا
عَلَيْكَ سَــلاَمُ اللهِ مَــا صَــبَتِ الــصَّبَا ... وَمَا سَاحَ سَــرْحَانُ الْفَيَــافِي وَرِيمُهَــا

قال، رحمه الله: ومن ذالك قولي أطلب منه قراءة الشفا للقاضي عياض، رحمه الله تعالى:

[الرجز]

مَاذَا عَلَيَّ فِي الطِّبِّ لَوْ أَهْدَى لَنَــا ... مِنْ مُرْهَمِ الأَسْرَارِ مَا يُولِي الــشِّفَا
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا فَكَمَــالُكُمْ ... لاَ يَرْتَضِي نَقْصًا لِعبد قَــدْ صَــفَا
هَاذَا وَإِنَّ وِدَادَكُمْ حَــشْرَ الْحَــشَا ... طُولَ الْمَدَا عَنْ وُدِّ غَيْــرِكُمْ كَفَــا
يَــا سَــادَةً وَأَئِمَّــةً نَــالَ الْهُــدَى ... وَالرُّشْدَ وَالتَّوْفِيقَ مَنْ بِهِــمْ اكْتَفَــا
اللهَ أُنْــشِدُكُمْ وَحُــبَّ مُحَمَّــدٍ ... إِلاَّ رَضِيتُمْ عَنْ عُبَيْــدٍ قَــدْ هَفَــا
وَأَتَــاكُمْ مُــسْتَرْشِدًا مَــا إِنْ لَــهُ ... مِنْ مُرْشِدٍ إِلاَّ الْهُــدَاةُ ذَوُو الْوَفَــا
إِيَّــاكُمْ أَعْنِــي وَلَــيْسَ سِــوَاكُمْ ... عِنْدِي فَيَا أَفْرَاحَ مَــنْ بِكُــمْ اقْتَفَــا
فَلْتَقْبَلُــوا وَلْتَرْحَمُــوا وَلْتَأْخُــذُوا ... بِيَدِي عَنْبَرٍ (مَائِقٍ)[1] خَلْفَ الجَفَــا
وَاللهُ يُــولِيكُمْ جَزِيــلَ ثَوَابِــهِ ... وَجَمِيلَ إِحْسَانٍ بِجَــاهِ الْمُــصْطَفَا
صَلَّى عَلَيْــهِ اللهُ مَــعَ أَصْــحَابِهِ ... وَالآلِ وَالأَتْبَاعِ مِنْ أَهْــلِ الــصَّفَا

---

[1] لسان العرب: مئق.

وَعَلَـيْكُمْ مِنِّـي سَـلاَمٌ كَامِـلٌ ... مَـادَامَ بَيْـتُ اللهِ حَجًّـا وَالـصَّفَا

وقال، رحمه الله: ومن ذالك ما خاطبته به مستعيرا منه شرحه على النصيحة:

[الرجز]

يَا سَادَةٌ رُوحِي بِهِمْ فِـي عَافِيَـةْ ... وَبِهِمْ رُسُومُ الْجَهْلِ أَضْحَتْ عَافِيَةْ

وَوِدَادُهُمْ فِي الْقَلْبِ فِـيَ ثَابِـتٌ ... وَحَقَارَتِي عَنْ قُرْبِهِمْ لِـي نَافِيَـةْ

عَلِقَ الْفُؤَادُ لِحَاجَةٍ مَـا إِنَّ لَهَـا ... إِلاَّ الْكِـرَامُ ذَوُو الْعُلُـومِ الْوَافِيَـةْ

شَرْحُ النَّصِيحَةِ سَيِّدِي قَدْ رُمْتُـهُ ... فَلْتُطْلِعُونِ عَلَى شُـرَيْحِ الْكَافِيَـةْ

لاَ زِلْـتُمْ كَهْـفَ الأَنَـامِ وَظِلَّـهُ ... فِي عِيشَةٍ رَغْـدٍ وَنِعْمَـى كَافِيَـةْ

وقال، رحمه الله: وقلت أيام مواعدته لنا بقراءة "التنوير في إسقاط التدبير"، وذالك حين وجد راحة من مرضه الكبير:

[السريع]

قَلْبِـي اعْتَرَتْـهُ ظُلْمَـةُ التَّـدْبِيرِ ... أَوْدَتْ بِـهِ فَاحْتَـاجَ لِلتَّنْـوِيرِ

آنَسْتُ نَـارًا فِـي الْقُـرَى حَـسِبْتُهَا ... نَـارَ الْقِـرَا فِـي اللَّيْـلِ لِلتَّـشْهِيرِ

فَأَتَيْتُهَـا عَلِّـي أَجِـيءُ بِجَـذْوَةٍ ... فَوَجَـدْتُهَا نُـورَ الرِّضَـا النِّحْرِيـرِ

عَلاَّمَةُ الْعَصْرِ ابْنَ زَكْرِي ذِي الحِجَا ... الْمَعْـرُوفِ بِـالتَّحْرِيرِ وَالتَّحْرِيـرِ

نُودِيتَ مِنْ طَورِ السَّنَا مُجٌّ قَـدْ سَـنَا ... فَلَقَـدْ سَـنَا مَـنْ نَالَـهُ تَطْهِيـرِ

وَاخْلَعْ نِعَالَ الـنَّفْسِ وَالْـقِ الْعَـصَا ... لاَ تَعْتَمِـدْ إِلاَّ عَلَـى تَقْـدِيرِ

وَمَبَاحِثِي خُذْهَا وَلاَ تُخْـفِ الْخُطَـا ... وَاضْمُمْ يَـدَيْكَ مَعًـا عَـنِ التَّغْيِيـرِ

قُوتُ الْقُلُوبِ لَـدَيَّ وَالتَّنْـوِيرُ مَـعَ ... إِحْيَائِهَـا وَالـرَّوْضُ ذُو التَّحْبِيـرِ

مَنْ جَاءَنَـا يَحْظَـى بِنَيْـلِ مُـرَادِهِ ... يُـسْرًا مِـنَ الْمَـوْلَى بِـلاَ تَعْـسِيرِ

وقال، رحمه الله تعالى: وقد دخلت عليه يوما أعوده مع بعض الإخوان، فذكرت بعض شفقتنا عليه وشوقنا إليه، فقال: انظروا إلى قلوبكم، فكذالك هي قلوبنا معكم أو أكثر، ووالله لو وجدتم ما غبتم عنا لحظة، ولكن لا خيار مع الزمان. ثم طلب منا أن ننوب عنه في زيارة أبي غالب عشرة أيام، فانصرفنا عنه. وهاذا آخر ما سمعته منه من الكلام.

فلما كان عاشر الأيام، نزل به جيش الحمام، فقبضه الله إليه، وقد ناح لفقده حتى مطوف الحمام ليلة الأربعاء الثامن عشر من صفر سنة أربع وأربعين ومئة وألف.

وقلت أرثيه وأبكيه، وأرغم عدوه وأنكيه، مشيرا إلى تجديد الحزن على فقد شيخنا أبي عبد الله، سيدي محمد بن أحمد بن محمد ميارة، وقد توفي يوم الجمعة منتصف المحرم فاتح السنة المذكورة، وحيث لم يكن الوقت وقت رثائه فليعم في سوقه على سبيل التبرك بذكره والتشريك في هول البين وذكره ما يستبعد وينكر، فالشيء بالشيء يذكر:

[الرجز]

ابْـكِ الرُّبُـوعَ وَلاَ تَكُـنْ كَالْجَلْمَـدِ ... مَـا رَأَى مَـنْ لَـمْ يُبْكِهَـا بِمُـسَدَّدِ

وَأَذِرِ الـدُّمُوعَ بِمُرْسَـلٍ وَمُسَلْـسَلٍ ... لاَ تَرْضَى بِـالْمَقْطُوعِ دُونَ الْمُـسْنَدِ

وَزِدِ الْوُلُوعَ وَلاَ تُخَالِطْ فِي الْهَـوَى ... مَلَـلاً فَتُتْـرَكْ بِـالبَرَاحِ الْمُـصَلَّدِ

وَإِذَا انْتَهَى الدَّمْعُ اخْتَصِرْ ثُلُثًا وَجُـدْ ... مِنْـهُ بِثُلُثَيْـهِ وَدُمْ كَالأَوْتَـدِ

حَالَ الأَسَى دُونَ الأَسَى فَالقَلْبُ مِـنْ ... وَجْدٍ عَلَى حَـدِّ الْحُـسَامِ (الْمُحَـدَّدِ)[1]

لِمَ لاَ وَأَنْـتَ فَقَـدْتَ جَمْـعَ أَحِبَّـةٍ ... قَدْ أَنْقَـذُوكَ مِـنَ الْجَحِـيمِ الْمُوقَـدِ

سَلَكُوا بِـكَ الْبَيْـضَاءَ دُونَ تَـشَعُّبٍ ... وَأَرَوْكَ سِرَّ السَّيْرِ فِـي كَـمْ مَـشْهَدِ

لَـمْ يَكْتَفُـوا أَنْ عَلَّمُـوكَ ظَـوَاهِرًا ... مِـنْ أَمْـرِ دِيـنٍ قَـبْلَهُمْ لَـمْ تَنْهَـدِ

حَتَّى سَقَوْكَ كُـؤُوسَ نُـورٍ عِنْـدَهَا ... شَـاهَدْتَ مِنْـهُ بَوَاطِنًـا لَـمْ تُـشْهَدِ

للهِ قَـوْمٌ كُلَّمَـا أَبْـصَرْتَهُمْ ... كَـانُوا لِعَيْنِـي زِينَـةً كَالإِثْمِـدِ

مَا زُرْتُهُمْ إِلاَّ وَنِلْتُ مِـنْهُمْ مَوَاهِبًـا ... وَمَعَارِفًـا تَجْلُـو فُـؤَادَ الأَكْمَـدِ

بَيْنَـا نُـشَاهِدُ حُـسْنَهُمْ وَجَمَـالَهُمْ ... وَنَنَـالُ مِـنْهُمْ أَنْعُمًـا لَـمْ تُعَـدَّدِ

جَـاءَ الْيَقِـينُ فَخَلَّفُونَـا بَعْـدَهُمْ ... فِـي غُرْبَـةٍ وَكَآبَـةٍ وَتَفَـرُّدِ

وَتَلَهُّـفٍ وَتَوَلُّـهٍ وَتَحَيُّـرٍ ... وَتَحَـسُّرٍ وَتَغَيُّـرٍ وَتَوَقُّـدِ

وَتَفَجُّـعٍ وَتَوَجُّـعٍ وَتَزَلُّـعٍ ... وَتَخَـشُّعٍ وَتَخَـضُّعٍ وَتَنَهُّـدِ

بِمُضِيِّ الرِّضَا مَيَّـارَةَ مِـنْ بَعْـدِمَا ... قَدْ كَـانَ كَهْـلاً لِلْفَتَـى الْمُـسْتَرْشِدِ

وَمَضَى ابْنُ زَكْرِيٍّ بَعْدَهُ فَلِذَاكَ مِـنْ ... فَـرْطِ الْجَـوَى أَنْـشَدْتُ لِلْمُسْتَنْـشِدِ

إِنَّ الرَّزِيَّـةَ لاَ رَزِيَّـةَ مِثْلَهَـا ... فُقْـدَانُ مِثْـلِ مُحَمَّـدٍ وَمُحَمَّـدِ

يَا لَرِجَالٍ لِمَا وَجَدْتُ مِـنَ الأَسَـى ... بِنَوَى ابْنَ زَكْرِيٍّ ذِي الْعُلاَ وَالـسُّؤْدَدِ

---

[1] ب: الممدد.

الْعَالِمُ الْعَلاَّمَةُ الدَّرَّاكَةُ الْفَهَّا   مَةُ الْهَادِي الطَّرِيقَ لِمَنْ هُدِي
شَيْخُ الشُّيُوخِ وَعَالِمُ الأَعْلاَمِ مَنْ   وَضَعَ الْهُدَى وَرِكَابَهُ زَمَنَ التَّدِي
للهِ يَوْمٌ غَابَ فِيهِ مُحَمَّدٌ   وَثَوَى الْبَطْنَ مِنَ التُّرَابِ الرَّمْدَدِ
يَوْمٌ يَشِيبُ الطِّفْلُ مِنْ أَهْوَالِهِ   وَيَذِيبُ مِنْ لَؤْوَاهُ صَحُّ الْجَلْمَدِ
يَوْمٌ يَوْمِ الْمُسْلِمُونَ فِدَاؤُهُ   فِيهِ بِأَرْوَاحٍ وَمَالٍ لَوْ فُدِ
وَبِهِ غَدَا فِي شَدِيدٍ لَيْتَهُ   فِي شَقِّ صَدْرٍ مَا دُونَ الْمَلْحَدِ
سُقْيًا لأَيَّامٍ لَنَا مَعَهُ مَضَتْ   مَا مِثْلُهَا إِلاَّ جِنَانُ الْمَخْلَدِ
وَمَجَالِسٌ وَمَدَارِسٌ وَمَعَاهِدٌ   وَمَحَاضِرٌ وَمَنَاظِرٌ فِي كَمْ نَدِ
كَمْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ وَتَلأْلأَتْ   فِي مَجْلِسٍ وَقْتَ الضُّحَى بِالْمَسْجِدِ
كَمْ نَفَعَتْ لَمَحَاتُهُ وَتَأَوَّجَتْ   نَفَحَاتُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُسْعَدِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ لِذَا مِنْ بَعْدِهِ   أَمْ مَنْ لِقَلْبٍ دَاؤُهُ بِالْمَرْصَدِ
مَنْ لِلْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ بَعْدَهُ   مَنْ لِلْمُرِيدِ لَدَا اشْتِبَاهِ الْمَقْصَدِ
مَنْ لِلْقُرْآنِ وَلِلْحَدِيثِ وَلِلْبَيَانِ   وَلِلْمَعَانِي وَلِلْبَدِيعِ الْجَيِّدِ
مَنْ لِلأُصُولِ وَلِلْفُرُوعِ جَمِيعُهَا   مَنْ لِلْحَقِيقَةِ بِالشَّرِيعَةِ يَعْضُدُ
مَنْ لِلْعُلُومِ وَلِلْفُهُومِ وَلِلْحِجَا   مَنْ لِلنُّهَى مَنْ لِلْوِتْرِ ذَاتِ الْيَدِ
مَنْ لِلْهُدَى مَنْ لِلْجَدَى مَنْ لِلنَّدَى   مَنْ لِلْمَوَاهِبِ وَالْمَنَاقِبِ يَرْتَدِ
مَنْ مُسْعِفِي مَنْ مُنْجِيِي مَنْ مُسْعِدِي   فِي نَشْرِ أَوْصَافٍ لَهُ لَمْ تَنْفَدِ
أَتَرَى الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ يَنْدَى لَنَا   هَيْهَاتَ شَحَّ فَمِثْلُهُ لَمْ يُوجَدِ
آلَى الزَّمَانُ وَبَرَّ فِي إِيلاَئِهِ   أَنْ لاَ يَجِيءُ بِهِ يَمِينُ مُوَحِّدِ
يَا سَيِّدَ الأَشْيَاخِ مَنْ لِي بَعْدَكُمْ   يُورِي بِجَذْوَةِ زِنَادِ الْمَخْمَدِ
أَمَّنْ يُعَلِّمُ جَهَالَتِي وَضَلاَلَتِي   أَمْ مَّنْ يُنَبِّهُ غَفْلَتِي عَنْ سَيِّدِ
أَمْ مَّنْ يُزِيلُ كَآبَتِي أَمَّنْ بِهِ   أَجْلُوا صَدَا قَلْبِي مِنَ الإِثْمِ الرَّدِ
يَا حَامِلاً رَايَاتِ عِلْمٍ مَا لَهَا   مِنْ حَامِلٍ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ مُنْجِدِ
عَظُمَ الْمُصَابُ بِفَقْدِكُمْ فَالْقَلْبُ مِنْ   حَرِّ النَّوَى مِثْلَ الْجِمَارِ الْوَقَدِ
أَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَانَ مِنْ جَزَعِي وَمِنْ   فَزَعِي وَمِنْ شَرِّ الزَّمَانِ الْمُعْتَدِ
مَا قَدَّرَ الرَّحْمَانُ كَانَ وَإِنَّ مَا   لَمْ يَقْضِهِ لَمْ يَأْتِ قَبْلَ الْمَوْعِدِ

يَا آلَ زَكْرِيٍّ دُمْتُمْ فِي عِزَّةٍ   وَوَجَاهَةٍ مِنْ بَعْدِ فَقْدِ السَّيِّدِ
إِنْ غَابَ عَنَّا شَخْصُهُ بِجَلاَلِهِ   وَالذِّكْرُ بَاقٍ سَنَنًا لِلسَّرْمَدِ
فَالْعَالِمُونَ حَيَاتُهُمْ لاَ تَنْقَضِي   وَمَمَاتُهُمْ يُرْدِي الأَنَامَ وَيَرْعَدِ
وَالْجَاهِلُونَ مَمَاتُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ   لَهُمَا اسْتِوَاءٌ فِي عُقُولِ الْمُجَّدِ
صَبْرًا بَنِي زَكْرِيٍّ وَكُونُوا بَعْدَهُ   فِي نَجْلِهِ خُلَفَاءَ خَيْرَ تَحَمُّدِ
يَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَبْرًا وَكُنْ   بَدْرًا إِذَا مَا الشَّمْسُ غَابَتْ تَرْشُدِ
وَلْتَجْتَهِدْ وَارْكَبْ لِنَيْلِ مَجَادَةٍ   صَهَوَاتِ أَفْرَاسٍ سَبَّاحٍ حفدِ
إِنَّ السَّرَى هُوَ السَّرَى بِنَفْسِهِ   وَابْنُ السَّرَى إِذَا سَرَى يَستَأْسِدِ
وَاجْعَلْ أَخِي الْعِلْمَ شُغْلاً شَاغِلاً   يُلْهِيكَ عَنْ زَيْدٍ وَعَمْرٍ وَأَوْغَدِ
مَا زِينَةُ الإِنْسَانِ إِلاَّ عِلْمُهُ   وَتُقَى الإِلاَهِ وَخُلْطَةُ لِلزُّهَّدِ
وَاللهُ يُولِيكَ الرَّشَادَ تَفَضُّلا   وَيَقَرُّ عَيْنِي لاَ عُيُونَ الْحُسَّدِ
إِخْوَانُنَا صَبْرًا جَمِيلاً إِنَّهُ   مَنْ لَمْ يَذُقْ مَا ذَاقَهُ فَكَانَ قَدِ
وَاللهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُ مَعًا   فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ دَارِ الْخُلْدِ
فَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فَأَبْشِرُوا   وَالْحَمْدُ للهِ الْعَظِيمِ الأَمْجَدِ
ثُمَّ الصَّلاَةُ مَعَ السَّلاَمِ عَلَى الَّذِي   شَرَعَ الْمَحَبَّةَ فِي الشُّيُوخِ الرُّشَّدِ
اَلْمُصْطَفَى خَيْرُ الْخَلاَئِقِ كُلِّهَا   مَنْ قَدْ تَسَمَّى فِي الْقُرْآنِ بِأَحْمَدِ
وَعَلَى مَوَالِينَا أُهَيْلِ الْبَيْتِ مَنْ   حَازُوا الْكَمَالَ بِقُرْبِهِمْ لِمُحَمَّدِ
وَعَلَى الصَّحَابِ وَتَابِعِيهِمْ دَائِمًا   مِنْ قَانِتِينَ وَرَاكِعِينَ وَسُجَّدِ
ثُمَّ الرِّضَا وَالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَ   الرِّضْوَانِ وَالرَّحَمَاتِ رَيَّا الْمَوْرِدِ
تَتْرَى لِدَارِ شَيْخِي ابْنَ زَكْرِيٍّ كُلَّمَا   لَحَظَ اللُّحَّاظُ عَلَى مَمَرِّ الْمُسْنَدِ

[أحمد بن محمد بن زكري]

وخلف الشيخ، صاحب الترجمة، ولده سيدي أحمد المذكور في القصيدة هاذه، ذرية بعضها من بعض. فكان، رحمه الله، عالما عاملا، زاهدا ورعا، خاملا صامتا، معرضا عن الدنيا وأهلها، طلقها، رحمه الله، وتصدق بجميع ماله على الضعفاء والمساكين والأشراف والأيتام والأرامل، وتفرغ لعبادة الله في خلوة الشيخ سيدي أبي الشتاء من مسجد حارة قيس من القرويين، خاليا عن العباد.

وكان، رحمه الله، كثير الصيام والقيام، قليل الكلام، لا يلتفت لأحد، ولا ينظر إلى أحد، ولا يرى قلب عينيه أحد. هاذه حالته، إلى أن توفي عليها، رحمه الله تعالى، عام أربعة وخمسين ومئة وألف.

[محمد ميارة الصغير] [1]

ومنهم الشيخ العالم العلامة الشهير، سيدي محمد بن أحمد ميارة الصغير بن محمد الكبير، رضي الله عنهما.

كان، رحمه الله تعالى، إماما عالما، عاملا خاملا، ملازما لداره بالدرب الطويل، لا يخرج إلا في أوقات الصلاة، ولقراءة العلم بمسجد عياض من حومة الصاغة، كان إماما به. وكان، رحمه الله، هينا لينا. بدأ لي بيده المباركة سلكة القرآن الثانية والثالثة مع صاحب الترجمة قبله.

خرج يوما، رحمه الله، قبل الفجر لصلاة الصبح بالمسجد المذكور، فلقيه لص، فضربه بزرواطة بباب درب رياض حجلات على أذنه، وسقط على الأرض مغشيا عليه، وسلبه من السلهام والحائك والقفطان، وتركه بالطريق، حتى وجده من وجده على تلك الحالة مغشيا عليه، وحملوه إلى داره.

ومن الغد، أو بعد غد، وجد اللص الفاعل به ذالك بوادي الزيتون، وهو يغسل ثياب الشيخ من الدم، فعرف وقبض، وجيء به لحاكم البلاد، القائد أبي علي الروسي، فسجنه. وجاء إلى الشيخ، فدخل عليه، ودفع له الحوائج، وقال له: إن صاحبك الذي ضربك، حكم الله فيه وقبض، وأنا جعلته في السجن على مشورتك، وهو ينتسب، ولا أفعل إلا ما تأمرني به، وهو مقر غير منكر. فلما سمع الشيخ بالنسبة، أمر بإحضار العدول

[1] محمد بن أحمد ميارة (-1144 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 235/2. التقاط الدرر: 356. سلوة الأنفاس: 180/1-181. زهر الآس:236/2.

وإحضاره، ولما جاءوا قال للحاكم: إني أحللته من دمي لوجه نسبته إلى النبي ﷺ. فأطلقه الحاكم من حينه، وبرئ الشيخ من ذالك الضربة ثقيل الأذن.

كان، رحمه الله، كلما لقيته داخلا وخارجا من داره أقبل يده، هاذه كانت عادتي معه. ثم إنه يوما أردت تقبيل يده على عادتي، فقبضني بيديه من رأسي، وقال لي: أنت ولد فلان؟ قلت: نعم .فقال: إني أردت نصحك. إذا لقيتني مرة أخرى، فقل السلام عليكم، سنة النبي، وهي أفضل لك من تقبيل يدي، لأن ذالك لا يصلح لشيء، ولا غلة لي فيه ولا لك. فكنت بعد ذالك كلما لقيته، نقول: سلام عليكم. فيرد علي: عليكم السلام. ويزدني على ذالك: الله يرضى عنك.

وتوفي، رحمه الله، يوم الجمعة منتصف المحرم الحرام، عام أربعة وأربعين ومئة وألف. ودفن بالدرب الطويل، بروضة جده سيدي محمد الكبير، بين قبته وبين ضريح العلامة الشيخ سيدي محمد بناني[1]، المدعو المحوجب، ﷺ أجمعين، ونفعنا بهم آمين.

وبعد وفاة الشيخ، صاحب الترجمة، بمدة، قبض اللص المذكور هو وأصحابه عند قطعهم الطريق على أناس، وذبحوا جميعا عند سقاية باب المحروق، أعاذنا الله من ذالك.

[عبد الرحمان بن إدريس المنجرة][2]

ومنهم الشيخ الفقيه، العالم العلامة المشارك، الأستاذ السبعي، الجامع للقراءات العشر، أبو زيد، سيدي عبد الرحمان بن الشيخ العلامة الجامع، شيخ جماعة القراء في وقته، سيدي إدريس النجار، المدعو المنجرة، ابن الشريف سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سيدي محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر بن الحسن بن عيسى بن مخلوف بن الحسن بن بختي بن علي بن سادور بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر بن عبد الله بن إدريس الأصغر[3]، باني فاس، بن إدريس الأكبر[4]، دفين زرهون، بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب وفاطمة[5]، رضي الله عنهما، بنت رسول الله ﷺ. هاكذا وقفت عليه في ظواهر بأيديهم.

كان صاحب الترجمة، رحمه الله، عالما عاملا قارئا مدرسا للعلوم في كل الأوقات، ومسلكا ألواح القراء عند طلوع الشمس بعنزة القرويين، مكبا على ذالك طول

---

[1] محمد بناني المحوجب (-1140 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 1/181-182.
[2] أبو زيد، عبدالرحمان بن إدريس النجار، المدعو المنجرة (-1179 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/305-307.
[3] إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل (-213 هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:1/102، هامش: 374.
[4] إدريس بن عبدالله الكامل (-177 هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:1/100، هامش: 369.
5 فاطمة بنت محمد، رسول الله ﷺ (-11 هـ). انظر مصادر ترجمتها في: الإشراف:1/46، هامش:88.

عمره، حتى كان، رحمه الله، إذا فرغ من التدريس أو القراءة ودخل الدار، لا تراه إلا مكبا على مطالعة الكتب، ولو انقلبت الدار لم يرفع رأسه، ولم يلتفت عما هو بصدده.

تولى، رحمه الله، الإمامة والخطبة بمسجد الشرفاء الذي بضريح مولانا إدريس، نفعنا الله به، عام أربعة وستين ومائة وألف، وبقي به نحو الأربعة عشر عاما، وتوفي على هاذه الحال.

وكان، رحمه الله تعالى، يفتح مجلسا للتفسير بالقبة بعد صلاة الصبح، وبعد طلوع الشمس مجلسا بها أيضا لسيدي خليل، ويجلس بعد ذالك بعنزة مسجد القرويين لتسليك ألواح الطلبة القراء، ويقرأ معهم كتب ذالك الفن في الخميس والجمعة بقبة المدرسة الرشيدية. قرأ عليه من الطلبة كثير، وانتفعوا على يده من أهل البلد، والكثير من أهل البوادي، (وشارطوه)[1] البربر، فخرج وتقرر بمدشر تازريت، بزاوية سيدي عبد الله اعياش بآيت عياش، واستنفعوا منه أشد النفع، بقي عندهم نحو العامين، ورجع إلى فاس حين انكسر حد الغلاء، غلاء عام الخميس، لا أعاده الله. قرأت عليه، رحمه الله تعالى سلكة بقالون وسلكة بورش .

أخذ، رحمه الله تعالى، عن والده، العلامة سيدي إدريس المذكور، وأجازه بخط يده، حسبما وقفت على ذالك.

وكانت أم صاحب الترجمة شقيقة أمنا، رحمة الله عليهما.

وأخذ والده، رحمه الله، عن الأستاذ سيدي محمد بن عبد الله السرغيني الشهير بالهواري، عن أبي زيد، سيدي عبد الرحمن بن القاضي، عن أبي زيد، سيدي عبد الرحمان السجلماسي[2]، عن أبي عبد الله، سيدي محمد بن أحمد الشريف المري الحسني التلمساني، عن الشيخ أبي القاسم الدكالي، عن الشيخ أبي عبد الله، محمد بن غازي[3]، عن الشيخ أبي عبد الله الصغير، عن أبي العباس، أحمد الفيلالي، عن أبي عبد الله الفخار، عن أبي العباس، أحمد الزواوي، عن أبي الحسن، علي بن سليمان، عن أبي جعفر بن الزبير، عن إسماعيل العطار، عن أبي بكر بن حسون، عن أبي عبد الله بن بقي، عن أبي عبد الله بن عمر بن العرجاء، عن أبي معشر الطبري بن نفيس، عن أبي عدي، عن أبي بكر بن سيف، عن أبي يعقوب الأزرق، عن ورش، عن نافع وابن هرمز، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ .

وأخذ ابن نفيس أيضا عن أبي نصر البغدادي، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن بويان، عن ابن الأشعث، عن أبي نشيط، عن قالون، عن نافع .

---

[1] كذا.

[2] أبو زيد، عبدالرحمان السجلماسي (-1029 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 238/1-239.

[3] أبو عبدالله، محمد بن غازي (919 هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 4647. طبقات الحضيكي: 247249/1. سلوة الانفاس:8286/2.

وأخذ أيضا صاحب الترجمة العلوم الشرعية عن الشيخ العلامة، الجامع بين المعقول والمنقول، أبي عبد الله، سيدي محمد بن أحمد بن المسناوي الدلائي، المتوكل بالزاوية البكرية سنة سبعين بالموحدة وألف، المتوفى بفاس بعد الزوال يوم السبت سادس عشر شوال سنة ست وثلاثين ومائة وألف. وهو عن الشيخ العلامة، سيدي محمد[1] بن العلامة الإمام، سيدي عبد القادر الفاسي، عن والده سيدي عبد القادر[2]، عن عمه الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي، العارف بالله، عن الإمام أبي عبد الله[3]، عن الشيخ أبي النعيم، رضوان بن عبد الله الجنوي[4] العقبي، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن علي سقين السفياني[5] عن شيخ الجماعة في وقته، أبي عبد الله، محمد بن غازي[6] المذكور في السند آنفا.

ولد صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، بحومة المخفية عدوة فاس الأندلس يوم الأحد الحادي والعشرين من شوال المبارك عام أحد عشر ومائة وألف، وتوفي، رحمه الله تعالى، ضحوة يوم الأربعاء بداره، بحمام القلعة من فاس خامس ذي الحجة الحرام سنة تسع وسبعين ومائة وألف، واجتمع علماء ذالك الوقت في ذالك اليوم على دفنه في يومه، فأبين النساء وامتنعن من ذالك امتناعا كليا وأغلقن عليه بيته، وتغير الناس من ذالك. ثم بعد هنيئة سمعن الدق في دفة البيت من داخله، المرة الأولى والثانية والثالثة، وفي كل مرة يفتحون البيت ويدخلون فلم يجدوا أحدا، فرجعوا وقالوا لعله أراد أن يخرج، فدخلنا عليه، وفتحنا البيت.

وكنت المباشر لغسله والعلامة القاضي سيدي عبد القادر بوخريص هو المساعد لي، وكان الحاضر معنا العلامة سيدي التاودي ابن سودة، ودفن بعد صلاة عصر ذالك اليوم في جوار والده المذكور، وجوار الإمام سيدي عبد الواحد بن عاشر والشيخ الحسيني قرب المصلى خارج باب فتوح؛ أحد أبواب فاس.

---

[1] محمد بن عبدالقادر الفاسي (-1116 هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:153/1، هامش:651.

[2] أبو محمد، عبدالقادر بن علي الفاسي (-1096 هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:153/1، هامش:650.

[3] أبو عبدالله، محمد بن قاسم القصار (1012 هـ). ترجمته في: التقاط الدرر: 39. طبقات الحضيكي: 335337/2. سلوة الأنفاس:72/2.

[4] رضوان بن عبدالله الجنوي (-991 هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:91/1، هامش: 309..

[5] عبدالرحمان بن علي سقين السفياني (-956 هـ). ترجمته في: الحركة الفكرية: 349.

[6] محمد بن أحمد ابن غازي (-919 هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 46-47. الفكر السامي: 266/2. سلوة الأنفاس: 82/2-86. الحركة الفكرية: 346/2. زهر الآس:4647/2.

[أبو عبد الرحمان، إدريس المنجرة]

وولد والده سيدي إدريس المذكور في أواسط ذي القعدة الحرام عام ستة وسبعين وألف .

وكان، رحمه الله، عالما ماهرا في علم القراءات، تخرج عليه كثير من القراء. وكان، رحمه الله، يجلس في عنزة القرويين من طلوع الشمس إلى ضحوة النهار، كما كان يفعل ولده بعده.

وكان، رحمه الله، ذو همة عالية وهيبة وجد. دخلت عليه يوما لداره، وأنا في حالة الصغر، فوجدت أحد أولاده يسرد عليه القرآن، وهو يدق له رايته في الحائط، ويقول له: اقرأ من صدرك، لا تقرأ من رأسك .

ودخلت عنده مرة أخرى، فوجدته بأسطوان داره جالسا على حصير، وهو يجوز للطلبة الألواح، وجاء بعض الطلبة، كان بقبيلته، بالحيل، وجاء إلى الشيخ ببعض الفاكهة، فنادى الشيخ أصغر ولده، سيدي عبد الله، ليأخذ من يد الطالب الفاكهة، فقبل الطالب يد الولد فرحا به على نيته، فصاح عليه الشيخ وشتمه، وخاصمه خصاما شديدا، ورد عليه فاكهته، وقال له: أنت غشاش، غششتني، وغششت ولدي، وأنا أنظر، تقبل يد ولدي لتكذب عليه نفسه ولا يكون منه خيرا، ويخرج خاويا بسبب تقبيلك يده، ورأينا ذالك كذالك يقع بأولاد العلماء وأولاد الصالحين.

توفي، رحمه الله، بعد صلاة ظهر يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم الحرام فاتح سبعة وثلاثين ومئة وألف. وأوصى ﷺ أن لا يطعم في جنازته إلا الخبز والعسل، فكان كذالك، ودفن بجوار سيدي عبد الواحد بن عاشر قرب المصلى، رضي الله عنهما.

[أولاد إدريس المنجرة]

وخلف، رحمه الله تعالى، أربعة أولاد كلهم فقهاء قراء، أكبرهم مولاي محمد، كان يجلس في آخر عمره بسماط العدول.

ويليه مولاي عبد الرحمن المتقدم آنفا.

ويليه مولاي العربي كان أستاذا، وخرج عام خمسين وشارط بآسفي، وبقي هنالك سنين وتوفي.

ورابعهم مولاي أحمد، توفي، رحمه الله، عام اثنين وأربعين مقتولا في شر من شرور فاس.

وخامسهم، وهو أصغرهم، سيدي عبد الله، وكان في ابتداء أمره يخدم صنعة الحرير، ويكتب لوح القرآن حتى حفظه، واشتغل بالقراءات على أخيه مولاي عبد الرحمن المذكور، وبقراءة النحو والفقه والحديث وغير ذالك. ثم بعد ذالك، لما فتح الله عليه، انتقل من فاس إلى مراكش، واشتغل بقراءة العلم فيها، ونفذ له أمير الوقت الإمامة بمسجد المواسين، فكان إماما به، ويدرس به العلم. له مجالس في كل وقت، يجتمع عليه الناس كثيرا. بقي على تلك الحال إلى أن توفي، رحمه الله تعالى، عام خمسة وسبعين ومائة وألف.

[محمد المدرع][1]

ومنهم الفقيه الأجل، المسن البركة الأفضل، أبو عبد الله، سيدي محمد المدرع.

كان، رحمه الله تعالى، عابدا ناسكا سنيا، حافظا للسنة، طول عمره بالقرويين، لا يخرج منه إلا ليلا، وفي زمن المصيف يبيت به ولا يخرج، ملازما لمجالس العلم والكراسي للوعظ، كثير التلاوة والذكر والصيام والقيام، وإذا فرغ من المجالس يكون جلوسه بالعنزة.

وكان، رحمه الله، ولعا بزيارة الصالحين الأموات، وكان له معرفة بهم، وقد جمعهم، رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم، في منظومة نظمها، جمع فيها الصالحين بداخل المدينة ومن خارجها ومن بأحوازها؛ نساء ورجالا، وزاد فيها على ما ذكر ابن عيشون[2] في تأليفه، رضي الله عن جميعهم، وأمدنا من مددهم، آمين.

كنت أقرأ عليه القرآن خمسة أحزاب في كل يوم، فكانت قراءتي عليه سردا نحو الخمس سلكات أو ست .

وكان، رحمه الله، يعتمد الشيخ الإمام، سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله معن، وشيخه الشيخ سيدي الخصاصي، رضي الله عنهما.

توفي صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، عن سن عالية، سنة خمس وخمسين ومائة وألف، ودفن عند شيخه بالقبب خارج باب فتوح.

---

[1] محمد المدرع (-1156 هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي: 153-154. الروضة المقصودة: 2/427-431. سلوة الأنفاس: 2/41-43. زهر الآس: 2/158.

[2] محمد بن محمد ابن عيشون الشراط (-1109 هـ). ترجمته في: مقدمة تحقيق الروض العطر الأنفاس: 22-23. نشر المثاني: 3/84-85. التقاط الدرر: 274-275.

[علي المقدم]

ومنهم الفقيه الأجل، الأستاذ المجود، أبو الحسن، سيدي علي، المدعو المقدم.

كان، رحمه الله تعالى، رجلا تاليا، مجودا دينا خلوتيا، متقشفا صابرا ساكتا، ملازم الجلوس بباب حفرة القرويين، عند الخزانة التي هنالك، من صلاة الصبح إلى أن يصلي المغرب. وكان له بيت بمدرسة العطارين، يبيت به ليلا، ولم يدخله أحد غيره، وبالنهار يقيل بالقرويين بالموضع المذكور، يسلك للطلبة الألواح.

قرأت عليه سلكة بقالون، وبدأت أخرى بالمكي، مدة مديدة وسنين عديدة وهو على الحالة الموصوفة، لم يبدلها بغيرها، ولا رآه أحد يأكل لا خبزا ولا غيره، ولا قال لأحد جعت أو خصني شيء، ولم يره أحد في عمره يشتري طعاما أو يأكل، ولا علم أحد قط من أين يأكل، لا في الرخاء ولا في الشدة، ولا من أين يرزق، إلى أن توفي، رحمه الله تعالى، على حالته، ولا بدل ولا غير، عام أربعة وخمسين ومئة وألف.

فـــصـــــــــــــل

في ذكر من أخذنا عنه وقرأنا عليه من العلماء الأعلام، الأئمة الناصحين للإسلام، المبلغين ما جاء به خير الأنام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام وأصحابه، أئمة الهدى ومصابيح الظلام

[محمد بن قاسم جسوس][1]

فمنهم شيخنا وعمدتنا، الفقيه العالم، العلامة الإمام، شيخ الجماعة في وقته، المدرس المشارك الصوفي الهمام، أبو عبد الله، سيدي محمد بن قاسم جسوس، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

كان، رحمه الله، عالما عاملا زاهدا، ذا أخلاق حسنة، وأوصاف مستحسنة، جدد السنة وحازها، وسلك الطريق وعرها وسهلها حتى أشرقت عليه أنوار المحبة الإلاهيه، وتوفرت فيه شروط الأوصاف الكمالية المحمدية، من الخشوع والتواضع والخضوع والصيام والقيام وغلبة الدموع، ما يزيد به المحبة والولوع، لا سيما في أهل الخير المنسوبين الدراويش، يحب الاجتماع معهم على ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ويتواجد عند ذالك.

وله ﷺ تآليف عديدة في كل فن.

قرأت عليه ﷺ صحيح البخاري نحو ثلاث ختمات، وسلكة سيدي خليل، وشمائل الترمذي، وبعضا من سيدي مسلم. فكان، رحمه الله، على مجلس تدريسه طلاوة، وفي كلامه فصاحة وحلاوة، كما أعطاه الله تعالى من التواضع واللطافة والحنانة والسكينة والفصاحة والحفظ الوهبي، وتمكن المحبة من سويداء قلبه، حتى كان تقرير مجلسه في كل فن ممتزجا بالتصوف امتزاجه في دمه ولحمه.

---

[1] أبو عبدالله، محمد بن قاسم جسوس (-1182 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 188/4. طبقات الحضيكي: 357-358. سلوة الأنفاس: 374/1-376. الفكر السامي: 346/2. الأعلام: 8/7. زهر الآس: 279-280/2. معلمة المغرب: 3028/9.

أخذ ﷺ عن مشايخ شتى جلة، كالشيخ العلامة الشهير سيدي عبد السلام جسوس، والشيخ سيدي الطيب بن الشيخ العلامة، سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، والعلامة سيدي محمد بن أحمد المسناوي الدلائي[1]، المتقدم آنفا، والعلامة الإمام، سيدي محمد بن عبد الرحمان بن زكري المتقدم، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم، ونفعنا ببركاتهم آمين.

ولد، رحمه الله تعالى، سنة تسع وثمانين وألف، وتوفي، رحمه الله تعالى، أوائل رجب الفرد الحرام عام اثنين وثمانين ومئة وألف، ودفن، رحمه الله، بعد صلاة العصر بزاوية الشيخ الإمام سيدي عبد القادر الفاسي، سقانا الله من مددهما آمين. وكنت المباشر لغسله وإنزاله في قبره، لإيصاء منه على ذالك. وقبره يسرة الداخل للزاوية من البويبة الصغرى المقابلة لدار الشيخ سيدي عبد القادر.

وبعد صلاة صبح اليوم الذي توفي فيه، دخلت عليه الطائفة العيساوية يعودونه ويتبركون به، فأمرهم بقراءة الحزب الذي يقرءون، وهو حزب الشيخ الجزولي ﷺ، فقرءوه. ولما فرغوا من قراءته، وراموا الخروج من عنده، جعل كل واحد منهم يقبل يده ويطلب الدعاء منه، وهو في غاية ما يكون من الضعف والنزع، فنهاهم عن ذالك ومنعهم منه، فدعا لهم وخرجوا عنه، وبقيت جالسا عنده. فقال، رحمه الله: قرب يا مولاي محمد. فقربت عنده، وقبلت يده، وطلبت منه الدعاء. فقبض يدي اليمنى بيده، وعيناه تدمعان، وهو يدعو لي، ويتكلم معي ويوصيني. ثم رفع يدي، وجعلها على صدره وحازها، وتكلم معي في الغسل والدفن، ومع ولده سيدي محمد. ثم جعل يومئ بيدي إلى فمه ليقبلها، فمنعته. فقال، رحمه الله: اتركها لي. وبقيت متحيرا في أمري من جهة الامتثال، ومن جهة (الأوب)[2]. فقلت: يا سيدي، الآن خاصمت الناس، ونهيتهم عن تقبيل يدك، ومنعتهم، ثم إنك أردت ذالك مني. فأقسم علي أن أمكنه منها، ففعلت. فقال لي: كم من سلكة القرآن كتبت هاذه اليد؟ وكم كتبت من دلائل الخيرات؟ وكم من حديث النبي ﷺ؟ ولا سيما نسبتها للنبي ﷺ.

ولقد رأيته، رحمه الله تعالى، بعد موته بثلاثة أيام، وأني دخلت عليه، وهو بدار كبرى عظيمة، ضوءها يخطف الأبصار، فالتقيت معه في صحنها، وعانقني وسلم علي سلاما شديدا، إذ هو في بسط كبير، فجعل يرحب بي، ويتكلم معي، وأنا أنظر في حسن ثيابه، وعليه سلهام حرير، يجره من كثرة طوله. فقلت في نفسي: كيف حتى لبس الشيخ هاذا السلهام من الحرير؟ فالتفت إلي، وقال لي: مولاي محمد، هاذا سلهام آخر غير الذي تعرف.

---

[1] أبو عبدالله محمد بن أحمد الدلائي المسناوي (-1136 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 3/265-278. التقاط الدرر: 327-330. طبقات الحضيكي: 2/362. رقم: 458. سلوة الأنفاس: 3/5960. النبوغ المغربي: 1/286-287. الحياة الأدبية: 196-204. الأعلام: 6/13. معلمة المغرب: 12/4073-4074.

[2] ب: الأدب.

ولقد كان بيني وبين ولده سيدي محمد أخوة كبيرة وصداقة ومحبة، في حياة الشيخ (وبعد مماته)[1]، ثم سول له الشيطان، لعنه الله، شيئا، وأراد المقاطعة بيني وبينه، فلم أقبل ذالك وكافقته بالمواصلة. فرأيت الشيخ في المنام، رحمه الله، وهو جالس بدارنا عند أخينا سيدي عبد المجيد بغرفته آلتي كان يسكن بها، وبينهما مائدة، ومعهما إنسان آخر، ما عرفته، وآنية صغرى في وسط المائدة، يأكل منها، لا أعرف ما فيها. فدخلت، وسلمت، فردوا علي، وجلست معهم على المائدة بإذن أو بغير إذن. ثم دخل علينا أخونا الفقيه سيدي أحمد بن الحاج[2]، خديم الشيخين، وصهر صاحب الترجمة، وبيده قارورة أو غراف أو كأس. ودفع ذالك للشيخ، فأخذه من يده، وصب منه في الكأس وشرب. وأعطى لأخي عبد المجيد فشرب، ثم صب شيئا آخر. واتكأ الشيخ على يده اليسرى في المائدة، ومد إلي الكأس باليمنى، ولما بلغ فمي، جعل يحك الكأس في يده يمينا وشمالا، وذالك الماء الذي يدخل فيه في فمي شيئا فشيئا، ولم يدعني أكرع فيه. فقلت عند ذالك في نفسي: الله أكبر، ما أشد محبة هاذا الشيخ وتواضعه ومكارم أخلاقه حيا وميتا. فقال لي: مولاي محمد، فوق ما تظن، مولاي محمد، لا تجافي ابني محمد، وكررها علي. فأردت أن أقص عليه قصة ولده، فاستيقظت ورائحة الماء الذي شربت على فمي لا تشبه رائحة مسك ولا عنبر.

فلما أصبح الصباح، ذهبت إلى ولده سيدي محمد، رحمه الله، وقصصتها عليه.

ورأيته أيضا مرة أخرى في رمضان عام تسعة بل ثمانية وتسعين ومئة وألف، وهو جالس عند السارية الموالية لقبره، بالزاوية المدفون بها من ناحية الصحن، وأنا جالس مقابل له عند الباب، وأنا أسرد عليه كتابي المسمى ب"تنبيه الفقير من الغفلة والتقصير"[3]، وهو يبكي ويدعو لي، ومهما نريد أن نقطع، يقول لي: زدنا. فأردت مرة أن أنتقل بالسرد إلى محل آخر من الكتاب، فقال لي: سر على ما أنت عليه. وسيدي محمد ولده حاضر معنا، حتى أيقظني من أيقظني للوقت. وقمت فرحا مسرورا من ذالك، وزدت غبطة في ذالك الكتاب.

ودخلت عنده لأعوده في أول مرضه الذي توفي منه، وجعل يعظنا ويوصينا، ثم استشهد بأبيات شيخه سيدي عبد السلام جسوس[4]، رحمة الله تعالى عليه، فذكرهم، والتفت إلي، وقال: مولاي محمد، أنت نعرفك مولعا بالتقييد، وقد ذكرت هاذه الأبيات كم من مرة بمحضرك، قيدتهم أم لا؟ قلت: لا. فقال: قيدهم الآن. فأمر ولده سيدي محمد بإحضار الدواة والقاغيد، فوجدت الدواة، ولم يوجد القاغيد، وكان تحت إبطي جلدان، أحمر وأخضر بقصد التفسير. فقال لي: ذاك كتاب؟ قلت: لا، جلد. فأخذ الأحمر، وكتب في كراعه بيده، وقال لي: هاكذا أردت كتبهم بيدي، رحمه الله تعالى. والأبيات:

---

[1] ب: ساقط.
[2] أحمد ابن الحاج (-1195 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 210/2.
[3] مخطوط المكتبة الوطنية رقم 2299. والخزانة الحسنية رقم 202 و13993.
[4] عبدالسلام جسوس (-1121 هـ). ترجمته في: انظر مصادر ترجمته في الإشراف: 157/1، هامش:668.

[الطويل]

سَلاَمٌ عَلَى أَهْلِ الْحَيِّ حَيْثُ مَا حَلُّوا ... هَنِيئًا لَهُمْ يَا حَبَّذَا مَا يَدْخُلُوا
لَهُمْ أَظْهَرَ الْمَوْلَى شُمُوسَ بَهَائِهِ ... فَيَا لَيْتَ (خَبَرِي)[1] فِي اقْتِرَابِ لَهُمْ نَعْلُ
مَتَى يَا غَرِيبَ الْحَيِّ يَأْتِي بَشِيرُكُمْ ... فَتَبُتُّهُمُ الدُّنْيَا وَيَجْتَمِعُ الشَّمْلُ
صِلُونِي عَلَى مَا بِي فَإِنِّي لِوَصْلِكُمْ ... إِذَا لَمْ أَكُنْ أَهْلاً فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلُ

وبتنا مع صاحب الترجمة يوما عند بعض المحبين، وحضر معنا بعض الطلبة والفقراء، وكان ﷺ يتكلم معنا في شأن الأولياء والصالحين ممن له أتباع وممن لا، وفي كراماتهم وخوارق عاداتهم. وسأله بعض الحاضرين عمن له أتباع وخلفهم وراءه، ولم يزالوا كذالك، ومنهم من انقطعوا بموته، ومنهم من لم يكن لهم أتباع، لا في حياته ولا بعد موته، وكلهم صالحون؟ فقال له الشيخ: الأولياء والصالحون ليسوا في مقام واحد، وإنما كل واحد وما بلغ، بعضهم أعلى مقاما من بعض.

فتكلم بعض العامة، فقال: الناس يقولون: كم من كرابيز تحت الدرابيز. فسكت الشيخ، رحمه الله، وأعرض عن جوابه. ثم أعاد عليه المقالة ثانيا، ولم يجبه، حتى رأينا أنه أثر فيه ذالك الكلام. ثم التفت إلي الشيخ، وقال: أجبه يا مولاي محمد. فقلت: يا سيدي، الناس يقولون: إذا حضر الماء، ارتفع التيمم. فنهض، وقال: أنا قد أذنتك بجوابه. فقلت: هاذا كلام بشيع غير صحيح، فلا يقبل من قائله، لأنه فيه سوء أدب، ولأن فضل الله أوسع من ذالك، والله ذو الفضل العظيم. وموجبه، هو أنا مخاطبون بحسن الظن بالله تعالى وبعباده، وهاذا الكلام من سوء الظن بعباد الله تعالى. فالعبد إذا دعا بدعوة واشتهر بها، وهي ليست فيه، وحمله الناس على دعواه، وعقدوا فيه نياتهم، لأن الأعمال بالنيات[2]، وظهر بأظهر الناس، والله يتولى السرائر، وانتفعوا منه بنياتهم، كان ذالك النفع في صحيفته، كما قال بعض العارفين: إني لآمركم بالخير ولا أفعله، ولاكن أرجو به الفضل من قبلكم. فإذا بلغته دعوته وشهرته إلى القبة والدربوز والكسوة، كان له بذالك كنز لا يفرغ، لأن كل من زاره أو مر به من موته إلى آخر الدهر يتوسل به، ويهدي له ما تيسر من الدعاء والرحمة، أو ثواب سورة من القرآن، أو صلاة على النبي ﷺ، أو ما أشبه ذالك، وكل ذالك يزداد في صحيفته وهي تملأ (بالهدايات)[3]. فما بقي بعد هاذه الخيرات من "تكربيز" ولا غيره، مع سعة فضل الله ورحمته، ومن كرمه تعالى أنه يرحم عبد ه بما يعذبه به هاذا، والشيخ ساكت.

---

[1] ب: ضري.
[2] اقتباس من حديث "إنما الأعمال بالنيات". صحيح البخاري. كتاب بدء الوحي. رقم: 01.
[3] كذا.

ولما فرغت، فاضت عيناه بالدموع ﷺ، وجعل يرضى عني، ويدعو لي بخير، والحمد لله، هو ومن حضر. ثم قال لي، رحمه الله: هاذا الكلام نقلته عن أحد أو من كتاب؟ فقلت له: والله يا سيدي غير ما حضر من بركتك. فدعا لي، رحمه الله، وأمرني بتقييده.

وكان، رحمه الله تعالى، في مجلسه إذا رأى أحدنا يتكلم مع أحد، أو يكثر النظر في كتاب في المجلس، وخصوصا في التصوف، يقول له: اسمع، فإذا غاب عنك هاذا الوجه، فلا تسمع هاذا من أحد أبدا. فكان الأمر كما كان يقول.

وكنت لا (نخبئ)[1] عنه شيئا من أموري، حسا ولا معنى، ولا شكل علي أمر، ولا رأيت رأيا، ولا تخيل لي خيال، إلا قدمت عنده، ولا يسكن خاطري حتى ألقاه، وأقص عليه ذالك.

فمن ذالك أن رجلا اسمه بوعز جيلول، كان ملازما سنين لقراءة دلائل الخيرات بمولانا إدريس قبل الفجر، وكان ينادي على من بالقبة يلهمهم بالفجر، يقول: الفجر يرحمكم الله. ويصليه، ويزيد لكرسي الوعظ الذي هنالك. بقي على هاذه الحالة إلى أن توفي، رحمه الله.

وبعد وفاته، رأيته يوما يقظة بمولانا إدريس بباب القبة بعد صلاة الظهر، فقلت: السلام عليكم، وهو جالس مع رجل آخر ميت، وبيده كتاب، وزدت للكرسي. فكنت أقرأ، وأنا أراه بمجلسه على حاله. ولما كنت في أثناء القراءة، تفكرت أنه ميت، فقطعت القراءة، وقمت للكلام معه، فإذا بي لم أجده، وبقيت متحيرا في ذالك. فقصدت عند ذالك الشيخ، رحمه الله، وقصصت عليه ذالك، فقال لي: تبارك الله يا مولاي محمد. قلت: نعم يا سيدي. قال: إياك أن تعتد بذالك وتعتمد عليه، فإنه ليس بشيء، وإنما هي خيالات، لا تلتفت إليها، ولا تقتنع بها، فإن المقصود أمامك.

ومنها: بعث لي رجل صاحبي من البادية (أمة بقصد البيع)[2]، وبقيت عندنا بدارنا حتى بيعت لامرأة، بقيت عندها وماتت، ولا علم لي بموتها، حتى جئت من عند الشيخ من قراءة البخاري، فوجدتها تملأ الماء من سقاية الصاغة. فسلمت علي، وسألتني عن الكبير والصغير من دارنا، وانصرفت عنها. ولما دخلت الدار، قلت لهم: إن فلانة سلمت عليكم، لقيتها بالصاغة، وسلمت عليكم جميعا. فقالوا: يقظة أو مناما. قلت: يقظة. فقالوا: إنها ميتة أكثر من الشهر. فقلت: والله إني رأيتها في هاذه الساعة. فإذا بامرأة دخلت، كانت تقبل النفائس وتغسل الموتى، فسألوها عن الأمة المذكورة، فقالت: إنها غسلتها منذ شهر.

فذهبت عند الشيخ، رحمه الله، وحكيت له الحكاية، فقال لي كما قال في أول الحكاية الأخرى. ثم بعد ذالك قال لي ما قال في آخر الأخرى.

---

[1] كذا.

[2] في هاذا إشارة لتاريخ الرق بالمغرب في القرن 12هـ.

ومنها أني رأيت يوما في علم النوم، رن علي بباب الدار رجل ليلا قبل الفجر، فخرجت عنده، وفتحت الباب، فوجدته رجلا قصيرا، أعور اليمنى، عليه جلابية، والزنقة بها رحيل بعفش، فقال لي الرجل المذكور: جئتك بهاذا الرحيل من عند امرأة تريد سكناها عندك. فقلت: إني لا أسكن أحدا معي. فأغلظ علي الكلام، فشتمته عند ذالك وهددته. فدخل في الحائط المقابل لباب الدار، وجعلت ذاته تصغر، فأغلقت في وجهه الباب ودخلت. وإذا برجل يتوضأ بسقاية الدار، فسألته من هو؟ فقال: أحمد. قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن يحيى. فقلت له: كيف يا سيدي أنت هنا، وهاذا الكلب الملعون يريد أن يسكن الناس معي رغما علي. واستيقظت، فقمت وتوضأت، وخرجت في الوقت.

وكنا بعد صلاة الصبح نقرأ صحيح البخاري على الشيخ صاحب الترجمة بسيدي أحمد بن يحيى[1]، نفعنا الله به، ولما فرغنا من القراءة، قصصت على الشيخ الرؤيا، فقال لي الشيخ: كيف أولتها يا مولاي محمد؟ فقلت: أردت يا سيدي تأويلك. فقال، رحمه الله تعالى: تقل لي كيف أولتها؟ فقلت: إن الرحيل المدفش هو الدنيا، والرجل الأعور هو إبليس اللعين خديمها. فقال لي: وما الدليل عليه؟ فقلت: لأنه أعور اليمنى، وكلما هددته، كاد يذوب ويصغر ويدخل في الحائط، والجلابية التي عليه هي جهنم، لأنها شبيهة بها، لها سبعة أبواب مثلها، ولا يدخلها إلا الشقي.

فتبسم الشيخ ﷺ عند ذالك، وقال: الرؤيا لأول معبر، وهاذا تأويل ظاهر، مولاي محمد، تبارك الله، هاذا فضل الله، لاكن لا تعتد بشيء من ذالك، ولا تعتمد عليه، فإنما هي خيالات، اتركها ولا تلتفت إليها. انتهى.

قال تلميذه، شيخنا وشقيقنا سيدي عبد المجيد، الآتي ذكره بعد، إن شاء الله، قال ما نصه في بعض تقاييده: الحمد لله، ختمت مختصر خليل على شيخنا العلامة أبي عبد الله، محمد بن القاسم جسوس، أدام الله النفع به، يوم الأحد العشرين من شعبان سنة أربع وأربعين ومئة وألف. فرأيت القريض هي الختم من الأمر الأكيد الحتم، فقلت:

[الطويل]

تَبَدَّا ضِيَاءُ الصُّبْحِ مِـنَ اللَّيْـلِ فَهَقَّـرَا ... وَأَشْرَقَ نُـورُ الـشَّمْسِ بِـسَائِرِ الْقُـرَى

وَنُورُ الْهُدَى يَمْحُو (دُجَى)[2] كُلِّ بَاطِـلٍ ... وَيَفْصِلُ مِنْـهُ كَاهِـلُ الزَّيْـغِ وَالْقِـرَى

وَلاَحَتْ دَرَارِي الْيُمْنِ فِي وَقْتِ سَـعْدِهَا ... يُنَـادِي ثَوَاهَـا يَـا سَـعَادَةَ مَـنْ قَـرَا

وَضَاَفَ (الْهَوَى)[3] رُشْدًا كَمَا الرُّشْدُ ضَاقَهُ ... وَكُـلٌ مِـنَ الـضِّدَّيْنِ بَـادَرَ لِلْقِـرَا

وَقَامَتْ رُسُومُ الْعِلْمِ مِـنْ بَعْـدِ مِثْلِهَـا ... وَكَانَتْ تَـدَاعَتْ لِلتَّـسَاوِي مَـعَ الثَّـرَا

وَنَـادَتِ الأَهْـلَ (تَغِيـثُ)[4] بِعَزْمِـهِ ... فَقَـدْ شَـقَّنِي دَاءٌ بِجِـسْمِي قَـدْ بَـرَا

فَلَمَّا دَعَاهَا الْعَـزْمُ مِـنْ كُـلِّ حَـادِبٍ ... فَنَاوَلَهَـا صَـبْرًا بِـهِ دَاوَهَـا بَـرَا

---

[1] أحمد بن يحيى. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 465/3.

فَصَحَّتْ بِحَمْدِ اللهِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ ... وَأَضْحَتْ وَمَا فِيهَا صِفَارٌ وَلاَ شَرَا

بِإِخْوَانِ صِدْقٍ كُلُّهُمْ أَلْحَنُ الطَّوَى ... وَبَاعَ رُقَادًا بِالسُّهَادِ وَمَا شَرَا

فَإِذَا حَضَرُوا الْمَيْدَانَ لِلْعِلْمِ خِلْتَهُمْ ... وَقَدْ حَلَقُوا أَحْدَاقَهُمْ أُسْدَ الشَّرَا

وَإِنْ عَرَضَ الأَفْهَامَ رَامُوهُ أَخْلَصُوا ... وَقَدْ أَخْمَلُوا مَا يَنْتَمِي لِزَمَخْشَرَا

أُنَاسٌ لَهُمْ فِي الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ رَغْبَةٌ ... وَقَدْ زَهَدُوا فِي اللَّغْوِ وَاللَّهْوِ وَالْمِرَا

عَلَيْكَ بِهِمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي مَسَالِكًا ... إِلَى سُبُلِ الْخَيْرَاتِ وَاجْدُدْ وَشَمِّرَا

أَلَسْتَ تَرَانِي عَاكِفًا بِفِنَائِهِمْ ... وَمِنْ خَجَلِي مِنْهُمْ تَرَانِي مِنْ وَرَا

عَلَى سَقَمِي لاَ أَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُمْ ... وَلِمَ لاَ وَزِنْدِي عِنْدَ قَدْمِهِمْ وَرَا

وَمَا مِنْ نَدَى الْعِلْمِ إِلاَّ خَبَرْتُهُ ... بَدَا الوَجْهُ مِنِّي تَارَةً وَتَحَمَّرَا

فَمَا غَيْرُهُ إِلاَّ وَسِيمٌ وَعَوْسَجٌ ... وَمَا هُوَ إِلاَّ الرَّوْضُ أَزْهَى وَأَزْهَرَا

لِذَالِكَ لاَ أَبْقَاكَ عَنْ حَالٍ فَإِنَّهُمْ ... فَخْرُهُمْ أَذْكَى العُقُولَ وَذَكَّرَا

فَثِقْ بِي رَعَاكَ اللهُ إِنِّي مُجَرِّبٌ ... مَعَارِفَ هَاذَا الدَّهْرِ (لِصٌّ)[1] تَنَكَّرَا

وَإِنِّي لَصَيَّادٌ وَبَازِي مُعَلَّمٌ ... عَفِيفٌ ذَكَرٌ لَيْسَ يَأْخُذُهُ كَرَا

مَتَى ثَارَ لاَ يَنْقَضُّ إِلاَّ عَلَى الْمَهَا ... أَوِ الرِّيحِ وَالغِزْلاَنِ وَالْقَبْحِ وَالْكَرَا

وَلَيْسَ بِرَاضِي صَيْدِ صِيدَ وَثَعْلَبٍ ... وَيَأْنَفُ مِنْ صَيْدِ الْخَشَاشِ إِذَا عَثَرَا

وَيَقْنَعُ بِالْعُفْرِ السَّمِينِ إِذَا بَدَا ... لأَنَّ جَمِيعَ الصَّيْدِ فِي كَرْشِ الْفَرَا

وَإِنِّي لَنَقَّادٌ بَصِيرٌ بِخَالِصٍ ... خَبِيرٌ بِمَا قَدْ شِيبَ ذَارٍ بِمَا جَرَا

طَبِيبٌ وَتَجْرِيبِي صَحِيحٌ وَمُخْبِرِي ... صَدُوقٌ إِذَا قَلَّبْتُ طَرْفِي فِي الْوَرَا

وَهَا أَنَذَا إِذَا عَمِلْتُ فِي النَّاسِ فِكْرَةً ... فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ كَالإِمَامِ الَّذِي أَرَا

مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... وَمِنْ سِرْبِ جَسُّوسٍ بِهِ زَادَ مَفْخَرَا

فَتَى خُلُقُ الإِنْصَافِ فِيهِ سَجِيَّةٌ ... كَمَا لَبِسَ الْغُفْرَانَ وَالْحِلْمَ مَغْفَرَا

إِمَامٌ لَهُ التَّحْرِيرُ دَأْبًا وَشَأْنُهُ ... يُحَقِّقُ مَا يُلْقِي وَيُشَقِّقُ مَا انْبَرَا

هُمَامٌ لَهُ التَّقْدِيمُ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ ... سَمَا وَارْتَقَى لِلْمَجْدِ وَالْمَجْدُ مِنْبَرَا

إِذَا مَا بَدَا فِي حَلْبَةِ الْعِلْمِ تَلْقَهُ ... لَدَى كُلِّ فَنٍّ وَاسِعَ الْبَاعِ سَنْبَرَا

---

[1] ب: ساقط. ج: أو من.

[2] ج: ساقط.

[3] ب: الهدى.

[4] ب: ساقط. ج: من مغيث.

[5] ج: فأما.

هُوَ الشَّمْسُ فِي وَقْتِ الضُّحَى فَإِذَا بَدَا ... دُجَى اللَّيْلِ فَهُوَ الْبَدْرُ فِي الأُفْقِ قَدْ سَرَا

لَهُ قَدَمٌ فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالتُّقَى ... تَتَبَسَّقُ مِنْهَا إِذْ سِوَاهُ تَغَمَّرَا

(فَلَمَّا)[5] رَأَى عِنْدَ النَّقَّا شَبَحَ الْخُطَا ... فَمَا هُوَ إِلاَّ اللَّيْثُ مِنْ بَطْنِ عَثَّرَا

وَإِمَّا تَلِجُ عَلَيْنَا مِنَ الْفِقْهِ وَالنُّهَى ... وَفَهْمِ الْمَعَانِي تَلْقَ مِنْهُ غَضَنْفَرَا

فَمَا ابْنُ أَبِي زَيْدٍ عَنِ الدَّرْسِ غَائِبٌ ... وَمَا ابْنُ حَبِيبٍ غَطَّهُ اللَّحْدُ فِي الثَّرَى

وَلِلْمَازِرِيِّ أَحْيَا نَدًى لابْنِ يُونُسٍ ... وَأَمَّا ابْنُ رُشْدٍ ذُو الرَّشَادِ فَالْبُشْرَا

وَأَمَّا خَلِيلٌ ذُو الْخِلاَلِ الَّتِي رَبَتْ ... وَفَاقَتْ سَنًا وَالْفَضْلُ مِنْهُ تَشَهَّرَا

فَأَلْقَى عِنَانَ الطَّوْعِ سُلَّمًا وَلَمْ يَكُنْ ... لِيُحْوِجَهُ إِلَى الرُّمَسَامِ وَالْبَسَرَا

فَلاَحَتْ خَبَايَاهُ وَبَانَ ضَمِيرُهُ ... وَأَضْحَتْ عُوَيْصَاتٌ بِهِ لَنْ تُوعَرَا

فَصَارَ ضَرُورِيًّا لَهُ مِثْلَ شُرْبَةٍ ... مِنَ الْمَاءِ لَنْ تَقْذَا وَلَنْ تَتَكَدَّرَا

وَلَمْ يُعْرَفِ التَّوْضِيحُ مِنْ دُونِ لَفْظِهِ ... وَلَمْ يُحَصِّلِ التَّحْصِيلُ إِلاَّ لِمَنْ هَرَا

لَقَدْ فَازَ بِالتَّحْقِيقِ قَاصِدُ دَرْسِهِ ... كَمَا بَاءَ بِالْحِرْمَانِ مَنْ عَنْهُ أَدْبَرَا

وَمَا أُمَّةُ الْمُخْتَارِ إِلاَّ كَمُزْنَةٍ ... فَهَلْ خَيْرُهَا مَا فَاتَ وَمَا تَأَخَّرَا

بِهَاذَا أَتَى الْمَأْثُورُ مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ ... فَلاَ تُنْكِرَنَّ الْقَوْلَ مِنِّي إِذَا ضَرَا

وَهَا قَدْ خَتَمْتُ الْيَوْمَ مُخْتَصَرَ الرِّضَا ... خَلِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ فَحَمْدًا لِمَنْ دَرَا

فَلِلَّهِ مَا أَسْدَى لَنَا مِنْ مَوَاهِبٍ ... وَأَدْرَى بِهَا مَنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا دَرَا

بِالْمَعَانِ مَلَّكَ اللهُ عُذْرَهَا ... إِلَيْهِ فَكَمْ أَبْدَا حُلاَهَا وَكَمْ سَرَا

فَيَا لأَبِي عَبْدِ الإِلاَهِ لِعَوْدَةٍ ... فَإِنَّ لَنَا شَوْقًا إِلَى عَوْدِ مَا جَرَا

وَبِاللهِ لاَ تُمْدِدْ قُوَانَا وَلاَ تُطِلْ ... قَوْلَنَا وَعَجِّلْ بِالْوِصَالِ وَاصْبِرَا

وَصَيِّرْ مَوَارِيثَ الْكِتَابِ أَوَائِلاً ... وَثِقْ بِرَفْعِ النَّحْسِ أَثْرًا وَأَخْبِرَا

وَلاَ تَنْقِمَنَّ مِنَّا الشَّامُ أَكُفُّكُمْ ... إِذَا مَا تَفَرَّقْنَا فَمَا ذَالِكَ مُنْكَرَا

يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ أُمِرْنَا بِذَا وَمَا ... أَرَى قَوْلَهُ إِلاَّ قَبِيحًا وَمُسْكَرَا

فَخُذْهَا مَحْرُوسًا مِنْ مُجِيزٍ بِهَا ... إِلَيْكُمْ وَقَدْ أَدَّى الصَّدَاقَ وَأَمْهَرَا

وَلاَكِنَّهُ يَرْجُو الْقَبُولَ وَظَنُّهُ ... بِأَنْ تَقْبَلُوا مِنْ مُقْتِرٍ مَا تَيَسَّرَا

عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الإِلاَهِ تَحِيَّةٌ ... تَفُوحُ مَدَّ الأَيَّامِ مِسْكًا وَعَنْبَرَا

قال، رحمه الله: وقلت في تاريخ الختم:

[الرجز]

فِي ضَحْوَةِ الْعِشْرِينَ مِــنْ شَــعْبَانَ   وَافَــا لِمُخْتَــصَرٍ خِتَــامٌ بَانَــا
فِي عَامِهِ قُمْ شَـدَّ مِنْطَقَــهُ التُّقَــى   وَالْــبَسْ رِدَاءَ الْعِلْــمِ أَنَّــا كَانَــا

[عبد المجيد المنالي الزبادي] [1]

ومنهم شيخنا الصديق وأخونا الشقيق، العالم العلامة، الصوفي الوثيق، العارف بالله، المربي الشريف، أبو محمد، سيدي عبد المجيد بن الشريف الخير الناسك، أبي الحسن، سيدي علي بن الشريف، المسن البركة، مؤقت منار القرويين، مولاي محمد، المدعو الزبادي، بن الشريف الفقيه الصوفي، أبي الحسن، سيدي علي بن محمد بن الولي الصالح سيدي أحمد المنالي، رحمه الله تعالى.

كان صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، عالما عاملا ملازما، زاهدا صوفيا، إماما حكيما، أديبا مربيا مشاركا مدرسا صائما، قائما قانتا لله، ذاكرا مذكرا، حافظا للسنة عارفا، جامعا بين الحقيقة والشريعة، سالكا مسلكا في الطريقة.

وكان، رحمه الله تعالى، كريم الأخلاق، جامعا للسماحة والملاحة، والحنانة والشفقة، والرطوبة واللين، جامعا لكل الأوصاف الحميدة، محيدا عن ضدها.

وكان، رحمه الله تعالى، كثير الصيت مشرقا ومغربا، ويحب الاجتماع مع الفقراء والمساكين، ويحب مباشرتهم كيف ما كانوا. وكان يحضر معهم في حالة الذكر والحضرة، ويتواجد عند ذالك، ويظهر عليه فيه أثر الخير.

قرأت عليه، رحمه الله تعالى، ألفية ابن مالك، ومنظومة القرطبي، ورسالة ابن أبي زيد، والوغليسية، والنصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية للشيخ زروق ﷺ، وشمائل الترمذي. فكان لتدريسه حلاوة، وعلى مجلسه طلاوة.

وزرنا معه في رفقته، رحمه الله تعالى، والحمد لله وكفى، الشيخ العارف الشهير، البرهان الواضح، أبا محمد، مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ كم من مرة، ومولانا إدريس الأكبر ﷺ ونفعنا به كم من مرة. وكنت أحضر معه، رحمه الله تعالى، في كل عام المولد النبوي الشريف عند الشيخ الكامل، سيدي محمد بن عيسى، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، وبيانه، صيفا وشتاء.

وله، رحمه الله تعالى، تواليف عديدة، وقصائد ما لايكيف، كما تقدم قريبا. وله رحلة[2] جليلة، ألفها في ذهابه للحجيج وإيابه، عام تسعة وخمسين ومئة ألف[1].

---

[1] أبو محمد، عبدالمجيد بن علي المنالي الزبادي (-1163 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 4/78-80. التقاط الدرر: 415-416. سلوة الأنفاس: 2/207-208. شجرة النور: 1/353. الأعلام: 4/149. الحياة الأدبية: 246-252.

[2] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم 398ك.

ولقيني، رحمه الله، يوما بعدما فرغنا من صلاة العصر بمسجد سيدي أبي الشتاء، نفعنا الله به، من حارة قيس الذكر الذي اشتملت عليه الصلاة في الركوع والسجود، والتشهد الأول والثاني الأخير، وما بعد السلام.

وكان، رحمه الله تعالى، ماهرا في علم الطب، يعالج المرضى ويباشرهم، ذوو العاهات وغيرهم، وكل من يباشره يبرأ، بإذن الله تعالى، ومن يعطه قليلا أو كثيرا، أو لم يعطه، كله عنده سواء.

وكان لي أخ في الله صادقا صيادا، حرفته يصطاد الحوت من الوادي، وسكن فيه البرد، وتقدم فيه البلغم، وقبض من ركبتيه ومن يديه ومرفقيه، وكثر ألمه، فقال له الناس: عليك يوما بالعشبة. فجئته يوما لحانوته، وكان يبيع النوار، فوجدت عنده قبضة من العشبة، فسألته عنها، فقال: عزمت على شربها، فاشتريتها. فقلت له: وأنا أدلك على من يباشرك فيها، وتبرأ، إن شاء الله تعالى، وكان ذالك الرجل ضعيف الحال.

فمشيت أنا وهو للشيخ، صاحب الترجمة، والعشبة معنا، حتى دخلنا عليه بيته بمدرسة العطارين، فسلمنا، وجلسنا بين يديه. فقال الشيخ: ما لهاذا المسكين؟ فقلت: يا سيدي، حاله يغني عن سؤاله. فقال الشيخ للرجل: قرب. فقرب, وجعل الشيخ يقلب بدن المريض ورجليه، ويتفل عليهما، ويدلكهما بين يديه، والشيخ يتكلم معنا، وجعل (ينطلق)[2] يديه ورجليه شيئا فشيئا من حينه.

ثم بعثني الشيخ من وراء الحكيم الحاج العياشي أدراق، رحمه الله، فجئته به. فقال له: خذ بيد هاذا المسكين، يأخذ الله بيدك. خذ تلك العشبة واصنعها له، وأجرك على الله. فأخذ الحكيم العشبة وقال الشيخ للمريض: اعطه كذا وكذا يشتري لك الإقامة. فأعطاه ذالك. وخرجنا من عند الشيخ ورجلاه ويداه أحسن مما كانوا حين جاء.

ولما تم الأسبوع الأول، قال لي الشيخ يوما: كيف هو حال صاحبك؟ قلت: إلى الآن ما رأيته. فقال لي، رحمه الله: الذي يزرطط القافلة، ما يغر بها. سر بنا إليه.

فسرنا عنده، ودخلنا عليه في الجحفة، فقال له الشيخ: كيف حالك؟ فقال: بخير، والحمد لله، من بركاتك. وانشرح المريض وانبسط.

ثم قبضه الشيخ من يده، ومر بيديه عليهما، وعلى رجليه كذالك. وقال له: قم يا مسكين. فوقع بين يديه، ورجليه مطلوقين من غير تشكيل. وقال المريض للشيخ: أنخرج معك يا سيدي؟ فقال الشيخ: لا، حتى تكمل الأسبوع الثالث لا أقل. فقال المريض: والله يا سيدي، لو أمرتني بالخروج، لخرجت الآن. ثم دعا له الشيخ بخير، وخرجنا عنه. فلما كان الأسبوع الثالث، خرج مطلوق الأربعة، من بركة الشيخ ﷺ.

---

[1] بياض في أ وب قدره خمسة أسطر . وكتب الناسخ في طرة أ: هاكذا وجد هاذا البياض في الأصل.
[2] كذا.

وخرجنا مع الشيخ ﷺ يوما من أيام عيد لزيارة الصالحين؛ أهل باب فتوح من خارج الباب وداخلها، فخرجنا، فزرنا وجلسنا عند المصلى، ومعنا جماعة من الإخوان الفقراء، ففتح هناك الذكر، وحضرت نفحة كبيرة، وتواجد الشيخ. فقال له بعض الإخوان: الله، الله، سيدي عبد المجيد، طلبت عليك الدنيا. فسكت عنه، وهو يعيد الطلب عليه ويعيد. ثم قال له الشيخ: إذا أردت الدنيا ولابد، فهات عشرة مثاقيل. فقال السائل: أعطاكها الله. وقام وسار إلى المدينة.

فلما رجعنا من الزيارة، بعد صلاة المغرب بمطرح الجنة، لقينا الطالب لدينا عند فندق اللبادين . فقال له: يا سيدي، خذ هاذه العشرة مثاقيل التي قلت. فالتفت الشيخ لمقدم الفقراء، وقال له: اقبض من عنده، واتركها عندك، حتى يظهر لك ما تصنع بها. فقبضها منه المقدم، السيد الحاج عبد السلام برادة، رحمه الله، وقرأنا له الفاتحة، وتفرقنا، وانصرف.

ثم سافر الطالب المذكور، تاجرا لمدينة تازة، ثم لمراكش، ثم لتطوان، ثم للمشرق حاجا، ورجع. ثم سافر لطرابلس (وتافيلالت)[1]، وكل سفرة يفتح الله عليه فيها بأوفر نصيب. وأقبلت عليه الدنيا حتى ما مات، حتى توفي عن دنيا عريضة، يرحمه الله، وكله من بركة الشيخ ﷺ.

وبات الشيخ، رحمه الله تعالى، ليلة، وبتنا معه بدار الشيخ الفقيه سيدي محمد جسوس، المتقدم ذكره قريبا، وحضر معنا في تلك الليلة كثير من الناس؛ فقراء وطلبة وغيرهم، وحضرت في تلك الليلة نفحة عظيمة من نفحات الله، وتواجد فيها صاحب الترجمة، ونشر كساءه على الحاضرين الذاكرين. وقال: كل من يدخل تحت هاذه الكساء، يحج هاذه السنة، إن شاء الله. ودخل هو، ودخل هو تحتها، فازدحم الناس للدخول تحتها، وبركوا عليه كلهم، حتى كنت أظن أنه مات تحتهم، ومن لم يسعه الدخول، أدخل رأسه، ومن لم يسعه دخول رأسه، قبض الكساء بيده، وكاد الكساء يتمزق، وغلب على الناس البكاء، واقشعروا. ولما قام الناس عنه، وجدوه غائبا من جملة الأموات، وكذالك بعض من كان تحت الكساء معه، وكذالك وقع لرب الدار، العلامة سيدي محمد جسوس، رحمة الله عليه، ونفعنا به.

وحج صاحب الترجمة، رحمه الله، تلك السنة، وحج معه فيها كل من كان تحت الكساء وقبض فيها، ومن كان تحتها راكبا، ومن قبض فيها راجلا. ولقي في حجته تلك جماعة من أهل الخير، حسبما ذكر ذالك وبينه في "رحلته"[2]، من أخذ عنه، ومن تبرك به واستفاد منه.

---

[1] ب: بياض.
[2] مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط. رقم: 398ك.

ومنذ خرج، رحمه الله تعالى، من مدينة تازة مشرقا إلى أن رجع إليها مغربا، وهو كل من لقي يكتب معه المكاتب لوالدنا وغيره، وكل مكتوب لولده داخله بطاقة بيد أخينا محمد، وما تضمنته البطاقة الأولى هو مضمن الثانية والثالثة، الخ، وهو:"بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم، أخونا محمد: بعد السلام عليك ورحمة الله، أوصيك بتقوى الله، وإياك والفضول، ثم وإياك والفضول، والسلام. لا يزيد على هاذا ولا ينقص في البطائق كلها.

وبات عنده، رحمه الله، في "طهارة"[1] ولده عبد القادر الشيخ سيدي روان، نجل الشيخ الكامل سيدي محمد بنعيسى، نفع الله به، والطائفة العيساوية، وغيرها من الطلبة، وغير ذالك. وكان سيدنا الوالد، رحمه الله، يزين على الشيخ في الاجتماع مع الفقراء والمبيت معهم، ويشتكي حقه للناس، حتى كانت تلك الليلة، واشتغل الفقراء بالذكر والحضرة، وفاضت حاله، ووقف معهم يتمايل، رآه سيدنا الوالد على تلك الحال، وقال لأخينا سيدي عبد الله: انظر أخاك الذي يجلس لقراءة العلم على الكرسي، ويصلي بالناس، ماذا يفعل! زد عنده ورده عن فعله. فقال له سيدي عبد الله: إنا نجلس عنده ليعلمنا أمر ديننا، ونرد عليه فعله، وهو أعلم منا بذالك. فغضب الوالد وجلس.

ثم بعد هنيئة، قام سيدنا الوالد، وجعل يتماشى وراء الصف هائما، ماشيا وراجعا، يبكي أشد البكاء، حتى غلبه الحال وغشى عليه، وبقي غائبا إلى الصباح. ومن تلك الليلة لم يبق كلام من تلك الليلة.

وكان ﷺ إذا فاضت حاله عند الذكر أو الحضرة، يحضر له الكلام، ومن كلامه عند ذالك، رحمه الله:

اِفْتَحْ لَنَا بَابَ الرِّضَا يَا مَوْلاَنَا	اِسْمَحْ لَنَا فِيمَا مَضَى وَاغْفِرْ لَنَا

ومنه:

صَـــارُوا احْبَـــابْ قَلْبِـــي	مَـــرّوا عَلَـــى الثَّنِيَّـــا
وَأَنَـــا عْـــشِيقْ مْـــسَبِّي	وَدْمُـــــوعِي سْـــــخِيَّا
عَيَّطْـــــتْ يَـــــالْعَرْبِي	سِـــيدِي تْكُـــونْ لِيَـــا

ومنه:

نَـــارْ زْنَـــادْي مِنِّـــي	وَلاَ يْبْرِ دَاهَا لِي إِلاَّ الْوصُولْ
أَمَـــــنْ لاَ يَعْـــــذَرْنِي	فِي مَحَبَّة سِيدِي نِعْمَ الرَّسُـولْ

[1] كلمة دارجة مغربية تعني الختان.

شَمْسُ الْهُدَى شَرَقَتْ نُورُهَا يَضْوِي عَلَى الأَبْرَاجْ
وَانْفَاجَتْ الظُّلْمَا وَرِيَا مَنْ هُوَ مُحْتَاجْ

ومنه أيضا:

صَلُّوا عَلَى مَنْ ضَوَّ نُورُ عَلَى الإِسْلاَمْ بِالْكَمَالْ
رَسُولْ الله يَا إِمَامْ الفُضَلاَ سَيِّدْ الرِّجَالْ

ومنه:

حَيِّيونَا يَا عُشَّاقْ مُحَمَّدْ أَجِيونَا نْشَرَّفْ رَسُولَ اللهْ

الخ

ومنه أيضا:

هَاكْذَا نَبْقَى طُولَ الدَّوَامْ نَعْشَقْ مُحَمَّدْ أَسِيدِي نرى رَاكِبْ الْبُرَاقْ الْمَجْدِي
صَلَّى اللهُ عَلِيهْ دَايْمَا قَدْرْ عَدَدْ عَشُوبْ النُّوَّارْ
قَدْ عَدَدْ النَّجُومْ فِي السْمَا وَالْخَيْلِي وَالْوَرْدْ وَالزَّهَرْ
أَمُحَمَّدْ بُو فَطْمَا كُنْ مْعَنَا لَيْلَة القْبَرْ

وأول ما استشهد به، رحمه الله، في خطبة رحلته، قوله:

انْفَقْ عَلَى الْمَحْبُوبْ رُوحَكْ مَعَ مَالَكْ
اشْرِ لَهُ الْمَرْكُوبْ مَنْ طَيِّبْ رَسْمَالَكْ
كَيْ تَدْرَكْ المَرْغُوبْ وَتَبْلَغْ امْرَادَكْ
إِيَّاكْ أَنْ تَخْتَارْ سُكْنَاكْ بِالْغَرْبْ أُوصَلْ إِلَى الْمُخْتَارْ

مُحَمَّدْ الْعَرْبِي

وكان، رحمه الله تعالى، ما قال شيئا إلا كان كذالك. شكى له رجل شريف بالنساء يقولون له لا تزيد عنده الزوجة على سنة. فقال له الشيخ: كم معك من النساء؟ فقال له: هاذه الخامسة. فقال له الشيخ: على قبرك جالسة. فكان الأمر كذالك.

والليلة التي ظهرت فيه علامة الموت، وهي ليلة الجمعة، أوصى فيها بكفنه، ودفنه أين، وبتجهيزه، وبمن يغسله، وكفن قبره، حتى فرق جميع أمور جنازته على الإخوان في الله، كل واحد وما كلفه. فمنهم من قام بالغسل، وهو العبد الفقير، ومنهم من يناول الماء، ومنهم من يجلس عند حفر القبر، وقال له: لو وجد في الحفرة قدر عظم التمر من أعظم ابن آدم، فرد عليه التراب، واحفر غيره. ومنهم من قام بأمور الطعام، وما بقي منهم بعدما ذكر فللذكر والتلاوة. وأوصى بسراويله وشاله أن يتركا بقصد النفساء، يجعل عليها عند الشدائد، فيغيثها الله تعالى بالفرج من عنده.

ونحن في أثناء غسله، وجاء من يطلب حاجة من حوائجه لنفيسة، فعزلنا السراويل من حوائجه وأعطيناهم إياه، فما فرغنا من غسله، حتى أغاثها الله تعالى في الحين، وردوا السراويل.

ثم بعد فراغه من الإيصاء، وكان زمن الوباء، جعل يخبرنا بمن مات، وبمن سيموت، من كل قبيلة من المدينة، وبمن ضرب خطأ، وبمن ضرب ظلما، حتى قال: إن أمير الجيش واقف بالرصيف بجيوشه، والنوبة تدق عليه والزمامات تقرأ عليه؛ زمام كل حومة بمن مات فيها، ومن بقي، وبمن يموت، والقبيلة التي لا يسميها.

وكانت امرأة مطعونة، وفي كل يوم منذ طعنت وهم يقولون إنها ماتت، ولم تمت. وحين كان يتكلم على من ضرب، قال: سمعت أن زماما ذكر فيه حيونة مضروبة، وهي ممن لم يضرب. قال: فسأل الأمير عمن ضربها، وجيء به، فأمر بتعليقه على باب فندق الجير وهي لا تموت، فكان الأمر كذالك، وعاشت سنين بعد ذالك. وجميع القبيلة التي قال لنا يموت منها كذا، أو ما يبقى فيها إلا كذا، أو ما يبقى فيها أحد، إلا كان كذالك، كما أخبر به ﷺ.

وصباح تلك الليلة، وهي يوم الجمعة، جلس من ورائه أخونا سيدي عبد الله، رحمة الله عليه، والوالدة، رحمة الله عليها، تسقيه حريرة وإذا رفع بصره وضحك، فقال له سيدي عبد الله: على مَ تضحك يا سيدي؟ فقال له: ولدكم عبد الرحمان أضحكني. وكان قد مات قريبا منه. قال: هو على الدربوز يقول: إنه ما يمشي حتى تمشي امرأته معه. وكانت جالسة على عتبة البيت تسمع، وكانت باقية في عدة موته، فدهشت وقامت، رحمة الله عليها. وإذا بمن يدق الباب، فخرجت، فإذا هو العلامة سيدي الحاج عبد الكريم السرغيني، رحمه الله. فقلت للشيخ، رحمه الله: الشيخ سيدي عبد الكبير جاء ليعودك.

فقال: الله أكبر، قرب الحال. فدخل، وتصافح مع الشيخ قائما، ولم يجلس، ويداهما مشتبكتين، حتى تكلما كلاما يسيرا، ما عقلناه ولا فهمناه، وافترقا، وكلاهما تدمع عيناه.

ولما خرج الفقيه السرغيني، سأل صاحب الترجمة، رحمه الله، عن الوقت، فقلنا له: العلام تبدل. فقال: سبحان الله، الله أكبر. ونادى أمه، فقال لها: أردت أن تفرغ لي بيتك، وتفرش لي فيه، فإن هاذا البيت صغير لم يكف الناس. فقالت له: حبا وكرامة. وأفرغت له البيت، وفرشت له فيه، وحملناه إليه، وخرجنا لصلاة الجمعة بإذنه وأمره. فلما رجعنا من الصلاة، وجدناه يضعف ويقل، وبقي يقل شيئا فشيا، حتى قضى عند غروب الشمس، والدار عامرة بمخلوقات الله تعالى، وكذالك الزنقة والدرب، وهو يوم الجمعة، العاشر من شعبان المبارك، عام ثلاثة وستين ومئة وألف. وكنت المباشر لغسله بإيصاء منه، والمنزل له في قبره. ودفن بمطرح الجنة، قرب الشيخ أبي ميمونة، الدراس بن إسماعيل[1] ﷺ.

وبعدما طعن، رحمه الله، بنحو اليومين، جاء بعض الأحباب يطلب مني غسل رجل مات، فامتنعت منهم من أجل ما لحقني من أجل مرضه. فقال لي، رحمه الله: سر معهم، هاذا قريب منا. وحين أذن لي سرت معهم، ولما غسلته ورجعت، جلست عنده، فقال: غسلته؟ قلت: نعم. فقال لي: قربت راحتك من الغسل، فلم يبق لك إلا أنا. فمن ذالك اليوم ما غسلت أحدا، حتى غسلته.

وبعد موته، رحمه الله، انقطع الوباء ذالك العام؛ عام ثلاثة وستين، حتى دخل عام أربعة وستين، ورجع أيضا الوباء، وعمل عملا شديدا، وانقطع من ذالك العام إلى الآن.

ورأيته ﷺ بعد وفاته في المنام نهارا، وأنا جالس عند الشيخ الإمام، محتسب الطريقة، أبي العباس، سيدي أحمد زروق ﷺ، وكان رجل من أهل الغوغة والفساد والظلم استحقرني، وتعدى علي بالظلم؛ الخطا والشتم، وتلصص علي، وأنا متوجه للحج. فأشهدت عليه جماعة من الناس أني داعيه إلى النبي ﷺ ليرتدع ويرجع عن ظلمه، فزاده ذالك كفرا ونفاقا. ولما كنت بمواجهة النبي ﷺ، شكوته له ﷺ.

ولما رجعنا من الحج، وكنت عند الشيخ زروق المذكور زائرا، وقرأنا عنده ما تيسر، وأنا أقرأ دلائل الخيرات من جملة الزائرين، إذ أخذتني سنة، وأنا جالس ودلائل الخيرات بيدي، فرأيت في سنتي الشيخ، صاحب الترجمة، وهو جالس بمسجد براكة من حومة من مكناسة الزيتون، وهو جالس والإخوان مجتمعون عليه، فجلست من ورائهم، فقال: ذاك أخي محمد. قلت: نعم. فقال: قرب. فقربت، فوجدته مليا كما كان يكون في حياته بذالك الموضع. فقال: رأيت الولد؟ قلت: نعم، لا . فقال: إنه ذاك الذي صلى بنا، وهو مغير من أجلك. فنظرت إلى باب المحراب، فوجدت الوالد جالسا ورجلاه ممدودتان، وهو ينظر إلى الأرض في قفطان من الملف من غير حائك. ثم قال لي الشيخ، رحمه الله

---

[1] دراس بن إسماعيل (- 357 هـ). الروض العطر الأنفاس: 49-55. سلوة الأنفاس: 2/197-200.

تعالى: وهل ما قال لنا الحاج قاسم الريسوني صحيح؟ وأشار عن يمينه، فرأيت عن يمينه رجلا جالسا وعليه ثياب بيض. قلت: نعم. وكان الزموري المذكور، وتوفي قريبا من خصامي مع صاحبي المذكور. وقام الشيخ صاحب الترجمة رحمه الله، وخرج من المسجد المذكور، وخرجنا تابعين له. ثم التفت، وقال: أين أخونا محمد؟ قلت: ها أنا. فقال: اختر لصاحبك، هل يموت بالحديد، أو على غير ملة الإسلام؟ فقلت: يا سيدي هما معا. وانصرف. واستيقظت، ودلائل الخيرات في يدي، ففتحته، وقيدت ذالك اليوم؛ يوم ستة وعشرين من جمادى الثانية عام سبعة وستين ومائة وألف.

ولما طلع الركب المشرق وتلاقينا بطرابلس، أخبرونا بموته بالحديد، وهو يقول: يا ويله.

ولما حصلنا فاسا، أخبرني أخي سيدي عبد الله، رحمه الله، وأنه كان حاضرا لموته حين مات بباب قاعة السمن، قال: ضربه الأول، فقال: يا ويله، أفسدني. وضربه الثاني، فقال: يا ويله، قتلني. وسقط على الأرض، وانقطع كلامه. وانصرفا عنه، وتركاه بالطريق مطروحا. ونقول كما قال أخونا في الله المسن السيد الحاج الطيب بن أحمد عمور عند النزغ، دخلنا عليه، وقلنا له: كيف أنت أخونا؟ فقال لنا: الحمد لله، على معرفة الأجواد. وقضى من حينه، رحمة الله عليه.

[شيوخ عبد المجيد الزبادي في العلم والتصوف بالمغرب والمشرق]

وأخذ صاحب الترجمة، رحمه الله، عن جماعة من الشيوخ، كالفقيه سيدي أحمد الوجاري[1]، رحمه الله، والعلامة سيدي محمد المسناوي، المذكور آنفا، رحمه الله، والشيخ العلامة الصوفي، سيدي محمد بن عبد الرحمان بن زكري، رحمه الله، المذكور آنفا، والشيخ العلامة أبي العباس، سيدي أحمد بن مبارك الفيلالي اللماطي، رحمه الله تعالى، الآتي ذكره، والشيخ العلامة، سيدي محمد بن قاسم جسوس، رحمه الله تعالى.

والطريقة القاسمية عن الشيخ الكامل، العارف الواصل، سيدي أحمد السوسي، دفين مراكش، وولده سيدي أحمد العباس، رضي الله عنهما.

وأخذ الطريقة العيساوية عن الشيخ سيدي روان، نجل الشيخ الإمام، الشهير الهمام، سيدي محمد بنعيسى، رضي الله عنهما، وعن أبيه سيدي محمد بن عيسى المذكور نوما، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

---

[1] أبو العباس، أحمد بن علي الوجاري (-1141 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 304/3. الروضة المقصودة: 268/1-271.

ولقي بالبلاد المشرقية مشائخ شتى، كالشيخ محمد كشك، المصري أصلا، السوسي، القاسمي طريقة، الآتي ذكره إن شاء الله، والشيخ محمد الحفناوي، وتلميذه الشيخ محمود الكردي، والشيخ البرقاوي، والسمان[1]، وأمثال هاؤلاء، ﷺ، ممن أخذ لبس الخرقة والعهد عنهم والمصافحة، وغير ذالك.

ولقي بفاس الشيخ سيدي محمد العياشي، رحمه الله تعالى، والشيخ سيدي عبد الله عياش الوالالي، رحمه الله.

ووقفت على رؤيا بخط يده، رأى النبي ﷺ في المنام، ولقنه: اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله كما رآه كاتبه. وزاده فيها: وعلى آل سيدنا محمد ﷺ.

فصـــــل

[أصحاب وأتباع عبد المجيد الزبادي]

وكان لصاحب الترجمة، رحمه الله تعالى ورضي عنه، أصحاب وأتباع، يحبهم ويحبونه، ويجتمعون معه؛ من العلماء وغيرهم، منهم من مات ودفن معه في جواره، المرء مع من أحب، ومنهم من دفن في مواضع أخر، وكلهم ممن ظهر عليه الخير والفضل، وانتشرت علامات الخير عليه، وظهرت فيه.

[عبد الهادي العراقي]

فمن أصحابه العلماء الذين كانوا يجتمعون معه: الشريف الأجل، العالم العلامة الأفضل، مولاي عبد الهادي العراقي الحسني، الآتي واء[2] هاذه الترجمة، والشريف الأفضل، العارف الأكمل، مولاي أحمد الصقلي الحسني، الآتي ذكره إن شاء الله، والفقيه العالم العلامة، سيدي محمد بن عبد الله الفاسي، الآتي ذكره إن شاء الله.

[1] محمد السمان (-1190 هـ).ترجمته في: الروضة المقصودة: 1/326-328. التعريف بالتاودي: 22.
[2] كذا في المخطوط. لعل الصواب: وراء.

[التادوي بن سودة]

ومن العلماء أيضا، الفقيه العالم، العلامة الإمام، المشارك المحدث الهمام، أبي محمد، سيدي الحاج التاودي بن الفقيه المرحوم سيدي الطالب ابن سودة المري، الموجود الآن، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

[محمد بن عبد العزيز الصنهاجي] [1]

والشيخ الولي الصالح، الشهير الواضح، شيخنا، سيدي محمد بن سيدي عبد العزيز الصنهاجي، نفعنا الله به، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، في ترجمته، دفين قبة سيدي أبي ميمونة، الدراس بن إسماعيل ﷺ.

[عبد القادر السلاوي] [2]

والمسن الولي الصدوق، المحب الوثوق، أبو محمد، سيدي عبد القادر السلاوي (الوربي)[3]، دفين مطرح الجنة خارج باب الفتوح في جوار الشيخ صاحب الترجمة عام نيف وسبعين ومئة وألف.

كان، رحمه الله تعالى، خامل الذكر، له دكان بالعطارين الكبرى. كان، رحمه الله، يقول لصاحب الترجمة: الله، الله مولاي عبد المجيد، تمشي تحج، وتأخذني معك. هاذه شهوتي وهاذا غرامي، ويكرر ذالك كثيرا. ولما كان عام ثمانية وخمسين لح عليه في ذالك، والشيخ، رحمه الله، عاجز القدرة، فحسب السلاوي الحانوت المذكورة، فألفى فيها ستين مثقالا ربحا، فذهب للعدول، وأشهد على نفسه أن الربح المذكور لمولاي عبد المجيد إلى وقت الحج، أصلا وفرعا، هو تحت يده يتسبب ويتجر بها له لله تعالى.

ولما كان العام القابل، ألح عليه في السفر، ورغب سيدنا الوالد، رحمه الله تعالى، أن يوفقه لذالك، فقال له الوالد: إني لا أعرف شيئا عنده، ولا عندي كذالك. وكيف نتركه للغرور؟ فقال له سيدي عبد القادر: اعطه يا سيدي خاطرك ورضاك، ولا يخصه شيء. عندي له بحانوتي ستون مثقالا وربحها في عام، وعندك دريزة أبيعها وأزده ثمنها وأمشي

---

[1] أبو عبدالله، محمد بن عبدالعزيز الصنهاجي (-1154 هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي ابن سود: 122-124. الروضة المقصودة: 2/449-451. سلوة الأنفاس: 2/200-201.

[2] أبو محمد، سيدي عبدالقادر السلاوي، توفي عام نيف وسبعين ومئة وألف. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/208.

[3] ب: ساقط.

معه، آكل وأشرب، ولا يكون إلا خيرا، وأنت زودنا من دعائك. فقال له الوالد: إن كان صحيحا ما تقول، فليتوكل على الله، فهو حسبه.

وعند السفر، بيعت الدار، وحسبت الحانوت، فوجد فيها الخير والبركة. واشترى له الخباء وما يحتاج إليه، وجعله فيها عشيرا، حتى حجوا، ورجعوا بخير.

وكان، رحمه الله، كل من يسأله: كيف أنت؟ فيقول له: الله يكثر خير مولاي عبد المجيد وخير أمثاله. حججت معه، وجعل معي من الخير كثيرا، جزاه الله عني خيرا.

وكان، رحمه الله، يحضر معنا في مجالس العلم عند أخينا صاحب الترجمة، وعند شيخنا سيدي محمد جسوس، المذكور آنفا، حتى من شدة محبته كان يقول: من أحبني يقول لي الله يجعل قطيطات دار سيدي جسوس يخبشوني .

[عبد السلام بن موسى][1]

ومن أصحاب الشيخ صاحب الترجمة أيضا، الأرضى الخير الناسك المرتضى، عشير السلوي المذكور، السيد الحاج عبد السلام بن موسى.

كان، رحمه الله تعالى، من المحبين لصاحب الترجمة، والتابعين الملازمين له، والمواسين له، وكان من عشرانه في الحجة المذكورة.

وكان، رحمه الله، يحب أهل جانب الله كلهم، علماء وطلبة وفقراء، ويواسي الضعفاء منهم.

توفي، رحمه الله تعالى، عام ()[2] ومئة وألف، ودفن ملتزقا بقبر صاحب الحاج عبد القادر السلاوي المذكور، عند ضريح سيدي عبد المجيد، صاحب الترجمة.

[قاسم الزموري]

ومن أصحاب مولاي عبد المجيد، صاحب الترجمة، الرجل المحب الصدوق، الخير الناسك الدين، الخامل الأبر، السيد الحاج قاسم الزموري، الوشاي حرفة.

كان من التابعين لمولاي عبد المجيد المذكور، المحبين فيه، والمحبوبين له، ممن حج معه الحجة المذكورة، قاسمي الطريقة، من أصحاب سيدي أحمد السوسي المراكشي.

توفي، رحمه الله تعالى، عام أربعة وستين ومئة وألف، ودفن بمطرح الجنة، ملتصقا بضريح السلاوي بن موسى المذكورين قبله.

---

[1] عبدالسلام بن موسى. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 208/2.

[2] بياض قدره كلمتان في جميع النسخ.

[علي البوري]

ومن أصحابه أيضا، المسن الأرضى، الخير المرتضى، المحب في جانب الله، وخديم أولياء الله، وأهل بيت رسول الله ﷺ، سيدي الحاج علي البوري.

كان، رحمه الله، من المحبين في صاحب الترجمة، وملازما لمولانا إدريس، نفعنا الله به، وخديما له ولإمامه العلامة سيدي الحاج عبد الكبير السرغيني، رحمه الله.

توفي، رحمه الله تعالى، عام أربعة وستين ومئة وألف، ودفن بإزاء الزموري المذكور قبله.

[عبد الكريم الحياني]

ومن أصحاب صاحب الترجمة أيضا، الفقير المحب الهبيل المتجرد، السيد عبد الكريم الحياني، العيساوي الطريقة.

كان، رحمه الله، من المحبين في أهل الخير، ممن أخرقته المحبة، حتى كان يهبل عند الذكر والصلاة على النبي ﷺ وعند الحضرة.

وعند وفاته، رحمه الله، كنت خارجا من الدار وقت الظهر، وإذا به داخل من باب الزنقة، وهو يقول:

جِئْنَاكُمْ يَـا أَهْـلَ الْفَـضْلْ	وَاقْفِـينْ عَلَـى أَبْـوَابْكُمْ
نَطْلُـبْ اللهَ الكَـرِيمْ	يَـسْقِينَا مِـنْ مْـدَادْكُمْ
جِئْنَـا للهْ قَاصْـدِينْ	يَـا الـصَّالِحِينْ
لاَتَرُدُّونَـا خَـائِبِينْ	يَـا الْمُـومِنِينْ

حتى بلغ إلى باب الدار، ودق عليها وهو كذالك، وخرج كذالك، ثم سلم علي وودعني، وقال لي: إني زائر سيدي أبا سرغين، وسيدي أبا علي، إن شاء الله تعالى، هاذا ودموعه سائحة هاطلة، وانصرف.

وغدا أو بعد غد، عند عشية، جاءوا به ميتا من سيدي أبي سرغين، دفين صفرو، وطرحوه بالشيخ الصالح، البرهان الواضح، سيدي علي بن حرزهم، رضي الله تعالى عنه.

وطلعت غدوة بقصد غسله بالشيخ المذكور، فوجدت الشريف المرابط، مولانا أبا القاسم الأمراني الحسني، الآتي ذكره إن شاء الله، طلع عنده، وأمرهم أن يحفروا له هناك، قرب الشيخ ابن حرزهم المذكور. فقلت للشريف المذكور: يا سيدي، إنه جاء عندي عند خروجه للزيارة، وقال لي ما قال، وهو باك وودعني، القصة المذكورة.

ولما أخبروني بموته، أولت قوله بمباشرة غسله، والآن ظهر لي أن قصده الدفن بمقبرتنا مع الإخوان والأصحاب المذكورين قبله عند ضريح مولاي عبد المجيد، رحمه الله تعالى، صاحب الترجمة.

هاذا، وكوني وجدت الحفار حفر كم حفرة، وكلما حفر حفرة وجدها عامرة، حتى حفر له مع الأحباب المذكورين، فوجدها هينة سهلة.

فباشرت غسله، رحمه الله، وصلينا عليه، ودفناه عند رأس صاحب الترجمة، المرء مع من أحب، وذالك عام سبعة وسبعين ومئة وألف.

[عبد الرحمان بن هاشم النيار]

ومن أصحاب الشيخ سيدي عبد المجيد أيضا، الشريف الأجل، المحب الأفضل، سيدي عبد الرحمان بن مولاي هاشم النيار، المدعو ابن عبد الله.

كان، رحمه الله، فقيرا محبا، ملازما لصاحب الترجمة، وقاسمي الطريقة، ذاكرا متقشفا. دفن، رحمه الله تعالى، مع من ذكر قبله من المحبين، المرء مع من أحب.

[أحمد بن محمد ابن الحاج]

ومن أصحاب الشيخ أيضا صاحب الترجمة، الفقيه الأجل، سيدي أحمد بن الفقيه المرحوم سيدي محمد، نجل العلامة الشهير سيدي أحمد[1] ابن الحاج.

كان، رحمه الله تعالى، يخدم الشيخ سيدي عبد المجيد المذكور، وحج معه بالتبع له راجلا، من فاس إلى فاس، لم يفارقه قط حتى مات، لا في حج، ولا في زيارة، ولا في مجلس علم، ولا في مبيت عند أحد، ولا في مقيل.

[1] أحمد بن العربي الحاج الفاسي (-1109 هـ). ترجمته في: انشر المثاني: 83/3.التقاط الدرر: 273-276. طبقات الحضيكي: 91. رياض الورد: 2/7-55. سلوة الأنفاس: 164167/1. الحياة الأدبية: 136-137. معلمة المغرب: 3241-3242.

توفي، رحمه الله، عام خمسة وتسعين ومئة ألف، ودفن عند رأس الشيخ ﷺ.
وبعد وفاة الشيخ، جعل يخدم الشيخ العلامة سيدي محمد جسوس، المتقدم ذكره، سفرا وحضرا، وكذاك ولد الشيخ سيدي عبد المجيد المذكور، إلى أن توفي الشيخ جسوس ﷺ، وفقد بصره بعده.

[العربي بن الكبير الطوير] [1]

ومن أصحابه أيضا، ولم يدفن معه، الفقيه المؤدب، الدين الخير، الخاشع البكاء المتواضع، المحب في أهل جانب الله، السيد الحاج العربي بن الكبير، به شهر، الطوير.
كان، رحمه الله، يعلم الصبيان بمسيد مولانا إدريس، نفعنا الله به. وكان في كل يوم منذ بدأ في سلوك الألواح للمتعلمين، وهو يقرأ بأعلى صوته ويبكي، ودموعه سائلة على الألواح، ويكون الناس المارون على الطريق واقفين ليسمعوا قراءته ويستحسنونها، وكان يؤثر ذالك فيه وفيهم. وكان، رحمه الله، يتواجد كثيرا عند ذالك وعند مدح النبي، ﷺ ويقع له الهيام ويشتد بكاؤه.
توفي، رحمه الله تعالى، بالوباء عام ثلاثة وستين ومئة وألف، ودفن بروضة قرب جامع الأندلس، رحمه الله.

[عبد القادر بن الخسن]

ومن أصحاب صاحب الترجمة أيضا المحبين له، والمجتمعين عليه، المسن الفقير المتقشف، الذاكر لله والمحب، المولع بمدح رسول الله ﷺ، السيد الحاج عبد القادر بن الحسن، به عرف.
كان، رحمه الله، متقشفا، متجردا عن الدنيا، يحب الاجتماع مع أهل الخير.
كان، رحمه الله، مؤذنا بمسجد الولي الشهير، سيدي مومن بن علي، من حومة جرنيز وفاس القرويين، ومرصده بقبة الإمام مولانا إدريس، ﷺ ونفعنا به، على قراءة المصحف الكريم أو دلائل الخيرات، لا حرفة له دون ذالك.
وكان، رحمه الله، مولعا بمدح النبي ﷺ، يتواجد عند ذالك، حتى بلغته محبته في ذالك وولاعته أن ذكر قصيدة معهودة في مدح النبي، ﷺ في المواجهة عند الحجرة النبوية، التي مطلعها:

---

[1] العربي بن الكبير الطوير (-1163 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 9/2.

تنعم بذكر الهاشمي، الخ. القصيدة المتقدمة.

وكان، رحمه الله، عارفا بغسل الأموات، واشتهر به. رأيته يوما بعد موته في المنام، وكنت أباشر التغسيل معه، فقال لي، رحمه الله، وهو ماش مع جنازة لمسجد الجنائز، فسألته عن الميت من هو؟ فقال: السيد الحاج بوعزة ماموا، وكان غائبا بمراكش. فقبضني صاحب الترجمة المذكور من يدي ودخل بي لزنقة المدرسة الرشيدية، وقال لي: يا ابن سيدي، إياك (الجفنة) ، للجفنة التي يكون فيها ماء التغسيل، فإن الناس يجعلون فيها الفداوش بالأعراس، وفي بعض الأحيان فيها يكون أثر رغوة الصابون، فاحذر ذالك ولا تتغافل عنه. وانصرف، واستيقظت. وكان ماموا بمركش، فبعد الرؤيا بأيام، جاء الخبر بموته بالطاعون، رحمة الله عليه.

وتوفي صاحب الترجمة مطعونا عام ثلاثة وستين ومئة وألف، ودفن بروضة العلامة سيدي عبد الهادي العراقي، المتقدم آنفا.

وكان مامو هاذا المذكور فقيرا عيساويا من أصحاب سيدي الحاج عبد السلام برادة الآتي ذكره، وكان من التابعين لسيدي عبد المجيد، صاحب الترجمة، وممن حضر معنا في غسل أخينا سيدي عبد المجيد، رحمه الله تعالى.

[عبد السلام بن أحمد برادة]

ومن أصحابه أيضا ممن لم يدفن معه، الفقير المتجرد، المعرض عن الدنيا وأهلها، سيدي الحاج عبد السلام بن الحاج أحمد برادة، العيساوي طريقة، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

كان لا يفارق الشيخ ﷺ إلا قليلا، ولا يبرم أمرا من أموره؛ دينيا ولا دنياويا، إلا عن إذنه ومشورته.

[علي بن زين العابدين العراقي] [1]

ومن أصحابه الذين قرءوا عليه، الشريف الأجل، العالم الأفضل، المدرس الأمثل، سيبويه وقته، أبي الحسن، مولانا علي زين العابدين، المدعو(زيان)[2] بن الشريف البركة المرحوم، مولاي هاشم العراقي الحسني، رحمه الله تعالى.

---

[1] علي زين العابدين العراقي (-1194 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 3/140-141.
[2] ب: ساقط.

[عبد الرحمان بن الخياط حسين] [1]

ومنهم أيضا، من الملازمين له، وقرأ عليه وأخذ عنه، الفقيه الأجل، العالم الأفضل، الصوفي الأكمل، أبي زيد، سيدي عبد الرحمان بن المحتسب المرحوم، السيد الخياط حسين، رحمه الله تعالى.

وقال بعض المحبين في صاحب الترجمة، لم أقف عل اسمه:

[الرجز]

رُوحِي فِدَا مَوْلاَيَ عَبْدِ الْمَجِيدِ ... الْحَسَنِيِّ الأَسْمَى الْفَقِيهِ الْمَجِيدْ

قُرَّةُ عَيْنِ الْفَضْلِ إِنْسَانُهَا ... وَاسِطَةُ الْعِقْدِ وَبَيْتُ الْقَصِيد

مَنْ وُجْدُهُ مَا بَيْنَنَا وَاجِدٌ ... وَفَضْلُهُ بَيْنَ الْبَرَايَا مَدِيد

وَوُدُّهُ فِي مُهْجَتِي لَمْ يَزَلْ ... مَا دُمْتُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ يَزِيد

قَدْ طَاوَلَ الْعَلْيَا وَجَاوَزَهَا ... قَدْرًا وَجَاهًا فَخْرُهُ لاَ يَبِيد

أَخْلاَقُهُ الْحَسْنَاءُ زَاكِيَةٌ ... مَا أَنْ تُضَاهَى وَالْعَلَمُ الشَّهِيد

حَبْرٌ نَبِيهٌ نَابِهٌ فَطِنٌ ... فِي الْحُسْنِ وَالإِحْسَانِ فَرِيد

فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ الْقَوِيمِ غَدَا ... مَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ فَرْدٌ وَحِيد

إِلَى حَيَاءٍ وَوَقَارٍ وَإِ ... نْصَافٍ وَإِسْعَافٍ وَرَأْيٍ سَدِيد

مَوْلاَيَ خُذْهَا قِطْعَةً جَمَعَتْ ... غُرَّ الْمَعَانِي فِي بِنَاكَ الْمَشِيد

أَبْيَاتُهَا هِيَ الَّتِي قَدْ أَبَتْ ... إِلاَّ ثَنَاكَ الْمُتَوَالِي الْحَمِيد

لاَ غَيَّبَ الرَّحْمَانُ عَنْ بَصَرِي ... شَخْصَكُمُ الزَّاهِيَ الأَجَلَّ السَّعِيد

وَلاَ (عَرَّفَكُمْ)[2] فِي الدُّنْيَا نَكْبَةً ... وَلاَ شَفَا فِيكُمْ فُؤَادَ الْعَنِيد

تَحِيَّةُ الْقُدُّوسِ تَشْمَلُكُمْ ... مَا وَشَّحَ الوَسْمَى حَبَّ الْحَصِيد

وَمَا (صَبَا)[3] (غُصْنُ)[4] النَّقَا هَيَّفًا ... رِيحَ الصَّبَا رَادُ الصَّبَا إِذْ يَمِيد

---

[1] أبو زيد، عبدالرحمان بن الخياط حسين (-1193 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 183/1.
[2] ب، ج: غرتكم.
[3] ب، ج: حبا.
[4] ج: حسن.

هَاكَذَا وَجَدْتُهَا بِخَطِ ناظمها، ونقلتها منهِ، رحمه الله تعالى، آمين بمنه.

[سليمان بن أحمد الفشتالي]

ومن أصحاب الشيخ، صاحب الترجمة، من العلماء الذين قرءوا عليه وأخذوا عنه، الفقيه العالم الأفضل، المشارك الحكيم الأنبل، والأديب المفتي الأكمل، قاضي فاس، أبو الربيع، سيدي سليمان بن أحمد الفشتالي، المتوفى مهل رمضان المعظم عام ثمانية ومئتين وألف.

[عبد السلام حسين]

ومن أصحابه أيضا، المحبين له والملازمين، الطالب الأجل، الناظر الأفضل، سيدي الحاج عبدالسلام حسين، رحمه الله، المتوفى سنة ست وتسعين ومئة وألف.

[الحسن بن علي بوعنان]

ومن العلماء أيضا الذين كانوا يجتمعون معه، الشريف الأجل، العالم العلامة الأفضل، المدرس الأنبل، المفتي الأمثل، سيدي الحسن بن الشريف الفقيه العدل، سيدي علي بوعنان الحسني، المتوفى سنة ثلاثة وستين ومئة وألف.

[علي بن محمد قصارة] [1]

وجليسه الفقيه الأجل، المدرس الأكمل، العدل المفتي المؤقت الأفضل سيدي علي بن محمد قصارة، رحمه الله تعالى، ونفعنا بجميعهم، آمين.

هاذا ما تيسر لنا ذكره من أصحاب صاحب الترجمة.

[1] علي بن محمد قصارة (-1185 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 198/4. سلوة الأنفاس: 2/297-298.

[شيوخ المؤلف من أصحاب أخيه عبد المجيد المذكور]

[محمد الهادي العراقي][1]

وممن اجتمعنا معه، وعرفناه وقرأنا عليه، الشريف الأجل، العالم العلامة الأفضل، المدرس الفهامة، الإمام المحقق، مفتي الأنام، أبو عبد الله، سيدي محمد الهادي العراقي الحسيني بن الشريف الفقيه الأجل، المسن الحسيب البركة الأفضل، سيدي محمد بن الشريف الخير المبجل، مولاي عبد الرحمان بن مولاي محمد بن أحمد، المدعو احمدون، بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن مولاي أحمد بن مولاي أبي القاسم بن سيدنا علي بن محمد بن محمد بن الهادي بن سيدي أبي القاسم بن نفيس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن عبد الله بن أبي الطيب طاهر بن أبي الحرث بن إسماعيل بن إبراهيم المجاب بن موسى الكاظم بن سيدنا جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر بن سيدنا علي بن أبي طالب بن زين العابدين بن سيدنا الحسين[2] بن مولانا علي بن أبي طالب، كرم الله وجههم، وفاطمة، رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ.

كان، رحمه الله تعالى، ذو أخلاق حسنة، وأوصاف مستحسنة، ومروءة وتؤدة، وهيبة ووقار، وحياء وجد، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذو علم وعمل ودين، مفتي وقته مقداما على الحق.

طلب منه حاكم البلاد الفتوى بقدر شهوته، وامتنع الشيخ من ذالك. ولم يرض الحاكم امتناعه، وغاضه ذالك، ورماه بكلام يدل على الرشوة، أو ما أشبه ذالك، فحلف الفقيه عند ذالك يمينا بلفظ الحرام أن لا يفتي أحدا بأجرة قط مدة عمره، وخالف أهل فاس على السلطان، وكتبوا البيعة لسلطان آخر، وكتب جميع علماء الوقت على البيعة، إلا صاحب الترجمة، رحمه الله، امتنع من الكتب امتناعا كليا، وحسروا عليه حتى ترك النعال بمقصورة القاضي بالقرويين وهرب، ثم حسروا عليه بداره ليلا ونهارا، ولم يجبهم لذالك.

ثم بعد ذالك بأيام، نقضوا البيعة الثانية، وتصالحوا مع السلطان الأول، وبقي هو لم يكتب شيئا، وندم كل من كتب على ما كتب، ﷺ.

---

[1] أبو عبدالله، محمد الهادي بن محمد العراقي الحسني (-1163 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 4/70-76. التقاط الدرر: 411-414. سلوة الأنفاس: 2/297-298.

[2] الحسين بن علي بن أبي طالب (-61 هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 97. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 1/64، هامش: 173.

وكان، رحمه الله، مع أخينا سيدي عبد المجيد، المذكور قبله، إخوان في الله حقا وصدقا، حتى كان لا يسمي أحدهما الآخر باسمه، وإنما كان يسميه بأخي، رحمة الله عليهما.

قرأت عليه البعض من سيدي خليل، والبعض من البخاري، والبعض من ألفية ابن مالك.

أخذ ﷺ عن المشائخ، المذكورين آنفا، الوجاري، والمسناوي، وابن زكري، وجسوس، وابن المبارك، ﷺ وأرضاهم. ولقي من لقي من أهل الخير بمصر وغيرها عام حجي مع أخينا المتقدم ذكره آنفا.

توفي، رحمه الله تعالى، هو وزوجه في ساعة واحدة بالوباء، وأقبرا متجاورين في شهر ربيع الثاني عام ثلاثة وستين ومئة وألف. ودفن هو وزوجته عدوة الأندلس بروضة بين مسجد الأنوار وباب المسافرين، قرب الشيخ سيدي علي الحجام الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وكانت له جنازة عظيمة حفيلة، حضرها العام من الناس والخاص، وبنيت عليه قبة هنالك، رحمة الله عليهم، آمين.

وكان، رحمه الله تعالى، إماما أولا بمسجد أبي الشتاء من حارة قيس وفاس القرويين، ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد باب الجيسة، وولي المسجد الأول لوالده سيدي محمد المذكور. ثم عزل عن مسجد باب الجيسة، وولي المسجد الأول المذكور، وولي الإمامة في جامع الأبارين من حارة قيس .

وكان له، رحمه الله، ثلاثة مجالس للتدريس، من الصباح للضحى، ومن الزوال إلى صلاة الظهر، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس. وكان، رحمه الله، جهير الصوت، فصيح اللسان.

[عبد الكبير السرغيني] [1]

ومنهم الشيخ الفقيه العالم العلامة، العامل الزاهد الورع، سيدي الحاج عبد الكبير السرغيني، رحمه الله تعالى.

كان عالما عاملا، زاهد ورعا، قائما على الحق، مصمما عليه، لا تأخذه في الله لومة لائم، صائما قائما ذاكرا، إماما خطيبا بمسجد مولانا إدريس، نفعنا الله به، آمين.

وكان ﷺ يدرس بكرسي القبة سيدي خليل وتفسير القرآن والبخاري. كنت أحضره في بعض الأحيان، فكانت على مجلس تدريسه هيبة وسكينة ووقار.

---

[1] عبدالكريم السرغيني(-1164 هـ) ترجمته في: نشر المثاني: 4/84-89. التقاط الدرر: 419-421. سلوة الأنفاس: 2/383-386.

توفي ولده الفقيه سيدي محمد، وذالك في وباء خمسة وخمسين عاما ومئة وألف، وجاء الناس لتعزيته فيه، فقال له رجل:كيف أنت يا سيدي مع هاذه المصيبة؟ فنهض الشيخ على الرجل وصاح: الله. وقال له: مثلا، مثلا، وقد كانت الكلمة هاذه جارية على لسانه كثيرا، من قال لك إنها مصيبة وهو في صحيفتي؟ كيف ولو كنت في صحيفته؟ أو تقف ما ليس لك به علم؟ حتى دهش الرجل، وندم على ما قال.

وكان ﷺ لا يمسك نفسه إذا رأى منكرا حتى يأمر بتغييره. كان يوما، رحمه الله، على المنبر في خطبة الجمعة، ودخل بعض الأدارسة يتخطى رقاب الناس، فقطع، رحمه الله، الخطبة، وجعل يقول: التخطي حرام، قالها ثلاثا أو أكثر، ورجع إلى خطبته.

وخرج يوما من المسجد بعد فراغه من التدريس، وصادف سابع المولد بالمكتب الذي هناك، وكثرة المصابيح موقدة نهارا، وازدحام الناس كثيرا يسمعون المواليد من الولدان بأصوات حسان، فوقف عند ذالك، وجعل يقول: هاذا الفعل حرام، هاذا الفعل حرام، ويكررها بأعلى صوته. وبقي واقفا حتى تفرق ذالك الجمع، وطفئت المصابيح ولا عليه في ذالك، لا من جمهور الناس، ولا من الأشراف، ولا بغيرهم، ولم يبال بشيء من ذالك.

وكان له، رحمه الله، صاحبا يأخذ بيده في أموره وشؤونه، وكان يحضر عنده في المجلس، وهو دباغ الحرفة، وكان يجيء في آخر القرآن.

وجاء يوما وطلب من الشيخ الفاتحة والدعاء في صلاة الصبح والجماعة، فقال له الشيخ: ما كانت عشاؤك؟ وكان وجدنا تعشينا، بل فرغنا من القراءة، فقال له: تعشيت يا سيدي الكسكس. فقال: وبم؟ قال: باللحم واللفت والفول. فقال الشيخ: وشربت البياض؟ قال له: نعم. فقال الشيخ، رحمه الله: أنت مثلا مثلا سقط عليك الردم، وأردت أن تقوم.

توفي، رحمه الله تعالى، في وباء عام أربعة وستين ومئة وألف، ودفن بعد صلاة الظهر بقبة الشيخ سيدي أحمد اليمني[1] من القبب، خارج باب فتوح، ﷺ أجمعين.

[محمد أبو الرخاء][2]

ومنهم الشيخ الفقيه، العالم العلامة، النبيه الفهامة، المشارك المتجرد، أبو عبد الله، سيدي محمد بن أحمد أبو الرخاء.

كان، رحمه الله تعالى، عالما عاملا، خاملا متواضعا، ذا أخلاق كريمة ومحبة شديدة، ولا يفتي لأحد بكتابة قط إلا بلسانه، ولا يقبض من أحد شيئا.

---

[1] أحمد بن محمد بن إدريس اليمني (-1113 هـ). ترجمته في: مباحث الأنوار: 285-292. نشر المثاني: 2/121-131. التقاط الدرر: 281. طبقات الحضيكي: 1/9293. الإشراف: 1/95. سلوة الأنفاس: 2/384-386.

[2] أبو عبدالله، محمد بن أحمد أبو الرخاء (-1163 هـ). ترجمته في: التقاط الدرر: 414. نشر المثاني: 4/77.

ومن تواضعه، كان لا يحب التدريس مع الناس، ويقول لمن يطلب منه ذالك: أنا خصني من يقرئني، لكثرة حيائه وخموله وتواضعه، إلا من كان يسرد معه شيئا من داره أو بصحن القرويين.

وانتفع على يده خلق كثير من غير مجلس مقصود إلا بملازمة الاجتماع معه، فتح الله عليهم على يديه. وكل ما طلب منه التدريس امتنع، حتى شددوا عليه في آخر عمره، وألحوا[1] عليه العلماء في ذالك الوقت، وقالوا له: كيف تبخل بما علمك الله، فيكون علمك عليك حجة يوم القيامة. ففتح بداره مجلس التفسير بين المغرب والعشاء أياما. وضاق المجلس، وانتقل لمجلس سيدي أبي الشتاء بحارة قيس، فقرأ في البسملة أربعة عشر يوما ولم يكملها.

وضربه الوباء، وتوفي في ربيع الثاني سنة ثلاث وستين ومئة وألف، وصلى عليه القاضي سيدي عبد القادر بوخريص بداره بعد صلاة المغرب، لأنه كان جسيما ناعما، ولم يطل مرضه، وكان الوقت فصل الحر الشديد، وخيف عليه من ذالك. ثم أعاد الصلاة عليه عند قبره العلامة الشريف سيدي عبد الهادي العراقي، المذكور قبله، بعد صلاة العشاء، رحمه الله تعالى ورضي عنهم، ونفعنا بهم، آمين. ودفن بمطرح الجنة قرب الشيخ سيدي محمد العايدي[2] التي بها الفقيه العالم سيدي محمد المسناوي.

[عمر الفاسي][3]

ومنهم الشيخ الفقيه العلامة، الدراكة الفهامة، المشارك المحقق النحرير، الأديب الأريب، العارف بالله، والمحب في الله وفي جنابه، والمنسوبين إليه وفي أهل بيت رسوله ﷺ، الباحث عن أهل الخير، والمحب فيهم، أين ما كانوا، وكيف ما كانوا، سلالة العلم والصلاح، والولاية والفلاح، والهداية والنجاح، أبو حفص، سيدي عمر بن عبد الله الفاسي، نجل العالم العلامة العارف، سيدي العربي[4] بن الشيخ الكامل، الشهير الماهر، شيخ المشائخ، أبي الحسن، سيدي يوسف، رضي الله عن جميعهم، ونفعنا ببركاتهم، آمين.

كان، رحمه الله، عالما علامة، مشاركا في كل العلوم، مدرسا للفقه والحديث والمنطق والكلام والبيان، حدث عن البحر ولا حرج.

لقي من أهل الخير خلقا كثيرا، في فاس وفي غيرها من المغرب، أولياء وصالحين، وفقراء منسوبين، مجاذيب وسالكين. كان، رحمه الله، من كثرة حبه إياهم

---

[1] كذا في المخطوط.

[2] محمد بن أحمد العايدي السكيري (-984 هـ). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 180. سلوة الأنفاس: 58/3.

[3] عمر بن عبدالله الفاسي (-1188 هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:230/1، هامش:980.

[4] العربي بن يوسف الفاسي (-1052 هـ). ترجمته في: الروض: 100. نشر المثاني: 10/2. التقاط الدرر: 115. الحركة الفكرية: 420.

يفتش عليهم ويبحث عنهم، ويحب لقاءهم والاجتماع معهم، ولا يترك ولا يغفل عن أحد منهم أو نسب إليهم وفيه شائبة الخير إلا وبحث عنه كيف ما أمكن حتى يلتقي معه، كيف ما كان، وعلى أي حال كان، ويتأدب معهم في الجلوس وفي الكلام، وذالك من شدة ولوعه بهم وحسن ظنه فيهم، حتى لا يجحد أحدا، ولا ينكر على أحد، إلا إذا خرج عن المنهاج الشرعي فيما وقع الإجماع على تحريمه، حتى بلغه حسن ظنه، رحمه الله، بعباد الله أن كان يتهم العبد الحقير ويعتقد فيه الخير، والعبد كما قال الإمام الشافعي ﷺ:

[الطويل]

يَظُنُّونَ بِي خَيْرًا وَمَا بِي مِنْ خَيْـرِ ... وَلا كني عَبْدٌ ظَلُـومٌ كَمَـا تَـدْرِي

سَتَرْتَ عُيُوبِي عَنْ عُيُونِهِمْ كُلَّهَـا ... وَأَلْبَسْتَنِي ثَوْبًا جَمِيلاً مِـنَ السِّتْرِ

فَصارُوا يُحِبُّونِي وَلَسْتُ أَنَا الـذِي ... أُحَبُّ وَلاَكِنْ شَبَّهُونِي إِلَى غَيْـرِي

فَلاَ تَفْضَحَنَّ سِرِّي إِلاَهِـي بَيْـنَهُمْ ... وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْحَـشْرِ

وكما قال الشيخ سيدي الصالح بن المعطي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى: وغير خاف عليكم أنني من الخير خال.

قال: وقلت:

[الطويل]

يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ أَهْلٌ لِقُـرْبِهِمْ ... فَأَنْتَ حَقِيـرٌ وَالْجَنَـابُ عَظِـيمُ

فَقُلْتُ اعْتِذَارًا قَدْ دَعُونِي تَفَضُّلاً ... فَهُـمْ عُظَمَـاءُ وَالإِلاَهُ كَـرِيمُ

كان، رحمه الله تعالى، يحبني كثيرا ويتفقدني ومن كثرة حبه إياي، حتى كان ما فيه يظهر له في، لأن العامة تقول: مرآة الرجل صاحبه. فكان، رحمه الله، إذا لقيني يكثر علي اللوم من أجل غيبتي عنه. وكان، رحمه الله، يقول لي: والله ما أنا بمسامحك إن ظهر لك أحد من أهل الخير وتكتمه عني.

ووقعت قضية بيني وبين بعض الطلبة الذين يقرءون عليه، التقيت أنا وصاحب الترجمة في ختم البخاري عند ضريح الولي الصالح سيدي الحسن السفياني، الآتي ذكره إن شاء الله، وتحدثت معه فيها، فأخبرته بها كما هي. فنهض، رحمه الله، وقبضني ووثب، وقال: أشهد أنك ولي الله. فقبضته عند ذالك من طرفه، وقلت له: إني أحتاج هاذه الشهادة منك عند الله، فأنت عالم من علماء المسلمين. فارتعدت فرائصه، واقشعر جلده، وتبدل لونه، وفاضت عيناه، وقام وقمنا وخرجنا.

والقضية المذكورة هي:

دخلت عشية مسجد القرويين، فوجدت رجلا من الطلبة الذين يقرءون على صاحب الترجمة، أعرف عينه ولا أعرف اسمه، جالسا عند باب الصمعة، فجلست حذاءه، وهو مشطون العقل، ذاهل البال، فسلم علي، وقال: أنت رائد الشيخ جسوس، وقرأت عليه. قلت: نعم. فقال: يا سعدكم، نحن والله فاتنا ذالك. وكان الشيخ جسوس مات قريبا. فقال لي: وقعت لي اليوم قضية: كنت جالسا بمدرسة العطارين، فجاءني بعض الطلبة يدخل بيت الخلاء، فأنزل عندي سفرا من الفتوحات المكية لابن العربي الحاتمي[1]، ففتحت السفر، فخرجت أو وجدت ترجمة المحبة في الله وعلاماتها. فتتبعت ذالك من قوله، وهو يقول: من علاماتها كذا، من علاماتها كذا، ومنها كذا، ومنها التجاوز عن الحدود. وبعد معرفتها قال: فتحيرت في ذالك، وغاب فهمي في التجاوز عن الحدود بعد معرفتها حدود. قال: وسأله علماء، ونشأ عن ذالك، فلم يجد أحدا منهم أولى من أحد أن يجيبني، وكل واحد وعذره، وبقيت في حيرة من ذالك. فقلت له: إن الشيخ جسوسا، رحمه الله، كان يوصينا على كتب الغزالي[2]، وكتب الجيلي، وكتب الحاتمي، إذا وقفتم على كتاب منها، فامشوا مع فهمكم طول ما هو مشروحا. فإذا تكدر عليكم، فقفوا عند ذالك ولا تزيدوا، فإن الموضع موضع مخوف.

وأما التجاوز عن الحدود بعد معرفتها عند أهل هاذا الطريق، إذا حضرت المحبة ارتفعت شروط الأدب، لأن المحبة الصادقة والأخوة فيه لا تصح إلا بثلاثة شروط: لا مال مقسوم، ولا سر مكتوم، ولا غيظ يدوم. وهي الحدود التي في الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"[3]. وإذا صدقت المحبة، فلا دم ولا مال ولا عرض ولا سر، امتزجت محبتهما في الدم واللحم، وصارا ذاتا واحدة، وقلبا واحدا، وسرا واحدا، ومالا واحدا. وإذا كان كذالك، لم يبق ما يقسم، ولا ما يخفى، ولا ما يغيظ، فيأكل كل منهما من مال الآخر، ولا سيما إن احتاج إليه، ولا يؤثر فيه، إذا غضب أحد منهما فلا يدم في أحد منهما، وكلام كبير في مقام كبير، كالشيخوخة مثلا، يكون الرجل محبا في الشيخ، تابعا له، مكبا عليه، مصمم النية فيه، وظهرت منه هفوة أو كذا، ما يناقض الشرع في الظاهر، فلا يقول: الشيخ الذي نرجو بركته، وجدته كذا، وتنقص نيتك فيه وفيك، قولا من سوء أدبك وقلة نيتك، إنما الأدب هو ما وقع للنبي ﷺ تشريعا بترقيع صلاة السهو كما في الصحيح حين صلى ﷺ الظهر اثنتين، وقال له ذو اليدين ﷺ بأدب: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله، الحديث[4]. ولم يكن ذالك بعنف. وكما وقع

---

[1] كذا بالمخطوط والصواب هو: ابن عربي الحاتمي. واسمه: محمد بن علي بن عربي الحاتمي (-638 هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 264273.

[2] أبو محمد، محمد الغزالي (-505 هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف: 74/1، هامش: 215.

[3] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، رقم: 3933.

[4] صحيح البخاري: كتاب السهو، رقم: 1228.

لموسى عليه السلام مع الخضر الذي في القرآن، قال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾[1]، ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[2]، ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[3].

وهاذا كله صدر من العارفين، صحيح في باطنه، مخالف في ظاهره، وكثيرا ما يقع مثل هاذا من العارفين الكاملين الواصلين. ومن هنا وقع النهي عن الاعتراض؛ اعتراض المريد على الشيخ ولو في قلبه.

ويحكى أن رجلين متحابين في الله، مجتمعين عليه في دينهما ودنياهما، دخل أحدهما دار الآخر، وقال لزوجه: أعطني مفتاح صندوق أخي. فأعطته إياه، وأخذ منه ما أخذ، وسده كيف كان، وقال لها: إذا جاء زوجك، فقل له: الله يلعنه. فلما جاء زوجها، قالت له: إن أخاك فلانا جاء، وحكت له ما كان. وقال لي: قل له الله يلعنه. قال لها زوجها: نعم، إذا نشك فيه.

وآخران مثلهما دخلا حانوت حجام ليفصدا، فربط الحجام على ذراع واحد منهما، وضرب بالمفصد، فخرج الدم من يديهما معا والضربة بيد أحدهما. فإن من كثرة صدقهما في المحبة صارا ذاتا واحدة.

فلما التقى الطالب المذكور مع شيخه، صاحب الترجمة، حكى له بعض هاذا الكلام، فلما التقيت مع صاحب الترجمة سيدي الحسن السفياني[4]، وحكيت له القصة كلها، صدر منه ما صدر، كما تقدم.

[شيوخ عمر الفاسي]

وأخذ صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، عن مشايخ شتى جلة، كالعلامة سيدي أحمد الوجاري، والعلامة سيدي الحاج علي الحريشي، دفين البقيع، والعلامة سيدي محمد جسوس، والعلامة سيدي أحمد بن مبارك الفلالي، المتقدم ذكرهم ﷺ.

[من لقيهم عمر الفاسي من العلماء والمتصوفة]

ولقي، رحمه الله تعالى، من أهل الخير المنسوبين إلى الله تعالى خلقا كثيرا:

منهم الشيخ مولانا أحمد الصقلي الحسني، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ومنهم أخونا سيدي عبد المجيد، المتقدم ذكره آنفا.

---

[1] سورة الكهف: 70.

[2] سورة الكهف: 73.

[3] سورة الكهف: 76.

[4] أبو علي، الحسن بن إبراهيم السفياني (-1098 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 269/1.

ومنهم الشيخ سيدي أحمد العباس بن الشيخ سيدي أحمد السوسي المراكشي، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

ومنهم الشيخ العالم سيدي أحمد بن عبد العزيز الفيلالي.

ومنهم الشيخ سيدي أحمد بن منديل الفيلالي.

ومنهم الشيخ السائح سيدي عبد الكريم بناني.

ومنهم شيخنا سيدي محمد بن عبد العزيز الصنهاجي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

والشيخ سيدي علي التسولي، والشيخ المجذوب، سيدي علي بن ناصر الورياجلي، والشيخ سيدي علي بن علي المجذوب، والشيخ الشهير، سيدي عبد الكريم الكرزازي[1]، والشيخ الحاج عبد الواحد الزنبور، والشيخ سيدي أحمد السلوي[2]، والسيد علي التواتي الجوراري، الموجود الآن.

وغير هاؤلاء، وكلهم يأتي ذكرهم، إن شاء الله تعالى، كسيدي العربي بن عبد الله معن، وولديه سيدي عبد الله، وسيدي عبد الوهاب، دفين البقيع، ﷺ، ونفعنا ببركاتهم، آمين، ومولاي عبد الملك الرويمي، الملقب الدقاق[3]، لأنه كان يبيع الدقيق.

ومن تواضع صاحب الترجمة، رحمه الله، رأيته يوما قاعدا على التراب مربعا بباب دار السيد عبد الكريم بناني يرجوه يخرج إليه نحو الساعة أو أكثر. ورأيته مرة أخرى مربعا بالعطارين، بباب سوق البرنس، جالسا على التراب، يرجو الشيخ سيدي علي التسولي يقضي من بيع البراطيل.

فهاذا ما اطلعنا عليه من أمور صاحب الترجمة ﷺ.

توفي، رحمه الله، يوم الخميس آخر يوم من رجب الفرد الحرام سنة ثمان وثمانين ومئة وألف، وكنت المباشر لغسله وإنزاله لقبره، ودفن بعد العصر من يومه بزاوية جده أبي المحاسن، سيدي يوسف، نفعنا الله به، بحومة المخفية عدوة فاس الأندلس. وكانت له جنازة عظيمة، حضرها عامة الناس وخاصتهم.

[علي قصارة] [4]

ومنهم شيخنا الفقيه، العالم المدرس، المفتي العدل، الموثق بل الموقت بمنار القرويين، أبو الحسن، سيدي علي بن محمد قصارة الحميري.

---

[1] عبدالكريم الكرزازي (-1155 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 221/3.
[2] أحمد السلوي (-1195 هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي: 134-135.
[3] عبدالمالك الرويمي الدقاق (-1173 هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي: 133.
[4] علي بن محمد قصارة (-1185 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 198/4. سلوة الأنفاس: 297/2-298.

كان، رحمه الله، عالما فقيها نحويا، وكان إماما بمسجد الأبارين بعد سيدي عبد الهادي العراقي المتقدم، بل أخينا سيدي عبد المجيد المتقدم ذكره.
قرأنا عليه، رحمه الله، الجرومية، وألفية ابن مالك، وسيدي خليل.
وكانت له أخوة معه في الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وزرته معه.

[شيوخ علي قصارة]

أخذ، رحمه الله تعالى، عن العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني[1]، الآتي ذكره إن شاء الله، وعن العلامة سيدي أحمد بن مبارك، الآتي ذكره، وعن العلامة سيدي محمد جسوس، المتقدم ذكره، وعن الفقيه سيدي أحمد الوجاري، ﷺ أجمعين.
وتوفي، صاحب الترجمة، رحمه الله، سنة أربع وثمانين ومئة وألف، وكنت المباشر لغسله وحشره. ودفن، رحمه الله، تحت المصلى بجوار الشيخ سيدي أبي النعيم، رضوان بن عبد الله الجنوي، ﷺ، ونفعنا بهم.
وفي آخر عمر صاحب الترجمة، رحمه الله، فقد عينيه، كما سيأتي سبب ذالك، إن شاء الله، في ترجمة مولانا أحمد الصقلي.

[أحمد بن مبارك الفيلالي اللماطي] [2]

ومنهم الشيخ الفقيه، العالم العلامة، المشارك المدرس، الفهامة النحرير، ينبوع العلم وبحره، أبو العباس، سيدي أحمد بن مبارك الفيلالي، اللماطي أصلا، الفاسي دارا وقرارا.
كان، رحمه الله تعالى، عالما عاملا بحرا في العلم لا ساحل له . تخرج على يديه كثير من العلماء النجباء رضي الله تعالى عن جميعهم .
كان، رحمه الله، يقرأ صحيح البخاري زمن الشتاء قبل طلوع الشمس إلى الضحى عند ضريح الشيخ الصالح سيدي أحمد بن يحيى ﷺ. حضرت له مرة في ختمه،

---

[1] محمد بن عبدالسلام بناني (-1163 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 81-80/4. التقاط الدرر: 416-419. طبقات الحضيكي: 359/2. سلوة الأنفاس: 156/1. فهرس الفهارس: 227-224/1. الفكر السامي: 344/2. معلمة المغرب: 206-205/6.
[2] أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي (-1156 هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 42-40/4. التقاط الدرر: 393-394. الروضة المقصودة: 296-290/1. سلوة الأنفاس: 228230/2. الحياة الأدبية: 237-238.

وحضرت عنده مرة في ختم الشفاء لعياض بين الظهر والعصر بمسجد القرويين، وحضرت له عند ختم تفسير القرآن العظيم في المسجد المذكور بين المغرب والعشاء.

[شيوخ أحمد بن مبارك]

أخذ ﷺ عن الشيخ العالم الفقيه، العالم العلامة، الزاهد الورع، سيدي العربي الفشتالي[1]، دفين القليعة، رحمه الله تعالى، وعن الشيخ الرباني، الشريف المجذوب السالك، سيدي عبد العزيز الدباغ الإدريسي الحسني[2]، ﷺ، دفين مطرح الجنة، قرب ضريح أبي ميمونة، الدراس بن إسماعيل.

وألف صاحب الترجمة تأليفا في مناقب شيخه هاذا، سيدي عبد العزيز، سماه "الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز".

توفي سيدي أحمد، صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، عام ستة وخمسين ومئة وألف، ودفن، رحمه الله، بقبة شيخه سيدي عبد العزيز المذكور.

[عبد القادر بوخريص][3]

ومنهم الشيخ الفقيه، العالم العلامة، المدرس المفتي، القاضي أبو محمد، سيدي عبد القادر بن العربي بن قاسم بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد الخالق بوخريص الفلالي الكاملي الجعفري، هاكذا سمعناه منه ووجدناه ببعض التقاييد.

ولي، رحمه الله تعالى، خطة القضاء بفاس القرويين مدة من ثلاث وثلاثين سنة، سار فيها سير أمثاله، وكان منها ذا عفة في نفسه وماله.

قرأت عليه، رحمه الله، ألفية ابن مالك إلى النواسخ، وبعض صحيح البخاري.

[شيوخ عبد القادر بوخريص]

أخذ، رحمه الله، عن عدة من المشائخ، ﷺ، كالشريف الجليل، المشهور بالتحقيق والتحصيل، أبي عبد الله، مولاي محمد العراقي الحسيني النحوي الذي قيل فيه سيبويه

---

[1] أبو محمد، العربي الفشتالي (-1092 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/257-258.

[2] أبو فارس، عبدالعزيز بن مسعود الدباغ (-1132 هـ). ترجمته في: الإبريز. نشر المثاني: 3/245-246. التقاط الدرر: 315. الإشراف: 207-208. سلوة الأنفاس: 2/222-228. معلمة المغرب: 12/3959-3960.

[3] عبدالقادر بوخريص (-1188 هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/16-17.

وقته، وكالعلامة المحقق أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد المسناوي الدلائي، والعلامة المشارك، العارف الرباني الصوفي، أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد السلام بناني، والعالم النحوي، سيبويه زمانه، أبو العباس، سيدي أحمد الوجاري، والعلامة الحافظ معتمده، الذي فنى عمره في خدمته، أبو العباس، سيدي أحمد بن مبارك اللماطي البكري، المتقدم في الترجمة قبله، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين وأرضاهم.

ولد صاحب الترجمة، رحمه الله، عام الظليمة؛ وهو عام ثمانية عشر ومئة وألف، وتوفي، رحمه الله تعالى، عشية الأربعاء ثامن ذي القعدة الحرام عام ثمانية وثمانين ومئة وألف، ودفن بصاريوة، بروضة ولي الله، الشريف سيدي عمرو الشريف الحسيني، قرب الشيخ الشهير، الولي الكبير، سيدي أبي غالب الصاريوي[1]، ﷺ، ونفعنا بمنه بهم.

وقيل:

[المقتضب]

طَـــابَ نَـــشْرًا طَـــيُّ لَحْـــدِ	ضَـــمَّ يَوْمًـــا رَوْضَ مَجْـــدِ
بَلْ عَفَا مِـــنْ بَعْـــدِ قَاضِـــي	مِـــصْرَ فَـــاسَ رَسَـــدَ رُشْـــدِ
مَنْ كَعبــدِ القَـــادِرِ الحِبْـــرِ	بِـــنَهْجِ الحَـــقِّ يَهْـــدِي
كَـــانَ فِـــي ظِـــلِّ الأَمَـــانِي	وَافِـــلاً فِـــي بَـــرْدِ سَـــعْدِ
فَـــإِذَا التَّـــارِيخُ يَـــشْدُوا	هُـــوَ فِـــي جَنَّـــةِ خُلْـــدِ

ثَمَانِيَةٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ وَأَلْفٍ

رأيته ﷺ في المنام بعد موته بقريب جالسا بالمدرسة العنانية من طالعة فاس الأندلس، وعليه مجلس كثير من الناس حسانا وجوها، وعليه حلة رفيعة، وهو يدرس العلم. فوقفت عند ذالك المجلس أنظر، وقلت في نفسي: الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ في قوله: "يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه"[2]. فنظر إلي، رحمه الله، وقال لي: يا فلان، لا أكرم من الله سبحانه. ثم جلست في مؤخر الناس أسمع، وأرجو أن يتم القرآن، ونلتقي معه، ونسأله عن أمور، فاستيقظت قبل أن يفترق المجلس.

[1] أبو غالب، علي الصاريوي (- أواسط المائة الثامنة للهجرة). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 225. سلوة الأنفاس: 2/21-28.

[2] فيض القدير: 5/520. رقم: 8171. وفي صحيح مسلم. كتاب الجنة، رقم: 83. قال النبي ﷺ:"يبعث كل عبد على ما مات عليه".

[محمد التاودي ابن سودة][1]

ومنهم الفقيه العالم العلامة، المدرس المشارك الفهامة، المسن البركة، شيخ جماعة وقته، سيدي الحاج محمد التاودي بن الفقيه الأجل، المرحوم، سيدي الطالب بن سودة المري، الموجود الآن، عالما مشاركا حافظا، أفنى عمره في تدريس النحو والفقه والحديث والتفسير. حضرنا له في ختم صحيح البخاري نحو الأربع ختمات، ولتفسير القرآن مرتين. وله تواليف، وعلى مجلسه هيبة ووقار، انتفع على يده كثير من طلبة الوقت، ومنهم من انتصب للفتوى في فاس وفي غيرها، وفرهم الله، ونفعنا بهم آمين.

قرأ ﷺ على المشائخ العلماء المتقدم ذكرهم، كالشيخ جسوس، وابن المبارك، والمسناوي، والوجاري، وأمثالهم، ﷺ.

وحج، حفظه الله، عام أحد وتسعين ومائة وألف، ولقي بالمشرق من لقي من أهل الخير، وانتفع بهم وتبرك، كالشيخ السمان، والشيخ المرتضى، وأمثالهما.

وكان في ابتداء أمره يجتمع مع الأخيار المتقدمين، كأخينا سيدي عبد المجيد المذكور، والشيخ مولانا أحمد الصقلي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وسيدي عمر الصنهاجي، وسيدي عبد السلام التواتي[2]، الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

---

[1] أبو عبدالله، محمد التاودي ابن سودة المري الأندلسي الفاسي (-1209 هـ). أكبر علماء وقته. قاله الزياني في جمهرة التيجان: 158. ترجمته في: الروضة المقصودة 2ج. حاشية الرهوني: 1/14-15. التعريف بالتاودي ابن سودة. سلوة الأنفاس: 1/118-120. زهرة الآس: 1/514-515-516. عجائب الآثار للجبرتي: 3/227-230. النبوغ المغربي: 1/303.

[2] أبو محمد، عبدالسلام بن محمد التواتي الفاسي (-1155 هـ). ترجمته في: الروضة المقصوة: 2/451-455.

الباب السابع
في ذكر من عرفناه من أهل الخير وتتبعنا له الاثر من الطوائف الاحدى عشر

ذكر الطائفة الأولى:
[الطائفة العيساوية]

وهي طائفة الفقراء المنتسبين والمنتمين إلى الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، القطب الكامل الرباني، الشهير ذكره وخبره وصيته عند القاصي[1] والداني، الذي قيل: الصالحون كلهم غرفوا من بحر النبي ﷺ وسيدي محمد بن عيسى[2] غرف فيه. (وقيل: ضرب فيه كردايسته. وهو، رحمه الله تعالى، ورضي عنه)[3]، محمد بن عيسى بن عامر بن عمرو بن عمرو بن (حريز)[4] بن محروز بن عبد المومن ابن عيسى، المكنى بأبي السباع، الشريف الحسني الإدريسي. ولاشك أنه ﷺ من عرب سوس، يعرف هاذا جمهور الناس، ولاكنهم اختلفت عباراتهم في ذالك، فمنهم من يقول إنه سملالي، ومنهم من يقول إنه من أولاد أبي السباع كما ذكر.

وقيل هو محمد بن عيسى (الفهري)[5] السفياني الأصل، وهو المشهور، ثم المختاري، نزيل مكناسة الزيتون، الولي الكبير، الإمام الهمام الشهير، شيخ الطائفة العيساوية بالمغرب، وكانت آية في المحبة والأدب، كما كانت المسناوية غاية في السنة، حتى كان يقال: المحبة عيساوية، والسنة مسناوية، لكثرة المحبة في أصحابه فيه وفي بعضهم بعضا وفي الناس. وعلامة المحبة هي الحنانة والشفقة والمودة وما أشبه ذالك.

وللشيخ ﷺ كرامات كثيرة لا تعد ولا تحصى ولا تحد ولا تستقصى، وكذالك أيضا لأصحابه من بعده من بركته ﷺ ونفعنا به وسقانا من مدده آمين، لانه رضي الله تعالى عنه من فحول المشائخ الداعين إلى حضرة الحق سبحانه.

ويحكى عن سيدي سعيد بن أبي بكر ﷺ أنه يوم جنازة الشيخ سيدي محمد بن عيسى ما مات حتى تقطب ﷺ. وكان تلميذه أبو الحجاج بن أبي مهدي يقول: سيدي ابن

---

[1] ب: القاصي.

[2] محمد بن عيسى، شيخ الطريقة العيساوية (-933هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 71-72. طبقات الحضيكي: 272/1. رقم: 310. سلوة الأنفاس: 203/1. الاستقصا: 166/4. إتحاف أعلام الناس: 11/4-27.

[3] ب: ساقط.

[4] ب: حرزهم.

[5] ب: المهدي.

عيسى هو الإكسير الذي لا نظير له. قال: ولقد جاء تلميذه الشيخ أبو الرواين بن محجوب[6]، وقال له: يا سيدي، إني جعلت زمام نفسي بيدك، وقد شغفت بحب النساء، فإن لم تكن لك عناية ربانية بصاحبك، يعصي الله تعالى في هاذه الليلة، ويعني نفسه، ووالله حتى أفعل. فقال الشيخ: اذهب وافعل ما شئت، فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع ولو أردت، بعناية الله تعالى. فلما كان من الغد، جاء أبو الروائن وهو في غاية الضعف، ووجهه مصفر، فقيل له: مالك هاكذا؟ فقال: شاهدت العجب البارحة؟ فقلنا له: وما ذاك؟ قال: ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندي كما سبق من يميني بالأمس، فأتت، فما كان إلا أن وصلت إلي وهممت بمواقعتها، فإذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضومن أعضائي. فبقيت مستلقيا على ظهري كالميت، لا نقدر على نطق ولا حركة، حتى إذا طلع الفجر، سمعت صوت الشيخ سيدي محمد بن عيسى، وهو يقول: أتتوب إلى الله يا أبا الرواين؟ فقلت بصوت خفي: أنا تائب لله. فقال: قم إلى صلاة الصبح. فنهضت فإذا أنا قائم كأنما أنشطت من عقال. فلما دخلت على الشيخ، قال: يا أبا الرواين، ما فعلت؟ فقلت: يا سيدي، من يكون في رعاية مثلك لا يخشى عليه غواية. فقال الشيخ: الحمد لله، على تأييده ورحمته. ثم قال لنا أبو الرواين: من لم يوكل على نفسه مثل هاذا الشيخ فهو في غرور[7].

[أولاد عيسى بن علي والد مؤسس الطريقة العيساوية]

وكان لوالده سيدي عيسى، رحمهما الله، عشرة من الأولاد سيدي أحمد، وسيدي عبد الرحمان، وسيدي عبد السلام، وسيدي مخلوف، وسيدي عبد الجبار، وسيدي عبد العزيز، وسيدي أحمد الفردي، وسيدي علال، وسيدي عمران، وسيدي محمد. فسبعة منهم مجاهدون مدفونون في الساقية الحمراء، ومنهم رجل بالصحراء، ورجل بالمغرب، ورجل بمكناسة الزيتون، وهو الشيخ سيدي محمد بن عيسى ابن عامر ﷺ ونفعنا ببركاتهم آمين.

[أولاد محمد بن عيسى مؤسس الطريقة العيساوية]

وكان لولده سيدي محمد ذرية، منهم من مضى، ومنهم الموجودون إلى الآن، وهم منتشرون في الشعب والفروع، معظمها في مكناسة الزيتون، ومنها ما بالوادي سكون.

---

[6] أبو الرواين بن محجوب (توفي في آخر العشرة السادسة من القرن 10هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 70. طبقات الحضيكي: 273/1. رقم: 311.

[7] انظر دوحة الناشر: 71.

فمنهم: الاخوة سيدي طاهر، وسيدي عبد القادر، وسيدي محمد السيتل أولاد سيدي عيسى بن الولي الشهير (بالهياض)[8] بن سيدي أبي مهدي الفياض.

ومنهم سيدي حم بن محمد الجزولي بن إدريس بن الجزولي بن سيدي أبي مهدي المذكور بن الولي سيدي محمد الحارثي ابن الولي سيدي أحمد الحارثي ابن الولي سيدي عيسى.

ومنهم: الأخوان سيدي مهدي وسيدي أبي الرواين ابنا محمد بومدين بن محمد بومدين أيضا، وسيدي المهيدي بن سيدي عيسى وسيدي أبي الرواين المدعو روان، سيدي محمد السعيدي. ومنهم سيدي عيسى بن محمد ابن الرجل الصالح سيدي العربي زيدان بن محمد بومدين المذكور ثانيا وهو بن عبد السلام بن علي بن الولي سيدي محمد بن الولي سيدي عيسى المذكور والد الشيخ ﷺ أجمعين.

وأما المشتهرون منهم بالخصوصية، فمنهم سيدي عيسى بن الشيخ سيدي محمد بن عيسى بن عامر، أخذ عن والده.

ومنهم ولداه الحارث بن عيسى ومحمد بن عيسى أخذا عن والدهما وغيره من أصحاب جدهما.

ومنهم الحارثي بن الحارثي بن عيسى نزيل ماشوا ودفينه. أخذ عن والده وعمه وغيرهما من أصحاب جدهما الكبير، وينتسب لسيدي موسى بن علي المختاري، صاحب الشيخ.

ومنهم أبو مهدي بن الحارثي بن الحارثي بن عيسى، أخذ عن والده.

ومنهم الحارثي بن الجزوالي بن أبي مهدي المذكور. أخذ عن عم أبيه الحارثي المذكور، وعن سيدي عبد الواحد بن عبد الرحمن بن العناية، وهو عن أبيه عن أبي مهدي المذكور.

فهاؤلاء هم أهل الخصوصية منهم، يعني من أولاد الشيخ سيدي محمد بن عيسى ﷺ وسقانا من مدده.

[سند الطريقة العيساوية]

وأما طريقته ﷺ فجزولية شاذلية، (أخذها)[9] عن المشائخ الثلاثة، وكلهم أخذو ها عن الجزولي ﷺ وعنهم.

---

[8] ب: بالفياض.

[9] ب: أخذ هو.

[أحمد الحارثي السفياني][10]

أولهم الشيخ أبو العباس، أحمد بن عمر الحارثي السفياني، نزيل مكناسة الزيتون، ودفين الولي الكبير، العارف الشهير.

كان، رحمه الله، من الأكابرالذين لهم التصريف الرباني، صحب الشيخ القطب أبا عبد الله، محمد ابن سليمان الجزولي ﷺ وأخذ عنه، فهدى الله به أمة عظيمة، ومشايخ الصوفية يعظمونه غاية التعظيم، ويثنون عليه الثناء الجميل، ويحكون عنه. كان، رحمه الله، لا يفتر له لسان عن ذكر الله تعالى، وكان دأبه يخوط أطباق العسف والقفق، فلا يدخل المخيط ولا يخرجه في كل مرة إلا بلا إلاه إلا الله.

توفي، رحمه الله تعالى، في العشرة الأولى من القرن العاشر، وقبره مشهور المزارة عند أهل مكناسة، قريب من قبر تلميذه سيدي محمد بنعيسى، رضي الله عنهما.

[عبد العزيز الحرار التباع][11]

وثانيهم: وارث حال الجزولي، سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، المعروف بالتباع.

كان ﷺ عالما عاملا، شيخا كاملا، أستاذ الأكابر، وجرثومة المفاخر، شيخ المشايخ، قطب وقته، وعزمة النفاع، وإمام أهل الطريقة في (عصره)[12] من غير اختلاف ولا نزاع. تخرج عليه من المشايخ والأكابرما لا يكاد يحصيه عدد، حتى قيل: النظرة فيه أو منه تغني. ووصفه شيخنا الجزولي بالكيمياء، وذالك أنه خدمه مدة وفتح له على يديه، فلما جاء أجله أوصى به سيدي الصغير السهلي، فقال له: يا صغير، الله الله في عبد العزيز، فإن عبد العزيز كيمياء. فسار إليه بعد موت الشيخ فخدمه سنين بمنزله من خندق الزيتون.

وكان سيدي عبد العزيز إذا نام بالليل غطاه سيدي الصغير بثوبه وجعل يحرسه، حتى إذا كان يوم شديد (المطر) [13] والريح والطين، وكان في خدمة الشيخ ورعاية ماشيته، فنظرت زوجة الشيخ إليه على بعد، وكان اسمها تات، هو حامل شيئا على عنقه وشيئا بيده، فأشفقت منه على تلك الحال في ذالك اليوم، فقالت للشيخ سيدي الصغير: انظر فيما هو عبد العزيز، لوكان سيدي شيء لأنلته إياه اليوم ومكنته منه. فلما وصل، قال: يا ولدي

---

[10] أحمد بن عمر الحارثي. ترجمته في: دوحة الناشر:74. طبقات الحضيكي:28/1.

[11] أبو محمد، عبدالعزيز بن عبدالحق الحرار (-914هـ). ترجمته في: الكواكب السيارة: 241-243. الاعلام: 413/8.

[12] ب: علاه.

[13] ب: الحر.

ادع لأمك تات، فإنها عطفت عليك اليوم. فدعا لها، ثم قال له: سر ينتفع بك الناس. فأطلقته من تقف الإرادة، وسار فاستقر بمراكش (أكثر)[14] وطنه. وأقبل الناس إليه من كل مكان، واشتهرت كرامته، واشتهرت تباعته، وعم خبره من المغرب الزوايا والاركان.

ذكروا عنه أنه احتجب مرة في داره أياما، ثم خرج لباب الدار فسمع الناس بخروجه، أو أمر بدعائهم إليه، فجعلوا يأتونه ويسلمون عليه وينظر إليهم. فلما انفض ذالك المجلس، أو أنهاه، أخبرهم أنه ولد في ذالك اليوم خمسمائة ولي.

توفي، رحمه الله، سنة أربع عشرة سنة وتسعمائة. وقبره بمراكش مزارة عظيمة مشهورة بين الموضع المعروف بين الثلاثة فحول.

[محمد الصغير السهلي][15]

وثالثهم كبير أصحاب الجزولي ﷺ الشيخ أبو عبد الله، محمد، الملقب بشيخه الصغير، مصغر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم العمري، من أولاد عمر ومن قبائل (عرب) [16] سوس، الملقب (السهلي)[17]، نسبة إلى إخوانه السهول.

كان من أكابر الأولياء المحققين، وأحد الأفراد من الواصلين، وذوي الهمم العالية من المقربين. كان عند شيخه الجزولي يصطاد الرجال بهمته ونظرته، فانتفع على يده كثيرون، وتخرج على يده رجال.

وكان مقصودا للزائرين، ومنزله بخندق الزيتون قرب وادي اللبن من أحواز فاس.

توفي، رحمه الله، عن سن عالية جدا سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وقبره هناك مشهور مشهود. وبنى عليه روضة الشيخ سيدي عبد الله الغزواني.

فهاؤلاء الثلاثة المذكورون كلهم أخذوا عن الشيخ الجزولي، فهم من خيار أصحابه .

قال الشيخ أبو العباس، أحمد بن أبي المحلي[18] في كتابه الإصليت[19]: إن الشيخ ابن عيسى أظنه لما توفي شيخه أحمد بن عمر الحارثي ذهب لأخيه التباع، فقال له التباع: إن أخي الحارثي قد صفا درهمك، ولاكنه ما طبعه لك، وغير المطبوع في السوق لا يجوز، اذهب فقد طبعته لك. فلما مر بالسيد الصغير السهلي وهو يرعى البقر، وكان في البادية، ربما رعاها، قال له: أعد علي مقالة التباع، فحكاها له. ثم دار دورة حالية، وقال له ما معناه: هلا قال لك ها أنت وربك. فمن عندها امتلأ ابن عيسى مددا، حتى كان منه

---

[14] ب: ساقط.

[15] الصغير السهلي (-918هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/237-238.

ما كان. ثم قال الراوي: هاكذا سمعت هاذه الحكاية بالمعنى من أستاذي سيدي محمد بن مبارك الزعري، رحمه الله تعالى، ولاكني اختصرتها، وهي أطول من ذالك.

[محمد الجزولي]

وأما الجزولي ﷺ، فهو الشيخ الإمام، القطب الغوث الهمام، أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندور بن عبد الرحمان بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى[20] بن الحسن السبط[21] بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ويعرف بالجزولي السملالي، رضي الله تعالى عنه.

[محمد أمغار الصغير] [22]

أخذ ﷺ عن الشيخ الإمام، العالم العامل، القطب الرباني الكامل، أبي عبد الله، محمد أمغار الصغير، وهو محمد بن أبي جعفر، إسحاق بن إسماعيل بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم بن يحيى بن موسى بن عبد الكريم بن مسعود بن صالح بن عبد الله بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر بن تميم بن ياسر بن عمر بن يحيى بن قاسم بن عبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة، رضي الله عنهما، فهو ﷺ من سلالة الأولياء الكرام الكبار.

أخذ ﷺ عن سيدي أبي عثمان سعيد الهرتناني، عن سيدي أبي عبد الرحمن الرجراجي، المقيم بحرم الله تعالى عشرين سنة، عن سيدي أبي الفضل الهندي، عن سيدي عنوس البدوي راعي الابل، عن الإمام أبي العباس، أحمد القرني، عن سيدي أبي عبد الله

---

16 ب: عمر.
17 ب: بالسيبلي.
18 أحمد بن عبدالله بن أبي المحلي السجلماسي (قتل سنة 1022هـ). ترجمته وأخباره في: الاستقصا: 2634/3. الزاوية الدلائية: 142.
19 عنوان الكتاب: "إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت". مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط. عدد: 100 و4009 و4442.
20 أبو محمد، الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (- 97هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:74/1، هامش:218.
21 الحسن بن علي بن أبي طالب (-48هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:63/1، هامش:171.
22 محمد بن عبدالله أمغار (- أواسط القرن العاشر الهجري). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 182. سلوة الأنفاس: 245/2.

المغربي[23]، وعن سيدي أبي العباس المرسي الأنصاري، وهما معا عن الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي .

[علي الشاذلي]

والشاذلي ﷺ هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف، وقيل ثقيف موضع يوسف، بن يوشع بن ورد بن أبي طالب بن علي بن أحمد بن محمد بن أبي العيش، عيسى بن يحيى بن إدريس الحفيد بن عمر بن إدريس بن إدريس ابن عبد الله الكامل ﷺ أجمعين.

[عبد السلام بن مشيش][24]

وأخذ الشاذلي ﷺ عن الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، العارف بالله، الولي الكبير الشهير، القطب المحقق، الواصل الموصل، أبي محمد، مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن حزمار بن علي، الملقب حيدرة، بن محمد بن مولانا إدريس بن مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة، رضي الله عنهما.

توفي، رحمه الله، شهيدا سنة اثنين أو أربع، أو ست وعشرين وستمائة، قتل في جبل العلم، قتله قوم بعثهم لقتله ابن أبي الطواجين الكتامي الساحر، المدعي النبوة، ودفن بجبل العلم بقنة. وله آثار هناك كثيرة كبيرة.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ أبي محمد، عبد الرحمن بن الحسن الشريف العطار المدني[25]، الملقب الزيات، لسكناه بحارة الزياتين، وهو عن سيدي عبد الرحمن التازي وسيدي عبد الله التنائري، وهما عن أبي بكر الشبلي، عن الغوث الجامع، سيدي أبي القاسم الجنيد ﷺ، المتوفى سنة سبع وسبعين - بموحدة فيهما- ومائتين (وألف)[26]. وهو عن الشيخ سيدي عبد الله القطان، عن سيدي أبي المعالي، عن الشيخ سيدي أبي الوفاء، عن سيدي حبيب العجمي، عن سيدي أبي الحسن البصري[27] ﷺ. وأخذ الجنيد أيضا عن القطب سيدي سرى حبيب السقطي، عن القطب، سيدي أبي معروف الكرخي، عن القطب، سيدي داود الطائي، عن القطب، سيدي حبيب العجمي، عن (سيدي)[28] أبي

---

[23] أبو عبدالله المغربي. سلوة الأنفاس: 347-346/3.
[24] عبدالسلام بن مشيش (624هـ) ترجمته في: طبقات الشاذلية الكبرى:59. النبوغ المغربي: 151/1.
[25] عبدالرحمان العطار المدني. ترجمته في: طبقات الشاذلية الكبرى:60.
[26] كذا. وهو خطأ، فكلمة ألف زائدة. فقد توفي الجنيد سنة 297هـ.
[27] أبو يسار، الحسن بن يسار البصري (-110هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 45. انظر مصادر ترجمته في الإشراف:67/1، هامش: 186.
[28] ب: عن القطب سيدي.

الحسن البصري المذكور، عن سيدنا الحسن السبط، عن القطب، سيدنا علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عن النبي ﷺ.

الحاصل، أن الشيخ سيدي محمد بن عيسى كثير الاتباع، منهم من سبقت له سابقة العناية، فأدرك باتباعه الولاية، ومنهم من حصل له التبرك والدراية، ومنهم من فاز بالرشد والنجاح والفلاح، وتهيأ للصلاح، ومنهم من حصل له الانتساب والانحياش إلى الجناب والتشبه لأولي الالباب، ومنهم من حاله سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، ويفعلونه ففعلته. وهاذا القسم لا كلام لنا عليه اليوم أصلا، والذي قبله هو أكثر الموجودين في هاذه الطائفة وغيرها من طوائف الصالحين، والذي قبله أقل منه، ثم ما قبله أقل منه، والأول هو أكثرهم قلة، وأهله هم أهل الارادة والتحكيم خاصة.

[حال الطرق الصوفية في عهد المؤلف]

وحال الطوائف الموجودين اليوم في الغالب، وخصوصا هاذه الطائفة العيساوية التي المحبة رأس مالها، وبها اشتهرت في أول أمرها وآخرها، وكل من تسأله منهم يقول سيدي محمد بن عيسى، وبينه وبينه أكثر من مائة سنة، وما ذالك إلا لأنه محبوبهم الذي امتلات به قلوبهم. لاكن لمن ظهر عليه أثر ذالك من الانحياش إلى الله، والإكثار من ذكره، والمواظبة على الأوراد والاحزاب، لا بفعل ما هو زائد لا أصل له في الشرع ولا في الطبع، كالرقص على هول البنادير والغطا وغير ذالك، والتصفيق من غير فهم المعاني، ويغير الرجل غيره للرقص أحب أم كره، وغير هاذا مما تقدم ذكره.

[أصحاب محمد بن عيسى وأتباعه]

واعلم يا أخي أن الشيخ ابن عيسى ﷺ، وأمدنا جميعا من مدده، منذ انتقل إلى دار الكرامة، لم تخل أرض من أصحابه، تجتمع على قراءة أحزابه، وتكون فرطا لمن سبق في علم الله أن يكون من أحبابه، ما ماتت طائفة إلا وخلفتها أخرى، كانت نشأت عنها وتعلمت منها، فقامت بالأمر بعدها، وهاكذا إلى زمانها هاذا، ونرجوا من الله تعالى أن يبقى ذالك كذالك، ما دام القرآن يتلى. وكون الأرض لم تخل من طائفة من أصحاب الشيخ منذ مات إلى الآن، لا ينكره إلا حاسد، ولا يجحده إلا معاند.

واعلم أن الطوائف العيساوية لا تخلو من أهل الارادة، إلا أنهم قليلون في كل زمان، لاكن من سبقت له من الله سابقة عناية جمعه على واحدة من أهل ولايته مما يوصل إلى الله وهاذه الطريقة، فكان له خير صاحب وأحسن رفيق حتى يوصله إلى مولاه بتأييد من الله وتوفيق.

فـــــصـــــل

في سبب بدء دخولنا في الزريبة العيساوية، ومن لقينا من أهل الخير منهم، واجتمعنا معه، ﷺ ونفعنا بهم آمين

اعلم، رحمك الله، أن الفقراء العيساويين وهم المفترقون اليوم فرقتين: فرقة بفندق اليهودي عند ضريح الخير الأرضى، السيد الحاج عبد السلام برادة[29]، والفرقة الأخرى التي بزاوية سيدي أبي عياد بن جلون من حومة الصاغة، كانوا فرقة واحدة قبل توجههم، وكانوا أولا يجتمعون بمسجد الديوان يقرؤون هناك فيه الحزب في الصباح والمساء.

ودخلت يوما مع بعض الإخوان لصلاة المغرب بذالك المسجد، وكان يعجبنا حزب الشيخ الجزولي المعروف بسبحان الدايم، فجلسنا حتى قرأنا معهم حزب الفلاح، وتواعدنا للصبح، فجئنا وصلينا الصبح، واجتمعنا معهم في قراءة سبحان الدايم، وبقينا معهم على ذالك الحال. ثم إن بعض التجار من تلك الحومة عمل حزب القرآن في ذالك المسجد صباحا ومساء، فانتقل عند ذالك الفقراء إلى زاوية الشيخ سيدي أحمد حاجي، السلاوي أصلا، العيساوي طريقة، دفين ثغر سلا، نفعنا الله به، الكائنة بدرب حسان من حومة البليدة، واجتمعوا فيها مع من كان باقيا من أصحابه .

وكان الأخ في الله الصدوق، الفقير إلى الله الوثوق، الأرضى المرتضى، سيدي الحاج عبد السلام بن الحاج أحمد برادة في ابتداء أمره يجتمع مع الفقراء العيساويين الكائنين بمسجد طلوقة من الفحامين، وكان كلما رأى الشيخ الصالح، الولي الناصح، مولاي قاسم بن رحمون وطائفته التهامية على كثرتها ووفرها وما ضمته من أهل الخير من الأشراف؛ الأعيان وغيرهم، حسبما يأتي ذكرهم، إن شاء الله، في موضعه، يطلب برادة المذكور على الله تعالى أن يتقدم على الفقراء العيساويين، وتكون عنده طائفة كطائفة مولاي قاسم، نفعنا الله به.

ولما انتقل الفقراء من مسجد الديوان، كما ذكرنا، إلى زاوية درب حسان، جلبوا السيد عبد السلام برادة المذكور إلى زاوية درب حسان، فجعل يجتمع بها معهم حتى ظهرت قبيليته ونجابته، وولوعه ومحبته، وحنانته وشفقته وديانته، اتفقوا على تقديمه عليهم وقدموه، ومنذ تقدم والناس يجيئون إلى تلك الزاوية بقصد الدخول في زريبة سيدي ابن عيسى، حتى عمرت تلك الزاوية عمارة عظيمة، وظهر فيها أهل الخير، حتى كانت مثل طائفة مولاي قاسم وأكثر، وأعطاه الله ما طلب، وفاحت بطيخته، وأشرقت فيه أنوار

---

[29] عبدالسلام برادة (-1164هـ). ترجمته في سلوة الأنفاس: 203/1.

المحبة من بركة الشيخ سيدي ابن عيسى وانعطافه عليه، وكما أراد الله تعالى به من الخير والكرامة ما أراد.

[دخول عبد المجيد الزبادي في الطريقة العيساوية]

إنهم كانوا يوما في الزاوية المذكورة يقرؤون حزب الصبح، إذ دخل عليهم أخونا وشيخنا سيدي عبد المجيد، المتقدم ذكره، وجلس معهم في الحزب، حتى فرغوا من قراءته. وقالوا له: هاذا قدر مبروك الذي جئتنا فيه. وفرحوا به أشد الفرح، وقال لهم: جئتكم أخبركم برؤيا رأيتها في هاذه الليلة، رأيت وأني في مسجد الزيتونة الذي في عقبة الزبادي من مكناسة الزيتون، وإذا برجل، من صفته كذا وكذا، قبضني، وقال لي: يا فلان، إذا أردت أن أفعل الخير معك، فسر لفاس تربي لي أولادي، قالها مرارا، وأنا أسكت عنه. وحين أكثر علي، قلت له: من أنت يا سيدي؟ فقال: أنا محمد بن عيسى، وأولادي بفاس، امش عندهم تربيهم، ولك فيهم الربح التام. فقلت: وأين أولادك بفاس؟ فقال: الذين هم بزاوية درب حسان. ولما أصبحت، جئت لأقص عليكم ذالك. فنشطوا لذالك وفرحوا. وكان عند برادة ومن تبعه في ذالك اليوم يوم عيد، وحمدوا الله تعالى على عطف الشيخ عليهم وإكرامهم بالذي جاءهم بأمره من عنده، وامتثلوا لذالك، وتولعوا بأخينا المذكور صغيرا وكبيرا، حتى كان منهم كأنه سيدي ابن عيسى. وكان أخونا المذكور قاسمي الطريق، من أصحاب الحاج سيدي أحمد السوسي المراكشي ودفينها.

فكان أخونا، رحمه الله تعالى، أول ما بدأهم به أن أمرهم بكتابة الأحزاب في الألواح ليحفظوه من غير تصحيف ولا تحريف. وكان يعلمهم أمر دينهم، وهم عند أمره ونهيه، حتى لا يزهوا لهم شيء إكرام إذا كان عندهم ليلا أونهارا إلا بمحضره.

وكان له، رحمه الله تعالى، بيت بمدرسة العطارين من فاس، يخلوا به للذكر والمطالعة ومحادثة الإخوان، فكان ذالك البيت لا يخلوا ساعة من برادة أو أصحابه الفقراء، فمنهم طالع ومنهم نازل، حتى ظهر في تلك الطائفة السر والبركة، واستنارت وظهر فيهم وعليهم، حتى سافر أخونا، رحمه الله تعالى، للحج، وسافر معه برادة المذكور، وحج من أصحابه كما تقدم في ترجمته، وجاءوا كلهم بزيادة خير.

[مقدم الطريقة العيساوية عبد السلام برادة]

فكان من جملة من ظهر فيهم الخير، المقدم المذكور، السيد عبد السلام برادة المذكور، رحمه الله تعالى، فكان حجا صادقا ومحببا، ذاكرا قانتا، صيامه أكثر من فطره، ممن يؤثر فيه الوعظ، زاهدا في الدنيا، راغبا في طريق الآخرة، أعطاه والده مالا يتسبب

به، وعمل حانوتا بالعطارين وتركها لعمه، وبعث له مالا من السودان، وتركه كذالك. ثم توفي والده وترك له مالا كثيرا، وتركه مقدما على إخوانه، وأعرض عن الجميع، وبقي متجردا خاليا عن الدنيا تابعا السنة معرضا عن البدعة.

وكان، رحمه الله، تعتريه الأحوال، وتظهر عليه عند الذكر والحضرة. وكان مربيا لأصحابه بتربية أخينا، رحمه الله، وتأديبه، ضابطا لأمورهم كلها، ولا كان يتركهم للبدع والاهوال لغيرته عليهم واعتنائه بهم، وينزل كل واحد منزله، ولم يبق له، رحمه الله، شغل ولا غرض عدى ذكر الله ومعرفة أهل الله وزيارتهم، وحفظ مراعاة الفقراء، حتى ظهر فيه وعليه ما ظهر.

توفي، رحمه الله تعالى، في وباء عام أربعة وستين ومائة وألف، ودفن بخربة بفندق اليهودي، وبنيت عليه هناك زاوية، وهي التي يجتمعون فيها إلى الآن.

[أحمد الحلوي]

وممن ظهر عليه الخير والنجاح أيضا من تلك الطائفة، المرابط الخير الدين، الصادق في محبته وخدمته، الفقير خديم الفقراء، السيد الحاج أحمد، المدعو العيساوي، بن الحاج عبد الرحمن الحلوي.

كان، رحمه الله تعالى، فقيرا محبا صادقا، ذو أخلاق حسنة وأوصاف مستحسنة، شديدا في دينه، حريصا عليه، دخل في الزريبة العساوية صغيرا على يد المقدم المذكور. فكان، رحمه الله، مولعا بالمقدم المذكور وبأخينا سيدي عبد المجيد، وتابعا لهما ومحبهما حبا شديدا، وكان يهبل من أجل ذالك، حتى كان برادة، المقدم المذكور، يهرب منه في بعض الأحيان، لأن الحلوي كان يغير من برادة إذا اجتمع مع أحد غيره ولا سيما من غير حضوره، أو يبيت المقدم عنده أحدا من الفقراء أو ضيفا من الضيفان ولم يعلم الحلوي. فكان من شدة غيرته وهباله يترامى ليلا على الأسطحة حتى يبلغ لدار المقدم ويتطلع عليه هل هو بداره أو عنده أحد. فإن وجد عنده أحدا، صاح ورمى بالحجارة حتى يطلع برادة يفتح له، وإن لم يجد أحدا عنده، رجع لداره. فهاذا كان دأبه معه، رحمهما الله تعالى.

[ذهاب عبد المجيد الزبادي للحج سنة 1159هـ]

ولما خرج أخونا الشيخ سيدي عبد المجيد وجماعته من الفقراء المذكورين ومقدمهم برادة المذكور للحج عام تسعة وخمسين ومائة وألف، وخرج الفقراء إلى وادي سبو ليشيعوهم، وخرج معهم صاحب الترجمة للوداع، بعد ما ساروا، نهض الحلوي، صاحب الترجمة، وقام، وهو قائل: والله لا يشمتونا. وسرع ليلحق بهم، فقبضه من قبضه

من الإخوان، فترك له الكساء بيده، وسار هاربا متجردا، وحلف بالحرام لا يرجع عنهم فتركوه، ومر حتى لحق بهم. وحج معهم، ورجع معهم، فمن ثم قضى حاجة وفتح عليه.

وكان، رحمه الله، لا يدعي بدعوة ولا ينسب لنفسه شيئا. وكان خديما للفقراء، صغيرا وكبيرا، سفرا وحضرا، نزاهة وليلة، ومارأيته رقص قط، وكان حلفه آمنت بالله. وإنما كان في الحضرة يحمر وجهه ويكسوه العرق حتى يكون كأنه خرج من حمام، ولا يتكلم وإذا كانت الليلة عنده أو عند غيره، يقف على إطعام الفقراء وغسل أيديهم، حتى رأيته في ليلة كبرى حضر فيها جميع الطوائف من الفقراء، ولما حضر الطعام وقف يطعم الفقراء ويسقيهم (العقيب)[30]، ولم تكفهم الأواني فكان يعطيهم بالكوب، والكوب ثقيل، فقال لهم: أسقيكم بشاشيتي ولاكن أنا أفرغ. وعرى رأسه، فقال له واحد: اعطني بالشاشية. فملأ الشاشية بالعقيب، وجعل يسقي الناس بها، حتى ترك الناس الزلايف وجعلوا يزدحمون على الشاشية وهو يبكي، وما شرب أحد من تلك الشاشية إلا ظهر له سر عظيم، إلا من كانت نيته قصيفة.

وكانت عادته، رحمه الله، كل سنة في اليوم الذي يدخل فيه ركب الحجيج، ويجمع الفقراء الذين يأتون حجاجا قلوا أو كثروا، عيساويون أوغيرهم، لا يبيتون الليلة الأولى إلا عنده بداره، ويجمع عليهم الفقراء، ويفرح بهم، تبركا ببركة النبي ﷺ، فهاذه كانت عادته دائما إلى أن توفي، رحمه الله تعالى، بمصر ودفن بها، وكان عام -كذا-.

وكان الفقراء المذكورون لا يمشون لزيارة سيدي ابن عيسى في كل موسم إلا إذا مشى معهم أخونا سيدي عبد المجيد، وكنا نمشوا معه في تلك الزيارات كلها، وكنا نجتمع في تلك المواسم كلها بأهل الخير من تلك الأركاب بوادي وحواضر.

[من لقيه المؤلف من الفقراء العيساويين في ضريح محمد بن عيسى]

[محمد الحسناوي السحيمي]

فكان ممن لقينا من تلك المواسم الفقير المسن البركة الخامل المتقشف السني، أبا عبد الله، سيدي محمد بن عمرو الحسناوي (السحيمي)[31]، رحمه الله تعالى.

---

[30] ج: العقيد. ساقط من ب.
[31] ساقط من ب.

كان فقيرا عيساويا صاحب محبة، قليل الأكل، كثير الذكر، لا يفتر لسانه. اجتمعنا معه هنالك وعقدنا معه الأخوة في الله تعالى. وكان، رحمه الله، يقدم عندنا لفاس ويبيت عندنا بدارنا.

توفي، رحمه الله، بمشرع الرملة ودفن هناك، ولم أقف على تاريخ وفاته.

[الشيخ المحبوب]

وتواخينا بعده مع تلميذه الشيخ الخامل الذكر الشيخ المحبوب من نسبه.

كان، رحمه الله، من أهل النظرة والتصرف، يخبر عن أمور تكون أو لا تكون، فتكون كما قال.

توفي، رحمه الله تعالى، يوم الجمعة، يوم عرفة، تاسع ذي الحجة الحرام متم تسعة وتسعين ومائة وألف، ودفن بمشرع الرملة مع شيخه سيدي محمد بن عمرو المذكور.

[غني بن العربي الحسنوي السحيمي]

وممن لقينا أيضا في تلك المواسم الرجل الصالح، ذو البرهان الواضح، والأحوال الربانية والجذب، أبو الحسن، سيدي غني بن العربي الحسنوي السحيمي. كان، رحمه الله تعالى، قوي الحال ويغلب عليه الجذب، جوالا سائحا لا يرسى في موضع ولا بلد، وكانت له إشارات بالكلام، منها ما وقع ومنها ما هو باق. دخل علي يوما بداري بغتة وعندي أناس من الفقراء وكنت مريضا بالحمى، فقال: هات الزيت. وأحضرت الزيت، فدهن بها بطني، وشده بحزامي شدا عنيفا موثقا جدا، وقام ناهضا سريعا، يقول: اخرج، اخرج، اهرب، اهرب. وخرج مارا. فمن ذالك اليوم ما رأيتها، وشفاني الله منها بالبركة منه. وكان يخبر بأخبار ويشير بإشارات، كخلاء مكناسة الزيتون فخلت، وتارة يتأسف عليها، ويشير بأقبح الاشارات إليها حتى وقعت فيها كم من وقعة.

توفي، رحمه الله تعالى، ولم أقف على تاريخ وفاته.

[أبو الرواين، روان بن محمد العيسوي]

ومنهم نجل الشيخ سيدي ابن عيسى، نفعنا الله به، سيدي أبو الرواين، المدعو روان بن محمد بومدين بن عبد السلام بن علي بن الولي سيدي عيسى بن الشيخ سيدي

محمد بن عيسى بن عامر، صاحب الترجمة، ﷺ، وهو الفقير المسن الصالح، المتنسك الناصح.

أخذنا عنه ورد سيدي ابن عيسى، لقنناه في غرفة داره ببراكة من مكناسة الزيتون بعد امتناعه من ذالك.

توفي، رحمه الله، عام الزلازل عام تسعة وستين ومائة وألف.

[ممن لقي المؤلف بمصر من الطائفة العيساوية]

[مكرم العيساوي]

ولقيت بمصر، عام سبعة وستين ومائة وألف، المرابط الأجل، الشيخ مكرم العيساوي، المغربي أصلا، المصري دارا وقرارا.

كان، رحمه الله، فقيرا مسنا متجردا، سالكا خاملا، متقشفا معرضا عن الدنيا وما فيها، خاشعا لله متواضعا، هينا لينا، معتكفا على ذكره ليلا بداره ونهارا بالحسين، وداره قرب ذالك. وكنت ألقاه كل يوم هنالك، ودخلت داره، وتبركنا به، وأكرمني بداره، وأعطاني لقمة الطعام بيده، وأمرني بإعطائها. توفي، رحمه الله، بمصر، ولم أقف على تاريخ وفاته.

[عبد الكريم الصنهاجي]

ومن الموجودين الآن ممن كان في تباعة برادة المذكور وأخينا سيدي عبد المجيد، المتقدم ذكره، وظهر عليه الخير، الفقير الصدوق، المحب الوثوق، سيدي عبد الكريم الصنهاجي.

كان، رحمه الله، فقيرا عيساويا، محبا محبة عيساوية، وكان هلالا باكيا، ويبكي كل من حضر مع الفقراء في حالة الذكر أو التذكر أو في الحضرة، تراه يهلل ويبكي ويبكي الحاضرين، وكان يتواجد عند ذالك ويؤثر كلامه ووجده في الناس. جال، رحمه الله، في الدنيا، وحج ولقي الناس، وكان يحضر معنا في قراءة البخاري مجلس شيخنا العلامة سيدي محمد جسوس وغيره، المتقدم ذكره آنفا. وكان حين تعتريه أحواله ويتواجد يتكلم بكلام يدل على شيء، وحين يفيق ينكر، ويقول: لم أقل شيئا، ولو صدق فيما قال.

وكان لنا أخ في الله يلد ولا يعيشون له، ومات له ولد، وتغير كثيرا لموته، واهتم من أجله كثيرا، وحزن عليه كثيرا وطلب منا المبيت عنده لنؤنسه ونصبره، فبتنا عنده

بجماعة من الإخوان، وبات معنا عنده صاحب الترجمة، ونحن في غرفة نذكر الله، وخرج رب الدار المحزون، ودخل مع زوجه في غرفته، وجعلت تصبره وتطير عنه الحزن وتنسيه محبة الوالد، وهي معه حتى أوقعها في تلك الساعة. فلما دخل الرجل علينا للغرفة التي نذكر الله بها، قال لنا صاحب الترجمة: الفاتحة يا إخواننا، أحضروا قلوبكم وادعوا لأخيكم هاذا في أن في هاذه الساعة سقط له في رحم زوجته ولد، الله تعالى يتم ويعمر. فقرأنا الفاتحة، وبقينا متوهمين في الأمر، حتى حضرت العشاء وتعشينا وعزمنا على النوم، سألنا رب المنزل عن حقيقة الأمر، فأخبرنا بما وقع له مع الزوجة. ولما وفت محسوبها، ولدت له ولدا بحساب تلك الليلة.

وبتنا مرة عند صاحب الترجمة ليلة مباركة، حضر فيها من طوائف الفقراء ومن التجار ومن أعيان الناس، وحضرت في تلك الليلة نفحة ربانية من نفحات الله تعالى، ووافى في تلك الليلة أن كان بمولانا إدريس مجمع الصالحين من أهل النوبة وأهل الديوان، أهل الدائرة والعدد وبمحضر النبي ﷺ، وذالك لموت صاحب الترجمة وتولية آخر في موضعه وهو مبدأ هاذه الفترة الباقية إلى الآن، فتهول رب الدار، صاحب الترجمة، وفاض حاله، حتى أشرق نوره في جميع الحاضرين، وقاموا كلهم بأجمعهم يرقصون في تلك الحضرة، أحبوا أم كرهوا، ورب الدار يدور ويبكي، ويقول: الله الله الأسياد، أعينونا بالدعاء، الخبزة بموزونة، والقمح بخمس أواق أو بست أواق. حتى تغير من ذالك جميع الحاضرين، وقمت إليه، وحسرت على فمه بشملتي، وقلت له: اسكت. وأجلسته، وبركنا عليه.

ثم لما وجدت الصابة، ورخصت الأسعار، لقيني بعض المنسوبين، وطلب مني خبزة، فاشتريتها من عند فقير مرابط كان يبيع الخبز. ووجدت عنده رجلين من الطلبة قاعدين عنده، كانا حاضرين في الليلة المذكورة التي وقع فيها ما وقع. فقال أحدهما: يا فلان، ما أحسنكم، لولا أنكم تكذبون. فقلت: وما هو كذبنا؟ فقال لي: أين إخباركم بالغلاء وبالخبرة بموزونة، وبالمد بكذا. انظر، الخبزة بستة فلوس. فقلت له: ليس بستة فلوس، وإنما هي بموزونة. وكان الزواليغ في ذالك الوقت أربعة بفلس. فدفعت ثمن الخبزة لرب الخبز، وقلت له: احسب بالواحد. فحسب أربعة وعشرين فلسا. فقلت: ها هي موزونة، أين هو الكذب؟ وإذا حسبت ثمن المد زوالغا، تجده كما قال القائل. فهاذه ألطاف خفية من اللطيف الخبير. كان ذالك في القمح والخبز، ووقعت الشفاعة ولطف الله بعبادة، فانتقل الفلوس، وأنتم تروا الظاهر ولم تروا الباطن، لانا مأمورين بالظاهر، والله يتولى السرائر ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ﴾[32] . ومن أراد السلامة فليسكن دار السلام.

وهاذه كانت سيرة، صاحب الترجمة، يتكلم بكل ما يرى ولا يصبر على إخفائه.

---

[32] سورة الرعد: 40.

ولما وقعت الفترة، ووقع البريح بقطع الكلام، بقي هو وحده على حاله يتكلم، إما لا خبرة له بالبريح، وإما كان يكون منه غلبة. فبقي على كلامه حتى ضربوه على مؤخره وقبض من وركه. وكان يمشي على عصاة مرة حتى أقعد الآن بداره لا يقدر على التحرك في بحر الله تعالى حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

أخذ أولا عن والده، كان الولي الصالح المتقشف، سيدي حسن الصنهاجي، المدعو الحطاب، لأنه كانت حرفته يحطب لأهل الأفران والبطاطين، وكذالك ولده المذكور، كان يحترف بذالك بعد موت أبيه. وكان سيدي حسن هاذا رجلا متجردا، خاملا ذاكرا صامتا، صاحب أحوال ربانية، ولقي الناس من أهل الخير، فكان منهم، رحمه الله.

الطائفــة الثانيـــة

[الطائفة الدرعية]

وهم الفقراء، أصحاب الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، القطب الرباني، الذي قيل فيه إنه بحر الصالحين، أبي الحسن، سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي، رحمه الله تعالى، ورضي عنه.

[علي بن عبد الرحمان الدرعي] [1]

كان، رحمه الله تعالى، مربيا كريم العطاء، قوي الحال، قوي المدد، ومن كرمه حتى قيل فيه: إنه يعلق الياقوت المنمط في أعناق الحمير. تخرج على يديه ﷺ مشائخ كثيرة ممن تبعه وخدمه، وممن لقيه واجتمع به من أتباعه من أدركناه ومن لا. وله كرامات عديدة لا تحصى، وخوارق لا تستقصى، فانظر ذالك إن أردته في كتابنا "روضة البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ ابن عبد الرحمن"[2]، فهو ﷺ شيخنا وعمدتنا.

أخذت منه نوما، واستنفعت على يده، فكل من عرفناه، ولقيناه وتبركنا به من المشائخ، ممن ذكرناه وما سنذكره، فكله من فضل الله وكرمه وبركة الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن ﷺ. وكان السبب في ذالك والتعلق به أني كنت من صغري أدركت أسلافي في زاويته بزنقة الجياد، ومن حومة البليدة، وهي التي كانت لأصحاب الشيخ أبي النعيم، سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي ﷺ، وصارت بعد انقراضهم لأصحاب سيدي علي بن عبد الرحمن، بإذنه لهم فيها. فكانوا مواظبين فيها مع أصحابه على الأحزاب صباحا ومساء، ومولعين بها وبأهلها، فتبعتهم على ذالك. حتى كان عام ستين ومائة وألف، رأيت ليلة في المنام دخلت مسجدا لا أعرفه للجمعة، والإمام يخطب على المنبر، ورجل يقول لي من الحاضرين: أين كنت، والسلطان ينتظرك للخطبة؟ فقلت له: ما أنا بأهل لذالك. ومن هو السلطان؟ فقال: هو الذي يخطب، وهو سيدي علي بن عبد الرحمن. ثم أقيمت الصلاة وصلينا فلما قضيت الصلاة لم أجد الرجل الذي قال لي ما قال. فسألت عنه، فقيل لي: هو سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي. ففزعت من نومي، وأنا في غاية ما يكون من

---

[1] علي بن عبدالرحمان الدرعي (-1060هـ). ترجمته في: مباحث الانوار: 279-285. دوحة البستان للزباي. مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 390د، وبالخزانة الحسنية رقم: 13964. نشر المثاني: 290/2. التقاط الدرر: 219. سلوة الأنفاس: 200/1.

[2] مخطوط المكتبة الوطنية رقم: 390 د.

الفرح والسرور. فازددت ولوعا بتلك الزاوية وأهلها. ثم بعد ذالك مدة فيما بين الستين والسبعين، رأيت في النوم أني في مَجمع في موضع مع أناس، وإذا بالدق على الباب، فقيل: من؟ قال: علي. فلان يخرج عندي. فخرجت فوجدت رجلا ذا همة عالية. فسلم ورددت عليه، ووقعت لي منه هيبة. فأخرج من تحته حزام حرير أصفر وقال لي: تحزم بهاذا، ولا تعد لدخول هاذا الموضع. وإن عدت فلا تلم إلا نفسك، أو كما قال. فتحزمت بذالك الحزام، وقلت له: من أنت يا سيدي؟ فقال لي: علي، ولم يزد عليها، واستيقظت. فلما أصبح، ومررت للزاوية لقراءة حزب القرآن، قصصتها على شيخنا، سيدي على قصارة، المتقدم ذكره. وبعد فراغنا من قراءة الحزب، ذهبنا لزيارة المقدم مولاي أحمد بن إدريس الصقلي الأعرج الحسيني في مرضه الذي توفي منه. فلما جلسنا عنده، قال لي سيدي علي قصارة: قص رؤيتك على المقدم. فجلس المقدم واتكأ على بعض الإخوان، وقال لي: قص علي. فقصصتها عليه ففاضت، رحمه الله، عيناه. وقال: يا إخواننا، هاذه الرؤيا تدل على قرب انقضاء أجلي، والرجل صاحب الحزام، هو الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن، والحزام هو المقدم عليكم بعدي. فقلت: وهل أنا يا سيدي أهل لذالك؟ فقال: اسكت، ليس الأمر لي ولا لك، وإنما الأمر لمولاه، وساداتنا قالوا: قف، وكاين من يطارد. ثم أوصاني بالفقراء وبغسله، رحمه الله تعالى. وتوفي بعد ثلاثة أيام، وباشرت غسله، ودفن بالزاوية المذكورة عند السارية المقابلة للباب بعد صلاة ظهر يوم الخميس، ثالث ربيع النبوي عام أحد وسبعين ومائة وألف.

وبعد ثلاثة أيام من جنازته، بعد فراغنا من قراءة حزب القرآن، اجتمع الفقراء ودفعوا مفاتيح الخزائن للفقيه سيدي علي قصارة، وقالوا له: تقدم، أو قدم. فأخذهم ورماهم، رحمه الله، في حجري، وقال لهم: هاذا هو المقدم الذي قدمه الشيخ. ورفع يده للفاتحة، فقرؤوها علي، أحببت أم كرهت، وأنا كالمغمى علي من أجل ذالك.

وتوجهنا لزيارة الشيخ، صاحب الترجمة، ﷺ وأمدنا من مدده، صحبة شيخنا العالم، سيدي علي بن محمد قصارة، المذكور آنفا، وجماعة من الفقراء في ثالث عشر صفر الخير عام ستة وسبعين ومائة وألف. ولما نزلنا وادي بهت عشية يوم الثالث، جاء الناس من الدواوير وغيرها، ونهونا عن المبيت بذالك الوادي من أجل السباع واللصوص، وعزمنا على الرحيل من ذالك الموضع ثم إن بعض الفقراء حلف وقال: نحن في كفالة من قصدنا إليه، ولا نخاف من شيء، وبتنا في موضعنا بالوادي المذكور، وأكثرنا وقود النيران وقلة النوم. فلما كان نصف الليل أو ثلثاه، استيقظ بعض الإخوان، كان متكئا، وقال لنا: (نوموا) [3] ولا تخافون شيئا، فإني رأيت صورا حصينا جديدا دائرا بركبنا. فحمدنا الله تعالى على ذالك، وتأمننا.

[3] كذا.

ولما بلغنا ضريح الشيخ ﷺ بجبل تحت جبل من جبال تادلى عشية، زرنا وتبركنا وتمرغنا واغتنمنا من الخير والبركة بأوفر نصيب، والحمد لله، من بركته ﷺ:

[الطويل]

لَعَلَّ (اللُّوَيْلاَت) التي قَدْ تَصَرَّمَتْ تَعُـودُ لَنَـا يَوْمًـا فَيَظْفَـرُ طَـامِعُ
فَيَفْرَحُ مَحْـزُونٌ وَيَحْيَـى مُتَـيَّم وَيَـأْنَسُ مُـشْتَاقٌ وَيَلْتَـذُّ سَـامِعُ

ولما صلينا صلاة الغداة، وقرأنا حزب القرآن والأحزاب، افترشت شملتي عند طلوع الشمس، وناديت السوق: يا من جاء يربح. فاجتمع علي الزوار، منا وممن جاء في رفقتنا من الطريق من القبائل، وقلت: كل من جاء لحاجة تقضى، إن شاء الله، ببركة هاذا الشيخ. فجعل الناس كل من جاء بزيارة يرميها في حجري، وأنا أنادي وأقول: عن إذن الشيخ الولد بدينار ذهبا ورأسا من الغنم، والبكر بأوقيتين، والثيب بأوقية، فأعطاني ذالك الشيخ سيدي علي قصارة المذكور دينار ذهبا وخمس أواقي ثمن الكبش، ورميت به في شملتي، وكان لا ولد له. ولما وصلنا لفاس، اجتمع بامرأته فولدت إدريس الموجود الآن، حتى امتلأت شملتي بالريال والدراهم والدنانير والعباريق والسباني والشرابي والشواشي والبلاغي والرواحي والحناء والجاوي والشمع، وأهل الشيخ جالسون عند الدربوز ينظرون. ثم طلبت الفاتحة لنفسي شاكيا بغلبة النوم علي عن صلاة الصبح في الجماعة، فقرءوها ودعوا لي بحاجتي. فلما افترق السوق، وقسمنا المقبوض بين أهل الشيخ، رجالا ونساء ومن تعلق بهم، فتح الذكر، والحضرة مستمرة ثلاثة أيام بلياليها، ما فترت ولا سكتت، ورجل فقير شائب، منكمش الوجه، غليظ الذات والرأس، من تلك الناحية، لعله والله اعلم من أهل القطاية، واقفا في الحضرة، ثلاثة أيام من أولها إلى آخرها، وما أكل فيها ولا شرب، ولا جلس، ولا تكلم في تلك الأيام، وأنا جالس عند ضريح الشيخ مع الشيخ سيدي أحمد الدروى الشريف البوكيلي، والفقير المذكور يدور في وسط الحضرة ويميل إلي، ويقول: والله إلا هو، قالها مرارا. ثم جعل يقول: والله إلا دروها له. فقبضه عند ذالك سيدي أحمد الدروى المذكور، وقال له: ما هاذا الذي تقول؟ فأعاد النظر إلي، وقال: والله إلا هو، دروها له خشبة كيف المنبر، وأجلسوه عليها. فقال لي سيدي أحمد المذكور: إن كلامه كالحجر، ورجع للحضرة كذالك.

[من لقيهم المؤلف عند ضريح علي بن عبد الرحمان الدرعي]

واجتمعنا في تلك الزيارة المباركة بناس من أهل الخير والصلاح والبركة، وأفادونا، واستفدنا منهم، نفعنا الله تعالى بهم وبأمثالهم، آمين.

[أحمد الدروى البوكيلي]

منهم الشيخ المرابط، الخامل الذاكر، الشريف سيدي أحمد الدروى البوكيلي المذكور، رحمه الله تعالى.

أخذنا عنه، رحمه الله تعالى، أوراد الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن، رحمه الله تعالى، وأذن لي في إعطائه.

أخذ ﷺ عن عمه، الشيخ الواصل، سيدي محمد بن أبي القاسم، دفين الصومعة، وهو عن الشيخ الكامل، عن سيدي علي بن عبد الرحمن، نفعنا الله ببركاته، آمين.

وتوفي سيدي أحمد الدروى المذكور عام تسعة وثمانين ومائة وألف.

ولما رجعنا من الزاوية المذكورة ووصلنا إلى فاس، وجدنا الفقيه العدل الواعظ، سيدي أحمد بن محمد زاكور[4] مريضا مرضه الذي توفي فيه، فدخلت عليه لأعوده وأسلم عليه من سفري، فخلفني، رحمه الله، فيما بيده من كراسي الوعظ، فكنت أنوب عنه حتى توفي، رحمه الله، عام ستة وسبعين ومائة وألف، ونفذ لي القاضي والحاكم كرسي مولانا إدريس، نفعنا الله به، الفجر والظهر، فكانت نيابتي عنه خمسة أيام. فقلت: هاذا والله المنبر الذي قال الفقير المتحير لي، وهاذا والله القيام في الوقت الذي طلبت على الله والشيخ.

وقبل موت زاكور بيومين قبضني رجل عند الفجر، لا أعرفه، بمولانا إدريس، نفعنا الله به، ولارأيته قبل ولا بعد، فقال لي: الحمد لله، على ملاقاتي بك في هاذا الموضع. فقلت له: وما ذاك؟ فقال: هل بك نسبة سيدي علي بن عبد الرحمن؟ قلت: نعم. قد جئت من زيارته منذ ثلاثة أيام. فعانقني كذالك، وشد علي كثيرا، وقال لي: رأيتك في المنام في هاذه الليلة، وفقت من نومتي، ولا عرفت أين نلقاك، فقصدت هاذا المكان الشريف فوجدتك به. فقلت: وما رؤيتك؟ قال: رأيت هاذه القبة وبها أناس ذوو همم عالية، وهم مصطفون على أربعة أركانها، ورجل عظيم الهيبة جالس، ظهره للمحراب ووجهه لناحية الصحن، ولا أحد يتكلم، والقبة لها ضوء من غير مصباح كالشمعة. فجلست عند باب القبة يمنة، وسألت أحدا من الجالسين، فقال: ذاك مولانا إدريس وأصحابه. فأردت أن

---

[4] أحمد بن محمد زاكور الفقيه (-1176هـ). ترجمته في سلوة الأنفاس: 481/3.

أزيد عنده فلم أقدر، قال: إذا برجل دخل من الباب الذي أنا عنده من ناحية الصحن ويدك في يده، وجهر بالسلام، ورد عليه مولانا إدريس، وناداه: مرحبا بسيدي علي بن عبد الرحمن. فقال له سيدي علي بن عبد الرحمن: ها هي الأمانة. فقبضك مولانا إدريس من يدك وردك عن يمينه. قال: واستيقظت، فوجدت الوقت قريبا، فتوضأت وخرجت قاصدا لمولانا إدريس يلقيني الله بك، فوجدتك عنده، والحمد لله. ثم أقيمت الصلاة وصلينا، ولما سلمنا لم نجده. وكنت أردت أن أسأله من هو في الناس، فتيقنت عند ذالك بتولية الكراسي، وبصحة إشارة الفقير المتقدم بالمنبر.

ثم إن من كرامات مولانا إدريس والشيخ، رضي الله عنهما، أن حاكم البلد في ذالك الوقت تعدى علي ونفذ الكرسي المذكور للغير. ثم إن الفقيه المنفذ له لم يقبل ذالك، وعاب على الحاكم ما فعل، ورجع الحاكم عن فعله. ثم أعاد مرة أخرى لتعديه علي، ونفذه لطالب بدوي، وكنت مريضا، وكان الحاكم كلفني برواية الحديث في الجمعة والتوريق في فاس العليا عند ولد السلطان وعند قدوم السلطان. ثم لما مرضت أعملت نائبا في كرسي مولانا إدريس، وتركت فاس العليا من غير نائب، فكان ذالك السبب في تولية غيري في الكرسيين. وبقي بيد الغير ثلاثة وعشرين يوما، ولا رغبته، ولا تكلمت له في ذالك، ولا أذنت لواسطة فيما بيني وبينه من أجل ذالك، لما تحققت وجزمت به من أن أمر ذالك ليس بيده، وإنما الأمر بيد الله وحده. ثم بعد تولية غيري بثلاثة أيام، أصابت الحاكم دماميل تألم منها جدا، ولزم الفراش، ومات من ذالك بعد شهرين، والقصة طويلة يأتي تمامها، إن شاء الله، في محل آخر.

وبعد الثلاثة والعشرين يوما، جاء السلطان وطلعنا لصلاة الجمعة معه بفاس العليا، ولما سمع السلطان صوت غيري في رواية الحديث، سأل عني بعد الفراغ من الصلاة، فأخبروه بذالك، فأمر بطلوعي للكرسي ونزول غيري منه بعد طلوعه. وجلس السلطان عندي يستمع، ولما فرغنا وقام رد علي مواضع، وفرح الناس من أجل ذالك، وزدت عند ذالك يقينا مع ما يأتي، إن شاء الله تعالى.

ثم إن الطالب الذي كان نفذ موضعي وعزل من بركة مولانا إدريس والشيخ، رضي الله عنهما، ضاقت به الأرض بما رحبت، وذهب إلى تطوان، وقعد بها، وضاقت به، وسار إلى رباط الفتح كذالك، ثم سار إلى مراكش. ولم تأويه بلدة، حتى ركب البحر، وذهب للمشرق، ثم لبر الترك، وانقطع خبره. وكنت قبل ذالك لقيني الحاج عبد الله يزرور، الآتي ذكره، إن شاء الله، وقال لي: سر، الماء والشطابة إلى قعر البحر. وهاذا كله من معرفة الأجواد، ومن فضل الله تعالى، فله الحمد وله الشكر.

فـــــــصـــــــل
في ذكر من أدركناه من أهل الخير من أصحاب صاحب الترجمة

[سعيد السبع]

فمنهم الشيخ المسن البركة، الخير الناسك الذاكر، سيدي سعيد بن محمد السبع.

كان، رحمه الله، من أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن هو ووالده سيدي الحاج محمد. وبعد موت الشيخ وموت والده، لقي سيدي سعيد الشيخ سيدي سعيد أحنصال، الآتي ذكره.

وكان، رحمه الله، ذاكرا قانتا، صاحب جد، ساكتا إلا فيما يعني، ملازما لأول الوقت. وكانت عليه مهابة، ويحضر الأحزاب الثلاث في الأوقات الثلاثة، الحزب الكبير صباحا، وحزب القرآن عند حل النافلة، وحزب الفلاح بعد صلاة المغرب.

توفي، رحمه الله تعالى، عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف. ودفن بالزاوية، بالركنة اليمنى تحت المحمل، وهو، رحمه الله، أول من دفن بها.

[علي بن عبد القادر جسوس]

ومنهم الشيخ المسن البركة الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، ذو الأخلاق الحسنة، والأحوال الربانية المستحسنة، سيدي الحاج علي بن الأبر الخير، الولي الصالح، سيدي الحاج عبد القادر جسوس.

كان، رحمه الله، خامل الذكر، ممن تعتريه الأحوال، ويؤثر فيه السماع، ذكرا كان أو صلاة على النبي ﷺ أو وعظا أوآية وعيد، كانت تكتسيه الحمرة عند نزول ذالك به، ويصيح عند آية وعد أو وعيد. رمى يوما بنفسه من علو الزاوية للسفلي عند قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) الآية[5].

وكان، رحمه الله تعالى، من الذاكرين الله كثيرا، وكان لا يسميني من صغري إلا بالمقدم. توفي، رحمه الله، عام خمسة أو ستة وخمسين ومائة وألف.

---

[5] سورة الجاثية: 2627.

ولقي، رحمه الله تعالى، في صغره مع والده المذكور الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن. وأخذ بعد موته عن تلميذه الشيخ سيدي سعيد أحنصال. وبعد موت سيدي سعيد، لقي ولده سيدي يوسف، رضي الله تعالى عن جميعهم.

[علي التسولي]

ومنهم الشيخ الكامل، العارف الخفي الواصل، المتقشف الزاهد، الأمي الكامل، أبو الحسن، سيدي علي التسولي.

كان، رحمه الله تعالى، من الفقراء، أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن، من أهل زاوية تسول. كان، رحمه الله، رجلا معاشا يتمعش، هاربا من الخلق، عارفا بالله، أميا لا يقرأ ولا يكتب، معيشته من الخلاء؛ البرطال والحمام والحوت من الأودية، وفصل الربيع الخرشف والبسباس والجرنينة، وما أشبه ذالك.

وكنت أنظره بالعطارين على هاذه الحال، ولم أعرفه ولا عرفه أحد، ولا عرفني به أحد. حتى لما نزلنا ببندر العقبة من الحجاز مغربين من مكة والمدينة، فوجدته بعدما توضأت في البحر لصلاة الصبح، وأنا راجع للمركب، وهو جالس قرب الدار، وعنده زوجتان اثنتان من الحوت الشابل، فاشتريتها منه وهو منحدر الرأس، وما عرفته، ودفعت له الثمن، فما قال لي زد قط ولا شيئا. فجررت الحوت، لعظمته لم أقدر على حمله، ولما بلغت المركب، جعل كل من رآه من الحجاج يتعجبون من وجود الحوت الشابل بالحجاز، لا أهل مصر ولا أهل المغرب. ومن تم رأيته ولا تحققت ولا خطر ببالي أنه هو، وأنا لا أعرفه إلا بوجهه فقط بفاس، حتى غربنا وكنا بساحل حامد قرب طرابلس قرب العصر، وتأخرت عن (الراضة)[6] شيئا، فلقيني وتعرض لي، وحسرت البغلة، ونظرت إليه فعقلته، فأخرج من تحته حزمة عسلوج الخرشف ومدها لي، وقال لي: خذ هاذا. فأخذته من يده، ووضعته في حجري، وأردت أن أكافئه على ذالك، فقال: لا تعمل لي صوابا، وإنما صادفت هاذا الخير أو الرزق، واستحسنته، فقبضت به هاذا الركب السعيد، وطلبت من الله يلقيني بمن يستحقه، فإذا بي أنت أول من لقيت، والحمد لله. هات لي إن كان عندك خبز. فأعطيته خبزة، فقال: طرف منها يكفي، أنت مسافر أحق بها مني. فقلت: وإن كان، خذها، الخير، والحمد لله، باسط. فأخذها، ومد يده للركوة فشرب، وردها لموضعها. وقال: انده، وصد عني. فلما انصرف، فقلت في نفسي: هاذا الرجل نعرفه بفاس، ولم أره بالركب قط، لا في التشريق ولا في التغريب ولا عليه سيمة السفر، وقوله في الخبز: يكفي طرف لأنك مسافر، يفهم منه أنه غير مسافر. فزدت في السير لكي ألحق به، فما وجدت له أثرا. فلما وصلت إلى الركب بسيدي بوعصيدة، وأنا عندي الخرشوف، تعجب

---

[6] ج: اقراضة.

الحجاج كلهم من وجود الخرشوف من تلك الأرض كيوم الحوت أو أكثر. وقالوا لي: لعل هاذا صاحب الخرشوف هو صاحب الحوت، حتى قال لي صاحب الركب: خدمت هاذه الطريق نحو الثلاثين سفرة، تشريقية وتغريبية، والله ما رأيت الشابل في الحجاز، ولا الخرشوف على ساحل حامد، ولا في عمالة طرابلس قط، إلا ما رأينا هاذه السنة في الجبل الأخضر.

ولما بلغنا فاسا، أخبرونا بالخبزة التي أعطيته أنها فرقها بالعطارين على الناس، فعند ذالك تحققت بأمره. ولم أجده بفاس، لأنه كان يغيب عنها بالشهر والشهرين. ثم بعد ذالك بمدة طويلة، مرضت بالحمى الباردة والسخنة ما يزيد على الشهر. وكنت يوما جالسا متكئا في الفراش ورجلاي ممدودتان نحو نصف الليل، والقنديل مسروجا موقدا، وأنا في ضعف شديد، والبيت مسدود، إذ سمعت الخوض في الماء في سقاية الدار بالمضمضة والاستنشاق والتشهد وهمهمة الرجال في صحن الدار، والبيت مغلق علي أنا وصاحبتي. فتعجبت وأنا ضعيف القدرة، ثم آخر كذالك توضأ، ثم آخر كذالك. وأنا أهيم في ذالك الأمر، إذا بدفتي الباب تهززت، فنظرت، فإذا بالشيخ، صاحب الترجمة، واقف داخل البيت، والبيت مغلق على حاله. فنظر يمينا وشمالا، وزاد عندي، وقال: السلام عليكم، ولم أجد لسانا أرد به السلام. ثم خلف رجليه على رجلي، وجعل ظهره إلي ووجهه لناحية باب البيت، فهمته فعل ذالك من أجل صاحبتي نائمة قريبة مني، ورفع يديه وسمعته يقول: لا يا مولى لمطة، ليس هاذا هو يا مولى لمطة، هاذا رجل غريب، أو ضعيف، أو كما قال. وأردت أن أجلس أقبل رجله، إذا بدفتي الباب تكلمت، فنظرت فلم أجد أحدا إلا همهمة الرجال بوسط الدار، فأيقظت صاحبتي وأمرتها بالبخور في المجمار. ومن ذالك اليوم لم ترجع إلي الحمى من بركاته ﷺ.

وكان، رحمه الله، أميا، وله خبرة ومعرفة بالعلوم ما لا يكيف، يجاوب عن كل مسألة بما يناسب من قواعد الفقه والآية والحديث، سريعا في الجواب. ولم أعرف له شيئا غير انتسابه للشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن ﷺ.

توفي، رحمه الله، ببلاده بتسول، ودفن بها بزاوية الشيخ عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

ولما غاب، رحمه الله، بتسول، الغيبة التي توفي فيها، رأيت يوما في النوم رجلا من أهل الخير من الأموات وهو مسافر، فقلت له: ما لك يا سيدي مستعجل؟ فقال لي: إني تابع النبي ﷺ لحضور جنازة رجل من تسول، توفي الآن. ولما أصبح، سألت عن صاحب الترجمة، فقيل لي: غائب. فقطعت نهاري سائلا عمن مات ذالك اليوم، فلم أجد خبرا. فقلت في نفسي: ولعله سيدي علي، توفي ببلده في هاذا اليوم. فكان الأمر كذالك، رحمه الله تعالى، ونفعنا به آمين.

فـــصـــــــل

في ذكر من لم ندركه من مقدمي الشيخ ﷺ حسبما سمعنا من الأسلاف وحفظناه عنهم

[عبد الله شكلناط]

فمنهم المقدم على فقرائه بزاوية رباط الفتح، وهو الشيخ الفقير الذاكر المربي، أبو محمد، سيدي عبد الله شكلناط الرباطي.

كان، رحمه الله، سالكا سنيا، ذو همة عالية وجد، مواظب على ذكر الله، ذو أحوال ربانية. قالوا: كان إذا جلس يكون كالأسد من هيبته. وكان يأتي لفاس بقصد زيارة الإخوان. أخذ، رحمه الله، عن الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن ﷺ.

ولما توفي الشيخ سيدي علي وتوفي خليفته سيدي أحمد الدروى، رضي الله عنهما، وكان رجل من الفقراء من أهل فاس يتسبب برباط الفتح، ويتبع سيدي عبد الله المذكور ويقتدي به، سار منه أن عقد معاملة مع ذمي بالرباط، ولم يتفطن لفسادها حتى إلى الليل، ونام، فرأى سيدي عبد الله المذكور معلقا بصدر الزهارة على البحر، فاستيقظ مرعوبا وتعوذ من الشيطان ورجع إلى نومته، فرأى ما رأى أولا واستيقظ وتعوذ، ورجع إلى نومته ثانيا. وبقي كذالك ينام ويرى ذالك كذالك ويستيقظ. وقال في نفسه: إذا كان يحل هاذا بسيدي عبد الله، فما بالك بنا نحن. ثم لما أصبح وصلى الصبح، ذهب إلى الزاوية، وأراد أن يقص الرؤيا على سيدي عبد الله، فوجده جالسا يتحدث مع بعض الناس، وطال حديثهم، وكان الرائي يرجى تمام حديثهم، وطال عليه الحديث حتى عزم على الخروج وقنط، فالتفت الشيخ سيدي عبد الله، وقال له: يا أخي، أخوك مرادك، نق بيعك وشراك، وما رأيت في وفيك، قم سر إلى أسبابك. فقام الرجل يتحلى بذالك الكلام الذي سمع من سيدي عبد الله، وذهب إلى منزله بالفندق، وتحدث فيه مع بعض الإخوان، فقال له: المعاملة التي عقدتها مع الذمي أمس لعلها فاسدة. (فأحضر الذمي، واستجزت المعاملة فوجدتها فاسدة من أصلها)[7].

---

[7] ب: ساقط.

[عبد الواحد ابن نعيم]

ومنهم المقدم، الرجل الحسيب النسيب، الحيي الأريب، سيدي عبد الواحد بن نعيم.
كان رجلا صامتا، صاحب جد وهيبة، وسكون وهمة عالية، وذو عقل رحيم، ولا يفتر لسانه عن ذكر الله. قالوا: كانوا يوما يقرؤون القرآن بالزاوية، فإذا به قام في أثناء الحزب مزعجا سريعا، وخرج عن الزاوية فتبعه بعض الإخوان، فكان المقدم يمشي والآخر من ورائه يتبعه، حتى بلغ إلى سيدي حنين الفاسي، نفعنا الله به، عدوة فاس الأندلس، فوجد قوما جالسين عند حائط هناك قرب الفرن، والصبيان فوقهم يلعبون، فقال لهم: بالله عليكم، قوموا إلى الصبيان، وردوهم عن فعلهم الذي يفعلون. فقام الناس نحو الصبيان، وسقط الحائط الذي كانوا متكئين عليه. ورجع على طريقه إلى الزاوية، فوجد الفقراء لم يفرغوا من الحزب. فلما انتهى الحزب، وخرج المقدم، سألوا الذي تبعه عن خروجه لماذا، فقص عليهم القصة، رحمة الله عليهم.

[أحمد الشارف]

ومنهم المقدم الخير الناسك، المحب السني، أبو العباس، سيدي أحمد الشارف، وهو الذي كان يقول: من أراد أن يخلي دارا في الناس، فليقدم دار أبيه هي الأولى، ثم بعدها يسخر له ما هي مراده. وهو صاحب قضية الدين المتقدمة في ترجمة الزاوية.
وكان، رحمه الله، إذا كانت ليلة في الزاوية وفي دار، لا يجلس ولا ينام، وهو يطوف بالفقراء، وهو يقول: العساس لا يرقد. نحن مقلدون بالناس وبأولاد الناس. وإذا كان الذكر، ينظر لمن هو نائم، فيوقظه. من كان يعرفه يليق، يقيمه ويجيء به إلى حلقة الذكر ويرميه فيها. وإن كان ممن لا يليق، يقول له: أنت يا ولد سيدي ارقد. ولا يترك الصغير يجلس مع الكبير أين ما كانوا.

[عبد الرحمان بن زاكور]

وآخرهم تقديما كان الفقير الأرضى، الخير الناسك المرتضى، الهين الدين اللين، سيدي الحاج عبد الرحمن ابن زاكور، رحمه الله تعالى، وبقيت طائفة الفقراء من غير مقدم يقوم بها نحو اثني عشر عاما وهي عامرة عمارة كبيرة.

[محمد التمروا]

ولما بقيت الزاوية عامرة بالفقراء، أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن ﷺ من غير مقدم عليهم العمارة التامة، الليل والنهار، إلا همة الشيخ عليهم، جاء رجل من أهل تامجرت؛ من أهل زاوية الشيخ سيدي علي، اسمه سيدي عبد العزيز، وذالك عام إحدى وخمسين ومائة وألف، رجل طالب، متمسك ببراءة من عند أهل زاوية الشيخ، يخاصمون الفقراء هنا على عدم المقدم وإبطاله، وأشاروا فيها بتقديم المسن البركة، الخير الناسك، صاحب الشيخ السيد محمد التمروا، فاجتمع عند ذالك الفقراء بالزاوية ليلا، وبعثوا إلى التمروا المذكور، وجاء وحضر، وقرئت البراءة عليه، فبكى، رحمه الله، وقال: السمع والطاعة، وإن كنت لست بأهل لذالك، لأني رجل كبير السن، ضعيف القوة، ثقيل الحركة، وكان في عمره ما ينيف على المائة سنة، قال: ولاكن أنا راض عما حكمتم به علي، وأنتم طلبت منكم تقبلوا مني ما آمركم به وترضوه، ولا تردوه علي، وهو الكائن، إن شاء الله. فقالوا هم: السمع والطاعة. فأشار فيهم إلى أخينا سيدي عبد الله، وقال: إن هاذا الشريف سيدي عبد الله هو العوض مني في هاذا الأمر، وأنا قد أذنت له فيه، لما نعلم من دينه وصدقه ومحبته وحزمه وضبطه، ويعرف مباشرة الفقراء وأمور الزاوية وما يليق وما لا، وإن توقف في أمر يرد المشورة لي فيه أشر عليه، والله الموفق للصواب، والله يكون في عونه. وبقي الأمر كذالك نحو العام.

وتوفي، رحمه الله، عام اثنين وخمسين ومائة وألف. وبقي أخونا سيدي عبد الله مقدما إلى أن توفي، رحمه الله تعالى، ثامن ذي الحجة الحرام متم عام سبعة وستين ومائة وألف.

[محمد بن المجذوب السفياني]

ثم تقدم بعده الفقيه الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، سيدي محمد بن المجذوب السفياني، وبقي ما شاء الله، ثم خرج للمشرق حاجا، عام سبعين.

[أحمد الصقلي][8]

وتقدم عوضه الشريف الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، الخامل الأفضل، المتقشف الأكمل، مولانا أحمد بن إدريس الصقلي الحسني الأعرج، المذكور أول ترجمة الشيخ، والمؤرخ هناك تاريخ موته، رحمه الله تعالى. وتولى التقديم بعده كاتبه، يغفر الله له آمين.

[وفاة الشيخ علي بن عبد الرحمان]

توفي الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن ﷺ قرب سيدي زكرياء على وادي أم الربيع، وحمله الحاضرون من الجماعة على بغلته، وكان أوصى بذالك، فكان بعض القبائل يقول: عندنا يدفن. وبعضهم يقول: عندنا. وانطلقت البغلة مسرعة به إسراعا شديدا بحيث لم يدركها أحد، كما زعموا، حتى بلغت منزله بتمجت، ووقفت به. ثم غسله الولي الصالح، سيدي إبراهيم بن سعيد المحضري، رحمه الله تعالى، ودفن ﷺ بإزاء الرباط الذي كان يجتمع فيه الفقراء أصحاب الشيخ مع الشيخ. وقيل توفي وهو متكئ على صدر صاحبه الرجل الصالح سيدي الحاج العياشي البوري، رحمة الله تعالى عليه، وكانت الرغاوي تخرج من فم الشيخ عند موته، والبوري يلتهمها ويأكلها، رحمة الله تعالى عليه، وذالك بين السحر والفجر، يوم الخميس ثامن عشر، وقيل حادي وعشري من ربيع النبوي الشريف عام أحد وتسعين وألف.

[شيوخ علي بن عبد الرحمان]

[أبو يعزى يلنور] [9]

أخذ الشيخ سيدي علي ﷺ أولا عن الشيخ أبي يعزى دفين تاغية مناما، وزاره وانتفع به في زيارته ورؤيته، وفتح عليه من قبله، ثم اعتمد الشيخ الكامل، القطب الرباني،

---

[8] أحمد بن إدريس الصقلي (-1171هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي ابن سودة: 126-130. سلوة الأنفاس: 1/200-201.موسوعة أعلام المغرب: 6/2220-2221.

[9] أبو يعزى، يلنور بن ميمون بن عبدالله الهزميري (-572هـ). ترجمته في: المعزى في مناقب أبي يعزى. التشوف: 231-232.

سيدي محمد بن محمد بن الحسن الدادسي الوزغتي، دفين جبل غنين من أعلى الدلاء، ينسب لمولانا عثمان بن عفان ﷺ.

كان، رحمه الله، قوي الحال، كثير التواجد. توفي، رحمه الله، سنة اثنين وستين وألف، عن أربع وثمانين سنة.

[أبو حسون، عبد الله الخالدي]

صحب ﷺ أولا الشيخ عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي، المسمى بأبي حسون، دفين سلا، الولي الصالح. له مكاشفات ودين متين، لا يخاف في الله لومة لائم، وهو القائل: من قيل له: من مس لحمك لحمه لم تمسه النار، كيف لا يمد يده ورجله لمن يقبلها.

ولد، رحمه الله، بعد العشرين وتسعمائة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وألف.

[أبو محمد، عبد الله الهبطي]

وهو أخذ عن الشيخ، أبي محمد سيدي عبد الله بن محمد الطنجي الصنهاجي، المعروف بالهبطي[10]. اجتمع الهبطي أولا بالشيخ سيدي محمد بن عبد الرحيم دفين تازة في مرض موته، وتبرك به، ثم سلب الإرادة إلى الشيخ سيدي عبد الله الغزواني ﷺ، والغزواني عن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع ﷺ، عن الشيخ سيدي الصغير السهلي ﷺ، عن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي ﷺ، المتوفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة.

وعند موت سيدي عبد الله بوحسون المذكور، رحمه الله، سأله تلميذه سيدي محمد بن محمد الدادسي المذكور، فقال له: يا سيدي، إذا قضى الله تعالى بعمرك أقصر من عمري، بما تأمرني أفعل؟ أو نكتفي بما حصل، أو تأمرني بأحد دلني عليه؟ فقال له ﷺ: در حتى تدار، وزر حتى تزار، واعرف حتى تعرف.

وبعد وفاة أبي حسون، أخذ سيدي محمد بن محمد السائل عن الشيخ الكامل، قطب زمانه، سيدي أبي بكر، أحمد بن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي، وانتفع على يده غاية النفع.

---

[10] أبو محمد، عبدالله بن محمد الهبطي (-963هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 15-21. النبوغ المغربي: 251/1. الحركة الفكرية: 466/2. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الاشراف:258/1، هامش:1134.

[أبو بكر، أحمد المجاطي الدلائي] [11]

كان، رحمه الله، من العلماء العاملين، وكان ذو فائدة عظيمة. كتب، رحمه الله تعالى، إلى الشيخ سيدي أبي المحاسن، يوسف الفاسي يستشيره، فقال له: اعلم أن القوم كلهم اتفقوا على أن نفتح دارا للطعام، ولا بقي في وقتنا إلا أنت. فجاوبنا بما يظهر لك في هاذه المسألة. فاشترى عند ذالك سيدي يوسف برمة من نحاس عظيمة، وكسكسا كبيرا من نحاس، وقصعة كبرى من عود، وبعث له الجميع في الجواب.

ولد سيدي أبو بكر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، وتوفي، رحمه الله تعالى، عند طلوع الشمس من يوم السبت الثالث من شعبان سنة إحدى وعشرين وألف.

وأخذ سيدي أبو بكر هاذا ﷺ عن الشيخ أبي عمرو القسطلي -بفتح القاف- المراكشي، أقبل عليه في أول أمره وضمه إليه، وألبسه قلنسوة بيده.

[أبو عمر القسطلي]

وكان أبو عمرو كبير الشأن، جليل القدر، شهير الذكر، فياض المدد، قوي الحال، كثير الخوارق، وكان يدعي أنه القطب، وأنه صاحب الوقت، وأنه السلطان، حتى كانت الملوك تتشوش من قوله.

توفي، رحمه الله تعالى، في أواخر رمضان سنة أربع وسبعين وتسعمائة.

ولقي سيدي أبو بكر المجاطي المذكور ﷺ الشيخ سيدي محمد بن مبارك الزعري وغيره، وجلة أصحاب أبي عمرو. وزار الشيخ سيدي محمد الشرقي ﷺ، وسيدي أبا يحيى بن يحيى اليحياوي بمنزله من ميسور، المتوفى في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة. وأخذ أبو الطيب اليحياوي عن الشيخ سيدي عبد الله الخياط الزرهوني ﷺ، كان من كبار المشائخ، وتوفي، رحمه الله، مسموما سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بجبل زرهون، قبره هنالك مشهور.

أخذ ﷺ أولا عن الشيخ سيدي الحسن بن عمر أجنا، دفين قرب وادي اللبن، صحبة اثنتي عشرة سنة، وقال له: أنا طهرت لك نجارتك، وسيدي أحمد بن يوسف هو الذي يعمرها لك. فسار إليه فكان تكميله على يده، واشتهرت نسبته إليه.

وأخذ سيدي الحسن أجنا ﷺ عن شيخ المشائخ، أبي عبد الله، سيدي محمد بن سليمان الجزولي، ﷺ ونفعنا ببركته.

---

[11] أبو بكر، أحمد بن محمد المجاطي الصنهاجي الدلائي (-1021هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 163/1. التقاط الدرر: 56 الزاوية الدلائية: 43-45.

[أحمد بن يوسف الملياني][12]

وأما سيدي أحمد بن يوسف، فهو أبو العباس، أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، دفين مليانة من كبار المشائخ في العلم والولاية وعموم البركات والهداية. أخذ ﷺ عن الشيخ الإمام، العلامة الهمام، محتسب الطريقة، أبي العباس، سيدي أحمد بن أحمد محمد بن محمد بن عيسى البرنسي، عرف بزروق ﷺ.

حكى أن أبا العباس الملياني، عند ابتداء أمره، حضر بفاس، وظهرت عليه كرامات وخوارق كبيرة، من حل الأقفال، وشق الحائط والأرض، والطيران في الهواء، والمشي على الماء، وأكثر من هاذا، وبلغ خبره الشيخ زروق ﷺ قبل معرفته به، والملياني شاب، فأمر زروق بإحضاره، فحضر واجتمع به، وظهر له فيه ما سمع وتبين. فقال له زروق: ومن شيخك؟ فقال الملياني: لا شيخ لي. فقال زروق: ومن أين لك هاذا؟ قال: من عند الله. قال له: وهل رأيت النبي ﷺ؟ قال: لا. فقال زروق: لابد لك من أخذ شيخ ليطبع لك درهمك، وإلا يخاف عليك من القطاع. قال ابن يوسف: لا نحتج إلى أحد، ولا نخف من أحد. فقال له زروق اجعلني شيخك وإن كانت قصيرة. قال ابن يوسف: لا نحتج لك ولا لغيرك. فقال زروق خذها عزيزة من غير ذل، قبل أن تأخذها ذليلة. فأبى ابن يوسف ذالك وامتنع منه.

فلما قام ابن يوسف تلك الليلة وقف عليه النبي ﷺ، فقال له: استمع لزروق، وإلا تمت على سوء الخاتمة. فاستيقظ ابن يوسف فزعا مرعوبا، ووجد ما عنده ذهب، واضمحل. فذهب إلى الشيخ زروق، فوجده قد خرج من فاس مسافرا. فخرج على أثره يتبعه من بلد إلى بلد، حتى طاف به المشرق والمغرب. وفي الأسكندرية عطف النبي ﷺ على ابن يوسف، وقال لزروق يقم هناك حتى يلحق به ابن يوسف. فلما دخل ابن يوسف الأسكندرية، وقدم عليه بها، قال له زروق: وما جاء بك؟ وما تطلب عندي؟ قال ابن يوسف: القبول. فقال له: وما منعك حين قلنا لك خذها عزيزة؟ قال ابن يوسف: ذاك ما ظهر لي في تلك الساعة، وحين رأيت النبي ﷺ، وقال لي ما قال، وقص عليه، تبت إلى الله، ورجعت إليه، وتحققت أنك نصحتني، فاتبعتك إلى الآن، ها أنا بين يديك. فقال له الشيخ: إن كنت صادقا فيما تقول، فتأخر واجلس مع قرنائك الصغار حتى تتأدب. فقام عند ذالك، وجلس مع صغار أصحابه .

توفي، رحمه الله تعالى، سنة سبع، وقيل تسع وعشرين وتسعمائة.

---

[12] أحمد بن يوسف الملياني (-927هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 112-113. طبقات الحضيكي:25/1. الاستقصا: 50/5. سلوة الأنفاس: 14/2-16. شجرة النور: 189/1.

[عبد الكريم الحاجي التنبكتي]

وأخذ الشيخ أبو عمرو القسطلي أيضا ﷺ عن الشيخ أبي محمد، عبد الكريم بن عمر الحاجي التنبكتي، المعروف بالفلاح، المراكشي، الجليل القدر، الكبير الشأن، خليفة الشيخ التباع من بعده، وكان معاصرا للشيخ الغزواني ﷺ ومواخيا له ومساعفا، وكانت له مائدة مديدة في إطعام الطعام للوارد والصادر، وله كرامات مشهورة عند الناس.

توفي، رحمه الله تعالى، بمراكش ثاني ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، ودفن بإزاء قبة القاضي عياض ملاصقا له، داخل باب بلال، رضي الله عنهما، ونفعنا ببركتهما آمين.

[عبد العزيز الحرار التباع]

وأخذ سيدي عبد الكريم هاذا عن الشيخ الكامل، القطب الواصل، أبي محمد، سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، عرف بالتباع. كان ﷺ عالما عاملا، وشيخا كاملا، شيخ المشائخ، وأستاذ الأكابر، قطب وقته، وغوتة النفاع، وإمام أئمة الطريق، من غير خلف ولا نزاع، تخرج عليه من المشائخ ما لا يحصيه عد.

توفي، رحمه الله تعالى، سنة أربع عشرة وتسعمائة، وقبره بمراكش مزارة عظيمة مشهورة، بالموضع المعروف بين الثلاثة فحول.

ومن كراماته ﷺ لما قرب أجله، أصبح يوما بفاس الإدريسية، دخل مدرسة العطارين، ودخل بقبتها، والناس يأتون لزيارته والتبرك به من كل سوق وحومة، وكثر الازدحام عليه، وبباب المدرسة أمر عظيم وفتنة كبيرة، من كثرة ازدحام الناس في الدخول إليه، وبقي ذالك طول النهار، واشتغل الناس بصنع الطعام له بقصد الضيافة.

وكان رجل اسمه علي صالح، تاجر في حانوت القيسارية، أغلق عليه الحانوت، وقام نهارا، ولم يشعر بشيء مما وقع، حتى استيقظ عند الظهر، فسأله جاره بالسوق: هل زرت الشيخ سيدي عبد العزيز التباع؟ فقال له: لا علم لي به. فأخبره بما فيه الناس من الازدحام، ولا معرفة له بسيدي عبد العزيز. فرد سيدي علي صالح المذكور غلاق الحانوت السفلي، وذهب لزيارة الشيخ التباع. ولما خلع نعاله بباب المدرسة، وقف الشيخ بالقبة، وخرج فالتقيا بالصحن عند الملوح. فقبض الشيخ التباع يده في يد سيدي علي صالح، وطلعا لدرج المدرسة، ورد عليهما البويبة. وبقيا ساعة، والناس واقفون يرجون الشيخ، فإذا بالبويبة فتحت، وخرج سيدي علي صالح أولا مسرعا، وخرج الشيخ التباع بعده. وقال: هات العودة. فجاؤوه بها، وركب، فقال الناس له: بت عندنا هاذه الليلة، فإن

الناس صنعوا طعاما بقصد ضيافتك. فقال: إنا جئنا بأمانة أديناها إلى ربها خشية ضياعها. ودعا لهم بالبركة، وسار من حينه، وما أكل ولا شرب. وأما حانوت سيدي علي صالح، فبقيت بالغلاق السفلي، فلم يرجع إليها، ولا التفت لجهتها إلى الآن.

ولم أقف على تاريخ وفاة سيدي علي صالح، رحمه الله، وقبره بمطرح الجنة، بين سيدي عبد العزيز الدباغ وسيدي العايدي، سقطت قبته، وبقي أساس سواريها الأربع. قالوا: والدعاء عند قبره مستجاب. هاكذا سمعناه من بعض الشيوخ العارفين.

ورأيناه في "تقييد" بزيادة، أن الناس جاءوا من مراكش، فأخبروا أن سيدي عبد العزيز التباع لم يغب عن مراكش قط في تلك الأيام حتى توفي. فيكون على هاذا مجيئه لفاس من غير مسافة ﷺ، ونفعنا به، وسقانا من مدده آمين.

وأخذ الشيخ التباع ﷺ عن الشيخ سيدي الصغير السهلي ﷺ المتقدم، عن الشيخ الجزولي ﷺ.

[تاريخ وفاة الجزولي]

واختلف في موت الجزولي، قال الشيخ زروق، رحمه الله تعالى: إنه مات مسموما في صلاة الصبح، إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى، أوفي السجدة الأولى من الركعة الثانية، عام سبعين وثمانمائة، ودفن بعد نقله برياض العروس داخل مدينة مراكش. وقيل توفي بتافوغل من بلد مطراوة مسموما في صلاة الصبح كما ذكر، سادس عشر ربيع الأول من العام المذكور. ودفن لصلاة الظهر من ذالك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسسه هنالك. ثم أخرج من قبره بعد سبع وسبعين سنة من موته، فإذا الدم جار في جسده كالحي النائح، لم يتغير شيء من جسده ولا من أحواله. ونقل، ﷺ، إلى مدينة مراكش، ودفن برياض العروس ﷺ، وسقانا من مدده آمين.

الطائفـــة الثالثـــة

وهي الطائفة التهامية الوزانية

وذكر التعريف بشيخهم وينبوعهم، وسبب الدخول في زمرتهم، ومن لقينا من خيارهم، وتبركنا بهم وبآثارهم ومن أخذنا عنه منهم، ﷺ، ونفعنا بهم وبأمثالهم، وأمدنا من مددهم وعطفهم آمين.

[عبد الله الشريف] [1]

فشيخهم هو الشيخ الإمام، القطب الكامل الهمام، ينبوع الخير وكهف الأنام، أبو محمد، مولانا عبد الله بن مولانا إبراهيم بن مولانا موسى ابن سيدنا الحسن بن سيدنا موسى بن سيدنا إبراهيم بن سيدنا عمر بن سيدنا أحمد بن مولانا عبد الجبار ابن مولانا محمد بن سيدي يملح بن سيدي مشيش بن سيدي أبي بكر بن سيدي علي بن سيدي حرمة بن سيدي عيسى بن سيدي سلام بن سيدي مزوار بن سيدي حيدرة بن سيدي محمد بن مولانا إدريس الأصغر، باني فاس، بن مولانا إدريس الأكبر بن مولانا عبد الله الكامل بن سيدنا الحسن المثنى بن سيدي الحسن السبط ابن مولانا علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وفاطمة، رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ.

كان، رحمه الله، مجاب الدعوة، قريب السرخة، حسن الخلق والخلق، عارفا بأحكام الشريعة وأسرار الحقيقة، حافظا للطريقة، (مشيرا)[2] بالنصيحة.

كان، رحمه الله، منشأه من جبل العلم من قبيلة بني عروس، واستوطن بوزان من قبيلة مصمودة، وكانت له مواصلة بالشيخ العارف بالله سيدي الحسن بن ريسون[3]، رحمه الله تعالى، ورضي عنه، كان زوجا لخالته، فكان سيدي الحسن ينوه بأمره، ويخبر خالته بعلو قدره.

فبقي مولانا عبد الله يبحث عن صاحب حاجته الذي يجده باستقامته، إلى أن لقي الشيخ العارف الكامل، سيدي علي بن أحمد الكرفطي[4]، نزيل صرصر ودفينه، فأخدمه ببستان له هناك أياما وشهورا وأزمنة، ثم صرفه لتطوان بقصد القراءة على بعض الإخوان. فلما كان في قبيلة بني يوسف، سمع النبات والشجر والحجر والتراب يناديه بالنصر والتأييد، فرجع عند ذلك مسرعا إلى شيخه سيدي علي بن أحمد فكاشفه، وقال له:

---

[1] عبدالله الشريف (-1089هـ). ترجمته في: تحفة الإخوان: 36. التقاط الدرر: 208. نشر المثاني: 2/233-236. سلوك الطريق الوارية: 243. الكوكب الاسعد: 46. الإشراف: 1/241. سلوة الأنفاس: 1/103.

لا تخشى مما سمعت، فالخير، إن شاء الله، قابل عليك، ورده لطريقه. فبقي بتطوان ما شاء الله، ورحل إلى فاس، فقرأ بها العلم ولزم مجالسه وحصل نفائسه.

وذكر لنا عن الشيخ مولانا قاسم بن رحمون أن الشيخ مولانا عبد الله لقي بفاس الشيخ سيدي محمد بن عطية السلوي، دفين الرميلة، وبات عنده بداره.

وكان الشيخ سيدي علي بن أحمد الصرصري المذكور عالما ماهرا، عارفا بطريق الصوفية وبأحوال التربية. توفي، رحمه الله تعالى، سنة سبع وعشرين وألف.

ولما توفي مولاي علي بن أحمد، نزل مولاي عبد الله الشريف بمدشر شقرة؛ من قبيلة مصمودة، وانعزل عن الناس، ودخل الخلوة، فبقي بها يتعبد نحوا من أربعة عشر شهرا، إلى أن أراد الله له بالفتح، فدخل عليه رسول الله ﷺ فقال: يا عبد الله، امدد يدك ورجلك، واقبل من جاءك، فمن قبلها فهو آمن من النار. وقيل إنه لم يتصدر لملاقاة الخلق حتى أذن له النبي ﷺ خمسا وثلاثين مرة. فخرج من الخلوة عند ذالك، وانتصب للناس، فورد عليه الركبان والوفود من كل النواحي والبلدان، وجعل يعطي الأوراد، ويطعم الطعام للوارد.

فهاذا ما اختصرناه من التعريف به، ﷺ.

وأما كراماته لا تحصى ولا تعد، حذفناها للاختصار، وضوء الشمس لا يخفى على أحد، كما قيل:

وَلَيسَ يَصِحُ فِي الأَذْهَانِ شَيءٌ   مَتَى احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

وكان ورده ﷺ سبعين ألفا من لا إلاه إلا الله محمد رسول الله في كل يوم.

توفي مولانا عبد الله الشريف ﷺ سنة تسع وثمانين وألف.

[سند الطريقة الوزانية]

وأخذ شيخه سيدي علي بن أحمد، دفين صرصر، رحمه الله، عن شيخه القطب، أبي مهدي، سيدي عيسى بن الحسن دفين الدعداعة، عن شيخه القطب، الجامع بين الشريعة والحقيقة، أبي عبد الله، سيدي محمد بن علي بن مهدي الهروي الزمراني[5]، المعروف بالطالب، دفين صاريوة، قرب الشيخ أبي غالب الصاريوي[6] عدوة فاس، عن

---

[2] ب: شهيرا.

[3] الحسنين محمد بن ريسون (-1055هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:114/1، هامش:451.

[4] علي بن أحمد صوفي مغربي (-1027هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 237/1-238. التقاط الدرر: 78. تحفة الإخوان: 39-40.

[5] محمد بن علي بن مهدي الهروي الزمراني (-964. أو-965هـ). ترجمته في: مرآة المحاسن: 117. دوحة الناشر: 59. الروض العطر الأنفاس: 226. سلوة الأنفاس: 36/2-39.

[6] أبو غالب، علي الصاريوي (- أواسط المائة الثامنة للهجرة). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 225. سلوة الأنفاس: 21/2-28.

شيخه القطب النفاع، سيدي عبد العزيز التباع، عن الشيخ سيدي الصغير السهيلي[7]، عن الشيخ قطب الأقطاب، سيدي محمد بن سليمان الجزولي الحسني، عن الشيخ أبي عبد الله، سيدي محمد أمغار الصغير، عن الشيخ سيدي سعيد الهرتنامي، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن الرجراحي، عن الشيخ سيدي أبي الفضل الهندي، عن الشيخ سيدي عتوس البدوي، راعي الإبل، عن الإمام أبي العباس المرسي الأنصاري، وهما معا عن الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي الحسني، عن الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن الشريف المدني الزيات، المذكورين آنفا، رضي الله عن جميعهم آمين.

فصـــل
في ذكر من أدركناه واجتمعنا معه وتبركنا به من هاذه الطائفـــة

[قاسم بن رحمون] [8]

فأولهم: الشيخ العارف بالله، الدال على مولاه، المتواضع لله ولعباد الله، المربي لمن صخبه وآواه، ذو الأخلاق الحسنة، والأوصاف المستحسنة، أبو محمد، مولاي قاسم بن رحمون العلمي الحسني، رحمه الله تعالى، ورضي عنه.

كان، رحمه الله، شيخا مربيا، وهمة وهيبة، وسكينة ووقار، وذو حنانة وشفقة، ولطافة ولين. وكان له أصحاب محبون، وأتباع تابعون للسنة، معرضون عن الابتداع. اجتمعت معهم مرارا، ليلا ونهارا، فرأيت اجتماعهم على الله والإكثار من ذكر لا إلاه إلا الله، عليها كان جمعهم واجتماعهم، وبها مبيتهم ومقيلهم، وهي حرفتهم وديدنهم، وعمدتهم واعتمادهم. ويكون، ﷺ، في وسطهم على ذالك لا ينامون، وألسنتهم عنها لا يفترون. وكان، رحمه الله، كثير التواجد عند الذكر، وإذا تواجد يظهر ذالك عليه، ويشرق في جل أصحابه، كل واحد على قدر محبته وذوقه.

وكان، رحمه الله تعالى، يجلس كل يوم بالمستودع الذي بين باب حفرة القرويين وباب الشهود الكبرى من صلاة الظهر إلى أن يصلي العصر هنالك هو وأصحابه، وجهه للسارية القبلية وظهره لأصحابه، وكلهم مواجهون القبلة، وكل واحد منهم بسبحته، لا يتكلم

---

[7] أبو القاسم السهيلي (-581هـ). ترجمته في: الكواكب السيارة: 252-253. سلوة الأنفاس: 238/2.

[8] قاسم بن رحمون (-1149هـ). ترجمته في: تحفة الإخوان: 208-265. فهرسة التاودي: 155. الروضة المقصود: 431/2-437. سلوة الأنفاس: 103/1-106.

هاذا مع هاذا ولا هاذا مع هاذا، وإنما عليهم السكينة والوقار، حاطون أبصارهم. فهاذا كان دأبهم وديدنهم، وهاذا حالهم وسيرتهم حتى ماتوا عليها، ﷺ.

[أصحاب قاسم بن رحمون]

وأما أصحابه، رحمه الله تعالى، الملازمون له أين ما كان وأين ما توجه أو جلس، فمنهم:

[محمد القادري]

الشريف الأجل، المسن البركة الأكمل، أبو عبد الله، سيدي محمد القادري الحسني، دفين داره برأس الجنان وفاس الأندلس سنة ستة وخمسين ومائة وألف، وبنيت عليه زاوية هنالك.

[هاشم الطاهري الجوطي] [9]

ومنهم الشريف المسن، الفقيه البركة الناسك، مولاي هاشم بن مولاي عبد العزيز الطاهري الحسني الجوطي، المتوفى، رحمه الله، سنة أربع وخمسين ومائة وألف.

[علي بن إدريس التبري]

ومنهم الشريف الأجل، الطالب الأفضل، التالي كتاب الله عز وجل، ذو الأخلاق الكريمة، والأوصاف الحميدة، والأحوال الربانية، والمواهب الإلاهية، أبو الحسن، سيدي علي بن سيدي إدريس التبري، دفين وزان، بقبة شيخ المشايخ، مولانا عبد الله الشريف المذكور، صاحب الترجمة، المرء مع من أحب، وذالك سنة خمس وخمسين ومائة وألف.

كان، رحمه الله، صواما قواما قانتا، تاليا لكتاب الله تعالى الليل والنهار. حج، رحمه الله تعالى، عام تسعة وثلاثين ومائة وألف. أخبرني أخي سيدي أحمد، وكان صاحبه وحج معه، أنه كان لا يفتر لسانه في الطريق كلها عن تلاوة القرآن، لا تراه غير تالي.

---

[9] هاشم بن عبدالعزيز الطاهري الجوطي (-1154هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/98-99.

[محمد البوزيدي]

ومنهم الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، مولاي محمد بن المجذوب البوزيدي الحسني.

كان، رحمه الله تعالى، ذاكرا لله تعالى، محبا في هاذا الجانب، ملازما لكرسي الحلية مع الشيخ، صاحب الترجمة، رضي الله عنهما.

رأى بعض المحبين الصادقين الشريف مولاي محمد هاذا والشريف الذي قبله والشريفين قبلهما ومعهم رجل آخر لم يعرفه، وهم مجتمعون في مسجد لم يعرفه، فسلم عليهم، وقال لهم: ما جلوسكم هنا؟ فقالوا: جلوسنا في ميعاد النبي ﷺ. فقال لهم: وهل تخلوني أجلس معكم؟ فقالوا: نعم، اجلس معنا. ثم اسيقظ، وذالك في شهر ربيع النبوي المعظم عام ستة ومئتين وألف.

[محمد الشراط]

ومنهم الرجل الصالح، المسن البركة الفالح، براح الصالحين، سيدي محمد، الشراط كنية، الطراز حرفة.

كان، رحمه الله تعالى، يخدم صنعة الحياكة، فإذا ورد عليه ما يرد، ينزل من مرمته، تارة يشمل كساءه وتارة يتركها، وتارة يجعلها تحت إبطه، ويخرج إلى السوق يبرح، حتى كان في بعض المرات تراه يقول: الماء ماءنا، ربي اعطانا. وتارة يقول: النوار النوار، الزكا والاعشار، نور نور، الزكا والعشور. ومرة يكون بسوق الغزل يتسوق، فإذا به ينزل به ما ينزل ويخرج للأسواق ويبرح، إما بمعان أو واضحة، ويكون ذالك كما قاله.

ونادى، رحمه الله تعالى، مرة على أولاد عديل، وهم في صولتهم من الدنيا والجاه وأمارة الحج، فكان يقول: يا عديل، تقطع الحبيل، وطاح الحميل، ومشى اعديل. وبقي كذالك حتى مات، رحمه الله، ووقع لأولاد عديل ما قال.

خرج، رحمه الله، لزيارة السادات أهل وزان وتوفي عند وادي ورغة، ودفن بالولي الصالح، سيدي عبد الكريم الشريف المشهور ذو القلة سنة أربع وخمسين ومائة وألف.

أخذ، رحمه الله، واعتمد مولاي التهامي، وخدم مولاي الطيب، وصحب مولاي قاسم بن رحمون.

[عبد السلام الطاهري الجوطي]

ومنهم الشريف الأجل، البركة الأفضل، مولاي عبد السلام بن مولاي عبد العزيز الطاهري الحسني الجوطي، المتوفى عام سبعة وأربعين ومائة وألف.

[عبد السلام الشفشاوني]

ومنهم الشريف الطالب الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، أبو محمد، مولانا عبد السلام بن إدريس الشفشاوني العلمي الموسوي، المتوفى سنة سبع وسبعين ومائة وألف.

وأمثال هاؤلاء من الأتباع وهم كثير، ومنهم من كان يعتمد أولا مولاي التهامي، ومنهم من كان يعتمد مولاي الطيب، وصاحب الترجمة مولاي قاسم هو كان قائدهم ومربيهم ومؤلفهم وجامعهم.

[عبد الله الخياط الرقعي] [10]

أخذ ﷺ أولا عن الشيخ سيدي الحاج عبد الله الخياط، الرقعي أصلا، الفاسي دارا وقرارا ومزارا، دفين اصليتق أو الشرشور من فاس القرويين ليلة الثلاثاء عاشر محرم الحرام فاتح خمس عشرة ومائة وألف.

وكان سيدي الحاج عبد الله هاذا في ابتداء أمره مواخيا مع الفقيه العلامة الزاهد الورع أبي محمد، سيدي العربي الفشتالي، رحمه الله، دفين القليعة في حال صغرهما. ثم إن سيدي العربي تولع بقراءة العلم وفتح عليه، وسيدي الحاج الخياط تولع بالفقراء، أصحاب مولاي عبد الله الشريف، حتى لقيه وخدمه، وكان منه ما كان.

وبقيا متفرقين لا يجتمعان، لغيبة كل واحد منهما في طريقه، حتى كان يوما سيدي العربي الفشتالي جالسا بحانوت العدول، وجاز سيدي الحاج الخياط على سوق العدول، فناداه سيدي الحاج الخياط، وسلم عليه ولامه، فقال: كيف يا سيدي الخياط، غيبت عنا وسامحت فينا، ولا رعيت صحبة ولا عشرة؟ فقال له الحاج الخياط: هاكذا أراد الله بنا، ولو أراد اجتماعنا، لجعلنا فقيرين أو عالمين، وحين أراد فرقتنا، قامك في العلم، وقامني مع الفقراء. فقال له سيدي العربي: وعلمك الفقراء تشطح. قال سيدي الخياط: نعم. فقال له

---

[10] الحاج عبدالله الخياط (-1115هـ). ترجمته في: تحفة الإخوان: 187-208. سلوة الأنفاس: 1/257-259.

سيدي العربي: بالله عليك يا سيدي الخياط، اشطح لي شطحة، وأنا أنظر. فقال له سيدي الحاج الخياط: بالله عليك يا سيدي العربي، اعطس لي عطسة. فقال سيدي العربي: لا تجئني العطسة. فقال: سيدي الحاج الخياط: وأنا لا تجئني الشطحة. قالها وانصرف. وكان البناءون يركزون في سطح قريبا من سوق العدول، ففتق سيدي العربي أكمامه، ونزل عن الحانوت يرقص.

[السلطان إسماعيل العلوي والزوايا]

ومن كرامات سيدي الحاج الخياط هاذا:

كان أمير الوقت مولانا إسماعيل[11]، رحمه الله، سخط على أهل الزوايات، واشتد الأمر، وبعث من وراء مولاي التهامي يجيء من وزان، وجاء مولاي التهامي، ودخل جامع الخضراء من مكناس، والناس خائفون من أجل ذالك. ثم إن مولاي إسماعيل كان نائما نهارا، واستيقظ ونزلت الغذاء بين يديه. وهو في أثناء الأكل، وإذا بسيدي الحاج الخياط دخل عليه بقبته، وبيده شاقور مطحون، ووقف على الأمير، وقال: والله لو تغيرت في ولد سيدي شعرة واحدة، لشققتك بهاذه الشاقور. فقال له مولاي إسماعيل: ومن أنت؟ قال: الخياط. قال: ومن ولد سيدك؟ قال: مولاي التهامي، ها هو ذا بجامع الخضراء. قال: وصد. وقام السلطان للبوابين، فقالوا: لم يدخل أحد قط. فسأل من في الدار، فقالوا: ما رأينا أحدا. فخرج مغضبا، وأمر بفرسه وركب. فجعل الفرس يرجع وراء، وإذا ببهموت بالأرض ظليم انفتح فنزل عنه، وقال: قولوا للمرابط مولاي التهامي يمشي لداره، الله يهنيه بالعافية. ورجع السلطان للدار.

وفي تلك الليلة، بعث السلطان وراء عبد الله الروسي، وسأله: أعندكم بفاس سيد اسمه الخياط؟ قال له: نعم، هو بالزربطابة مدفون، يقال له سيدي الخياط ذا الوادي. فأمره أن يبعث لولده كان حاكما كان بفاس، ويأمره أن يبني عليه قبة هناك جيدة. فجاء الأمر، وقام القائد أبو علي على البناء على سيدي الخياط ذا الوادي. فكان عند ذالك سيدي الحاج الخياط الرقعي، صاحب الترجمة، يجيئ عند البنائين ويقول لهم: بع، الدق للترابا، والشنعة للأجواد. فكان يأتيهم كل يوم ويقول لهم هاذه القولة، حتى انتهت القبة بالبناء، ولم يفطن أحد لقولته، رحمه الله.

وأخذ مولاي قاسم بن رحمون، رحمه الله تعالى، ثانيا عن الشيخ الإمام، العارف بالله، سيدي محمد بن عبد الله الشريف، والد مولاي التهامي ومولاي الطيب، رضي الله عنهما، ثم صحب بعده ولده مولاي التهامي بن محمد، ثم صحب بعده أخاه مولاي الطيب بن محمد.

---

[11] المولى إسماعيل السلطان العلوي (1082-1139هـ). انظر مصادر ترجمته وأخباره في الإشراف:11/2، هامش:39.

وأخذ أيضا سيدي الحاج الخياط الرقعي المذكور عن القطب، مولانا عبد الله الشريف، وعن ولده، سيدي محمد بن عبد الله، ﷺ وسقانا من مددهم.

وتوفي الشيخ مولاي قاسم سنة تسع وأربعين ومائة وألف.

ورأيته ﷺ ليلا نوما وهو في جم غفير من الناس، وهو داخل لمولانا إدريس، فتقدمت إليه وسلمت عليه وأنا عند دار القيطون، فقبضني من يدي حتى بلغ باب التوما، وسألته عن مجيئهم. فقال: جئنا في ميعاد النبي ﷺ. ثم عاتبني على غيبتي عن الزاوية، وقال: نسيت صحبة مولاي محمد. ولما دخل القبة وأردت الدخول معه، استيقظت فوجدت الوقت، فتوضأت وخرجت إلى عادتي لمولانا إدريس، نفعنا الله به. فوجدت هناك نورا زائدا، وحسنا غير المعهود، والناس قليل داخلا وخارجا، فحمدت الله تعالى، وزرت مولانا إدريس، وتشفعت له بمن حضر عنده، وتوسلت إلى الله بالجميع في شرح صدري وتيسير أمري، بمنه وكرمه آمين.

[الطيب الوزاني] [12]

وثانيهم القطب المشهور، وصاحب اللواء المنشور، الذي طلعت شمسه في السماء العلى، وصارت محاسنه وفضائله على ألسنة الخلائق تتلى، أبو محمد، مولانا الطيب بن محمد بن مولانا عبد الله الشريف، وارث تلك الأنوار، وجامع تلك المعاني والأسرار، من وفدت عليه الوفود من كل الأقطار وجميع البلدان والأمصار، وقصده من كل مكان عيان الأعيان، وخيار الأخيار، فروى قلوب السالكين بلذيذ شرابه، وملأ بضاعة العارفين من رطب ثماره.

[زيارة المؤلف لضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش وتطوان، ولقياه الطيب الوزاني والسبب في ذالك]

لقيته ﷺ عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف بوزان فوجدته مورد الظمآن، ففرح بي وأكرمني جل الإكرام، وأقبل علي بالقبول المناسب للكرام. وكان سبب تلك السفرة التي لقيته بها، (أنني لقيته ليلا في لقيته يوما)[13] بعض الإخوان، القاصدين زيارة السيدة المجذوبة ذات اللحية، السيدة آمنة البستيونية بدارها قرب مسجد الصمارين من سوق

---

[12] الطيب بن محمد بن عبدالله اليملاحي الوزاني (-1181هـ). ترجمته في: تحفة الإخوان: 115. التقاط الدرر: 448. نشر المثاني: 178/4. الروضة المقصودة: 510/2. الإشراف: 245/1. سلوة الأنفاس: 104/1.

[13] ب: لأني لقيته يوما.

الرصيف في حياتها، فرافقته ودخلنا .عليها، فأمرت إحداهما بشراء شطابة، فخرج واشتراها لها، وأمرتني بشراء الباكور، فخرجت واشتريت لها باكورا من الرصيف، فأخذتها في حجرها وجلست. فجعلت تأخذ واحدة، وتنظر إليها، وتقول: هاذه لا. وتطرحها على الأرض. وتأخذ الأخرى، وتفعل بها كذالك. حتى اختارت واحدة غليظة (فعضت منها)[14] وأعطتها لي، وقالت لي: كل هاذه. فأخذتها وأكلتها. وأخرجتني عنها، فخرجت، ثم تبعتني إلى الباب، ونادت علي: يا مولى الباكور. فرجعت إليها، فقالت لي: مشيت عند سيدي أبي عياد. قلت: لا. وكان حيا. فقالت لي: سر عند سيدي أبي عياد بن جلون ولا بدة. وقلت: أجل. وذهبت عنده من حينه، أنا وأحد رفقتي، وكان المجذوب مثلها أو أكثر. فدخلنا عليه، وهو بدار القباج من حومة الصاغة، فوجدناه بغرفة، فطلعنا عنده، وهو ملقى على ظهره يشرب الدخان، فجلسنا وتكلم، وهز رأسه ورفع يديه للفاتحة، ففتح. وقال: فيه الخير. ولما قمنا من عنده، قال لي: سر عند سيدي أحمد البرنوصي. وأكد علي. فخرجت من عنده، وأنا أقول في نفسي: هي بعثتني عند حي، وهو بعثني عند ميت. وكان ذالك اليوم يوم الخميس. ويوم الأحد بعده، خرجت إلى زيارة الشيخ سيدي أحمد البرنوصي ﷺ، دفين جبل لمطة، عند طلوع الشمس، فوجدت الناس عند ضريحه يقرءون بردة البوصيري. فجلست قريبا من الدربوز، وفتحت سورة الكهف سرا. فلما بلغت نحو النصف منها، أخذتني سنة، ما أنا بنائم ولا يقظان، إذا برجل ضخم عربي طويل، غلب عليه الشيب، وبرأسه قلنسوة بيضاء وعمامة من صوف، وعليه قشابة لا غير، دخل على باب القبة، وهو يمعن النظر في الناس حتى بلغ الدربوز واتكأ عليه بظهره واقف، ووجهه إلى الناس، ثم همزني برجله في ركبتي، وقال لي: قم يا هاذا، حاجتك عند مولاي عبد السلام بن مشيش ﷺ. فنهضت جزعا من سنتي جازما أنه سيدي أحمد البرنوصي ﷺ ونفعنا ببركاته، هاذا والآية التي كنت أتلو باقية على لساني، وهي قوله تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)[15]. فجلست حتى ختمت السورة وزرت، وخرجت راجعا مع الطريق.

ويوم الأربعاء الموالي، سافرت لزيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ ونفعنا ببركته آمين، وذالك بعد إذن من الوالدين والمشائخ، رحمهم الله تعالى، كأخينا سيدي عبد المجيد المذكور، وسيدي محمد المدرع، المتقدم ذكرهما، وسيدي محمد الصنهاجي، الآتي ذكره، إن شاء الله. ولما بلغنا وزان يوم الجمعة، وصلينا صلاة الجمعة بها، زرنا مولاي الطيب بن محمد ابن الشيخ صاحب الترجمة، ﷺ، ولقيني خير ملقى، وأجلني أجل إكرام. ومن الغد، رجعنا إليه ضحى بقصد إعادة زيارته، فوجدته في عرصة له قرب داره، كانت حديثة الغرس، وهو بها مع إمام المسجد هناك، الفقيه سيدي علي

---

[14] ب: ساقط.
[15] سورة الكهف:38.

العسري والشريف الأرضى، سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني، المدعو الجمال، قدم عليه من تونس. فجلست بين يديه، وطلبت منه الدعاء، فدعا لي بخير، وانبسط معي كثيرا. ثم أمر بخروج الشريف سيدي علي المذكور، فخرج وطال الكلام بيننا إلى أن صلينا الظهر والعصر جماعة. وبعد ذالك قال لي: أنت عزمت ولابدة على زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش؟ قلت. نعم. قال لي: أما سمعت الناس يقولون: إذا وجدت حاجتك عند صاحب القاضي، فلا تصل إلى القاضي؟ قلت: نعم. ولكن يا سيدي، قالوا قولة أخرى. قال: وما هي؟ قلت: قالوا، الموجب الذي لا ينزل عليه القاضي ناقص لم يكمل[16]. فقال لي ﷺ: أنت رجل مانع، أخوك مولاي عبد المجيد ألين منك. قم توكل على الله سبحانه، زر سيادنا وزر مولاي عبد السلام، وزورنا معك ولا تنسانا. وإذا زرت، فارجع من هنا، وإلا فلا صحبة بيننا. فنطق ﷺ بلفظ الصحبة، وتواعدت معه بالرجوع.

ومن الغد، سافرنا مع القافلة لتطوان، وكنت راجلا لا دابة لي ولا لرفيقي، الفقيه سيدي محمد بن شقرون والطالب سيدي عبد العزيز الغرديسي، كلنا راجل.

ولما بلغنا تطوان، أقمنا بها عشرة أيام، زرنا فيها الأحياء والأموات. ومن جملة الأحياء، سيدي علي الريفي الحي، رحمه الله، لقيناه في زيارة سيدي علي الريفي الميت شيخ الحي، الدفين بأعلا كيتان، فبعثنا سيدي علي الحي مع صاحب له يزورنا، وأوصاه أن يجوز بنا على العين، فجزنا بها وتوضأنا، وفتح لنا القبة فصلينا بها وزرنا. وكان أوصاه أن يعطي للسيد محمد بن شقرون المذكور خبزة باردة، وأن يعطي للرفيق الآخر السيد عبد العزيز خبزة سخنة، وأن يعطيني شيئا.

ولما فرغنا من الزيارة، دخل الرجل من وراء الدربوز، وأخرج خبزتين اثنتين، إحداهما سخنة والأخرى باردة، وأعطى لكل واحد ما أمره به صاحبه، ورجعنا إليه، فقال لصاحبه: فعلت ما قلت لك؟ قال: نعم. ونظر إلي، وقال لي: يا شريف، خبزتك خير من خبزتيهما. وانصرفنا عنه.

فأما صاحب الخبزة الباردة، فمن ثم وهو يخبز من جهة الدنيا بسهولة من غير تعب ولا مشقة، وفي آخر عمره أدرك بعض خير من (خيور)[17] الآخرة. وأما صاحب الخبزة السخنة، فمن ثم وهو متعوب في أمور الدنيا وجمعها غاية التعب، سفرا وحضرا، حرا وقرا، وفي آخر عمره ذهبت عنه.

ولما بلغنا مولاي عبد السلام بن مشيش وزرناه، والحمد لله، وبتنا عنده، اجتمعت في تلك الليلة المباركة عنده بالشريف الأجل، العابد الخلوتي الأفضل، المنقطع عن الخلائق إلى الخالق عز وجل، أبي محمد، سيدي المهدي بن أمير المومنين مولانا إسماعيل السجلماسي الحسني العلوي، فزرته وتبركت به، فجلس معي نحو ثلثي الليل،

---

[16] هاذا أثر واضح لأثر خطة الشهادة في لغة وحديث المؤلف.

[17] كذا.

وأكرمني غاية الإكرام، وفعل معي من الخير ما لست له بأهل، جزاه الله عنا وعن السعاة مثلنا خيرا.

ومن الغد، سافرنا منحذرين لوزان، فدخلناها عند صلاة الجمعة أيضا، فصلينا الجمعة بها، وتلاقيت بعد الصلاة بالشيخ مولاي الطيب، وسلمت عليه خارجا من المسجد، فأدخلني معه إلى خلوته المعلومة، وسألني ﷺ عن سفري وزيارتي ذهابا وإيابا، فقصصت عليه ذالك.

ومن الغد، عزمنا على السفر، فبعث لي الشيخ مع الفقيه سيدي علي العسري المذكور، فقال لي: إن الشيخ يقول لك لا تسافر اليوم، وإنه أعطاك وسقا من القمح، فانظر من يحمله لك. فقلت له: قل للشيخ: أما الإقامة اليوم فنعم، وأما الكراء على القمح، فإني ما جئته لطلب القمح، وإنما جئته قاصدا الله. فمشى الفقيه ورجع، وقال لي: تكلم إليه. فصرت معه إليه، فوجدت عنده الفقيه المؤدب، سيدي التاودي ميارة، رحمه الله، فقال لي: أقم اليوم هنا، وغدا، إن شاء الله، يكون خيرا. وبعد إقامة يومين، بعثني مع سيدي التاودي المذكور لقرية اسجن، وكان الفقيه قاطنا بها، فبت عنده ليلة. ومن الغد، مر بي إلى زيارة الشيخ سيدي موسى بن العرف وأهل صرصر، ولاسيما الشيخ سيدي علي بن أحمد، أستاذ مولانا عبد الله الشريف المذكور، ﷺ ونفعنا بهم آمين، فاشترى الفقيه المذكور من سوق الأربعاء وسقين اثنين من القمح، واكترى حملها من دخيسته، وبعثني معهم إلى فاس. وقال لي: هاذا ما أمرني به الشيخ.

وكان الفقيه سيدي علي العسري بعث لي معه الشيخ مولاي الطيب ﷺ براءة لأبلغها لصاحبه الحاج أحمد الخضار بفاس، فأخذتها وبلغتها إليه. ولما بلغنا إلى فاس، وجدت أهلي زوجوني امرأة[18] كانت بالدار، توفي عنها أخي سيدي أحمد، رحمه الله، فقلت: هاذه والله باكورة البستيونية التي عضتها وأعطتها لي.

وليلة الزفاف وجدت بالدار جلدا من السمن، وسألوني: هل اشتريته؟ قلت: لا. وسئل إخوتي: فقالوا: لا؟ وسئل أبي وعمي، فقال: لا. وإذا بأخينا في الله، الطالب الأجل، سيدي عبد السلام بن الحاج أحمد الخضار المذكور، رحمه الله، يدق بالباب، فخرجت عنده، فقال لي: أفرغ الجلد من السمن. فأفرغته، وأخرجته له، (ما قضية الجلد)[19]؟ فقال لي: البراءة التي جئت بها للوالدين عند الشيخ مولاي الطيب فيها: الشريف حامل الكتاب إذا تزوج، سمن له. وأنا والله ما كنت تكلمت مع الشيخ في أمرالزواج لا بإشارة ولا بمعنى، ولا مع السيدة البستيونية، ولا خطر ببالي شيء منه، حتى وقع ما وقع.

واستأذنه ﷺ بعض أصحابه في زيارة بعض الشيوخ الأحياء، فأذن له. ولما جاء من الزيارة، وقال لمولاي الطيب: يا سيدي، إن الناس يسألوني عنك في أي مقام أنت، ولا

---

[18] تزوج المؤلف بأرملة أخيه أحمد. وفي الواقعة تأريخ لأثر العرف في الناس، ولسلطة العائلة على الأفراد.

[19] كذا، لعله ساقط كلمة أو جملة، مثلا: فقلت له: ما قضية الجلد؟ ليستقيم الكلام.

عرفت ما أقول لهم؟ فأردت منك أن تبصرني بمقامك؟ فقال له: يا بني، إن المقامات لأربابها، وأما الطيب بالله مسلم. وقال له أيضا بعض أصحابه: والله يا سيدي، إلا كنسمع من الناس الكلام فيك، ونتغير من أجل ذالك، ولا وجدنا صبرا؟ فقال له ﷺ: الحمد لله، الذي وصلنا للمقام الذي يتكلم الناس فينا ويتقولون.

[وفاة الطيب الوزاني وسند تصوفه]

توفي الشيخ مولاي الطيب ثامن عشر ربيع الثاني عام أحد وثمانين ومائة وألف.

وأخذ ﷺ عن والده سيدي محمد بن عبد الله الشريف، وعن أخيه مولاي التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف، ﷺ أجمعين وأمدنا من مددهم آمين.

[أحمد بن الطيب الوزاني] [20]

وثالثهم: خليفته من بعده، ولده الشيخ الفقيه العالم، العارف بالله، مولانا أحمد بن الطيب. كان ﷺ عالما عاملا مولعا بالكتب وقراءة العلم، كريم الأخلاق، كثير التواضع، واسع الحال، قائم بأمر العباد بعد أبيه. زرناه ﷺ بوزان، وتبركنا به، واجتمعنا معه بفاس، فكان، رحمه الله، يجلني ويكرمني غاية الإكرام. فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا، وأمدنا بمددهم آمين.

أخذ ﷺ عن والده مولاي الطيب المذكور. وتوفي، رحمه الله تعالى، ثامن عشر صفر الخير عام ستة وتسعين ومائة وألف.

[علي بن أحمد الوزاني][21]

ورابعهم: ولده، خليفته من بعده بإذنه، وهو الشيخ العالم، العلامة المشارك، العارف بالله، أبو الحسن، سيدي علي ابن مولانا أحمد ابن مولانا الطيب، الموجود الآن، أفاض الله بحره، وقوى نوره، وأطال للمسلمين عمره. فهو الشيخ العارف، المربي المتواضع، ذو الحنانة والشفقة، واللطافة على الفقراء والمساكين، وهاذا حاله ودأبه من صغره إلى أن صار كهف زمانه ووقته.

---

[20] أحمد بن الطيب (ت1196هـ). ترجمته في: نشر المثاني:266/4. الروضة المقصودة:518/2. الإشراف:244/1. سلوة الأنفاس:104/1.

[21] علي بن أحمد (- 1226هـ). ترجمته في: الكوكب الأسعد. نشر المثاني:267/4. الروضة المقصودة:520/2. الإشراف:244/1. سلوة الأنفاس:104/1.

رأيته ﷺ مع نحوله (وضعه)[22]، من كثرة الازدحام عليه، تسقط عمامته عن رأسه ولا يبالي، ويسقطه الناس عن الدابة ولا يبالي، ويسقطون عليه ويترسونه بأقدامهم، ولا يبالي بشيء من ذالك ولا يؤثر فيه، من كثرة صبره وتواضعه، نفعنا الله به، آمين.

[عبد الله بن العربي العلمي]

وخامسهم: ولد عمه، الشريف الأجل، العلامة الأفضل، الزاهد الورع، الصوفي الأكمل، أبو محمد، سيدي عبد الله بن العربي العلمي الحسني، القاطن بتطوان ودفينها.

كان، رحمه الله، عالما عاملا، خاملا صوفيا، من أهل الخير والصلاح، والفلاح والنجاح، ذو نسب وحسب، وهمة عالية. وكان، رحمه الله، حافظا للسنة، جامعا بين الشريعة والحقيقة، خاشعا متواضعا، اجتمعنا معه، رحمه الله، بفاس وزرناه بتطاون. توفي بها، رحمه الله تعالى، في شهر ذي القعدة الحرام عام تسعة وتسعين ومائة وألف.

[محمد البطيوي] [23]

وسادسهم: الفقير الخامل المتقشف، أبو عبد الله، سيدي محمد البطيوي.

كان، رحمه الله تعالى، متجردا خاملا، هاربا بنفسه من الخلق، سنيا ذاكرا، ساكتا لا يتكلم إلا فيما يعني. وكان ذو عيال، وله بيت بمدرسة العطارين يخلو به ولا يدخله أحد غيره. وكان، رحمه الله، يصرف الفلوس من البقالين والدقاقين. ويصبح كل يوم بسوق الغزل بفلوسه تحته، ومن أراد صرف موزونة يصرفها له، ولا يفعل ذالك بسوق غير سوق الغزل. وكان، رحمه الله، كثير الذكر، كثير الصمت، لا يترك أحدا يقبل يده ولا كتفه. وكل من طلب منه الدعاء يقل له: احظ راس مالك، ونق خيالك، وأنت على خير. ويمد عليها.

تكلمنا يوما مع شيخنا سيدي عبد المجيد، رحمه الله، في شأنه، فقال: لا تغتروا به، فإنه بشحيمته، وكلامه مع الناس حسن. لأن الناس قالوا: تاجر سوء يحظي رأس ماله، ورأس مال الإنسان هو إيمانه. ونق ثيابك، يعني نفسك من المعاصي. ومن كان على هاذه الحالة، فهو خير لا محالة. قال تعالى (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)[24] الاية.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن مولاي الطيب ومولاي قاسم بن رحمون، رضي الله عنهما.

---

[22] كذا، لعله وضعفه.

[23] أبو عبدالله، محمد البطيوي (-1185هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 366/3.

[24] سورة المدثر: 34.

رأيته يوما في المنام قبل موته وبعد موت أخينا سيدي عبد المجيد، رحمه الله، وأني واقف معه بباب فندق التجار من حارة قيس نتكلم معه، إذا بأخينا سيدي عبد المجيد حضر، فسلم، وقال لي: هل يفعل، أو فعل معك سيدي محمد خيرا، أم لا؟ ثم قال: تهلا يا سيدي محمد في الشيخ محمد أخينا، وحاول معه. ومن الغد وجدته جالسا بباب مسجد الديوان فسلمت عليه، فرد علي وتبسم وسكت. وبعد ذالك بقريب مرض مرضه الذي توفي فيه. دخلت عنده لأعوده فقال لي: اليوم صدقت رؤيتك. مع كوني لم يسمع مني كلاما فيها. ثم تكلمنا، وأوصاني بمباشرة غسله، ودعا لي. وتوفي بعد ذالك بأيام قلائل، رحمه الله، سنة خمس وثمانين ومائة وألف.

[أحمد ابن الحاج]

وسابعهم: الفقير المرابط، السالك المتجرد، أبو العباس، سيدي أحمد ابن الحاج، به شهر، وله كان ينتسب.

كان، رحمه الله تعالى، طرازا صناعة الحياكة. وكان من الذاكرين الله كثيرا، ومن المحببين في رسول الله ﷺ وجنابه وأهل بيته، ملازم الأوقات الخمس بمولانا إدريس وبمسجد القرويين، كثير الصيام والقيام، وكانت تعتريه الأحوال ويتواجد، وتراه يتكلم وحده، ويخرج منه كلام مسجع، فيه إشارات بأمور غيبية، وفي بعض الأحيان تراه يتكلم بكلام بلسان لا يفقه. وكانت تكسوه حمرة عند إشراق حاله. ومع هاذا، كان، رحمه الله تعالى، لا ينسب شيئا لنفسه. وينطق بكلام ملحون في مدح النبي ﷺ، وفي كلامه إشارة لرؤيته ﷺ. والناس يتحدثون عنه بكرامات، رحمه الله.

أخذ، رحمه الله، عن الشيخين المتقدمين، مولاي قاسم بن رحمون، ومولاي الطيب بن محمد، رضي الله عنهما. وتوفي، رحمه الله، سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

[المهدي اليونسي الشلوشي] [25]

وثامنهم: الشريف المرابط المجذوب، أبو عبد الله، مولاي المهدي بن مولاي الطيب اليونسي، المدعو الشلوشي، القاطن بجزاء بن برقوقة؛ عدوة فاس، ودفينها.

كان، رحمه الله تعالى، غائبا غيبة جذب اتصالا، صاحب عناية وذكر متصل، مجاب الدعوة، وكلما أقسم على الله أبره. وتعطل المطر على الناس عام خمسة وأربعين، وخرج الناس يستغيثون ويستسقون، وخرج مولاي المهدي معهم في حالة خشوع وخضوع وتدرع إلى الله عز وجل فأعطى الله تعالى المطر في الحين، ورجعوا مغاثين من غير

---

[25] أبو عبدالله، المهدي بن الطيب اليونسي (-1175هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 1/383-384.

صلاة، وهو يقول: حمدناك، شكرناك، يا مولانا طلبناك، وجدناك تغفر لنا، الحمد لله، الشكر له، ما خاب عبد قصد مولاه.

ذكر لي بعض أصحابه أنه كان واقفا هو وصاحب الترجمة (هنالك يبيع الكرنينة)[26]، فقال صاحب الكرنينة: يا صاحب الشيخ، من هاذا الذي معك؟ فقال له: هاذا شريف ومرابط. فدفع له قبضة من الكرنينة، وقال لي: هاذه تقبلها مني لوجه النبي ﷺ. فقال له، صاحب الترجمة: بحقها والله حتى أعطيك حقها. وإن سألت عن دارنا، فهي في الحومة الفلانية، فجئ إليها، واسأل عن دار المهدي بن الطيب. قال: فلما باع الرجل كرنينته، وخرج للبادية. فلما بلغ واديا، نزل عن حماره، وأراد أن يقضي حاجته، فترك الحمار يرعى، واستخلى برأسه، فهو على تلك الحالة، إذ بان له شقف آنية بالأرض مدفونة، فقضى حاجته، وأخذ قادومه من الشواري الذي على الحمار، وحفر على تلك الآنية، فوجد كنبورة مملوءة بالدراهم، فرفعها على الحمار، وذهب بها لخيمته. فقالت له امرأته: من أين لك هاذا؟ فقال لها: هاذا رزق من الله، من قبضة قرنينة. فاكتسب الرجل من ذالك الخيمة والفرس والماشية والغنم والبقر، وكان منه ما كان. قال: فنحن يوما جالسون مع الشيخ بداره، وإذا بالرجل العربي ينادي بالباب، فخرجت إليه، فقال لي: قل للشيخ هاذا رب الكرنينة جاء يزورك لله. فخرج الشيخ عنده، وذكر له الحكاية. وقال له: يا سيدي هاذا حولي جئت به لك، فاقبله مني لله. فأدخلناه للدار.

أخذ، رحمه الله، عن الشيخ مولاي الطيب، ولقي مولاي قاسم بن رحمون ﷺ.
وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة سبع وخمسين ومائة وألف، ودفن بداره بجزاء بن برقوقة.

[محمد الشلوشي]

وتاسعهم: أخوه الشريف الأجل، المرابط الأفضل، أبو محمد بن مولاي عبد الله اليونسي الشلوشي، رحمه الله تعالى، صاحب السمت الحسن، والخلق الحسن، سني المذهب، خامل الذكر، قليل الكلام إلا فيما يعنيه. وكان، رحمه الله تعالى، تعتريه الأحوال، ويغلبها ولا تغلبه، وتظهر عليه بقرائن أحواله، باحمراره واحمرار عينه، واسترسال العرق على وجهه.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ مولاي الطيب ﷺ، وكان ملازما للشيخ مولاي قاسم بن رحمون، نفعنا الله بهم.

وتوفي، رحمه الله، سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ودفن مع أخيه مولاي المهدي المذكور بداره بجزاء بن برقوقة عودة فاس.

---

[26] كذا، لعله ساقط كلام، مثل: ورجل هنالك يبيع الكرنينة.

[محمد الطود][27]

وعاشرهم: الشريف المسن البركة أبو عبد الله، سيدي محمد بن علي الطود.

كان، رحمه الله، في ابتداء أمره يخدم الحياكة، وبعد موت مولاي قاسم بن رحمون تجرد عن الصنعة، وتولع بأهل العلم وأهل الخير، والجلوس والاجتماع معهم، والمحبة فيهم وفي جنابهم، والملازمة لكراسي الوعظ وسماع الحديث والتفسير، هاذا مع كثرة الذكر وملازمته، وكثير جلوسه بمسجد القرويين. وكان، رحمه الله، إماما بمسجد زقاق الحجر الذي فوق زاوية الشيخ مولاي قاسم ابن رحمون. وكانت همته عالية عن ما في أيدي الناس مع تجرده وضعفه.

كان، رحمه الله تعالى، يجيء عند العدول، ويقول: السلام عليكم يابن الزنطار، يابن الرجل، أحمد الله على هاذه الحلة التي كساك، ولو كساك غيرها ماذا كنت تصنع؟

وكان، رحمه الله، يأتي مجلس الحاكم ويسلم على الحاكم، ويلتفت في أهل الشرطة الواقفين عنده، ويقول لهم: الله يعاونكم يا إخواننا، فجزاكم الله عنا خيرا، كفيتمونا هاذه المؤنة، ولولا ما كفيتمونا لبتنا نوبتنا فيها.

وكان، رحمه الله تعالى، يقول: لوعرفني الناس لجعلوا على (بولتي أبي القطاطش)[28].

وكان، رحمه الله، يعتمد الشيخ مولاي التهامي بن محمد المذكور. ولقي الشيخ مولاي الطيب بن محمد، رضي الله عنهما، ويزوره مع طائفة الفقراء ومع الشيخ مولاي قاسم بن رحمون ﷺ. ويقول لمولاي الطيب ولمولاي قاسم: ما أنا بتلميذكما، وإنما أنا أخوكما في الشيخ. مع كثرة ملازمته لمولاي قاسم، والاجتماع معه ومع أصحابه .

توفي، رحمه الله تعالى، سنة أربع وتسعين ومائة وألف. ودفن في خارج باب الجيسة، قرب ضريح الشيخ أبي عبد الله التاودي[29] ﷺ. وكانت له خبازة عظيمة حضرها الخاص والعام.

[حمدون الطاهري الجوطي]

الحادي عشر منهم: الشريف الأجل، الفقيه الأفضل، المحدث الصوفي الأكمل، مولاي حمدون الطاهري الحسني الجوطي بن مولاي محمد بن حمدون بن مسعود بن

---

[27] أبو عبدالله، محمد بن علي الطود (-1194هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 147/3.

[28] كذا.

[29] أبو عبدالله، محمد بن يعلى التاودي (-580هـ). ترجمته في: التشوف: 272. المعزى: 179. الروض العطر: 271. الروضة المقصودة: 603/2. سلوة الأنفاس: 136/3. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 240/1، هامش: 1028.

سيدي محمد الضرير بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حد بن طاهر بن محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد المجاهد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن حمود بن يحيى بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى بن قاسم ابن مولانا إدريس الأصغر بن مولانا إدريس الأكبر بن مولانا عبد الله الكامل.

أخذ صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، عن الشيخين المتقدمين، مولاي قاسم بن رحمون ومولاي الطيب، رضي الله عنهما. وقرأ العلم على الشيخين سيدي محمد بن مبارك الفلالي وسيدي محمد جسوس، المتقدم ذكرهما، رضي الله عنهما. وله، رحمه الله، "تقييد"[30] في التعريف بساداتنا أهل وزان، مولاي عبد الله الشريف وأولاده وسلفه ونسبه الديني والطيني، ومن تعلق به، رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين.

توفي صاحب الترجمة، ﷺ، عام خمسة وتسعين ومائة وألف.

[الخياط القادري] [31]

الثاني عشر: الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، المرابط الأكمل، أبو محمد، مولاي الخياط بن المرابط الأرضى، المسن الخير الناسك المرتضى، سيدي محمد القادري، المتقدم ذكره في ترجمة مولاي قاسم بن رحمون، بن الشريف مولاي علال بن سيدي عبد القادر بن علي بن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى بن عبد الله أبي الكرام، موسى الجون بن عبد الله الكامل، رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم آمين.

كان، رحمه الله تعالى، محبا للجناب، معظما له، وكانت تعتريه الأحوال في آخره. وكان يخبر عن أمور غيبية، ومنها ما يكون، ومنها ما يظهر عن بعد. وفي آخره كان يدعي رؤية النبي ﷺ، ومولانا إدريس، نفعنا الله به، والحضور مع أهل الديوان؛ أهل الدائرة والعدد، وأهل الجملة والعساسة وأهل النوبة، نفعنا الله ببركتهم، ونفعنا بمددهم، آمين.

وقف عندي يوما بالحانوت، وعندي جماعة من الناس، فسلم، وقال: الله يعين القائد فيكم. فقال: ومن لنا بالقيادة؟ نحن إلا طلبة مساكين. فقال لواحد منا: أنت والله القائد، ولا بد لك منها. ولاكن والله ما لك خير فيها. وانصرف. وحملنا ذالك على سبيل المزاح. ثم ما مرت أيام قلائل، إلا وكان ذالك الرجل قائدا، ولم تخرج أموره على خير، كما قال، رحمه الله.

---

[30] وعنوانه: " تحفة الإخوان، ببعض مناقب شرفاء وزان". طبع بالمطبعة الحجرية بفاس، سنة 1324هـ.

[31] أبو محمد، الخياط بن محمد القادري (-1187هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 326/1-327.

وكان رجل اسمه سيدي عبد الرحمن الفلالي، أسمر اللون طويل، بإحدى عينيه بياض، معتكفا بمسجد القرويين؛ بسارية لا يبدلها بغيرها، لا تراه عندها إلا قائما يصلي، أو جالسا يذكر الله. بقي على هاذه الحالة مدة، وكان في تلك المدة يضع خبزة يركزها في حيطية المحراب الجديدة، ثم صار يركزها في الحيطية البالية فوق الجديدة، ثم صار يضعها على رأس سارية باب المحراب، ثم رفعها بعد ذالك وجعلها على تعتيب حزام قبة المحراب، إلى أن قحط المطر، عام خمسة وتسعين ومائة وألف، وغلت الأسعار، فبلغ القمح مائة مثقال واحدة للوسق الواحد. والناس في أشد ما يكون من ضيق الحال والدهش من ذالك، إذ لقيني رجل صبيحة نهار عند قنطرة الرصيف، وقال لي: يا فلان، رأيتك صبيحة هاذا اليوم بالقرويين، وأنت في وسط جم غفير من وجوه الناس، وهم جالسون من العنزة إلى الكرسي إقامة الصلاة، وأنت في وسطهم قائم، تقول لرجل منهم، هو أعظمهم عند (كرسي)[32] (الندروسي: يا سيدي،)[33] الناس في ضيق الحال وشدة ما يكون من قلة المطر وغلاء الأسعار، فالله الله سيدي في عتق هاذه الأمة. قال: فإذا بقوم جاءوا من ناحية باب الشماعين، يقدمه رجل كله نور، ففتح الناس لهم، ودخلوا للوسط، ونزلت السكينة على (القوم)[34] كلهم. قال: فقلت لبعض الناس: من هاؤلاء؟ فقال: ذالك الأول مولانا إدريس ودائرته، والذي جاء ثانيا هو سيد الوجود ﷺ. [قال: فقال: مولانا إدريس ﷺ: الحبيب المحبوب، وأشار إليك يا سيدي، إن هاذا الرجل يطلب المطر للناس لما لهم فيه من أشد الحال][35]. فقال له ﷺ: المطر كائن موجود، ولاكن حتى يموت ذالك الرجل. وأشار ﷺ إلى رجل أسمر طويل، بإحدى عينيه بياض. فمهما سمعت من الراوي الوصف المذكور إلا وخطر ببالي السيد عبد الرحمن الفلالي المذكور أولا، صاحب الخبزة، فقلت للراوي: قربت، الرجل قتله الله تعالى.

وافترقنا، ونسيت الخبزة في تلك الساعة، حتى (صلوا)[36] الناس الظهر من ذالك اليوم بالقرويين، وخرجوا، إذا بصوت مولاي الخياط، صاحب الترجمة، خارجا من القرويين، وهو يشتم أقبح الشتم، ويلعن، ويقول: العبد الفاعل التارك، ابن كذا، ابن كذا، هاذه مدة وهو يرفع هاذه الخبزة. حتى وصل عندي للحانوت، فقلت: مع من أنت يا سيدي؟ فقال: إن هاذا العبد الفنسيس الذي في القرويين، هاذه مدة وهو مشتغل برفع الخبزة عن المساكين، بعدما بلغ الغلاء بين الناس ما بلغ، وهو زائد في رفعها وعلوها إلى السماء، فرفعت حربتي هاذه لحربة بيده. قال: وأدخلتها في الخبزة وضربته بها، وحلفت

---

[32] ب: الكرسي.
[33] ب: ساقط.
[34] ب: الناس.
[35] ما بين المعقوفتين ساقط من ب.
[36] كذا. الصواب: صلى.

له: لولا حرمة البيت الذي هو به لأخرجتها من ظهره، والله إن عاد لفعله، لأفعلن به ما قلت. وذهب عني، وهو يكثر اللفظ، حتى غاب عني.

وفي غد أو بعد غد، أنا أفتح الحانوت صباحا، وإذا ببعض الإخوان في الله من الذين يباشرون غسل الموتى، سلم، وقال لي: إن أردت أن تعمل حقك في فعل خير، فاصطحبني لغسل رجل صالح غريب. قلت: من هو؟ قال: الفقيه سيدي عبد الرحمن الفلالي الذي بالقرويين. فقلت: قتله الله، الحمد لله على ذالك. قال: ولم؟ قلت: أردت ذالك، وأراده من هو أحسن مني ومن الناس أجمعين. فلم يخيب الله رجاءنا، ورحم الله العباد بموته. وما فرغ من غسله حتى طلع السحاب من كل ناحية، وما فرغ من دفنه حتى كان المطر ينزل قليلا. وعند صلاة المغرب من ذالك اليوم اشتد المطر جدا، وبات تلك الليلة ينزل، والغد وبعد الغد، ورخص القمح، ونقص نحو الثلاثين مثقالا في الوسق، ومن ثم وهو ينقص إلى أن بلغ اثني عشر مثقالا للوسق، وبلغ في السنة التي بعدها أربعين أوقية.

ولقيت صاحب الترجمة يوما قرب موته صباحا بباب القرويين من ناحية سوق الشهود، وبيده حربته، فسلمت عليه، وقال لي: والله ما جاء بي من هاذا السوق حاجة إلا لأنظرك. وقال: إني مغلوب علي، اتركني أمشي، قبل أن أمشي محمولا. قلت: وأين كنت؟ وكيف هو صاحبك؟ يعني حاكم البلد، كان مريضا. فقال لي: علي الحرام، غير إما أن أقدمه أمامي، أو يقدمني أمامه. وانصرف عني. وما بلغ داره حتى سقط في الطريق، وبلغوه محمولا على الأكتاف، وسقط لسانه من حينه، وكان ذالك يوم الثلاثاء.

ودخلت عليه أعوده يوم الجمعة بعده مع بعض الفقراء، وهو على تلك الحال، يفهم ويعقل ويرد بالإشارة. ومن الغد أصبحت جنازة القائد. ويوم تفريق جنازة القائد، أصبحت جنازة الشريف، صاحب الترجمة. ودفن بروضة والده سيدي محمد برأس الجنان عام سبعة وتسعين ومائة وألف، وكانت جنازة عظيمة حفيلة، وكنت المباشر لغسله.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ مولاي الطيب، وعن الشيخ مولانا قاسم بن رحمون. ولقي بعدهما الشيخ مولاي أحمد بن الطيب، وولده سيدي علي بن أحمد، الموجود الآن ﷺ، وأمدنا من مددهم آمين.

[مسعود بن جلول]

الثالث عشر: المرابط الأرضى، المسن البركة المرتضى، الخير الناسك، الخامل المتجرد السالك، المحب، سيدي مسعود بن جلول، القاطن بمكناسة الزيتون، عام تسعة وستين مائة وألف.

كان، رحمه الله تعالى، سنيا ذاكرا، محبا صادقا، ذا أخلاق كريمة، وتواضع لله وللعباد، وخشوع وخضوع، ممن تعتريه الأحوال، وتظهر عليه، ذو جد وهيبة، ويخبر عن

أشياء في حال سكره، وينكر في حال صحوه. وكان، رحمه الله، متقشفا، متجردا عن الدنيا وأهلها وأسبابها، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، زوارا للصالحين؛ الأحياء منهم والأموات، وله خبرة بمقابرهم، حتى كان، رحمه الله تعالى، ما دخلت مكناسة قط في حياته وسلمت عليه، إلا وقبضني من يدي في الحين، ويمر بي، يطوف بي على جميع من في مكناسة، داخلها وخارجها، من الأموات والأحياء، ولا يفارقني طول مقامي هناك، ليلا ونهارا. وإذا ورد، رحمه الله تعالى، علينا لفاس لا يلتفت حتى يصل إلى دارنا وينادي علي، فإن وجدني، وإلا فليقل لأهل الدار: إذا جاء قولوا له، إن مسعودا جاء ساعيا لأبوابكم.

وكان، رحمه الله، كلما دخل دارنا لا يخرج منها إلا وهو يقول: هذي الدار، دار الله، ومواليها عبيد الله، عمرها يارب بجاه رسول الله ﷺ.

كان، رحمه الله، يعتمد الشيخين؛ مولاي التهامي وأخاه مولاي الطيب، رضي الله عنهما، ونفعنا بهم آمين.

[أبو عز الحزماري]

الرابع عشر: المرابط الأرضى، المسن البركة المرتضى، مقدم الفقراء التهاميين بزاوية مكناسة الزيتون، عمرها الله. كان، رحمه الله تعالى، (رجلا جدا)[37]، صامتا إلا عن ذكر الله، سيدي أبي عز الحزماري.

لقيته، رحمه الله، واجتمعت معه، فوجدته خيرا دينا ناسكا، متمسكا بالسنة، غريقا في بحر محبة النبي ﷺ وأهل بيته، عازلا عن الدنيا وأهلها. وكان، رحمه الله، ذا مائدة للضيفان هاربا بنفسه، ولا ينسب لها شيئا، غالبا عليها.

أخذ، رحمه الله، عن الشيخ مولاي التهامي وأخيه مولاي الطيب، ولقي مولاي أحمد بن الطيب، ولقي مولاي قاسم بن رحمون، رضي الله عن جميعهم آمين. توفي، رحمه الله، عن مئة سنة ونيف، عام ثمانية وتسعين ومائة وألف.

[الحاج التواتي]

الخامس عشر: المرابط السالك، المجذوب الخامل المتقشف، أبو عبد الله، سيدي الحاج محمد التواتي، به عرف.

كان، رحمه الله، قاطنا بالقصبة القديمة. كان، رحمه الله، ذا أحوال ربانية، جل أحواله الجذب، حتى كان ينخرس لسانه حتى لا ينطق قط. وكان يطوف بحرم مولانا إدريس، رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به، سبعا صباحا، وسبعا مساء. يخرج من باب

[37] كذا.

البراطليين، ويجوز على الشماعين للعدول، ويدخل على العطارين، ويجوز على الفخارين، ويدخل الحرم على باب الملاحين، ويخرج من باب البراطليين، حتى يفي بسبع مرات في الصباح وسبعا في المساء. وحين يفرغ من السبع، مساء أو صباحا، يجلس مع السعاة الذين هنالك. هاذا كان دأبه وعادته، رحمة الله عليه، إلى أن توفي على ذالك. وكان، رحمه الله تعالى، يشير بإشارات تدل على أنه بدليا، ويخبر بأخبار سماوية وأخبار أرضية.

وكانت له زوجة طيبة العشرة، دينة صالحة، كريمة الأخلاق . كان، رحمه الله تعالى، يدعي أنها السبب في ربحه، وكانت تدعي في حياته وبعد موته أنه هو السبب في ربحها.

توفي، رحمه الله تعالى، عام ثلاثة وثمانين ومائة وألف. ودفن خارج باب الشريعة، المعروفة بباب المحروق، قرب الشيخ الإمام، أبي بكر بن العربي[38] ﷺ. وتوفيت زوجته بعده بأيام، ودفنت بإزائه، رحمة الله عليهما، وكانت له جنازة كبيرة.

وكان، رحمه الله تعالى، يعتمد الشيخ الكامل، مولاي الطيب بن محمد، نفعنا الله بهم.

[عبد الله مرجان الصحراوي التواتي] [39]

السادس عشر: الفقير المرابط، الخير الدين، المتقشف الخامل، الموجود الآن[40] مقعدا في بحر الله تعالى بداره، أبو محمد، عبد الله، المدعو المعروف بمرجان الصحراوي التواتي.

كان في ابتداء أمره يخدم بالأجرة في موقف الفواسين الذين يخدمون في الجنة والبحائر، وكان يترافق مع الفقراء؛ أهل الصحراء لزيارة الشيخ مولاي الطيب في كل عام. ثم ولعه الله بجزء من القرآن وقع بيده، فيه سبعة أجزاء، من الرحمان إلى الختم، فكان يقرؤه بعد مجيئه من خدمته، وفي اليوم الذي تبطل فيه الخدمة من أجل مطر أو مرض يكون ذالك الجزء هو خدمته. ثم تولع معه بقراءة دلائل الخيرات، وواجر على كتابته، حتى كتب له. فكان، رحمه الله، لا يفتر لسانه عن الذكر، وقراءة القرآن، ودلائل الخيرات، حاضيا لأوقاته الخمسة، محافظا عليها جدا. ويصوم مع هاذا كثيرا، ولا يحب كثرة الكلام إلا فيما يعني، حتى صار يرفع على الناس في البحائر، وهو على حالته لم يفارقها. وكان عنده مرض مصحوب دائما يفتح له في رجليه، وبقي به كذالك مدة طويلة

---

[38] أبو بكر، محمد بن العربي المعافري الاشبيلي (-543هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:72/1، هامش: 205.

[39] أبو محمد، عبدالله مرجان الصحراوي التواتي (-1206هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 387/3.

وهو لا يبالي به، حتى أقعد بداره هاذه مدة، وبقي كذالك إلى الآن مقعدا، مواظبا على خدمته، وكبر سنه جدا. وتوفي، رحمه الله، على تلك الحالة عام ستة ومائتين وألف.

[علي الجوواري التواتي]

السابع عشر: الفقير المرابط، الخير الأرضى، براح الصالحين في حينه ووقته، وخديم الأشراف والعلماء والمحبين، أبو الحسن، سيدي علي، الجوواري أصلا، الشهير بالتواتي، الموجود الآن.

كان أولا قاطنا بفاس العليا، والآن بفاس الإدريسية. صاحب أحوال ومكاشفات وأخبار بمغيبات، وفي الفترة ينادي في الأسواق بالإشارات، ولا ينسب شيئا من ذالك لنفسه، لا سكرا ولا صحوا، وإنما يدعي الأمر والمشورة لمولانا إدريس، نفعنا الله به، ويحب العلماء (ويساررهم خصوصا عن الغير) [41].

وله كرامات عديدة:

منها: أني كنت يوما ذاهبا لمولانا إدريس عند الظهر، ولقيت بعض الإخوان، فدفع لي حائكا كان لي عنده يفتل هدوبه، فقبضته منه، وجعلته تحت يدي، وذهبت لمولانا إدريس، وجعلت الحائك تحت جنبي على الكرسي. ولما فرغت من القراءة وانصرفت، نسيت الحائك على الكرسي، حتى كنت في أثناء الطريق، ذكرت الحائك، ورجعت للكرسي، فلم أجد الحائك. فسألت الجالسين، فأشاروا إلى فلان، قام ورأيناه أخذ شيئا من الكرسي، وتبعك إلى القبة. وتبعته إلى القبة فلم أجده، وسرت إلى داره فلم أجده. ورجعت إلى مولانا إدريس، فسألني بعض الأدارسة: ما لك؟ فقلت لهم: خصني فلان. فقال لي: إنه رآك وتستر منك بزنقة الوادي. فدخلت الزنقة، فوجدته بها، وأنكرني أولا ما أخذ حائكا ولا رآه. ثم أخرجه ثانيا من بين ثيابه ولحمه، فأخذته وانصرفت.

ولما صلينا المغرب بمسجد سيدي أبي الشتاء من حارة قيس من ذالك اليوم، لقيت ممن صلى معنا رجلين شريفين منسوبين، رجلا وولده، وقال لي: إن سيدي علي، صاحب الترجمة، يسلم عليك. طلعنا لفاس العليا، ولقيناه عند سيدي محمد مجبر[42]، نفعنا الله به، وهو مهول في غاية الهول. فتعرضنا له، وطلبناه في الشتاء، وقلنا له: الله الله سيدي علي. فقال: الشتاء عند الله، وما عند الله غير بعيد، وما أنا الآن في الشتاء، وإنما الآن في كساء الفقيه عباها الوادي، ونحن كساء الفقيه لا نجوزها. وانصرف إلى وادي سيدي مجبر، وهو يقول: الله الله العوامة، حائك الفقيه ما يمشي. فكانا يحكيان لي، وأنا غلبني الضحك،

---

[40] كأن المؤلف كتب ترجمته في حياته، أي في سنة 1206ه أو ما قبلها، ثم بعد ذالك وفاته أضاف لها تاريخ وفاته.

[41] ب: ساقط.

[42] محمد مجبر . ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 326-328.

فجعلت أضحك من قولهما حتى قالا لي: ولم تضحك؟ فقلت لهما: أضحك من الحائك حائكي، وذهب لي عند الظهر، ورجع لي من فضل الله وغارة الأجواد، وقصصت عليهما ما جرى وكيف جرى.

ولقيته صباح يوم الخميس، وأنا طالع بالشناكين وهو نازل، فسلمت عليه، ورد علي، وقال لي: يا فلان، أين نصيبي من رؤيتك التي رأيت في هاذه الليلة؟ وكنت رأيت رؤيا بعد صبح صلاة ذالك اليوم، ورأيته فيها، فأشار لي إلى ذالك. والرؤية نفسها هي في كتابنا "روضة البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ بن عبد الرحمن"[43].

ودخل علي يوما يعودني في مرض مرضته، وعندي جماعة من الفقراء الإخوان في الله، وفيهم الفقيه الأجل، سيدي محمد بن الشيخ العلامة، سيدي محمد بن عبد السلام بناني[44]، مقدم الفقراء الناصريين، فقال صاحب الترجمة للفقيه المقدم المذكور: ادع لنا. فقال له الفقيه: وأنت صاحب السادات أهل وزان، ادع لنا. وتشابكا. ثم أدخل المقدم الفقيه المذكور يده تحته، وأخرج ثلاث ثمرات، فقال له صاحب الترجمة: أنت أصحابك في بلاد النخل، وأنا أصحابي ليس في بلادهم نخل، وإنما في بلادهم الريحان والغابة. ثم حث بيديه حثوة من الهواء وأفرغها بيننا، فوجدناها تمرا بوسكرية ذرارية طرية الجني من عرجونها، ففرقت على الحاضرين كلهم. ووقعت في تلك الساعة نفحة عظيمة ربانية، وعمرت عند ذالك أسواق، حتى تجرد بعض الفقراء من ثيابه، حتى بقي في السراويل، وحلف بالحرام لا لبسهم قط، ولا رجعوا إليه، ولا لملكه، وفوض للفقراء فيهم يبيعونهم بثمنهم ما يظهر لهم، أو يفرقونهم بوجههم على من يستحقهم، ففعلوا ذالك. وبعث مع ولده إلى داره، فجاءه بثياب أخرى فلبسها. وطلب في تلك الساعة منهم أن يشتري دارا يسكن بها تكون ملكه، وقال: طلع في رأسي الكراء. فرفعوا أيديهم للفاتحة، وطلبوا له من الله ما طلب. فوالله ما كمل شهرين، حتى اشترى دويرة بالدرب الطويل، وسكن فيها. وبعد ذالك بسنة ونحوها، اشترى دارا أكبر وأحسن، وزوج فيها ولده.

وجاء، صاحب الترجمة، يوما للعدول عشية، وقال لي: إن هاذا القاضي اتفقوا على عزله فعزلوه. وهل يليق فلان الآخر؟ فقلت: إذا أراد الله به يليق، يليق. وجعل يعرض علي: فلانا يليق، فلانا يليق. وأنا أقول له: الله تعالى يختر للمسلمين ما فيه الخير والصلاح. ثم بعد ذالك بأيام عزل ذالك القاضي، وتولى القضاء غيره. وآل الأمر بعد ذالك أن تولى القضاء كل من عرضه علي، واحدا بعد واحد.

ولما مات السلطان سيدي محمد بن عبد الله[45]، رحمه الله تعالى، وبايع الناس ولده مولاي اليزيد، جعل صاحب الترجمة كلما جاء عندي أولقيني إلا يؤكد علي، ويقول: إياك أن تكتب الصداق، فإن أهلها لم يرضوا الزوْج. بقي كذالك حتى توفي، رحمة الله عليه،

---

[43] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 390د. الخزانة الحسنية بالرباط: 13964.
[44] محمد بن محمد بن عبدالسلام بناني (-1182هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 157/1-158.
[45] محمد بن عبدالله (السلطان العلوي) (-1204هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:89/1، هامش: 302.

وتولى الأمر بعده أخوه مولاي سليمان. ولما بايعه الناس جاء عندي، وقال لي: كتبت الصداق؟ قلت: لا. قال: لا تكتب فإن أخوالها لم يرضوا. فقلت له: الأخوال ليس لهم حق في المعطى ولا كلام، وإنما المعطى لأهلها. فقال لي: أنا ماش نقول ما قلت لي. قلت: قل.

وكان، صاحب الترجمة، في ابتداء أمره إنما ينادي ويبرح في الأسواق بمولاي إبراهيم الشريف، دفين الرباط؛ رباط الفتح، وفي النسبة ينسب للسادات أهل وزان في الجملة ﷺ، ويدعى المشورة لمولانا إدريس، رضي الله تعالى عن جميعهم، ونفعنا بمحبتهم، وأمدنا بمددهم بجاه صاحب الجاه، سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ.

الطـــائــفـــة الـــرابـــعـــة

[طائفة ابن الفقيه]

وهي فرع من الطائفة التي قبلها أصلا وفرعا ومددا.

[محمد ابن الفقيه]

وهم أصحاب الشيخ الإمام، القطب الهمام، العارف بالله والدال على الله، مولاي صاحب الكرامات الظاهرة، والخوارق الباهرة، والأحوال الربانية، والمواهب اللدنية، أبي عبد الله، سيدي محمد، شهر بابن الفقيه، نجل الشيخ الحسن بن العافية المصمودي، من قبيلة مصمودة، الزجني، دفين أزجن من أحواز وزان. هاكذا ذكره بعض المؤلفين من أهل هاذه الطريقة.

وذكر تلميذ الشيخ، الفقيه الاستاذ، الجامع العشر، الواعظ، سيدي عبد الله بن محمد بن يخلف[1] الأندلسي الأنصاري، الآتي ذكره، في تأليف له[2] ألفه في التعريف بشيخه، صاحب الترجمة، وبكراماته، قال، رحمه الله تعالى: اعلم، رحمك الله، أن الشيخ ﷺ شريف النسب، عظيم الجاه، نسبه مشهور، يشهد به الخاص والعام من أهل بلده وجيرانه، وقد سمعنا ذالك منهم مرة بعد مرة، وهو من أولاد ابن عمر، يكني بذالك. وأما لقبه بابن الفقيه فلأجل جده؛ أبي أبيه، كان أستاذا، وكان يقرأ عليه الجم الغفير، حتى أنهم لا يقولون له إلا الفقيه، فلقب أولاده به، وأولاد عمه إلى الآن يكنون بأولاد ابن عمر. وكان جده بجزيرة الأندلس، حتى خرج من خرج منهم، واستوطن غمارة، كما هو عند غير واحد من المؤرخين، كالمقري[3] التلمساني، وابن خلدون[4]، والسيوطي في الأنساب، فكان من جملة من ذكروا أولاد مولاي عمر بن إدريس.

وقال: إنهم بني عمران من غمارة، وكانوا معظمين معتزين إلى أن أراد الله تعالى انتقالهم منها، فخرج الشيخ، الولي الكبير، والغوث الشهير، سيدي أحمد بن عمر،

---

[1] عبدالله بن محمد بن يخلف (-1162هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 67/4. التقاط الدرر: 409. سلوة الأنفاس: 337/1-339.

[2] وعنوان الكتاب: "سلوة المحبين والمريدين، ونكاية الحاسدين والجاحدين، في مناقب سيدي محمد بن الفقيه، أحد الأفراد العارفين". مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 4643 د.

[3] أبو عبدالله محمد المقري (-858هـ). ترجمته في: نيل الابتهاج:420-427. الفكر السامي:305/2. سلوة الأنفاس:346/3-347.

[4] عبدالرحمان ابن خلدون (-808هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:51/1، هامش:115.

ونزل مصمودة؛ بمدشر قرب زاجن، يقال له مدشر ابن عمر، سمي بذالك لنزوله فيه، وهو الآن خال. ثم انتقل سيدي أحمد المذكور منه إلى زاجن واستوطنه إلى أن مات به، نفعنا الله ببركاته، ودفن به. وقبره هناك مشهور، عليه هيبة عظيمة. وترك ولدا اسمه سيدي العافية، وكان وليا كبيرا، وغوثا شهيرا، تأتيه الركبان من كل ناحية، ثم مات ﷺ، ودفن قرب أبيه في موضع ذي أشجار. وترك أولادا ثلاثة: سيدي الحسن، وسيدي عبد الله، وسيدي عمر، وكانوا كلهم أولياء صالحون، ﷺ.

قال: والشيخ سيدي محمد – يعني صاحب الترجمة ﷺ– من أولاد سيدي عبد الله لا من أولاد سيدي الحسن كما يتوهم الناس، وإنما هو: سيدي محمد بن محمد بن الفقيه الأستاذ سيدي محمد، المكنى به، ابن سيدي عيسى بن سيدي عبد الله، المتبرك به حيا وميتا، سيدي العافية بن الولي الصالح، الساعي في المصالح، سيدي أحمد بن سيدي عمر بن سيدي أحمد بن سيدي علي بن سيدي أحمد بن سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سيدي إدريس، العالي بالله، بن سيدي يحيى، المتعالي بالله، بن سيدي عبد الله بن مولانا عمر بن مولانا إدريس الأصغر بن مولانا إدريس الأكبر. قال المؤلف سيدي عبد الله، رحمه الله تعالى: هاكذا سرد الشيخ سيدي محمد ﷺ أجداده بمحضرنا، وذالك حين تزوج الشريفة، السيدة فاطمة بنت الشريف المعظم، مولاي عبد الهادي الإدريسي، الشهير بالكتاني، وحضر العدلان، الفقيه الأجل، سيدي محمد بن أحمد التماق[5]، والفقيه العدل، سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير[6]، لكتب الصداق، فقالا: إنا لا نعرف اسم أبي الشيخ ولا نسبه. فقام الشيخ، وكان بعيدا منهما، بحيث لا يسمع كلامهما، وقال: والله إني لولده وعبده، ثلاث مرات، والله إني لمحمد بن محمد بن محمد بن عيسى فلان بن فلان، إلى أن بلغ إلى مولانا على بن أبي طالب، كرم الله وجهه، كما ذكر، وسكت. قلت: ووقفت على الصداق المذكور بخط من ذكر بالعمود المذكور مبلغا.

قال المؤلف سيدي عبد الله، رحمه الله تعالى: ورأيت شجرة قديمة كتبت عام أربعة وسبعين وتسعمائة مذكور فيها شرفاء الجبل، فكان من جملة ما ذكر أولاد مولاي عمر بن إدريس، وقال: إنهم تشعبوا في القبائل في بني جرفط، وفي زيلة[7]، وفي زاجن؛ قرية مصمودة، نزلها منهم سيدي أحمد بن عمر، وفي جزولة كتبت عليها قضاة الوقت، وعلماء بني حسان، وغمارة، والأخماس، وبني مسارة، ومصمودة بصحتها وصحة ما فيها. قال، رحمه الله: ورأيت أصدقة آباء الشيخ وأجداده ومنها ما ينيف على المائتين بهاذه السلسلة المذكورة.

---

[5] محمد بن أحمد التماق (-1151هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 4/213-214. الروضة المقصودة: 1/286-290. سلوة الأنفاس: 2/140-141. مؤرخوالشرفاء: 238.

[6] محمد بن عبدالوهاب الوزير (-1146هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 2/236. التقاط الدرر: 360. سلوة الأنفاس: 2/337-338.

[7] مدينة أصيلة حاليا.

وفي "التحفة الصديقية"[8] لما ذكر الشيخ سيدي عمرو الخطاب؛ دفين زرهون، قال: أخذ عنه الشيخ الكبير سيدي الحسن بن العافية بزاجن من مصمودة، شريف النسب حسني. قال عبد الله: وكتبته من خط المؤلف. قال: وحضرت ذات يوم مع العلامة القاضي، سيدي الحسن الزغلي الحسني العمراني، وقلت له: أردت من الله ثم منك أن تعرفني أمر الشيخ؟ فقال: هو بمصمودة، وأصله من بني عمران، شريف النسب، من أولاد ابن عمر، يكون بذالك من ذرية مولانا عمر بن إدريس. قال: فقلت له: نسبه مشهور؟ فقال: ما سمعنا أحدا يطعن فيه، ولا زالت دورهم عندنا تعرف بدور الشرفاء، ولقبه بابن الفقيه محدث، ودارهم دار علم وصلاح، لا يخلو زمان عن ولي منهم، كلما مات واحد خلفه آخر، لا يخلو من مقرئ منهم يحفظ العشر أو قراءة السبعة. قال: هاكذا سمعت أبي وغيره ممن أدركت يقول. انتهى.

ووقف كاتبه على مكاتب أربعة بخط يد الشيخ ﷺ، مطلعها واحد، وكل واحد منهم لأحد، نص كل منها: "الحمد لله، وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، وفي بعضها البسملة عوض، الحمد لله، عن عبد الله تعالى، أفقر الورى إلى مولاه، الراجي عفوه وغفرانه، محمد بن الفقيه ابن العافية الشريف الحسني"، وزاد في واحد منها "العمري"، يعني من أولاد عمر بن إدريس، نفعنا الله بهم، آمين.

ووقف على تأليف له يقول: "العبد الفقير إلى الله تعالى، محمد بن الفقيه ابن أبي العافية، الشريف الحسني الزجني، غفر الله له بمنه آمين".

ووجدت تاريخا مكتوبا عند رأسه منظوما، مشتملا على نسبه الديني والطيني وتاريخ وفاته ﷺ، كل ذالك منقوش في الخشب، نصه بعد الحمد لله وحده:

حَمْــدًا لِمَــنْ أَكْــرَمَ بِالْوِلاَيَــة ... مَــنْ سَـبَقَتْ مِنْــهُ لَهُــمْ عِنَايَــة

وَهُــمْ مَــنِ ارْتَــضَاهُمْ لِقُرْبِــهِ ... وَخَــصَّهُمْ سُــبْحَانَهُ بِحُبِّــهِ

قُلُــوبَهُمْ قَــدْ أَوْدَعَ الأَنْــوَارَا ... فَنُــوِّرَتْ وَمُلِئَــتْ أَسْــرَارَا

وَبِالْكَرَامَاتِ حَبَاهُمْ فِــي الْــوَرَي ... وَفَــضْلُهُ عَلَــى الْجَمِيــعِ أَظْهَــرَا

وَالْكُلُّ مِنْ رَسُولِهِ الْهَادِي الْكَــرِيمِ ... نَالُوا الذي نَالُوا مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِــيمِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْــهِ مَــا دَامَ الــدَّوَام ... وَآلِــهِ وَصَحْــبِهِ الْغُــرِّ الْكِــرَام

وَرَضِــيَ اللهُ عَــنِ الآلِ اهْتَــدَوْا ... وَبِالرَّسُــولِ وَالــصَّحَابَةِ اقْتَــدَوْا

وَمِــنْهُمْ هَــاذَا الْــوَلِيُّ الــصَّالِحُ ... الْمُرْتَضَى الأَسْمَى الزَّكِيُّ النَّاصِــحُ

[8] تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية، لمحمد المهدي الفاسي (1109هـ). مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 2990ط.

السَّيِّدُ الشَّرِيفُ ذُو الجَدِّ السَّنِي ... مُحَمَّدٌ ابْنُ الْفَقِيهِ الْحَسَنِي

الْمُعَدُ الزَّجْنِي وَابْنُ الْعَافِيَة ... شُهْرَتُهُ فِي النَّاسِ وَهِيَ كَافِيَة

أُخَذَ عَنْ مَوْلاَيَ عبد الله ... وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ سَامِي الْجَاه

عَنْ سِيدِي عَلِي بْنُ أَحْمَدَ عَنْ ... مَنْ حَازَ مِنْ مَوْلاَهُ أَعْظَمَ الْمِنَنْ

قُطْبُ الزَّمَانِ الْعَارِفِ الرَّبَّانِي ... عبد الإِلاَهِ سَيِّدِي الْغَزْوَانِي

وَذَا الْوَلِيُّ حَبَّذَا نِعْمَ الْوَلِي ... مَضَى لِسَبْعٍ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ

بَعْدَ زَوَالِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ بِعَلَم ... (.......)[9] مَعَهَا (...)[10]

وَعَنْهُ مَنْ أَذَاعَ بَعْضَ الأَصْحَاب ... كَانَ يَقُولُ هُوَ قُطْبُ الأَقْطَاب

وَاللهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ الغَايَة ... وَفَضْلُ رَبِّي مَا لَهُ نِهَايَة

كان، رحمه الله تعالى، عالما عاملا، عارفا سالكا مجدوبا، من أهل الأسرار الوهبية، والعناية الربانية، والأحوال والمواجد المحمدية. فكان ﷺ يخبر بأخبار السماوات والأرضين وما فيهن، وعلى المقامات العرفانية، وعن مواقع البر والبحر، قريب السرخة لمن يستغيث به، ومن أهل الخطوة، لا يبعد عليه شيء.

أخذ ﷺ عن الشيخ الرباني، القطب النوراني، صاحب الكرامات العديدة، والمآثر الفريدة، مولانا عبد الله الشريف العلمي اليملحي الحسني الوزاني، نفعنا الله به، المتقدم ذكره، في الترجمة قبل هاذه، كما روى عن الشريفة الجليلة، السيدة زهراء العلمية، زوجة الشيخ، عن أم الشيخ ﷺ أنها قالت لها: إن الشيخ سيدي محمد مات أبوه وتركه صغيرا لا يعقل، ثم لما ميز أدخلته المكتب عند رجل صالح كان عندنا بزاجن، وبقي عنده، في حديث طويل، إلى أن لقي الشيخ مولانا عبد الله الشريف.

قال بعض المؤرخين: أخذ الشيخ سيدي محمد بن الفقيه ﷺ عن الشيخ مولانا عبد الله الشريف ﷺ ونفعنا به، رباه من صغره، وكان يأتيه من قرية زاجن إلى وزان، فيصلي فيها الصبح مع الشيخ كل يوم، ويبقى معه في خدمته إلى أن يصلي معه العشاء، ويروح إلى منزله عند أمه. وكانت أمه تخاف عليه لذهابه وإيابه ليلا، فجاءت إلى الشيخ مولانا عبد الله ﷺ، وقالت له: يا سيدي، إن ولدي صغير، ويأتيك ليلا، ويأتي من عندك ليلا، وأنا

---

[9] أ، ج: بياض.

[10] أ، ج: بياض. الشطر الثاني ساقط من ب.

أخاف عليه من الليل. فقال لها الشيخ ﷺ: إن جاء لا يخاف، وإن خاف لا يجيء، فتركته، واستأمنت عليه.

ولم يزل في خدمة الشيخ، هو والشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي، إلى أن توفي الشيخ مولانا عبد الله الشريف ﷺ، وولى بعده ولده سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عن جميعهم، وسقانا من مددهم.

وتوفي الشيخ سيدي محمد بن الفقيه ﷺ يوم الاثنين عند الزوال، السابع من ربيع الأول سنة ست وثلاثين ومائة، حسبما هو في القصيدة المتقدمة، وكما ذكره الغير، ودفن ﷺ بزاويته بعقبة العيون، التي (يجتمعون)[11] فيها أصحابه إلى الآن.

كان، رحمه الله تعالى، من أكابر الأولياء، وانتفع على يده خلق كثير، في حياته وبعد مماته.

[كرامات محمد ابن الفقيه]

وله كرامات كثيرة مشهورة، ومآثر مأثورة:

منها ما روي عن الشيخ مولاي قاسم بن رحمون، رحمه الله تعالى، قال: خرجنا لزيارة وزان، وعند الخروج طلعت للمنية أسفل طالعة فاس، عند أخينا سيدي عبد الله الخياط لأخذ دابة، فوجدت بباب المنية سيدي التهامي، ولد أخي سيدي عبد المالك، من شرفاء مصمودة، فناولني ثمرة أو ثمرتين، وقال لي: خذ هاذه من زاد سيدي مالك للبركة. قال: فجعلتها في جيبي وأنا على سفر، وسرنا. فلما وصلنا وزان، ونزلنا واسترحنا، دخلت لزواوة، ونزعت ثيابي لأفليها[12]، فوقعت (يدي)[13] على تلك الثمرة فأكلتها. فلما وصلت جوفي، سقطت إلى الأرض، ولم تبق لي حركة، إلا أن عقلي يعي. (فافتقدوني)[14] الإخوان، وطلبوني فوجدوني على تلك الحال لا أستطيع الكلام، فحملوني إلى الخباء، ولم يعلموا بي.

وبلغ الخبر للشيخ مولاي التهامي ﷺ ونفعنا به، فجاء عندي، وجلس عند رأسي، وقال: هاذا الرجل مسموم. انظروا سيدي محمد بن الفقيه. وكان من عاداتهم إذا أرادوا حضوره، وقفوا على تل بباب روضة الشيخ مولانا عبد الله الشريف، ويقول الواقف: يا سيدي محمد ابن الفقيه أقبل، فإن مولاي التهامي يدعوك. فجاء سيدي محمد ابن الفقيه، فقال له مولاي التهامي: الله الله سيدي محمد، انظر ما بأخيك، ولعله مسموم فداوه. فخرج

---

11 كذا، والصواب: يجتمع.

12 أفليها: كلمة دارجة مغربية، ومعناها: تنقية الثوب من القمل خاصة. وهاذا تأريخ للصحة والطب بالمغرب في ذالك الوقت.

13 ب: بيدي.

14 كذا. الصواب: فافتقدني.

سيدي محمد من الخباء، هو والسيد عبد الله الخياط والمسن السيد محمد البوري العشاب، المدعو أبا لحية، فلما خرج سيدي محمد ابن الفقيه من الركب، هوى بيده إلى الأرض، وأخذ قبطة من الربيع، وناولها سيدي محمد البوري المذكور، ورجع إلى الخباء سيدي محمد بن الفقيه ومن معه، وأخذ سيدي محمد بن الفقيه شيئا من ذالك الربيع وجعل يحكه في أسناني، وقال لي: ابلع ريقك. فجعلت أبلع ذالك الريق، وهو يحك ذالك بيده في فمي ساعة. قال رحمه الله: فجرت بطني، وخرجوا عني، حتى أنزلت ما في بطني، ففتحت عيناي، وجلست واسترحت. فقال لهم مولاي التهامي: اسقوه مرق فلوسة، ففعلوا. وشفاني الله تعالى، من بركتهما، في الحين. فقال البوري المذكور، وأنا أملا قربي من تلك الربيعة: هاذا رزق ساقه الله. لأنه كان عشابا بحانوت عطارين فاس.

فخرج البوري، وبيده الربيع الباقي يجمع منه حاجته، فلم يجد منه شيئا. فقال لسيدي محمد ابن الفقيه: يا سيدي، خرجنا معك بالأمس، فأخذت هاذا الربيع من طرف الركب، والآن طلبته في تلك الناحية، فلم أجده. فقال له سيدي محمد ابن الفقيه: مسكين عمي البوري، تلك عشبة لا تنبت إلا بالهند. جاء بها الرجال من سردنيب، وداووا بها أخاهم. قال: فجاء البوري بالباقية، وباعها لمن سم باثني عشر أوقية أو نحوها. نفعنا الله بهم وبأشياخهم، وأمدنا من مددهم آمين.

ومنها أيضا ما وقع بينه وبين الشيخ العارف بالله، العلامة سيدي محمد ابن الإمام، سيدي عبد القادر الفاسي ﷺ، وهو أن سيدي محمد بن عبد القادر هاذا كان مقعدا، وقدم سيدي محمد بن الفقيه، صاحب الترجمة، لفاس، وكثر صيته بها، واجتمعت عليه الخلائق، وراموا الشروع في بناء الزاوية أو شرعوا، وسمع به الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر المذكور، وكان مقعدا، فأراد لقاءه والاجتماع معه، فبعث إليه ليجيئ عنده تبركا به، واعتذر له بقعوده. فقبل عذره، وجاء عنده والتقى به، وفرح به سيدي محمد الفاسي وبملاقاته وبدخوله عنده، وجالوا في الكلام بينهما، والشيخ الفاسي يسأله عن المقامات والطريق والمنازل، مقاما مقاما، ومنزلا منزلا، وهو يجيبه عن كل مقام، ويقول: أنا فوق ذالك. حتى سأله عن السماوات والأرض، وعن البحار وما فيها، وهو يجيبه، ويقول: أنا من الأبدال، ومرة أنا من الأجراس، ومرة أنا القطب، ومرة أنا الغوث، حتى قال له سيدي محمد الفاسي: وهل رأيت البحر المكفوف؟ قال: نعم. فقال له: وهل فيه حوتا؟ فقال له سيدي محمد ابن الفقيه: ما رأيت إلا قرينات مثل هاذه. فنظر سيدي محمد الفاسي، فإذا بقرينة على كتفه خضراء، رضي الله تعالى عنهما وأمدنا مما أمدهما به آمين.

ومنها كنت يوما جالسا عند أخ في الله من المنسوبين عليه بحانوت بسوق الرصيف، إذ نزل بي كباس حتى أخذني النوم، ونمت من وراء ظهره، فرأيت في نومتي تلك أن إنسانا أنسيته جاء عندي لتلك الحانوت، وقال لي: إن أردت زيارة الشيخ سيدي محمد ابن الفقيه، فقم معي، فإنه بزاويته في جماعة من أهل الخير يتدبرون أمورا بإذن

من النبي ﷺ. فسرت معه حتى بلغت من الزاوية، فوجدتها عامرة بالناس، والشيخ، رحمه الله تعالى، جالس (عند رأس)[15] قبره، والناس يذكرون الجلالة. ولما رآني، أشار إلي بيده، فبلغت عنده وجلست بين يديه، فقال لي: قل. قلت: وما أقول يا سيدي؟ فقال: أنت قوال، قل. ثم جعل يذكر كلاما. وقال لي: سر مع هاذا الماء. فقلت في الحين وأنا بين يديه:

بِسْمِ الله بْدِيتْ حَلْتِي العَالِمْ مَا فِي سَرِيرْتِي

لاَ حَوْلْ وَلاَ قُوتِي إلاَّ بِحَوْلِ الله

الله الله سِيدِي ابْنِ الفْقِيهْ دَاوِي عبدكْ لله

ثم إن فأرا لدغني في رجلي واستيقظت، والبيت المذكور على لساني، وجعلت أزيد عليه، إلى أن كملت القصيدة من بركته.

وعشية ذالك اليوم، لقيني بعض الشرفاء الدباغين، وقال لي: كنت نائما اليوم نهارا، ورأيتك في جمع كبير من الناس بزاوية، ولاكن ليست بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي. فقلت له: لعلها زاوية سيدي محمد ابن الفقيه، نفعنا الله به. فقال: لعله.

---

[15] ب: ساقط.

فصـــــل

في ذكر من لقيناه من أهل الخير من أصحابه الذين أدركوه وأخذو ا عنه، فتبركنا بهم واجتمعنا معهم، ﷺ

وهم أربعة نفر:

[عبد الله بن محمد بن يخلف] [16]

أولهم: الفقيه الأجل، المؤدب المجود الأفضل، الأستاذ الجامع الأكمل، السني الواعظ الأحفل، أبو محمد، سيدي عبد الله بن محمد بن يخلف الأنصاري، المؤلف المذكور.

كان، رحمه الله تعالى، من أهل القراءات العشر، كثير الصمت، كريم الأخلاق، حسن السمت، ذو حياء وعفاف، وهمة وهيبة، ووقار وسكينة، تعتريه الأحوال الربانية عند الذكر والتذكر والثناء، وعند الصلاة على النبي ﷺ، وكثيرا ما تظهر عليه علامات الخير عند الواردات الوهبية، وتغلب عليه، فيبشر ويخبر، ولا يتبدل حاله إلا إذا غلب عليه ذالك، فيخرج منه ما يخرج.

سلكت عليه، رحمه الله تعالى، بعضا من القرآن العظيم، واغتنمت منه بعض الدعوات، والتمسنا منه بعض البركات.

كان، رحمه الله، يقرئ الصبيان بمكتب باب زنقة الجياد، أعلا حومة البليدة. وكان، رحمه الله تعالى، يؤم الناس في صلاة (تراويح)[17] رمضان بمسجد مولانا إدريس، نفعنا الله به، سنين إلى أن توفي، وتركها لولده سيدي محمد، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

وكان، رحمه الله، يورق كتب الوعظ عند الفجر بمولانا إدريس ﷺ، والتفسير بعد صلاة الصبح عند محراب القرويين، والحلية بظهر صومعة القرويين عند العصر، وكان لقراءته حلاوة، وعليها طلاوة.

توفي، رحمه الله تعالى، أواخر ذي الحجة الحرام متم ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن بزاوية شيخه سيدي محمد ابن الفقيه، وقبره مقابل لشيخه، رضي الله عنهما، ونفعنا بهما.

---

[16] عبدالله بن محمد بن يخلف (-1162هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 67/4. التقاط الدرر: 409. سلوة الأنفاس: 337/1-339.

[17] ب: التراويح في.

[محمد بن عبد الله بن يخلف]

وثانيهم: ولده الفقيه الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد الله المذكور. كان، رحمه الله تعالى، قارئا، حافظا لبعض القراءات، وكان إماما في تراويح رمضان بمولانا إدريس، نفعنا الله به، بعد موت أبيه المذكور. وكان، رحمه الله تعالى، من المحبين في الله، الصادقين في محبتهم، ممن يحب أهل الخير، نقيا خفيا، عفيفا حسيبا، نسيبا زكيا، صالحا ذاكرا لله، وممن تنفعه الذكرى، متواضعا لله ولعباد الله، متواجدا، يحب الاجتماع للذكر والصلاة على النبي ﷺ، ويتواجد عند ذالك، ويظهر ذالك فيه حتى لا يخفى على أحد. وكان، رحمه الله تعالى، تجرد عن كل العلق، وكثيرا ما يتواجد عند ذكر الاسم المفرد وإنشاد المنشدين فيه، حتى كان يغيب الغيبة الطويلة في آخر عمره عند ذالك وعند المذاكرات والوعظ. وكان يحب جميع المنسوبين لهاذه الطريقة والاجتماع بهم، وإذا لقيهم يأبى أن يفارقهم، وظهرت عليه علامات الخير كثيرا في آخر عمره وانتشرت.

وكانت له معه أخوة في الله ومحبة واجتماع في مواطن الخير ليلا ونهارا. وكان، رحمه الله، غريقا في هاذا الفن وأهله، وتقع له الغيبة الطويلة في بعض الأحيان.

توفي، رحمه الله تعالى، أوائل المحرم الحرام فاتح ثمان وثمانين ومئة وألف.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن والده سيدي عبد الله المذكور، ولقي غيره من أهل الخير، نفعنا الله بجميعهم، آمين.

[عبد الرحمان العشاب] [18]

وثالثهم: الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، أبو زيد، سيدي عبد الرحمان ابن المسن البركة، مولاي عزوز العشاب الإدريسي الحسني، الشهير بالكتاني، ابن أحمد بن علي بن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن هادي بن يحيى بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد[19] بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل.

كان، رحمه الله، خاملا متقشفا ذاكرا، ممن ذكر فنفعته الذكرى، ذو أخلاق حسنة، وخشوع وخضوع، يؤثر فيه الذكر والوعظ ويتواجد لذالك، ملازما لكراسي العلم والوعظ

---

[18] أبو زيد، عبدالرحمان بن عزوز العشاب (-1192هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 334/1.

[19] محمد بن إدريس الأكبر (-221هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 88/1-90. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 150/1، هامش: 394.

. وكان، رحمه الله، من أهل الخير والصلاح، ويحب أهل الخير والفلاح. أخذ، رحمه الله، عن الشيخ سيدي محمد ابن الفقيه المذكور آنفا، ﷺ.
وتوفي، رحمه الله تعالى، عن سن عالية عام اثنين وتسعين ومئة وألف.

[محمد اليريول]

ورابعهم: الأبر المسن الخير البركة الذاكر الناسك الخامل، أبو عبد الله سيدي الحاج محمد (اليريول)[20].

كان، رحمه الله تعالى، من أولياء الله تعالى الصالحين، أهل الخفاء، ويتواجد عند الذكر والحضرة، ويظهر ذالك عليه، وكان صامت اللسان من غير الذكر، وعند الحضرة تراه يدور من وراء صفوف الحضرة. وكانت الحضرة يوما بزاوية الشيخ سيدي علي الحجام، نفعنا الله به، وحضر هناك الشيخ، صاحب الترجمة، وطوائف الفقراء، وكنت جالسا خلف الذكارين مع الفقراء الحاضرين، وجعل بعض الأولاد الصغار من الفقراء الراقصين يرقصون، ويخرجون عن الصف، ويسوق بعضهم لبعض باللعب والمزاح، من هز الأكتاف وتنبيذ الصفوف، ويلمز أحدهما الآخر بصدره، كما يفعل السفهاء من أهل الزيغ والفساد، وإذا بسيدي محمد، صاحب الترجمة، جذبني من خلفي، وقال لي: قم إلى ذالك الفعل وانههم عنه. فقلت له: يا سيدي، أنت أولى مني بذالك. ثم أعاد علي ثانيا، ثم ثالثا، ولم أجبه لذالك. ثم أعاد، وجذبني جذبة منكرة حتى سقطت العمامة عن رأسي، ومزق بعض ثيابي، وقال لي: عليه الحرام، لو وصلت إليهم، لا قام واحد منهم على رجليه. فقمت حين سمعت ذالك منهم، وأنا ذاهل العقل، حتى أدخلت رجلي في بعض البنادير وهتكته، ووطيت في المجمار، فهرقته، وبلغت عند الراقصين المذكورين، ونهيتهم عن فعلهم البشيع، فمنهم من قبل ورجع عن فعله وجلس، ومنهم من رجع حياء، ومنهم من جعل يتكلم بكلام قبيح، وخرجت عنهم وأنا ذاهل العقل. وأما الأولاد الراقصون المذكورون فأصابتهم الحمى كلهم؛ حمى عظيمة شديدة من ذالك اليوم، فمنهم من ألزمته الفراش نحو الشهر، ومنهم من ألزمته الفراش نحو الشهرين، ومنهم من ألزمته أكثر. نسأل الله السلامة والعافية، وهاذا من لطف الله تعالى بهم حين خرج لهم ذالك في الحمى ولم يكن زحفا. فهاذا ما شاهدناه وحضرنا له.

قالوا: وعند موته ﷺ ادعى أنه القطب. وليلة موته رأى بعض المنكرين عليه في اليوم وأن الحومة التي بها داره مملوءة بأهل الذمة، وهم يقولون: مات الحزان الليلة. وهي الليلة التي مات سيدي محمد اليريول فيها؛ وذالك عام ثلاثة أوأربعة وثمانين ومئة وألف.

---

[20] ب: ساقط.

الطائفة الخامسة

[الطائفة القاسمية]

[أبو القاسم بن للوشة]

وهم الفقراء، أصحاب الشيخ الكامل، المجذوب خلقة، الواصل، خاتم الأولياء، وقطب الأصفياء، ومسقي الأحياء، وقطيفة المساكين والضعفاء، بحر النور الرباني الساطع، والبرهان القاطع، والكرامات الواضحة الظاهرة، والإمدادات والخوارق الباهرة، أبي عبد الله، سيدي أبي القاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم بن (للوشة)[1] السفياني، الشهير بأبي عسريةﷺ.

حكي أنه أول نشأته، رحمه الله، حسبما سمعناه من الأكابر، وأن والده سيدي أحمد كان يخدم الشيخ أبا عبيد، سيدي مَحمد الشرقي بن أبي القاسم الجابري ﷺ، دفين أبي الجعد من تادلى، وكان يطلب عليه الولد يتزايد عنده، فلما تزايد عنده سيدي قاسم، قال له الشيخ سيدي مَحمد الشرقي: تزايد عندك ولد. قال: نعم. قال: أفلا جئت به؟ قالوا: فذهب والده وجاء به في القماميط، وكانت بين يدي الشيخ سيدي محمد الشرقي قصعة وآنية ماء، فأخذ الشيخ الصبي سيدي قاسم من يد والده وأنزله في تلك القصعة، وجعل يصب عليه الماء من تلك الآنية، ويعركه في القصعة عركا، حتى صار الصبي كالخرقة بين يديه، ووالده ينظر. ثم دفعه لأبيه، وقال له: اعطه لأمه ترضعه. فمضى به أبوه لأمه. ولما استنشق الصبي رائحة أمه انتعش. فقال الحاضرون للشيخ الشرقي: قد أفجعت يا سيدي والدته بما فعلت به، لعله لا يعيش. فقال: يعيش، إن شاء الله. لاكن والله لولا ما فعلته به، لأحرقكم نوره.

توفي سيدي محمد الشرقي ﷺ عن سن عالية أول يوم من المحرم الحرام فاتح عام عشرة وألف.

وأما الولد سيدي قاسم، فإنه نشأ أبله من ذالك العرك. ولما شب وجعل يلعب مع الصبيان في الدوار، جعلوا يضحكون عليه، فيضربهم ويضربونه، ويقع الخصام مع أمه وأهليهم.

وكان أبوه سيدي أحمد سمانا، من السمانة التاجرين في السمن، يسافرون به إلى فاس وغيرها. فلما أراد أن يسافر، قالت له زوجه: إي سيدي قاسم، لا تسافر حتى تسافر

---

[1] ب: ساقط.

بولدك قاسم معك، لأن الدراري يضربونه هنا، وأنا لا أقدر على من يضربه. فسافر أبوه به معه.

ولما بلغ مدينة فاس، وباع سمنه وولده معه، وهو يطوف بالأسواق ليتخلص في سمنه، لقيا الشيخ الكامل، المجذوب الغائب، سيدي يدير بن محمد، نجل الولي الشهير، سيدي سعيد وعمني الجورازي، دفين التيالين بداره من أعلا عين علوا، وهو يقول: من يشتري مني الغرب بخبزة؟ فقال الولد سيدي قاسم لوالده سيدي أحمد: يا أبت، اشتري لي خبزة أعطيها لهاذا المرابط. فاشتراها له، وأعطاها لسيدي يدير، وأخذها منه، وقال له: اشتريت مني. فقال له سيدي قاسم: اشتريت منك. فقال سيدي يدير: وأنا بعت لك والله الموفق والمسخر لك سبحانه. ولما كبر سيدي قاسم وبلغ الحلم ظهر فيه ما ظهر مما هو كائن وظاهر إلى الآن، مما لا يخفى ولا ينكر ولا يجحد.

توفي الشيخ سيدي قاسم بأحروش، ودفن به أول يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب الفرد الحرام سنة سبع وسبعين وألف. ثم نقلوه خفية ليلا إلى وادي أرضم، ودفن هناك في قبته المعلومة. لأنه لما توفي ﷺ، وقع النزاع في دفنه بين قبيلتين من سفيان؛ أهل احروش وأهل ارضم، وبعد دفنه بحروش بكلفة، (نقلوه)[1] أهل ارضم خفية ليلا ودفنوه عندهم. ثم بعد ذالك، فطن به أهل حروش، فطلبوه من أهل ارضم لينقلوه ويردوه إلى قبره الأول (فأنكروا)[2] أهل ارضم أخذه ونقلانه (فرجعوا)[3] أهل حروش إلى بلدهم، وحفروا عليه، فوجدوه في قبره على حاله. ثم بلغ لأهل ارضم خبر حفرهم عليه ووجوده بقبره عندهم، (فحفروا)[4] أيضا أهل ارضم عليه عندهم، فوجدوه كذالك باق بقبره على حاله. فسكت كل من الفريقين، وتحققوا بجاهه عند الله سبحانه وقدره، ﷺ. ولم أقف على تاريخ دفنه ثانيا.

وله ﷺ أتباع وطوائف كثيرة، وزوايا في كل بلدة، في الحواضر والبوادي، مشرقا ومغربا. وله موسم عظيم ومقصود، معلوم عند الناس بوادي ارضم، يوم سابع مولد النبي ﷺ، ترد الوفود والركاب من كل ناحية، فيكون ذالك اليوم كيوم عرفة، فيجتمع فيه الصالحون والطالحون من كل فج، والأولياء وأهل الخير، سالكون ومجاذيب، وتعمر فيه الأسواق ثلاثة أيام، وتقضى فيه حوائج دنياوية وأخراوية. فهاذا ما شاهدناه وحضرنا له سنين عديدة.

وأما القبر الذي بحروش، كان الناس يزورونه كثيرا من غير الموسم المذكور، إلى سنة خمس وتسعين ومئة وألف، أمر ملك الوقت بهدم القبة التي بحروش، وبنيت أخرى أكبر منها، فاجتمع عند ذالك الفقراء وصنعوا له دربوزا جديدا وكساوي ومصابيح،

---

[1] كذا. الصواب: نقله.
[2] كذا. الصواب: فأنكر.
[3] كذا. الصواب: فرجع.
[4] كذا. الصواب: فحفر.

وذهبوا إليه بذالك، وابتدعوا الزيارة كلِّ عام إليه. وصاروا يسبقون الزيارة من وادي ارضم، ويزورون ويجوزون الموسم المذكور على سبيل العادة. وبعد ذالك، حين يفرغون من الموسم، يذهبون منه إلى حروش، فيزورونه كذالك.

ومما شاهدناه في زيارة حروش الماء ينبع من قبر الشيخ، يخرج من التزليج وقت اجتماع (الزيار)[1] به والتضرع والدعاء والتوسل والذكر، كل واحد ومطلبيته. وطول ما الناس على هاذه الحالة المذكورة والماء يفور جدا، والناس من يدهن منه، ومن يغرف، ومن يشرب. ولما فرق السوق ما كانوا فيه أو عليه، رجع الماء وانقطع نبعه، شهدنا ما ذكر كما ذكر في زيارات ﷺ ونفعنا به وأمدنا من مدده.

وقد وقعت حكاية بحروش: تخاصم ولد مقدم الفقراء وتعدى على مسكين منهم، وشتمه وقام يهد عليه. فهرب المسكين ودخل من ورائي، فأراد ضربه بين كتفي، فزجرته عن ذالك، فحسر علي وخلطني معه. وجاء أبوه المقدم، وزاد علي من القول الفاحش ما زاد، حتى أغمي على الشيخ القنيت، الآتي ذكره، إن شاء الله، من أجل ذالك، وتغير جميع الفقراء لأجل ذالك. ثم إن المقدم المذكور حلف لا يأكل عشاء تلك الليلة التي تطيب بالحرم، ولا بات بالركب، هو ولا حاجة من جوائجه، وجعل هو وولده ينقلون الحوائج من القيطون، فإذا بالنار قد قامت في القيطون، وشعلت فيه وفيما هو فيه، ولولا (غاثوه)[2] الناس وطفئوها، لاحترق كل ما فيه. وهاذا من بركة الشيخ وغارته.

وقد وقعت لي حكاية أخرى مع الشيخ، صاحب الترجمة، ﷺ ماعلمت منه أنه من أهل الإغارة والإغاثة والعناية الربانية، وهو: إني كنت من عدول الحبس الموقوف على الضعفاء والمساكين، وأمر السلطان بمحاسبة نظار الحبس مع أمناء الوقت، عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف، ووافق ذالك خروجي للزيارة مع الفقراء في الموسم. ولما بلغت نوبة حساب ناظر المساكين، قال لهم الناظر: إن فلانا غائب مع الفقراء في زيارة سيدي قاسم، ولم يمكن الحساب من غير حضوره. ثم إن بعض الزيار قدموا ولم نقدم معهم، فقال لهم بعض الأمناء، على وجه المسخرة: إن فلانا لا يجيء حتى يتصافح مع سيدي قاسم. وهو قالها نهارا بفاس مسخرة، وقد وقعت ليلا جدا في وادي أرضم. وهي: بتنا ليلة السفر بروضة سيدي قاسم ﷺ، وبعد صلاة العشاء من تلك الليلة، عمر سوق عظيم بقراءة القرآن ودلائل الخيرات والجلالة وقراءة الهمزية والبردة. وتأخرت في الركب حتى قضيت حوائجي، وطلعت للسيد، ودخلت والناس على تلك الحالة، ولا وجدت أين أجلس من كثرة ازدحام الناس، فاستحييت وبقيت واقفا، حتى أشار لي بعض المحبين من داخل المباح الذي من ناحية القبلة، فتخطيت الناس بكلفة حتى وصلتهم، وفتحوا لي، فجلست وظهري للقبلة ووجهي لقبة الشيخ بانحراف، والناس كل على حاله، وإذا بأحد ممن بإزائي

---

[1] ب: الزوار.
[2] كذا. الصواب: أغاثه.

جذبني بيده، وقال لي: تكلم. وأشار لخوخة القبة، فإذا برجل واقف بباب القبة يشير لي. فوقفت ولم أجد مسلكا إليه، فمد عند ذالك بيده إلي من باب الخوخة إلى الموضع الذي أنا به، ومددت يدي، فقبض يده بيدي، وجذبني جذبة سريعة بلين، وأوقعني عند الخوخة، فدخلت ونظرت إليه فلم أجده. ففتح لي أهل الهمزية موضعا، وسألت من هناك بالخوخة بداخل القبة ومن خارجها من هو الرجل، فقالوا كلهم ما رأوا أحدا. فجلست مع أهل الهمزية حتى ختموها.

ومن الغد، سافرنا لمولانا إدريس الأكبر على العادة. ولما بلغنا فاس، جاء أهل الحبس يسلمون علي، فأخبروني بالقولة التي قالها الأمين: حتى يصافح سيدي قاسم ويصاحفه، أو كما قال في مسخرته. وسألوني هل صافحك سيدي قاسم، فحققت عند ذالك، وقلت لهم: والله إلا كان ذالك كما قال في مسخرته. والمنة لله، والفضل علي. وقصصت عليهم ما وقع، وتعجب الناس من ذالك. فانظر أخي كيف تقع الغيرة من أهل العناية على المحبين المحسوبين عليهم والمنسوبين إليهم ﷺ. وكنا مرة في موسم أرضم، وكان بعض الفقراء يذكرون الجلالة بالقبة عند ضريح سيدي قاسم ﷺ، ثم جعل الذاكرون يذكرون الاسم المفرد، وأنشد المنشد منهم قصيدة لابن وفا، رحمه الله تعالى، وهي:

[الرجز]

لَأَخْلَعَنَّ عذَارِي فِــي مَحَبَّــتِكُمْ	بجوَارِكُمْ لاَ بِحَوْلِي وَلاَ حِيَــلِ
وَأَتْرُكُ الْكَوْنَ حَتَّــى لاَأَرَاهُ وَلاَ	أَرَى اللُّحُوظَ لِتَرْكِ التَّرْكِ مِنْ قَبْلِي
الخَلْقُ فِعْلُكُمْ وَالأَمْــرُ أَمْــرُكُمْ	فَكُلُّ شَيْءٍ أَنَا لَكُنْتُ مِنْ ضَـــلَلِي
الْحَقُّ قُلْتُ وَفِي الْكَــوْنِ غَيْــرُكُمْ	أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمِي وَمِنْ عَمَلِي
مَا لِلْحِجَابِ مَكَانُ فِــي وُجُــودِكُمْ	إِلاَّ بَيْنَ حُرُوفِ انْظُرْ إِلَى الْحِيَــلِ
أَنْتُمْ دَلَلْتُمْ عَلَــيْكُمْ مِــنْكُمْ لَكُــمْ	دَيْمُومَةٌ عَبَّرَتْ عَنْ غَابِرِ الْأَزَلِ
عَرَفْتُ بِكُمْ هَاذَا الْخَيْــرَ بِكُــمْ	أَنْتُمْ هُمْ يَا حَيَاةَ الْقَلْبِ يَا إِمَــامْ

إلى آخرها، والناس أهل الوجد في غاية ما يكون من الوجد. وحضرت النفحة الربانية، منهم السكارى، ومنهم الحيارى، ومنهم الهائمون الولهون، كل على قدر نصيبه. وخاض الجهلة في فهم ألفاظ القصيدة المذكورة ومعانيها، وأضلهم الشيطان اللعين الغاوي المغوي، قبحه الله تعالى، وغلبت عليهم ظلمة الجهل والنفس الأمارة بالسوء، فقام إليهم بعض الجهلة من الفقراء، واعترضوا عليهم ورموهم بالكفر، وسكت الذاكرون عن الذكر، وقامت منهم غوغة وبرد شوقهم وافترقوا. وشاع ذالك بالركب، ثم بلغ ذالك لبعض الطلبة كانوا زيارا، وعابوا على المنكرين ما فعلوا وما قالوا، وتغير الناس على أهل ذالك،

وشكوا الذاكرين للشيخ سيدي قاسم، وبكوا عليه. فوالله ما بلغنا لفاس حتى مات من المنكرين كبيرهم، ومرض من مرض، وانجلى من انجلى، ولم يفلت أحد منهم قط، ولم تكن منه كائنة إلى الآن.

ومن بركاته ﷺ المشهورة أن جميع ما يسرق في الموسم بغلة أو حاجة، إلا ورجع لربه في القرب أو في البعد.

فصـــل

في ذكر من لقيناه من أهل الخير من هاذه الطائفة القاسمية واجتمعنا معهم وسمعنا منهم وتبركنا بهم، رحمهم الله تعالى، في هاذه البلاد وفي غيرها

[عبد المجيد الزبادي]

فمنهم أخونا سيدي عبد المجيد، المتقدم ذكره في ترجمته. أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ الكامل، سيدي أحمد السوسي، دفين مراكش سنة ثلاثين ومائة وألف، بواسطة ولده سيدي أحمد العباس، وأخذ سيدي أحمد السوسي عن الشيخ سيدي قاسم ﷺ.

[أحمد العباس السوسي]

ومنهم سيدي أحمد العباس بن سيدي أحمد السوسي. كان، رحمه الله تعالى، شيخا عارفا بالله، زاهدا ورعا، معرضا عن الدنيا وزهرتها. كان له، ﷺ، أرض خارج مراكش، وغرسها أصحابه له بأشجار الزيتون والتين ودوالي العنب، وسخر الله فيه حتى ظهرت غلته. ولما خرج من مراكش بقصد السفر للحج، وجاز على الجنان المذكور، ورآه مخضرا، سأل عنه، لمن هو؟ فقالوا: هو جنانك الذي غرسنا لك. فدعا عليه باليبس. فما رجع من الحج حتى وجده يابسا محطوبا أرضا كما كان قبل غرسه.

كان، رحمه الله، مستجاب الدعوة، صاحب أحوال ربانية، اجتمعت معه بدارنا مع أخي المذكور، وذالك حين كان قاصدا للحج، ولما رجع من الحج، نزل بدار الحلوي من زنقة الجياد ذوات الصهريج والأشجار، عام ثمانية وأربعين ومائة وألف. وعند إقامته بتلك الدار، والناس مجتمعون عليه من كل الطوائف، الليل والنهار، والأسواق تعمر وتفرغ. وكانت عشية يوم من تلك الأيام، اجتمع فيها كثير من أهل الخير، كأخينا سيدي

عبد المجيد المذكور، والعلامة الشريف سيدي عبد الهادي العراقي الحسني، المتقدم ذكره، والشيخ مولانا أحمد الصقلي الحسيني، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، والعلامة سيدي علي قصارة، المتقدم ذكره، والفقيه المؤدب سيدي الحاج العربي بن الكبير الطوير، والأحب في الله سيدي الحاج عبد القادر بن الحسن، وأخونا في الله، السيد الحاج قاسم الزموري، والفقيه المؤدب، سيدي الحاج عبد الواحد الحريشي، وشيخنا سيدي محمد بن عبد العزيز الصنهاجي[1]، الآتي ذكره، إن شاء الله، وأمثال هاؤلاء وغيرهم من الفقراء. فكانوا يذكرون الله بالجلالة وغيرها من الذكر والصلاة على النبي ﷺ، وكلام الششتري، وكلام سيدي عبد الرحمن المجذوب وسيدي محمد الشرقي، وحضرت في تلك العشية نفحة من نفحات الله التي يتعرض لها، وسكر القوم، وتهول الشيخ سيدي أحمد العباس، وجعل يحلف لا يكون سلطانا غير مولانا عبد الله بن إسماعيل، وجعل الشيخ سيدي محمد الصنهاجي المذكور يحلف على خلاف ذالك، ورجع كل منهما أسدا، حتى كان كل واحد منهما يشتم الآخر، وتعانقا معا وتخانقا، ولم يقدر أحد من الناس أن يقبل عليهما ويزعم على فراقهما، حتى التويا، هاذا على هاذا، وخرجا كذالك عن القبة، وسقط معا في الصهريج الذي بوسط الدار، ونزل الناس إليهما وأخرجوهما وأدخلاهما إلى القبة، ونزعوا عنهما ثيابهما وألبسوهما ثيابا أخر، وغابا عن الوجود في تلك الليلة، وما صحى واحد منهما حتى أصبح الصباح، وأنكر كل منهما مقالته وحلفه. وكان من مراد الله أن برهما معا، فتولى مولاي عبد الله على حلف سيدي أحمد العباس، وعلى حلف سيدي محمد الصنهاجي بعد ما تولى كان لا عبرة له ساقط صولة الملك، حتى مات كذالك؛ أوائل صفر عام إحدى وسبعين ومائة وألف.

وأخذ سيدي أحمد العباس، صاحب الترجمة، عن والده سيدي أحمد السوسي، رضي الله عنهما، ووالده عن الشيخ سيدي قاسم، نفعنا الله به.

ويوم سفره ﷺ من فاس إلى مراكش، خرج الفقراء القاسميون يشيعونه، وطلبوا منه أن يعين لهم مقدما يتقدم عليهم، فقال لهم ﷺ: أروني شيخكم، أريكم المقدم. فقالوا له: شيخنا هو سيدي قاسم. وصد عنهم، وسكتوا مع ما أراد الله تعالى. ولو قالوا له أنت شيخنا، لقال لهم: المقدم فلان. وحين سكتوا، ولم يلهمهم الله إلى ذالك، وخير الأمر كما أراد الله، والله غالب على أمره. لأن قصده، رضي الله تعالى عنه، منهم أن الشيخ هو الحي، وهو الذي يؤدب ويهذب، ويأمر وينهى. وأما الشيخ مهما مات، لم يبق إلا الوسيلة به، وغير هاذا انتقل للحي الذي خلفه.

وكان ﷺ يوما يتوضأ عندنا بدارنا، ولما فرغ من وضوئه، وجد أخي سيدي أحمد يخاصمني، فنفض يده بالماء في وجهي، وضرب بسبابته في جبهتي، وقال: احشم، الحم.

---

[1] أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز الصنهاجي (-1154هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي ابن سودة: 122-124. الروضة المقصودة: 2/449-451. سلوة الأنفاس: 2/200-201.

وسافر من الغد. فأخذتني الحمى الباردة، وبقيت في عشرة أشهر، ولا نفعت كتابة ولا بخور ولا عزيمة ولا دهن ولا غير ذالك. حتى طلب الفقراء من أخينا سيدي عبد المجيد أن يقرئهم الديانات أو التصوف بمسجد القرويين، وامتنع من القراءة بالقرويين، وأراد مسجدا غيره. فكتب أخونا سيدي عبد المجيد، رحمه الله، إلى الشيخ سيدي أحمد العباس يستشيره بما يقرأ، وأين يقرأ، وأخبره بمرضي. فأجابه، رضي الله تعالى عنه: أما ما ذكرت لنا على القراءة، فأين ما وجدت قلبك من الله فخيم. وأما ما ذكرت من حمى أخيك محمد، فاكتب له بيدك بالعسل وقلم جديد في آنية نظيفة بما يظهر لك، يبرأ، إن شاء الله. فكتب لي كما قال له، وشفاني الله منها.

وجعل أخي، رحمه الله، يقرأ بالقرويين بين المغرب والعشاء بظهر الصومعة، وكان له هناك مجلس كبير حفيل. قرأنا عليه فيه أولا "النصيحة الكافية"، و"شمائل الترمذي"، و"منظومة القرطبي"، و"رسالة ابن أبي زيد"، رحمه الله.

وتوفي صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، سنة إحدى وخمسين ومائة وألف بمراكش، ودفن بقبة والده المذكور يمنة الداخل لها.

[محمد الطيب بصري]

ومنهم الفقير المسن البركة، الخير الناسك، الخامل السني، المحب في أهل جانب الله تعالى ورسوله ﷺ، أبو عبد الله، سيدي محمد الطيب بصري، القاطن بمكناسة الزيتون دارا وقرارا، وخطيبا بمسجد الزيتونة منها.

كان، رحمه الله تعالى، صائما قائما ذاكرا، هاربا من الخلق، إلا من له نسبة يعرف بها أو يذكر. وكان، رحمه الله تعالى، ذا فائدة مستمرة، كثير الزيارة لأهل الله الصالحين؛ الأحياء والميتين، وبالإخوان المحبين.

أخذ ﷺ عن الشيخ سيدي أحمد السوسي، ولقيه ولده سيدي أحمد العباس المذكور قبله. وتوفي، رحمه الله، عام تسعة وستين ومائة وألف.

[عبد المالك البوعصامي البهلول][1]

ومنهم الشيخ المربي، الذاكر القانت الصابر، سيدي عبد المالك البوعصامي، الشهير بالبهلول.

---

[1] عبدالمالك البوعصامي البهلول (-1191هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 3/315-316.

كان، رحمه الله تعالى، قاطنا بمكناسة الزيتون، متقشفا خاضعا، ذو همة عالية وتؤدة، وجد وهيبة، وسكينة ووقار، عارفا بالله، محبا في رسوله ﷺ. وكان، رحمه الله، ذا أخلاق كريمة، تعتريه أحوال ربانية، تجده فيها كالأسد، وانتفع الناس على يديه كثيرا.

أخذ ﷺ عن الشيخ سيدي أحمد السوسي بانتسابه، ولقي ولده سيدي أحمد العباس، رضي الله عنهما. وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة إحدى وتسعين ومائة وألف.

وخلف، رحمه الله تعالى، سيدي أحمد مجذوبا غائبا غيبة اتصال من صغره، ساكتا صامتا، لا يتكلم مع أحد إلا ما قل. وكان بعد موت أبيه، تارة يكون بمكناس، وتارة بفاس، ثم في آخر عمره بنحو العامين، تقرر بفاس الإدريسية؛ بحومة السياج، حتى توفي هناك، ليلة الخميس الحادي والعشرين من ربيع الأول النبوي المفضل عام تسعة ومائتين وألف[1].

[محمد كشك]

ومنهم الشيخ المربي، المؤدب الأمي المتقشف، أبو عبد الله، سيدي محمد كشك القاهري، المالكي، الشاذلي الجزولي، ﷺ. لقيته بمصر واجتمعت معه بزاوية (بطيانون)[2] من حومة الرميلة، فوجدته ذا سيرة حسنة، وآداب مستحسنة، خاليا من الدعوى محلا بجلل التقوى، خادما للسيدة نفيسة الطاهرة.

أخذ، رحمه الله، عن الشيخ سيدي أحمد السوسي، المذكور آنفا، لقيه بمصر عام حج. ولما حج الشيخ سيدي أحمد ورجع إلى مراكش، لم يتمالك كشك عقله من محبته فيه، فجاء من مصر لاحقا به إلى مراكش، فوجد الشيخ السوسي توفي، رحمة الله عليه، فأقام عند ضريحه سنة كاملة، ثم ارتحل إلى مصر. وما زال الخير يظهر عليه من ذالك الوقت إلى أن صار من أهل المحبة والعرفان، مع كونه أميا، وكان في آخره يلازم الحج كل سنة.

حضرنا عنده بمصر في مولد السيدة نفيسة، رضي الله عنها، وتبركنا بمن حضره من أهل الخير من العلماء والصالحين السالكين والمجاذيب، لأنه تعتريه أشواق كثيرة عظيمة ليلا ونهارا شيئا لا يكيف.

أخذ، صاحب الترجمة، كما ذكرنا، عن سيدي أحمد السوسي ﷺ، وعن الشيخ الكامل المجذوب، قوي الحال والمدد، أبي الحسن، سيدي علي عزوز، دفين زغوان من

---

[1] في هلذا إشارة إلى أن المؤلف كان في 1209 لا زال يكتب هاذا الكتاب، وأنه هو التأليف الأخير له، فقد توفي في هاذا العام 1209هـ.
[2] كذا.

تونس، وهما معا عن الشيخ سيدي قاسم بوعسرية. ولم أقف على تاريخ وفاة كشك، رحمه الله.

[محمد غازي عزيزي]

ومنهم الشيخ الفقير السالك المجذوب، خديم الفقراء السالكين والمجاذيب ورفيقهم، أبو عبد الله، سيدي الحاج محمد غازي، المدعو عزيزي، الدباغ حرفة من أوله إلى آخره.

كان، رحمه الله تعالى، في آخر أمره يتبع المجاذيب والبهلاء، أينما كانوا، وكيف ما كانوا، وعلى أي حالة كانوا، يشرب معهم الخمر والدخان، ويأكل الحشيشة، ولا يبالي بشيء من ذالك من أحد، كأبي دحيح الخطار، وسيدي أبي عياد بن جلون، وسيدي حسين طرطورة، وسيدي بناصر الورياجلي وأمثالهم، حسبما يأتي ذكرهم في ترجمة كل واحد منهم، إن شاء الله.

[محمد القنيت] [1]

وكان له أخ اسمه سيدي مَحمد، قاسميا من أصحاب سيدي أحمد السوسي. وكان يتألم من حال أخيه القنيت، ولما أن جاء سيدي أحمد العباس من الحج، وخرج يوما مع الفقراء لزيارة الشيخ سيدي أبي جيدة ﷺ، خارج باب المسافرين، ورجع من الزيارة، لقي القنيت هابطا بطنجيته على كتفه ودواة الدخان على فمه، فقال أخونا سيدي عبد المجيد لسيدي أحمد العباس: هاذا هو القنيت، أخو السيد مَحمد غازي. فحصروه. وكان من جملة الحاضرين السيد الطيب بصري، المتقدم ذكره، وسيدي عبد المالك البهلول، فقبضوه كلهم، وقالوا له: ارم عنك هاذه دواة الدخان. وهو يقول: إني لا أقدر على تركها، أو رميها. وإذا أردتم تركها، تركوها أنتم عني. فقالوا: أردنا أن تتبع سيرة أخيك وتتركها عنك. فلم يتركها. فرفع سيدي أحمد العباس يده بالفاتحة، فقرءوها، ودعوا له، وأمروه بالحج، واتفقوا على ذالك. وكان هو سبب الخير له، وظهرت بركاتهم عليه.

ثم بعد ذالك خرج للحج. ولما بلغ مصر، لقي بها الشيخ محمد كشك المذكور آنفا، وكتب له السادات كتابا دفعه له، فقرأه الشيخ، وأنزل القنيت عنده إلى غروبه. وانتفع منه القنيت، وأخذ عنه، وكلاهما أمي. وشرط الكشك على القنيت شروطا وقبلها، ومنها: ملازمة الزاوية، وخدمة الفقراء وجمعهم، وعلى أن لا يجلس إلا في الموضع الذي يفضل عنهم، وإلا فليبق واقفا، ولا يأكل حتى يستكفوا، ولا يشرب حتى يرووا، وليعد مريضهم، ويحضر جنازة ميتهم، ويشيع مسافرهم، ويقف معهم في فرحهم وحزنهم، ويوقر كبيرهم،

[1] محمد القنيت (-1196هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 1/427-428.

ويرحم صغيرهم، ويقبض من الغني، ويعين الفقير، ويصالح بينهم، ويصفح عن المسيء، ويؤلف بينهم، ويحن ويحنن عليهم، ويشفق منهم، ويرودهم للحنانة والشفقة، ويؤلفهم لذالك وللتودد بينهم، وينهاهم عن المكافئة بينهم. ثم قال له: أو تقدر على هاذا. قال: نعم، قبلت ورضيت. فتعاهد معه على ذالك، رضي الله عنهما.

وجاء القنيت مصمما على ذالك، واشتغل بتلك الخدمة بالشروط حتى مات على ذالك الحال، رحمة الله عليه. هاكذا سمعته منه ليلا بحانوت (مجار)[1] بزاوية زرهون بعد رجوعنا من زيارة الشيخ سيدي قاسم ﷺ.

وقد ظهرت عليه علامات الخير، وكثر صيته في أقطار المشرق والمغرب. وكان، رحمه الله تعالى، يحلف على الأمر، وكثيرا بلفظ الحرام، حتى يكون كذا، فيكون أو لا يكون. وكنت أعترض عليه في ذالك أنا وجلة من أصحابي، كنا (ننهوا)[2] عن المسائل المبتدعة المخالفة[3]، ولا يقبل، حتى رأيناه كلنا في نوم ليلة، والناس مجتمعون في صحن القرويين؛ خلق كثير، وهو بالمستودع الوسط، والطبل في كتفه، وهو يضرب فيه من فوقهم، فسأل الحاضرون عن ذالك، فقيل: اليوم كحلوا له. وأصبح كل واحد منهم يقصها.

ومن ذالك:

توفيت لي امرأة، وأخذت امرأة أخرى، وأنا في سبعة أيامها واقف بالصفارين أتكلم مع بعض الشرفاء، إذ جاء القنيت، وقال: يبارك الله لك، يبارك الله لك، ولاكن بقيت لك أخرى. فقلت: وماذا تقول؟ فقال لي: عليه الحرام إلا بقيت لك واحدة أخرى، ولا يخصك شيء منها. والتفت إلى الشريف الواقف معي، وضرب في صدره، وقال له: معك أنا، اسمع ما قلت لكما، وسرا عليه. وانصرف عنا. ثم بعد ذالك بأعوام، توفي الشريف المذكور، ثم بعد موته بسنين مات صاحب الترجمة، القنيت، ثم بعد موته بمدة توفيت زوجتي، وتزوجت غيرها بعدها. فوافق القدر أن كانت المرأة الباقية عندي التي قال لي هي ابنة ذالك الشريف الذي كان معي، وقال له ما قال.

ومنها:

وقع لي مع حاكم البلد غيار، فقال لي، صاحب الترجمة: عليه الحرام حتى ينزع الحكم من يده قريبا. وكان كذالك. ولما تولى الأحكام بفاس القائد عبد السلام الجعيدي، وشدد على الناس وقهرهم، وطال ذالك، وقنط الناس من أحكامه، فقالوا للقنيت: الله الله عزيزي. ولحوا عليه حتى قال لهم: عليه الحرام، حتى يخرج عنكم قريبا، ولكن عليه الحرام، حتى تكونوا ترحمونه وتتمنوا طرفا منه ولا تجدونه، وتندموا ولا تفدكم ندامة، وكان الأمر كذالك.

ومنها أيضا عام خروج الودايا من فاس العليا:

---

[1] كذا.
[2] كذا، والصواب: ننهى.
[3] أراد الزبادي أن يكون محتسبا في التصوف أسوة بالشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي.

كنت بها يوما قبل خروجهم منها، فوجدت بباب الصرف المرأة المجذوبة منانة الجامعية ذات القطوط، الآتي ذكرها، إن شاء الله تعالى، فقالت لي: منذ شهرين أو ثلاثة، وأنا جالسة عند هاذا الناس أطلب منهم أن يعطوا مفاتيح البلاء لربها بالعز قبل إعطائهم بالذل فأبوا. وانصرفت عنها وأنا غير قابل عنها ذالك. وخرجت من باب السبع، فوجدت السيد الحاج عبد الواحد الزنبور جالسا، فقال لي كلاما مثل ما قالت الجامعية، فانصرفت وما قبلته. ولما بلغت البير الذي بالمرس، لقيت القنيت، صاحب الترجمة، فقال لي: من أين جئت؟ قلت: من فاس الجديد. فقال لي: وهل لقيك أحد؟ أو قال لك أحد شيئا؟ قلت: لقيتهم وقالوا قولا لا يقبله العقل. فقال لي: معك أنا. وضرب في الأرض برجله، وقال لي: عليه الحرام، لا يكون غير ما قالوا. معك أنا، سير تلقى الخير. ومن الغد أو بعده، جاء السلطان وكان ما كان، فخرجوا منها آنفين راغمين كما قالوا ﷺ.

ومنها: اتفق بعض الفقراء دون بعض مع المقدم على أن يسافروا لبلاد الحياينة عند أحد من أولاد الشيخ المنتسبين عليه، اسمه سيدي قاسم، نازل هناك بخيمته، وكان معنا حاضرا في الموسم عند الشيخ سيدي قاسم، وطلب ذالك من الفقراء ولم يوافق القنيت على ذالك، بعد تقدم الخصام بين القنيت والمقدم وولده. وكان القنيت مريضا ملازم الفراش. فبعث من ورائي، وقال لي: أنت ذاهب معهم للحياينة؟ قلت له: طلبوا مني هاذا الأمر، واستعذرت لهم. فقال لي: وإياك، عليه الحرام حتى ترى هاذه السفرة كيف تكون عاقبتها، وكل من تبعهم يخلص معهم. ثم سافروا، وغابوا أياما هنالك. وجاءوا مختلفين مفترقين، وأخذت الحمى المقدم وولده، حتى أخذت سائرهم، واحدا واحدا، وطال الأمر بهم، ومات ولد المقدم، ومات من القوم من مات، ومرض من مرض من مدة.

ثم قبل موت القنيت بيوم أو يومين، دخلت عنده لأعوده، فقال لي: الحمد لله الذي جئتني وحدك من غير أحد، كل مرة نريد أن نتكلم معك، ويمنعني من ذالك من يكون حاضرا. ثم جعل يتكلم في أمور كثيرة، فهمت منها موته، لأنه تكلم في الكفن والدفن والغسل والجنازة، وفي أمور يجب سترها. فقلت: إذا قضى الله بك، من ظهر لك يقوم بأمر الفقراء؟ فجلس عند ذالك، ونزع العمامة عن رأسي، وقال لي: انظر هاذه القرعة، عليه الحرام ما تسوى فلسا واحدا، ولكن عليه الحرام إلا عندها من يغير عليها، وعليه الحرام حتى يغار عليها. فقلت: ما هاذا يا عزيزي، (ما هم)[1] أولادكم، خدمتهم ودرجتهم وفششتهم، وأنت مزططهم، والمزطط لا يغر بالقافلة، وعودتهم يلعبون على ظهرك، ولا يلعب الخروف إلا على ظهر أمه. وهاذا عارك، والعروسة لا تعف، عرفت الناس بهم وعرفوك بهم، ومن أجل خدمتك لهم ربحت. وهاذه الطريقة المكافئة فيها متروكة. فسكت عني قليلا، ثم نهض، وقال لي: معك أنا، كان الله النهار الذي تجتمع كلمتهم أو يكن شيء

---

[1] ج: أما هم.

منهم، يجيء إلى قبري وتوضا عليه. كف عني ولا تزدني فوق هاذا. فكان هاذا آخر كلام سمعته منه.

ومنها:

خرجنا لزيارة سيدي قاسم، نفعنا الله به، واكتريت بغلة وخرجنا. فلما وصلنا مكناس، أخذ رب البغلة بغلته ليزور عليها سيدي قاسم، وبقيت من غير بغلة. ولم أجد بمكناس بغلة للكراء، حتى عزمت على الرجوع إلى فاس. ثم إني كنت جالسا بالمسجد عشية، فجاءني القنيت، وقال لي: سمعت أنك راجعا. قلت: نعم. فقال لي: عليه الحرام، لا رجعت ولا مشيت إلا معنا راكبا. وبقيت متحيرا في ذالك الأمر والناس كذالك. ولما أصبحنا، أصبح السوق، وخرجت إلى السوق أنظر ما يفعل الله، فوجدت في السوق فرسا يباع، فتكلمت مع مولاه، وتبايعنا وعندي طرف من الثمن وعزمت على سلف ما بقي، وإذا برجل من الإخوان وجدني عند العدول. فسألني عن الفرس ما ثمنه؟ فقلت: بكذا. فقال لي: حاجتك به الزيارة فقط أو لحاجة أخرى؟ قلت: للزيارة فقط. فقال لي: أنا آخذه وأخلصه، وأنت اركب عليه حتى تزور وترجع إلى داركم وآخذه، فأنا أحتاجه. فقلت: نعم. فخلصه وهو عندي. وفتشنا مكناسا على من يقضي لنا حاجة بسريجة ولو بالبيع، ولم نجد شيئا، وبتنا كذالك حتى الصباح والركب مسافر، وإذا برجل من العبيد عند الفقراء يسأل، وعنده سرج بركوبه، خصه من يبلغه له إلى فاس، فأخذناه منه وركبت وذهبت مع الناس، حتى رجعنا إلى فاس، وأخذ رب الفرس فرسه، ورب السرج سرجه. فكان، رحمه الله، يراني في الطريق ويقول لي: الله يكثر خير بابا قاسم، إذا مشت البغلة، اعطاك العود. ايش تسالوا، وأنت أردت الرجوع عن زيارته.

ومنها:

كان القنيت، رحمه الله تعالى، مريضا ملازم الفراش، وحان وقت الزيارة وعجز، فبعث من ورائي، وقال لي: تمشي مع هاذا الركب عوضا عن نفسك وعني، لأني حالي يغنيك عن سؤالي. وكان الفصل فصل الشتاء. فقلت له: يا سيدي، ما نويت لزيارة هاذه السنة. فقال لي: والله ما أنت إلا زائر هاذه السنة. فقلت: وأنا ما عولت ولا عزمت على شيء. وخرجت من عنده على شك حين حلف. وليلة السفر، جاء الفقراء عندي، فقلت لهم: لا قدرة عندي على السفر في هاذا الفصل. وسافروا وزاروا وجاءوا بالسلامة.

ثم إن بعد مجيئهم من الزيارة، تخاصم الفقراء القاسميون أهل مكناسة، زاوية مع أخرى، ووقع بينهما تشاجر كبير. وجاء الخبر بذالك، فبعث إلي القنيت، وهو باق في الفراش، وقال لي: ما ظهر لك في هاذا الأمر؟ تكتب لهم كتابا تخاصمهم فيه؟ قلت: لا، وإنما الصواب أن يركب منا أربعة من الناس الكبار، ويمشون عندهم يصالحون الأمر بينهم. فاتفق الفقراء على أربعة أنا رابعهم، ولا وجدت عذرا ولا محيدا عن ذالك. فسافرنا من الغد بأربعة، فما بلغنا سيدي عميرة حتى كنا بنحو العشرين. فلما بلغنا مكناسة،

جمعناهم وصالحناهم، وحضرت ساعة مباركة. وقلت لهم: إذا أردتم الدواء فيما بينكم في هاذه الزلة، نسير نحن وأنتم إلى الشيخ سيدي قاسم ﷺ ونفعنا به، منها الزيارة، ومنها عنده دواء هاذه الجرحة. فقال القوم كلهم: أجل. فبلغنا إلى سيدي قاسم، وزرنا، وكان في ذالك الخير الجزيل، ورجعنا وزرنا مولانا إدريس الأكبر، ورجعنا إلى مكناسة. ووقع موسم آخر عند الشيخ في مكناس ورجعنا. فلما بلغنا إلى فاس، ودخلنا على القنيت، قال لي السيد: زرت هاذا العام؟ أو ما قلت لم تنو الزيارة هاذه السنة؟ وها أنت زرت بها من بركة بابا قاسم، حين غلبت محبته محبتك. وبقي عنده ما قال وما حلف. وهاذا كان حاله بعدما كان يحلف، كان يقول: على الله وعلى بابا قاسم.

وخرجت مرة أخرى أشيع الركب، فجاء رجل بدابة يريد أن يكريها لمن يحتاجها من الزيار، فاكتراها منه القنيت، وقال لي: اركب يا فلان. فقلت: لأين؟ فقال: للزيارة معنا. قلت: ما خرجت ناويا ذالك. فقال لي: عليه الحرام حتى تركب وتمشي معنا حتى تجيء معنا، إن شاء الله، فما أمكنني غير ذالك.

ومرة أخرى لم أجد دابة للكراء وبلغ الكراء قيمة كبيرة، وقعدت عن الخروج، فجاز القنيت علي بالعلوم على باب الحانوت، وقال لي: ما لك؟ قلت له: ما وجدت بغلة. فقال لي: عليه الحرام حتى تزور معنا، والله هاذا شغل اللعب. وانصرف عني بعلومه، وسافروا.

وغدا أوبعد غد، لقيت رجلا من الفقراء، رحمه الله، تأخر، فقال: ما زلت هنا؟ قلت: ما أنا بزائر هاذه السنة؟ فقال لي: ما منعك؟ قلت: لم أجد بغلة، والكراء مانع علي. فقام رجل، كان يسمعنا، فقال: البغلة موجودة. فتكلم الأخ الأول معه، واشترى الزاد، وقال لي: والله ما يلزمك شيء في الكراء ولا في غيره. وسافرنا ولا لحقنا بهم، حتى كانوا بأرضم عند الشيخ نازلين. فلما نزلنا، جاء القنيت وسلم علينا، وقال: الحمد لله، الذي لم يغلب طاجينك طاجيني.

كان القنيت، رحمه الله، ماؤه مخوضا، ممزوجا بالجذب والسلوك، وتقدم فيه الجذب قبل السلوك، كما تقدم له في ابتداء أمره من مخالطة أهل الجذب وملازمته لهم ومخالطته بهم مدة مديدة. ثم بعدها لقي السالكين وأمروه بما أمروه به، وشرطوا عليه ما شرطوا، كما تقدم. فكان، رحمه الله، يخدمها حتى مات عليها، وظهرت عليه، فكان لا يخرج للزيارة كل سنة إلا بالهدية للشيخ سيدي قاسم ولمولانا إدريس الأكبر، إما كسوة، أو علام، أو ثرية، أو مصابيح، أو شمعة، يطلب ذالك من مطلق الناس، ويصنع به ذالك، ويطوف بتلك الهدية في أسواق فاس، وفي أسواق مكناس، وفي أسواق الطريق، وفي السوق عند الشيخ، ويضيف لما يقبض في ذالك ما يقبضه من الزيار وغير الزيار في الزيارة، ويضيف له ما يقبضه في الأسواق التي كان يعمر عند ضريح الشيخ في البيع والشراء بالدلالة. فكان، رحمه الله، يجمع الجميع ويعطي منه لأهل الشيخ نساء ورجالا،

ويخلص الملازم من الكراء، والخالص والسمن والابزار واللحم وما يعطي منه للصبيان بالركب وللضعفاء من الفقراء، وإن فضل له شئ قليل أو كثير، يأكله، وإن خصه شيء، يعطيه من متاعه، ولا يقل قط خصني، كما يفعله من بعده. لأنه كان، رحمه الله، لا ينقطع دخانه قط، ليلا ولا نهارا في تلك الثلاثة أيام الموسم، وهو يدفع الطعام في كل وقت لأهل الركب فقراء وغيرهم، ولا يقل خصني شيء قط، وكل ما طلبت عنده تجده، ويقل حاضر، مما يوكل وغيره، ولا يشتهي عليه الفقراء شيئا الاعمله فيهم، ولا ينكر هاذا إلا جاحد، لا رخاء ولاشدة. وكان، رحمه الله تعالى، في مرضه يعوده كل الطوائف من الفقراء ومن الأشراف ومن غيرهم، من أعيان البلاد والعلماء والحكام وأولاد الملوك، وكانت جنازته كذالك، وأوصى، رحمه الله، تكون جنازته بالقراءة والذكر والحضرة، وأن يخرج من الدار بنوبة الطبالين، وكانت كذالك، في أواخر ذي القعدة الحرام سنة ست وتسعين ومائة وألف. ودفن، رحمه الله، بروضة الشيخ سيدي علي النجام، الشهير بالحجام، بين باب المسافرين وجامع الأنوار.

وأخذ القنيت، صاحب الترجمة، عن جماعة من السوسيين؛ كسيدي أحمد العباس، وسيدي الطيب بصري، وسيدي عبد المالك البهلول، وأخينا سيدي عبد المجيد، والشيخ محمد كشك، وكلهم عن سيدي أحمد السوسي، وكشك عنه وعن الشيخ مولى زغوان، سيدي علي عزوز، عن الشيخ سيدي قاسم بوعسرية، ﷺ ونفعنا بهم.

ولقي القنيت، رحمه الله، الشيخ الشهير، مولاي الطيب بن محمد العلمي الوزاني الحسني، المتقدم ذكره، على وجه التبرك، وأضافه الشيخ المذكور فأكرمه. وأخذ الشيخ أبو عسرية عن الشيخ أبي عبيد الشرقي، عن والده سيدي عبد السلام بن الزعري، عن الشيخ سيدي عبد الله بن سامي، عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني[1]. وأخذ أيضا سيدي محمد الشرقي عن سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي، دفين المصلى عام احد وتسعين وتسعمائة، عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني، عن الشيخ سيدي عبد العزيز الحرار الشهير بالتباع، عن الشيخ سيدي الصغير السهلي، عن شيخ المشائخ، سيدي محمد بن سليمان الجزولي، نفعنا الله بهم، وسقانا من مددهم بمنه وفضله آمين.

[علي الحجام]

وأما الشيخ سيدي علي الحجام المذكور، فهو الشيخ المربي الخامل، أبو الحسن، سيدي علي النجام، المدعو الحجام. كان، رحمه الله، مربيا خاملا ذاكرا، ذا هيبة ووقار. أخذ ﷺ عن الشيخ سيدي أحمد السوسي المذكور، عن الشيخ سيدي قاسم، رضي الله

---

[1] عبدالله بن محمد الغزواني (-935هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 88-91. طبقات الحصيكي: 417426/2. الكواكب السيارة: 243-252. سلوة الأنفاس: 235/2.

عنهما. وتوفي، رحمه الله تعالى، ليلة الخميس الثامن من ذي القعدة الحرام عام اثنين وثلاثين ومائة وألف.

أخبرني بعض الإخوان، وكان أبوه صاحب سيدي علي الحجام، أن سيدي علي طلب من أبيه المبيت عنده، وكانت المسغبة، ولم يكن عنده إلا مد واحد من القمح. فقال له والده: يا سيدي، إذا تجيء أنت وثلاثة أو أربعة من أصحابك معي؟ فقال له الشيخ سيدي علي: نعم، كذالك يكون، إن شاء الله. فلما صلى الشيخ العشاء، وخرج من الزاوية، تبعه كل من صلى بها معه. ولما بلغوا باب الدار، فتحوا العادة، وتهول رب الدار، ودهش من ذالك، وقال لسيدي علي: كيف يا سيدي تعمل لي هاذه الحشومة؟ فقال له سيدي علي: لا حشومة عليك يا أخي. وجعل يشجعه، ويقول: لا حشمة عليك، فما عندك يكفيك. فلما دخلوا الدار، قال له سيدي علي: اطلعني على ما عندك من الطعام. فاطلعه عليه، وأمره بتغطية اللحم والكسكس، ففعلوا. ولما أرادوا العشاء، قام الشيخ معه، وجعل يأخذ الكسس بيده ويفرقه على الأواني والقصع، ويجعل عليه اللحم ويمرقه، ويرفع له، حتى فرغ وأمره بدفعه للناس، فدفعه لهم، واستكفى جميع الناس الحاضرين عن آخرهم، وفضل الطعام في القصع، حتى كل من استعار منه قصعة أو مخفية ردها له بالطعام فيها. وهاذه أعظم الكرامات ﷺ.

وأخبرني أيضا الراوي عن أبيه المذكور أنه قال له: كان الشيخ سيدي علي الحجام، رحمه الله تعالى، يوما نائما بالزاوية، وجاء بعض الفقراء من بلد آخر لزيارته، وكان وقت الظهر، فقال بعض الحاضرين من الإخوان: إن القوم جاءوا لزيارة الشيخ، ووجدوه نائما فجلسوا، وهاذا وقت الغذاء، فيجب علينا أن نغذهم. قالوا: وما غذاؤهم في هاذا الوقت؟ فقال أحدهم، وهم السيد أحمد ابن شقرون: العنب والبرانية والخبز. فأعطاهم من عنده، واشتروا ذالك وغذوهم. فلما استيقظ الشيخ، وسلم عليه الزائرون، قال، رحمه الله: وهل غذيتم الزائرين، بل الناس؟ قالوا: نعم. قال: من غذاهم؟ قالوا: أخونا ابن شقرون. فقال له الشيخ: اطلب يا ابن شقرون. فقال له: من عندك يا سيدي؟ فقال ﷺ: طلبنا الله تعالى أن يخرج من صلبك عالم، إن شاء الله تعالى. فتزايد عنده الفقيه العالم، سيدي عبد القادر بن أحمد بن شقرون، الموجود الآن قاضيا بفاس، تقبل الله دعوته آمين.

[مسعود المراكشي]

ومنهم الفقيه المحب، الولوع المتجرد، السيد الحاج مسعود المراكشي، به عرف. كان، رحمه الله تعالى، في أوله يخدم الحياكة، وكان حافظا لكلام الناس، محبا في أهل جانب الله، وكان من البكائين المتواجدين عند الذكر والذكرى. أخذ، رحمه الله، عن الشيخ سيدي أحمد السوسي المذكور، ولقي الشيخ سيدي علي بن عزوز الزغواني وخدمه، ولقي

سيدي علي الحجام المذكور، وسيدي أحمد العباس بن سيدي أحمد السوسي، رضي الله تعالى عن جميعهم. وتوفي، رحمه الله، عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف، وأوصاني بمباشرة غسله، فغسلته. ولما شرعت في تكفينه، وسرولته بسراويل خلق خشن رث قصيف، جردته منه، وفسخت السراويل من وسط، وسرولته به. فأنا أسروله بهم، تبسم تبسما كبيرا ظاهرا، شهده كل من حضر، حتى فتح عيناه وفاه، مع كونه عند الوضوء ما تمكنت من مضمضته إلا بكلفة، رحمه الله تعالى. دفن، رحمه الله، بوسط صحن زاوية سيدي علي الحجام يسرة الداخل، رحمه الله.

الطائــــفــة الســـادســـة

[الطــائفـــة الحفنيـــة]

وهم أصحاب الشيخ الأجل، الإمام الهمام العلامة الأفضل، المدرس الصوفي الأكمل، أبو عبد الله، سيدي محمد - بالفتح- الحفني، المصري دارا وقرارا.

[محمد الحفني المصري] [1]

لقيته ﷺ بمصر عام ستة وستين ومائة وألف، وكان أول من لقيناه بها يوم دخلناها، صاحبه الشيخ محمود الكردي، رحمه الله، اجتمعت معه فتبركت به. وطلبت منه أن يلاقينا بالشيخ الحفناوي ﷺ، فأجابنا إلى ذالك وسار بنا إليه، واستشاره علينا، وكان معي الشريف سيدي علي ابن مولاي أحمد الصقلي وولد عمه سيدي عبد الهادي، رحمة الله عليهما، وجماعة من الحجاج، فخرج عندنا وسلمنا عليه، وأدخلنا إلى مقعده، فجلس وجلسنا بين يديه. فأول كلام تكلم معنا، قال: يا حجاج، على سلامتكم، فيكم رائحة مولانا عبد المجيد الزبادي. فقيل له: أخوه هو الذي عن يسارك. فرمى يده على عنقي وحازني إلى صدره، وقال لي: مرحبا برائحة الحبيب. ونشر علي طرف شاله، وأنا وجهي إلى صدره، وجعل ذراعيه على عاتقي، واشتغل بالكلام مع الحاضرين، وأنا على ذالك الحال ساعة، حتى كنت أسمع قلبه يتكلم كنقشة المكانة، الله، الله. وكنت استنشقت رائحة من صدره لا تشبهها رائحة مسك ولا عنبر، ثم أمر خدامه فجاء بالقهوة، فأخذ الشيخ فنجلا فأعطانيه، فقبضته من يده، وقلت: يا سيدي، إني لا أشربها، فإن طبيعتي لا تحملها. وبقي الكأس بيدي، ثم بعد ذالك خفت من سوء الأدب وشربته، والخدام يسقي الناس الحاضرين. قال لي ﷺ: أتشرب شاربات؟ قلت: نعم. فقال لخدامه: هات يا ولد شاربات. فدخل الخادم إلى الدار، وجاء من حينه بقرعة بلور كبرى مملوءة بماء أصفر مشوب بحمرة، فقبضها ﷺ وأنزلها على ركبته، وأفرغ منها في زليفة صغرى. فقلت له: يا سيدي، إني اشتهيته عليك مني إليها من غير واسط. فتكلم لي مع بعض الحاضرين، وعاب ذالك علي. فقال لي الشيخ ﷺ: الحق ما طلب، ولم يطلب غير حقه. فنشر، رحمه الله، شاله علي كما كان أولا، وأمال فمها إلى فمي، وجعل يقول: اشرب، اشرب. حتى رويت، وهو يقول: زد، زد. حتى انتهت. ورفع شاله عني، وجلست، ولف القرعة في سبنية كانت ملتفة على يده

---

[1] محمد الحفني أو الحفناوي المصري (-1181هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 182/4-188. الروضة المقصودة: 295/1.

لا تفارقه، وذالك لئلا يعلم الناس كم شربت، ولا كم بقي. ودفعها للخادم، فردها للدار، ولم يشرب منها أحد غيري. ودعا لنا ﷺ بخير، وتبركنا منه، والحمد لله. وبقيت رائحة شاربات في فمي ومذاقي نحو ثلاثة أيام، وتخرج من عرقي حين العرق. ولما نزلنا من الحجاز، عام سبعة وستين، عدت إليه، واجتمعت معه، وكنت أحضر مجلسه في مسجد الصادقيين في كل صباح، كان يقرأ همزية البوصيري ﷺ، وجدته في أوله، فكنت أحضر فيها مدة إقامتي بمصر، حتى ختمها. وبعد ختمها، بدأ كتابا عندهم في الإسراء، يسمونه "المعراج"، تركته في قراءته، وسافرت.

فوجدته ﷺ عالما ماهرا حافظا، منورا بالنور الإلاهي المحمدي، بحرا لا ساحل له، حسن التدريس، فصيح اللسان، جهير الصوت، لين الطبيعة، حافظا، جامعا بين الرواية والدراية، وإن لكلامه لحلاوة، وعلى مجلسه لطلاوة، وأخلاقه حسنة، وسيرته مستحسنة. وله ﷺ بداره بيت معد للذكر بعد صلاة عصر كل يوم خميس وجمعة، (يجتمعون)[1] فيه أصحابه لذالك.

وكان ﷺ سريع التلقين لمن يطلب منه. ولما عزمنا على السفر من مصر إلى المغرب، وأردت منه التلقين واستحييت، طلبت من صاحبه الشيخ محمد المذكور أن يتوسط لي معه في ذالك، فأجابني إليه. ولما جلست بين يديه، قال لي: اذكر لي ما عندك. فذكرته له. فقال لي: يخاف عليك التفريط، فاحتفظ على ما عندك، فإنه يكفيك الآن، ونحن موافقون على ذالك، إن شاء الله تعالى، والله سبحانه القوي المعين. وتوادعنا، وسافرت من الحين.

أخذ ﷺ عن الشيخ الكامل، سيدي مصطفى البكري الصديقي ﷺ، عن الشيخ سيدي عبد اللطيف، عن الشيخ سيدي مصطفى أفاندي الخير، عن الشيخ علي الهمة، عن الشيخ سيدي إسماعيل، عن الشيخ محيي الدين، عن الشيخ عمر، المشهور بالفوادي، عن الشيخ شعبان أفاندي، عن الشيخ خير الدين جلى سلطان، عن الشيخ سيدي محمد كوز نجاح، عن الشيخ زكرياء الشيرواني، عن الشيخ صدر الدين الناجي، عن الشيخ عز الدين الحاجي، عن الشيخ العارف الحجة، المشهور بأخي محمد، عن العارف العابد، سيدي إبراهيم الزاهد، عن الشيخ جمال الدين، عن الشيخ شهاب الدين، عن الشيخ النجاشي محمد السري[2]، عن الشيخ الإمام الأبهري، عن الشيخ الإمام السهروردي[3]، عن الشيخ سيدي عمر البلوي، (عن الشيخ وحى)[4]، عن الشيخ سيدي محمد المشهور، عن الشيخ محمد الديوري، عن الشيخ أبي علي، ممشاد الدينوري[5]، عن الشيخ الإمام، سيدي أبي القاسم

---

[1] كذا، والصواب: يجتمع.
[2] أبو الحسن، سري السقطي بن المغلس (-253هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 107. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 136/1، هامش: 558.
[3] أبو النجيب، عبدالقادر بن عبدالله السهروردي (-563هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 199.
[4] ب: ساقط.
[5] ممشاد الدينوري (297هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 146.

الجنيد البغدادي، عن الشيخ سيدي سري السقطي، عن الشيخ سيدي معروف الكرخي[1]، عن الشيخ سيدي داود الطائي[2]، عن الشيخ سيدي حبيب العجمي، عن الشيخ الحسن البصري، عن الإمام مولانا علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عن المصطفى ﷺ.

وتوفي صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، سنة إحدى وثمانين ومائة وألف. وقد كثر، رحمه الله، صيته، وشاع خبره، وذاع ذكره، وأشرق نوره. وله أتباع وأصحاب، عمرت بهم الزوايا في كل الأقطار مشرقا ومغربا، قفلت من ريف مصر على ما ينيف على أربعين قرية. وما دخلت قرية منها إلا وجدت بها أصحابا له مجتمعين على ذكر الله، سائرين بسيره. وانتفع الناس ببركة من أصحابه في كل أرض، وظهرت من بركته عليهم العلامات والكرامات، شيء لا ينكره إلا جاحد.

فـــصـــل

[في ذكر من لقيهم الزبادي من الطائفة الحفنية]

[محمود الكردي][3]

ومن جملة أصحابه المشتهرين به من اجتمعنا معهم، وانتفعنا بهم، تلميذه ووارثه، الشيخ الفقيه، العالم العامل، العارف بالله، الصوفي الواصل، أبو عبد الله، الشيخ محمود بن أبي زيد، الكردي أصلا، الشافعي مذهبا، الحفني طريقة، المصري دارا وقرارا. هو أول من لقيته بمصر، واجتمعت معه، وتبركت به، وعرفته، وتواخينا في الله، فكان هو الواسطة بيني وبين الشيخ الحفني.

قرأ ﷺ من العلم ما شاء الله، ثم تجرد للعبادة. وكان، رحمه الله تعالى، نحيل الجسم، رطب العينين، وتبصر آخر عمره، كثير الصيام والتعبد والتقشف والذكر والتواضع، كريم الأخلاق .

وكان، رحمه الله تعالى، أقرب الناس إلى الشيخ الحفني، من الملازمين له ولخدمته، ومتطلعا على أموره وسرائره. فكنت أجتمع معه مدة إقامتي بمصر، وإذا لم نحضر، يسأل عني ويرسل إلي، حتى من بركته وكثرة محبته، أحبني لحبه جميع أصحابه من المغاربة القاطنين هنالك، فكانوا لا يفارقونني ليلا ولا نهارا، من شدة محبتهم إياه،

---

[1] أبو محفوظ. معروف بن فيروز الكرخي (-201هـ). ترجمته في: لواقح الأنوار: 104. انظر مصادر ترجمته في الإشراف: 135/1، هامش: 557.

[2] أبو سليمان، داوود بن نصير الطائي. ترجمته في: رسالة القشيري: 26-27.

[3] محمود الكردي المصري (-1195هـ). ترجمته في: الروضة المقصودة: 335/1-338. التعريف بالتاودي ابن سودة: 24-25.

حتى كنت لا أمشي من موضع إلى آخر حتى تراني ماشيا وهم من ورائي تابعين لي، من شغفهم بي ومحبتهم إياي، حتى طلبوا يوما من الشيخ محمود، وقالوا له: طلبنا مجاورة سيدي الزبادي وإقامته عندنا هاذه السنة. فقال الشيخ: سمعث ما يقول الإخوان؟ قلت: يا سيدي، الزائر في قبضة المزار. ثم قال لهم: أجل، لاكن سيدي الزبادي، إذا كان عنده نصير يبلغ بهما إلى أمه، يجلس هنا ينفقهما، ويبقى من غير زاد يبلغ به لأمه. ثم التفت إلي، وقال لي: ما ظهر لك يا زبادي؟ قلت له: الزائر في قبضة المزار. فقال، رحمه الله: هاذا جواب الفقير الصادق. فقال رجل من الإخوان: إن جلس يا سيدي عندنا هاذه السنة علي تزويجه بالصداق أو بالشراء ومؤنه حتى يسافر. وقال آخر: يا سيدي، إن أقام عندنا هاذه السنة، فعلي حجه العام القابل ذهابا وإيابا من غير شيء يلزمه. فجزاهم الشيخ على قولهم خيرا، ودعا لهم به ولي معهم. وبقيت كذالك بين السفر والإقامة، وكانت الإقامة عندي أغلب. ولما تعين سفر الركب وبرز، عزمنا بعض المحبين وجمعنا بداره، والشيخ محمود معنا، فقالوا للشيخ أيضا: أردنا من سيدي الزبادي أن يقطع لنا بسفره أو بمقامه. فنظر إلي الشيخ، فقلت له مقالتي الأولى: الزائر في قبضة المزار. فسكت الشيخ، رحمه الله، وسد عينه ثم فتحهما، وقال: خلوا سيدي الزبادي يمشي عند أمه بالسلامة، فإنها ترجاه صباحا ومساء، ادعوا له بالاجتماع معها بخير. ثم قال: يا سيدي الزبادي، اتفق الناس على تزويجك، وأعطوك بنت الزاوية، ولاكن ثيبا، أرضيت أم لا يا زبادي؟ قلت: رضيت يا سيدي، ولو كانت أمة سوداء مشرطة الخدين. فرفع عند ذالك يديه، وقال: الفاتحة. فقرأ الفاتحة، وخرجنا، وقد انقلبت أحوالي ودارت، وقوي عزمي على السير، ولقيت في الحين الشيخ العالم، العلامة المشارك الأديب، عالم المدينة المشرفة وخطيبها، سيدي الحاج محمد بن الطيب، الشرقي أصلا، الفاسي دارا ومولدا، المدني قرارا ودارا ودفينا. فقال لي: من المسافرين أو من المقيمين؟ فقلت: من المسافرين. الآن تحقق السفر عندي، إن شاء الله تعالى. وأخبرته الخبر بما وقع، وما انفصلنا عليه، فوافق لي على ذالك، ودعا لي بخير وأمن، والحمد لله على فضل الله وعلى معرفة الأجواد.

وليلة السفر، قطع عندي بعض الإخوان في الله المذكورين، وباتوا معي وأعطوني بعض الفلوس، وقالوا لي: هاذا ما زودك به إخواننا. فقبلت ذالك منه، ودعوت لهم بخير، فجزاهم الله عنا خيرا.

[زواج الزبادي المؤلف]

ولما بلغنا مدينة فاس، جعل أهلي يخطبون لي النساء، فلم يسخر الله تعالى في واحدة منهن، حتى قلت لهم: لا تخطبوا البكر قط، واخطبوا الثيب، واخطبوها في الزاوايا.

فخطبوا في زاوية الشيخ الولي الصالح الشهير، سيدي أحمد بن يحيى[1]، نفعنا الله به، ثيبا من أولاده، كما قال الشيخ محمود الكردي، فهاذا من بركة الأجواد وبركة النبي ﷺ.

فكانت الزوجة المذكورة، رحمة الله عليها، التي أعطوها لي ذات حسن وجمال، وحسب ونسب، وعقل ودين، عطية الأجواد، مكمولة من غير سوء، فكانت سهلة هينة في خطبتها منها ومن والدها. فلقيني يوم الخطبة، وقال لي: يا فلان، كيف تحشمني مع من أرسلته من الناس في الخطبة، فلو كلمتني منك إلي لأجبتك لذالك من غير واسطة ولا حشمة. وثانيا يوم دفعنا له النقد ترك الناس بالمسجد ودخل إلى الدار وخرج، فقال: كم هاذا الذي جئتم به؟ فقالوا: كذا. فأفرغ دراهم من عنده في الدراهم المدفوعة، وقال لهم: هاذا حقي في هاذا المهر، ردوه له، وقولوا له يتركه عنده حتى تأتيه زوجه، فتكون تأمره بما يخصها، فيشتريه لها ويخلصه من ذالك، وكلما يخصه بعد تصيير ذالك، فأنا أعطيه، رحمة الله عليهما. وكان الأمر كذالك.

فكانت، رحمها الله تعالى، طيبة العشرة، راضية بالقسمة بما حضر وسهل، والكثير والقليل عندها سواء، ويُكثر القليل في يديها ولا يقل الكثير، حامدة الجميع، ضابطة لكل أمورها، ناصحة في بيتها، قائمة بشؤونها، وكنت أنفق في حسابي القليل من الفقراء، ويأتوا كثيرا، فتقول هي: لا تخف، مالك إلا كفاية الناس، ويفضل ما يفضل، حتى أطعمت يوما في ليلة عشرة مخافي من ثمانية عشر رطلا من الدقيق، وعشرة أرطال من اللحم، وفضل للغد ما يقرب منها.

وكانت، رحمها الله، حلوة الكلام والمنطق، مباشرة لجميع الناس، كريمة الأخلاق، سالمة من الحسد والبغض، كارهة للتكلف، حازمة مع دينها في صلاتها وصيامها، مولعة بالذكر والصلاة على النبي ﷺ، وتتواجد عند ذالك، وتحب الصدقة، وتحب الفقراء وأهل الخير وجمعهم، وتحب سماع الوعظ وتصغي له، ومند توليت التوريق بمولانا إدريس ﷺ وهي لا يصيبها الفجر إلا جالسة على وضوء يدها في شغلها، ولسانها يذكر الله أو يصلي على النبي ﷺ حتى يصبح. وفي بعض الأحيان كانت تخرج معي إلى مولانا إدريس ﷺ لسماع الوعظ، وتصلي الصبح مع الجماعة، وترجع معي إلى الدار، فهاذا كان دأبها وديدنها، وعليه ماتت، رحمة الله عليها. وعند حضور الطعام لا تأكل حتى توكل، وكانت لها همة عالية، تسامح في حقها ولا ترضى بالحشومة، وتسرع لإكرام الضيف. وكانت ترى مرائي، وتظهر واضحة كما رأت، وتخبر بأمور، وتنسبها لوالدها في حياته ولا تنسبها لنفسها. ولما توفي والدها، رحمه الله، كانت إذا أصابها شيء، أو وقع منها شيء، تنسب ذالك لسيدي أحمد بن يحيى، وكان قولها في كل ما يصيبها، أو ما تحتاج إليه من حاجة: كيف يا سيدي أحمد بن يحيى، (إذا والله)[2] علي يفرج عني، وما تقضي هاذه

---

[1] أحمد بن يحيى. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 465/3.
[2] كذا.

الحاجة، حاجتها أو حاجة غيرها، إلا ناديت عليك ولا انتسبت اليك. وتمشي عنده وتقضي تلك الحاجة، وكان الناس يقصدونها في حوائجهم وتمشي إليه وتقضى من صدق نيتها وطلبها.

ووقع لي غيار مع ولدي منها بعد موتها، واشتد غضبي عليه، حتى صدر مني دعاء فيهم، ونزل في ما نزل من أجل ذالك، وسقطت إلى الأرض وغبت، وإذا بها دخلت علي، ووقفت عند باب الغرفة، ورمت بشنيرها من رأسها علي رغبة في الولد المذكور، ففزعت عند ذالك منها، وقمت زائلا ما كان بي من الغيار والغضب.

توفيت، رحمة الله علينا وعليها، منتصف شعبان المبارك عام اثنين (ومائة)[1] وألف، فكانت موتتها موتة الصالحين، وكانت لها جنازة كبيرة حفيلة، لا من جهة الرجال ولامن جهة النساء، حضرها أعيان الناس والعلماء والطلبة وطوائف الفقراء، أمر عظيم لا يكيف، ولم يقع إعلام منا لأحد، وإنما ذالك سر عظيم من الله سبحانه، ومع هاذا بقينا نحو الشهر والناس يجيئون أفواجا، من لا نظن بهم يعزوننا من النساء والرجال، ويلوموننا على تقصيرنا في إعلامهم بموتها ولامرضها.

الحاصل، أمر لا يكيف ورزية لم تخلف، وكم من واحد من الناس رآها بعد موتها على حالة طيبة، برأسها النوار، وبين يديها نوار حسن كثير، ما لا عين رأت. وسألوها عن ذالك النوار، فتقول: هاذا بعثه لي فلان زوجي. وكانت، رحمة الله عليها، قبل موتها بقريب إذا رأتني نفرح بشيء من أحفادي، تقول: ها أنا ماشية نموت، وتأخذ امرأة صغيرة تلد لك بمن تفرح. بقيت في عشرتي خمسا وثلاثين سنة، وهي على الحالة التي وصفنا. وكان الأمر كما كانت تقول، ماتت وتزوجت امرأة وولدت لي ولدا وبنتا ولم تعد، رحمة الله علينا وعليها، والحمد لله، على معرفة الأجواد وملاقاتهم.

وتوفي الشيخ محمود، صاحب الترجمة، ﷺ سنة خمس وتسعين ومائة وألف.

[أحمد الصقلي][2]

ومن أصحاب الشيخ الحفني ﷺ أيضا، الشريف الشيخ، العارف بالله المربي، أبو العباس، مولانا أحمد الصقلي الحسيني ابن الشريف الأجل، مولاي محمد بن الشريف الأفضل، مولانا أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن قاسم بن محمد بن علي بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن علي بن طاهر بن عيسى بن

---

[1] كذا، وهو خطأ، ولعلها: ومائتين.

[2] أحمد بن إدريس الصقلي (-1171هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي ابن سودة: 126-130. موسوعة أعلام المغرب: 2220/6-2221. سلوة الأنفاس: 200/1-201.

محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ﷺ وفاطمة، رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ.

كان ﷺ شيخا كاملا مربيا، رطبا هينا لينا، ذا أخلاق كريمة حسنة، وسيرة طيبة مستحسنة، جلابا للقلوب، يقطف النوار من كل الطوائف، ولو طال عمره إلى الآن ﷺ، لما كان يظهر عليه، لاجتمع عليه كل الطوائف.

وكان، رحمه الله تعالى، من بداءته إلى نهايته مصاحبا ومكبا على كتاب ابن عباد على الحكم، لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا. وكانت له، رحمه الله تعالى، دكانا بالعطارين الكبرى في ابتداء أمره من ناحية المدرسة، لا تراه فيها إلا مكبا على كتاب ابن عباد المذكور طول نهاره، وما ذهب لموضع من الاخوان، أي موضع كان إلا وذالك الكتاب معه تحت إبطه، في ليلة أو نزاهة أو إكرام أوعيادة مريض.

وكانت له، رحمه الله، صحبة وأخوة كبيرة مع أخينا سيدي عبد المجيد، المتقدم ذكره، فكان كثيرا ما يبيت عندنا بوعد وبغير وعد، عندي أو عند أخي. زرنا معه ﷺ الشيخ الهمام مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ مرارا، ولا كثر صيته، وأشرق نوره، وظهرت كراماته، واجتمع الناس عليه، حتى حج، رحمه الله، عام تسعة وخمسين ومائة وألف. ولقي بقاهرة مصر شيخنا العلامة الفهامة، المشارك المحدث، الصوفي الخلوتي الشافعي، أبا عبد الله، سيدي محمد بن سالم الحفناوي، المتقدم ذكره، أول الباب ﷺ، وأخذ عنه الطريق والإذن، واعتمد عليه، وكمل له المقصود، ولاحت عليه الأنوار من كل جانب، وظهرت علامات الخير فيه، وكبرت همته وهيبته ﷺ. ولما رجع ﷺ تعالى من حجته تلك، فاحت بطيخته، واجتمع عليه الناس وقصدوه واتبعوه، فكان يجلب الولدان؛ من كل طائفة خيارها، وعطفت عليه الخلائق، فكان أولا يجتمع بالمسيد عند دار الشرفاء الصقليين من الدرب الطويل مع الفقراء من أتباعه، وحين يكثر الجمع، كان يذهب إلى دور الإخوان، ويدخل هو وأصحابه، وإذا دخل صباحا فلا يخرج إلى المساء، أو إلى صباح غد، وتارة ثلاثة أيام، وفي بعض سبعا، كل ذالك غيبة في الله وولوعا بذكر الله تعالى. ولما كثر أصحابه، جعل يعمر معهم في زاوية الشيخ سيدي أبي عياد ابن جلون في حومة الصاغة، وبقي معتمرا بها إلى أن توفي، رحمه الله، سابع رمضان المعظم، سنة سبع وسبعين –بموحدة فيهما– ومئة وألف، ودفن بعد صلاة الظهر من ذالك اليوم بحومة السبع لويات. وكانت له جنازة عظيمة ﷺ، حضرها الخاص والعام، وبنيت عليه هناك زاوية مباركة يعمرونها أصحابه بالذكر والصلاة إلى الآن.

رأيته ﷺ في النوم، بعد موته بكثير، في موضع عال واسع جدا، وكله مجزوا بالأحواض، وتلك الأحواض كانت مخضرة بنبات أخضر، لم ير الناظر أحسن منها، وعلو ذالك الموضع قريب من القامة، وهو محصور بصريمة حجر، وكان مع إنسان آخر، ومعنا سيدي علي ولد مولاي أحمد، فمددت يدي لأعلى الصريمة وحطت رجلي على

الطاقة وتماطيت للطلوع عند الشيخ، فردني الشيخ بيده، وقال لي: لا تتقلق. ومد يده إلى ولده سيدي علي المذكور، وقال له: هات يدك. فقبض في يده، وقال لي: والرجل الآخر أعينوه. فأعانه من مؤخره حتى طلع عند أبيه، واستيقظت. فذهبت من الغد عند ولده سيدي علي لحانوته بالعطارين، فوجدتها مسدودة، فسألت عنه، فقيل لي: مريض. ومن الغد أو بعده توفي، رحمة الله عليه، وكنت أنا غاسله، والذي كان معي يرش علي الماء. ودفن في الزاوية مع أبيه، رحمه الله.

وله ﷺ كرامات:

منها: ما قع لي مع الرجل الصالح، سيدي عبد العزيز بن علي، كان، رحمه الله، من أهل الخير، ولم أقف له على شيخ، إلا أنه كان يجتمع مع الشيخ سيدي محمد بن يوسف الحمدوشي، دفين شيبوبة، وكانت له شهرة بالصلاح؛ هو وأخوه سيدي عبد الرحمن عند الناس. ولما دخل الوباء للمغرب وظهر، جعل سيدي عبد العزيز بن علي المذكور كلما مر بحانوت مولانا أحمد يسأله عن السدرة التي يغسل بها الأموات، فيقول له مولاي أحمد: ما عندي سدرة. فيقول له بن علي: اشتريها، ووجدها تكون عندك. كلما مر به يسأله عن ذالك ويؤكد عليه في شرائها. ولما دخل الوباء فاسا، وفشا في الناس، ومر سيدي عبد العزيز بمولانا أحمد وسأله أيضا عن السدرة، نزل مولاي أحمد من حانوته، وقبض ابن علي من يده، وجعل يطوف به على حوانيت العطارين، ويقول لهم: إن هاذا سيدي عبد العزيز بن علي يعزمكم أن تحضروا عنده عرسه غدا، إن شاء الله. فضربه الوباء من الغد ومات، رحمة الله عليه، وحضرت لجنازته خلائق عديدة.

ومنها أن رجلا كان أنزل صندوقا عند أخينا سيدي عبد المجيد المذكور آنفا على وجه الأمانة والحفظ، عام خمسين ومائة وألف، وأنزله أخي في بيت سيدنا الوالد، وتوفي أخي ووالدي، وبقي الصندوق في موضعه عند الوالدة، ولما جاء رب الصندوق بعد ستة عشرة سنة وفتحه، ادعى أنه خصه منه حوائج نحو المائتي مثقال بزعمه، واتهمني بذالك وأنا لا علم لي بما فيه، ولم يدخل الصندوق مسكني قط، وشكى صاحبه للمخزن. ولما بلغ الخبر لمولانا أحمد ولقيني، قال لي: أخبرني بقصة الصندوق. فقصصتها عليه، فقال لي: سر، والله ما لك فيه حظ ولا نصيب، وأنا أعرف من فعل ذالك. فبعث وراءه مولانا أحمد ليجيء عنده، فأبى وامتنع، فسكت عنه مولاي أحمد، وقال لي: لا تخف، والله ما يسوى شيئا في دعواه. ثم إن الحاكم بعث إليه من الغد، وقال له: إنك ظلمت ذالك الشريف وتعديت عليه من غير موجب عندك ولا إثبات. فجاء عند ذالك المدعي إلى مولاي أحمد وقال له: أترى أن الحاكم كان وقف معي على حقي، واليوم رجع علي وجاء من جهة فلان وتعرض عليه، ولآن أشهد أني داعيه إلى السلطان لمراكش. فقال له مولاي أحمد: أنت تريد أن تبلغ إلى السلطان، والله لا رأيته ولا رآك، وإنما تكون أنت بدار وهو بدار. ثم سافر إلى مراكش فمرض هناك ومات، ولم ير السلطان ولم يره السلطان.

ومنها كنا يوما في نزاهة في غرصة الحريشي بوادي الصوافين وبها نخلة، وكانوا في تلك النزاهة جماعة من أهل الخير من جملتهم مولاي أحمد الصقلي، وفي عشية النهار، جاء رب العرصة برجل من أهل الصحرة يذكر له النخلة، فقال له مولاي أحمد: إذا طحت، قل: "زب"[1]. فقال له بعض الحاضرين: هاذا فالك، وأراد أن يقول لطالع النخلة حتى بلغ للجريد، وأراد الدخول لوسط الجريد، فانشلخت به جريدة وسقط، والناس ينظرون. فصاح مولاي أحمد وأشار إليه بيده: يا حفيظ، يا حفيظ، يا ستار. ووقف فنزل الرجل على خملة شجرة الليمون وترطبت به تلك الفروع وطرحته على الأرض سالما كأن لم يسقط من تلك النخلة.

ويحكى عن العلامة، إمام وقته، وشيخ جماعته، أبي عبد الله، سيدي الحاج محمد التاودي ابن سودة، الموجود الآن، أنه ذهب مع مولانا أحمد، صاحب الترجمة، لزيارة الولي الكبير، الصالح الشهير، سيدي أحمد الشاوي[2]، ولما وصل معه إلى زقاق البغل، وقف مولاي أحمد، وقال للفقيه: إني راجع، ترجع معي؟ فقال له: ولم؟ فقال له مولاي أحمد: لقيت صاحبي هنا وقضى لي حاجتي، أو قال: وقضيت حاجتي.

[أصحاب أحمد الصقلي من العلماء]

وكان لمولانا أحمد، صاحب الترجمة، أتباع كثيرة من الاشراف والعلماء وعامة الناس، يقيلون ويبيتون معه، ويحضرون مجالسه للذكر وغيره، وظهر عليهم الخير من بركته، وشاهدوه وشهد فيهم وأقروا به.

[محمد التاودي ابن سودة]

فمنهم: العالم العلامة شيخ جماعة وقته، المدرس المحدث، أبو عبد الله، سيدي محمد التاودي بن الفقيه العالم، المرحوم سيدي الطالب بن سودة، الموجود الآن والمتقدم ذكره.

---

[1] كذا.

[2] أحمد الشاوي (-1014هـ). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 233-256. التقاط الدرر: 44. نشر المثاني: 132/1. طبقات الحضيكي: 50/1. الروضة المقصودة: 215/1-216. سلوة الأنفاس: 309/1-315. الاعلام: 206/2.

[أبو شعيب المطيري]

ومنهم الشيخ الفقيه، الصوفي المتقشف، الخامل الذكر، القائم الصائم الجوال، سيدي الحاج أبو شعيب المطيري، رحمه الله تعالى. كان ممن أظهر الله فيه علامات الخير والبركة من محبته الصادقة، وكانت تعتريه الأحوال حين الذكر والذكرى، وأشرقت عليه الأنوار الربانية المحمدية والأسرار الوهبية، ولاح ذالك عليه من شدة محبته في جانب المصطفى ﷺ.

أخذ، رحمه الله تعالى، أولا عن الشيخ مولانا أحمد الصقلي، صاحب الترجمة، ولقي ثانيا بمصر شيخنا الحفناوي ﷺ، واجتمع بتلميذه ووارثه الشيخ محمود الكردي، المتقدم ذكره، رضي الله تعالى عن جميعهم وسقانا من مددهم.

وتوفي الشيخ أبو شعيب بمصر سنة اثنين وثمانين ومائة وألف. حكى لي بعض الإخوان الذي حضر له، قال: وأنه قبل موته بأيام، قال له: إني أتيت السيدة خديجة بنت وهب؛ زوج النبي ﷺ، وقالت لي: خذ ثلاثة أيام عندنا، إن شاء الله. وذكر لي أنه كان مدة مقامه بالمدينة المشرفة، على ساكنها الصلاة والسلام، لم ير برجله نعل، وإنما يمشي حافيا من غير نعال، ذكر لي هاذا كم من واحد من الحجاج.

[محمد بن الحسن بناني][1]

ومنهم الفقيه العالم العلامة، المحدث الصوفي المدرس، مفتي الأنام، سيدي الحاج محمد ابن المرحوم الحاج الحسن بناني.

كان، رحمه الله تعالى، عالما عاملا، ذا مروءة وتؤدة، وحسب ونسب وحياء، وكان إماما بمسجد الإمام مولانا إدريس، نفعنا الله به، وخطيبا به، ومدرسا به الفقه والحديث، له مجلس عظيم للتدريس، وعلى مجلسه سكينة، وانتفع عليه كثير من طلبة العلم.

قرأ، رحمه الله تعالى، في صغره على شيخنا سيدي علي قصارة المتقدم النحو، وعلى إمام النحويين سيدي محمد الجندوز[2]، والفقه والحديث على الشيخ العالم العلامة الصوفي، الناصري طريقة، أبي عبد الله، سيدي محمد بن عبد السلام بناني[3] ﷺ، الآتي

---

[1] محمد بن الحسن بناني (-1194هـ). ترجمته في: نشر المثاني 214/4. سلوة الأنفاس: 174/1-177. فهرس الفهارس: 227/1-229. معلمة المغرب: 1483/5.

[2] أبو عبدالله محمد بن الحسين الجندوز (-1148هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 238/2. التقاط الدرر: 365. الروضة المقصودة: 276/1-282. سلوة الأنفاس: 262/1-263.

[3] محمد بن عبدالسلام بناني (-1163هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 80/4-81. التقاط الدرر: 416-419. سلوة الأنفاس: 156157/1. فهرس الفهارس: 224/1-227. الفكر السامي: 344/2.

ذكره، إن شاء الله، وعلى الشيخ العالم، الزاهد الورع، سيدي أحمد الورزازي[1]، رحمه الله تعالى، وقرأ أيضا الفقه والحديث والتصوف على شيخنا العلامة، شيخ الجماعة، سيدي محمد بن قاسم جسوس، المتقدم ذكره آنفا، وكمل خيره وظهر عليه بمعرفة مولانا أحمد، صاحب الترجمة. وكان، رحمه الله، يتحرى عطية السلطان إذا أعطاه شيئا، فكان يفرقه على من يستحقه.

توفي، رحمه الله تعالى، منسلخ ربيع الثاني عام أربعة وتسعين ومائة وألف، وبنيت عليه روضة بين سيدي محمد عزيز والشيخ ابن زكري والشيخ ميارة والمحوجب بناني وميارة الصغير وسيدي أحمد بن الحاج ﷺ بقعر الدرب الطويل.

[عبد الكريم اليازغي][2]

ومنهم الفقيه النبيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، المدرس المفتي الأمثل، أبو عبد الله، سيدي عبد الكريم بن علي، اليازغي أصلا، الفاسي دارا ومولدا وقرارا.

كان، رحمه الله تعالى، فقيها عالما، مدرسا مفتيا، بيانيا حازما، ممن لا يزحزحه شيء عن الحق. أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ سيدي عمر الفاسي المتقدم، وهو عمدته، وأخذ ثانيا عن شيخنا سيدي محمد جسوس المتقدم.

وتوفي، رحمه الله تعالى، في السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام عام تسعة وتسعين ومائة وألف، وكانت له جنازة عظيمة. ودفن عند ضريح الإمام أبي عبد الله القوري بباب الحمرة من باب فتوح، رحمهم الله تعالى.

[محمد اجنوي]

ومنهم الفقيه العالم، الزاهد الورع، الحسيب النسيب، أبو عبد الله، سيدي محمد اجنوي الصماتي.

كان، رحمه الله تعالى، عالما عاملا خاملا، متقشفا صامتا، ذا حياء وسكينة ووقار، لا تأخذه في الله لومة لائم، وينسب ويزعم النسب الشريف. كان، رحمه الله تعالى، يعتمد الشيخ التاودي المذكور والشيخ الورزازي، رحمهم الله تعالى، بمراكش عام (كذا)[3] ومئتين وألف.

---

[1] أحمد الورزازي (-1179هـ). ترجمته في: طبقات الحضيكي:113/1. عمدة الراوين:129/4-131.
[2] عبدالكريم بن علي اليازغي (-1199هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 128/2-129.
[3] بياض قدره كلمتان.

[محمد بن علي العلمي]

ومن أصحاب مولانا أحمد الصقلي أيضا، الشريف الفقير المرابط، المحب الصدوق، أبو عبد الله، سيدي محمد بن مولانا علي العلمي الحسني.

كان، رحمه الله تعالى، فقيرا محبا صادقا، غريقا في علم الحقيقة وفي حب المصطفى صلى الله علية وسلم. وكان، رحمه الله تعالى، سالكا سنيا، خاشعا لله خاضعا، ذا أخلاق حسنة كريمة وأوصاف مستحسنة، فتاشا على أهل الخير محبا فيهم، مولعا بالحقيقة وأهلها، ومن الذاكرين الله. كان، رحمه الله، تعتريه أحوال ربانية تغيبه وممن ظهر عليه فضل الله تعالى من بركة الشيخ مولانا أحمد، ومن ملازمته له ومحبته فيه.

توفي، رحمه الله تعالى، سنة سبع وثمانين ومائة وألف.

[محمد ابن جيدة]

ومنهم المرابط الأرضى، الخير الناسك المرتضى، الفقير المتقشف، أبو عبد الله، سيدي محمد ابن جيدة به عرف.

كان، رحمه الله تعالى، فقيرا متجردا، مولعا بذكر الله، وتعتريه أحوال ربانية تظهر علاماتها عليه، ويتواجد ويصيح. وكان من الغارقين المستغرقين في بحر التوحيد وفي حب النبي ﷺ. صحب أيضا الشيخ سيدي العربي بن الشيخ الكامل سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، وصحب بعد موته الشيخ مولانا أحمد الصقلي المذكور، واعتمده وانتفع على يده، فظهر عليه الخير من أجله.

توفي، رحمه الله تعالى عام تسعين ومائة وألف، وكانت له جنازة عظيمة، حضرها الخاص والعام من الناس، ودفن، رحمه الله تعالى، بمقبرة الغرباء قرب الشيخ العالم الورع سيدي العربي بردلة[1]، رحمه الله، خارج باب الجيسة.

[أحمد بن يونس]

ومنهم الشيخ السائح الجلاب، الخامل المتقشف، أبو عبد الله، سيدي أحمد بن يونس الشريف، رحمه الله تعالى.

كان في ابتداء أمره سياحا جوالا، جال في ابتداء أمره في بلاد المشرق والمغرب وغيرهما، ولقي الناس كثيرا في سياحته، وغرق في بحر الوحدة وفي بحر محبة النبي

---

[1] أبو حامد، محمد العربي بن أحمد بردلة (-1133هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 247/3. التقاط الدرر: 320-321. سلوة الأنفاس: 169/3-170. الفكر السامي: 338/2.

ﷺ. وكان، رحمه الله، يجلب القلوب بحلاوة لسانه، عارفا بالطريق وأهلها. صحب أولا بفاس الشيخ سيدي العربي بن عبد الله معن الأندلسي المذكور، واعتمد بعده مولانا أحمد الصقلي المذكور، وانتفع على يده. ولقي الشيخ الحفني بمصر وصحبه ﷺ، ولما توفي مولانا أحمد الصقلي، أقبل الفقراء عليه وغيره، وردوا محبتهم إليه، وكان لا ينسب شيئا لنفسه، ومن تعلق به واتهمه يشير لأصحاب مولانا أحمد. وكان، رحمه الله تعالى، إذا انفرد عن الفقراء يكون كلامه مع من يتعلق به بلسان التربية والأدب والتهذيب، وإذا كان في وسط الفقراء حين يجتمعون يكون كواحد منهم. وكان، رحمه الله، قريب الدمعة وتعتريه الأحوال كثيرا في حال الذكر والذكرى، وكان يحب الضعفاء والمساكين رؤوفا بهم، يأخذ من الأغنياء ويعينهم.

وكان له دكان بالعطارين الكبرى لا تخلو من الأحباب يقفون عنده فيها، وجئته يوما لنشتري منه المداد، فوجدت عنده واقفا من الفقراء الفقيه الأجل، سيدي عبد الرحمن بن الفقيه المؤدب، سيدي التاودي ميارة، فلما دفعت لابن يونس الدواة، قال لي سيدي عبد الرحمن المذكور: ما عندنا مداد، ماعندنا مداد. فقال له ابن يونس: بل مددنا موجود. ثم قال لي مولاي محمد: اسمع ما يقول هاذا. فقبض الدواة في يده، وقال لي: لا نعطيكها حتى تجاوب هاذا عن مقالته، فحضرني في الحين من بركة الأجواد كلاما ملحونا في الماء الحفني، فأعطاني الشيخ ابن يونس قلما ودواة، وقلت:

الـــــسَّاقِي سْــــقَانَا	الْخَمْـــــرْ الْمَحْمُـــــودْ
مَيْـــــدُورْ بَيْنَنَـــــا	مِنْ حَوْضْ الْمَــوْرُودْ
انْظُـــــرْ بْهَانَـــــا	وَلاَ تْكُـــنْ جَحُـــودْ
سَـــــلِّمْ حَالْنَـــــا	وَأَنْـــتَ الْمَـــسْعُودْ
رَبِّـــــي عْطَانَـــــا	مِـــنْ بَحْـــرِ الجُـــودْ
بِالـــــسَّرّْ مَـــــدْنَا	وَمَقَامْنَـــا مَرْصُـــودْ
يَـــا لٌ جَانَـــــا	مَـــدَدْنَا مَوْجُـــودْ
وَالْوَقْـــتْ وَقْتْنَـــا	وَشَـــمْعْنَا مَوْقُـــودْ
لُـــذْ بِحْمَانَـــا	سِـــرّْنَا مَـــشْهُودْ
وَالْعِـــزّْ بِرَبْنَـــا	وَهُـــوَ الْمَقْـــصُودْ

كتبتها في بطاقة ودفعتها له. فقال: اقرأ علي نسمع. فقرأتها عليه. فقام قائما وجعل يدور في الحانوت، ويقول: مددنا موجود. وأخذت دواتي وانصرفت.

ومرة أخرى، وجدت عنده رجلين من أهل رشيدة[1]؛ من أصحاب الشيخ مولانا أحمد ﷺ، وهما يتكلمان معه في المحبة، حتى قال له أحدهما: والله ما نعلم على شعرة في تحب غيركم، أو تميل إليه، نطلب الله أن يعطفكم علينا. فقال ابن يونس، رحمه الله تعالى: استمع يا مولاي محمد ما يقول هاذا؟ قلت: نعم: فقال له: اثبت على ما تقول. فحضر لي الكلام، وقلت له: هات الدواة والقلم. فأعطانيهما مع قطعة فكتبت:

إِذَا نَظَرْتَنِــــي فَنَظَــرًا صَـــالِحَا	يَخْضَرُّ جَنَانِي وَالتَّمْرُ يَطِيــبْ
وَإِذَا هَجَرْتَنِي عُــدِمْتُ الرَّاحَــا	تَكْثُرُ أَهْوَالِي وَالشَّرَابُ يَغِيــبْ
يَا أَهْلَ اللهِ يَـــا الــسُّرْبَا الْفَالْحَــا	إِلَّ قَـدَّمْكُمْ مَــا نَظُــنْ يْخِيــبْ
لَوْلاَ أَنْتُمْ مَا صَنْـلَحْتْ لِـصَالْحَا	لَوْلاَ دْوَاكُمْ مَا وْجَــدْتْ طْبِيــبْ
وَاللهْ مَـــا نَعْلَــمْ فِـــيَ جَرْحَــا	الــذِي تْــدِيرْ سْــوَاكُمْ حْبِيــبْ

فاهتز عند ذالك الشيخ ابن يونس واهتز الحاضرون، ودعوا لي بخير، والحمد لله.

توفي ابن يونس، صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، خامس شوال المبارك عام موفى مائتين وألف، ودفن بمطرح الجنة خارج باب فتوح، وبنيت عليه هنالك قبة. وكانت له جنازة حفيلة عليها شحوب وقع فيها للناس انزعاج في القلوب، وحضر له القاصي والداني من العلماء والصالحين والأشراف وولاة الأمر وغيرهم من عامة الناس، وقبره اليوم هناك مزارة يجتمع فيه أصحابه من الفقراء صباح كل جمعة يذكرون فيه الجلالة والاسم المفرد.

[محمد بن علي الصقلي][2]

ومنهم، يعني من أصحاب مولانا أحمد، ولد عمه الشريف الأجل، الفقير المحب، الصدوق الأفضل، ذو الجد دون هزل، مولاي محمد بن الشريف المبجل، سيدي علي الصقلي الحسني.

كان، رحمه الله تعالى، من أهل المحبة الصادقة، ومن الذاكرين الله كثيرا، المولعين بالذكر والإنشاد، وكانت تخرقه المعاني وتخرجه ويتواجد عند ذالك، لكن كان

---

[1] كذا. لعلها الرشيدية اليوم.

[2] محمد بن علي الصقلي (-1186هـ). سلوة الأنفاس: 149/1.

يغلب حاله. وكان، رحمه الله، في ابتداء أمره لقي الشيخ سيدي علي الجمل، رحمه الله، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، وصحبه وداومه أياما، وتجرد وتمذهب بذالك المذهب. ثم لقي مولانا أحمد الصقلي ﷺ فجلب قلبه، وانقلب حاله من حينه ورجع من ذالك، وبقي تابعا لمولانا أحمد الصقلي وملازما له لا يفارقه، وتولع به وبسيرته، وسكن ذالك في سويداء لبه وقلبه وقالبه، حتى كان، رحمه الله، لا شيء عنده أعز وأحب من الاجتماع بمولانا أحمد وأصحابه. وكان يحب الدراويش، وإذا حضر الذكر؛ الجلالة أو الاسم المفرد أو الصلاة على النبي ﷺ، لم تبق له حركة، وكانت تعتريه الأحوال وتظهر عليه. ولم يمت، رحمه الله تعالى، حتى ظهر عليه الخير الكثير من بركة الشيخ ﷺ.

وتوفي، رحمه الله، عام ستة وثمانين ومائة وألف. ودفن بروضة شيخه مولاي أحمد المذكور، ﷺ.

[عبد الوهاب التازي] [1]

ومنهم الشيخ المسن البركة، الناسك الخامل، العارف الصوفي، سيدي الحاج عبد الوهاب التازي، الموجود الآن. منذ خلقه الله تعالى إلى كبره وهو يبحث عن أهل الخير من هاذه الطائفة ومن انتسب إليها، ويتتبع آثارهم، ويجتمع معهم في السفر والحضر، ويطالع كتبهم، ويحفظ كلامهم ومعانيهم، ويتمسك بهم وبآثارهم، إلى أن لقي أولا الشيخ العارف الشهير، أبا عبد الله، سيدي محمد بن أبي زيان القندسي ﷺ، المتوفى سنة ست وأربعين ومائة وألف، وانتفع به وصلح على يديه. ولقي بعده بمصر الشيخ محمد كشك القاسمي، والشيخ محمد الحفني، وصاحبه محمود الكردي، والشيخ البرقاوي، والشيخ السمان، ومشائخ من أهل مصر وغيرها من بلاد المشرق، ولقي الشيخ سيدي محمد العياشي وغيرهم من أهل المشرق والمغرب. واجتمع بعد هولاء بمولانا أحمد الصقلي وصحبه، وحج معه ولازمه، حتى مات مولانا أحمد. وانتفع بمن ذكر ﷺ ونفعنا بهم. فهو الآن من أهل سر الله تعالى، من أهل الأحوال الربانية، والمواهب والمواجد الإلاهية، السرية اللدنية، وسيره الآن سيرا حفناويا، ويحب الفقراء الدراويش والاجتماع معهم، ولا سيما في حالة الذكر والحضرة وعند التذكر وعند مدح النبي ﷺ، ويتلذذ بالحقائق، ويتغمق في الوحدة حتى يغيب عن الوجود. وكان يجتمع كثيرا مع أخينا سيدي عبد المجيد ويرافقه إلى أن توفي أخونا، رحمه الله.

وكنا يوما في نزاهة مع أصحاب الشيخ سيدي محمد بن الفقيه المذكور في عرصة، وحضر فيها الشيخ عبد الوهاب، صاحب الترجمة، وحضر فيها أقوام من طوائف الفقراء، وكان يوم عظيم عامر بذكر الله تعالى والصلاة على رسوله، ﷺ، من صباحه إلى

---

[1] عبدالوهاب التازي (-1206هـ). ترجمته في: سلة الأنفاس: 3/56-57.

المساء، وبعد صلاة (العصر)[1] أعملت الحضرة، (ونفح فيه كل شيء)[2]. وبعد أكل الطعام عند غروب الشمس صلينا المغرب مع صاحب الترجمة، وجلسنا نتحدث معه بعد الصلاة بنحو أربعة أو ستة من الناس، وهو، ﷺ، ملي. وفرغ الناس من إطعام الطعام وأكله، وكانوا منهم من يتوضأ، ومنهم من يستبري، ومنهم من يأكل. ثم إن أحدنا من الجالسين مع الشيخ أنشد أبياتا من كلام الناس في المعنى الذي نحن فيه، ففتح الذكر عند ذالك بيننا سرا، وإذا بمنشد آخر ينشد كلاما آخر، وجعلنا نذكر الاسم المفرد، فوقف الشيخ ووقفنا معه، وإذا بمن يأكل قطع الأكل، وجاء عندنا ودخل فيما نحن فيه، وبمن كان يتوضأ قطع الوضوء وجاء، وبمن كان يستبري كذالك، وبمن كان يصلي كذالك، حتى كان كل الحاضرين واقفا يذكر، والمنشدون ينشدون واحدا بعد واحد، وسكر كل القوم، حتى كان الشيخ، صاحب الترجمة، ساقطا في الأرض، والناس يطوفون عليه، ولم يحس به أحد، وجعل الناس يسقطون، والله إلا كنت أولا أحس بالأرض ترقص بنا، ونقبض في الحائط فنجده يرقص ويميل، ونقبض على الشجرة فإذا هي ترقص، وذاك عهدي بروحي وبغيري، وما فقت مع نفسي حتى (وجدت روحي)[3] بداري على فراشي. ومن الغد أخبروني بالشيخ حملوه إلى دار قريبة بات فيها مع فرقة من الفقراء، وفرقة باتت بسيدي أحمد الشاوي[4]، نفعنا الله به، بالمحجة، وفرقة وصلوا لزاوية الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، نفعنا الله به، بشق النفس، وفرقة باتت بالعرصة المذكورة، وفرقة باتوا تائهين.

الحاصل، نفحة ربانية حصلت وظهرت في تلك العشية من بركة الشيخ ﷺ، أشرق نورها في جميع من حضر فيها. والله إلا غدا أو بعد غد وأنا لا أسمع في أذني إلا هزة الصدور وحنانة المنشد، لا آكل ولا أشرب، ولا أصلي ولا أنام، إلا وذالك في أذني. الحاصل، عشية كانت، ربح فيها من ربح، حضر فيها سر الله من غير شك، وليس من رى كمن سمع، وهاكذا هي نفحات حضرته دائما لا تخلو قط من الخير.

وبت معه ليلة عند بعض الطلبة من الدراويش أهل المحبة، هو ونحو ثلاثة أو أربعة من الدراوش، بات في تلك الليلة يدعو لي، وكل ما دعا لي به في تلك الليلة أدركته، من فضل الله تعالى وبركته.

توفي، رحمه الله، سابع عشرين شعبان المبارك عام ستة ومئتين وألف. دفن بمطرح الجنة بين سيدي (العلام)[5] وسيدي العايدي الصغير، وبنى عليه السلطان مولانا سليمان قبة[6].

---

[1] ب: عصره.
[2] ب: ساقط.
[3] جملة دارجة، معناها وجدت نفسي.
[4] أحمد الشاوي (-1014هـ). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 233-256. التقاط الدرر: 44. نشر المثاني: 132/1. الروضة المقصودة: 215/1-216. سلوة الأنفاس: 309/1-315. الاعلام: 206/2.
[5] ب: العايدي.
[6] يؤخذ من هاذا تاريخ التأليف. كان بعد هاذا العمل للسلطان سليمان.

ولما سافرنا للحج عام ستة وستين ومائة وألف سافر معنا في الركب صاحب الترجمة، وكان معاشرا في قيطون مع المرابط السيد الشرقي بن عبد السلام؛ من أولاد سيدي محمد الشرقي، ومع المرابط (حسين)[1] (بن (...)[2])[3] من أصحاب مولاي أحمد. ولما كنا في آخر السروال من برقة (وأصبحنا ماشين إلى التميمي معطن هو آخر السروال)[4] بعد الفراغ من حزب القرآن وحزب الشاذلي[5]، تعرض لنا العرب؛ أولاد علي، وغاروا على الركب لينهبوه، ونهبوا منه البعض، ووقع الشر، كانت الخيل تغير إلينا البغالة، نحو ثلاث بغال في رفقة العبد الفقير الحاج عبد الوهاب والمرابط سيدي الشرقي بن عبد السلام، فيشير عليهم سيدي الشرقي المذكور بعصا كانت بيده، فيحيدوا عنا، ويجيء آخرون، فيقع لهم كذالك، كلما جاء الخيل إلى ناحيتنا ونحن ماشين، يمد لهم سيدي الشرقي تلك العصا، حتى افترق الشر، وحال الله بيننا وبينهم، ولم يزعم أحد علينا من بركة الشيخين.

ولما وصلنا مصر، عزمنا بعض المجاورين، بتنا عنده الثلاثة المذكورون، والشيخ محمود الكردي المذكور وأصحابه. وكان سيدي الشرقي المذكور إذا كان الذكر أو الصلاة على النبي ﷺ أو تذكر أو حديث، يصيح صيحة عظيمة، يقول فيها: الله. فلما فتحت حضرة الذكر تلك الليلة، جعل سيدي الشرقي يصيح على عادته، فجعل الذاكرون ينقمونه كلما صاح. فقام سيدي الشرقي عند ذالك، والشيخ عبد الوهاب وصاحبهما ليخرجوا من تلك الدار، فمنعهم الناس من الخروج ليلا، فجعل سيدي الشرقي يشير بكلام، وأجابه الشيخ محمود بكلام في حق الزائر على المزار وفي حق المزار على الزائر. واغتاض سيدي الشرقي، وكان الشيخ عبد الوهاب هو المعزوم. وجاء سيدي الشرقي معه، فبقي الشيخ عبد الوهاب في حشمة من ذالك، حتى أعطاهم رب الدار سقلابية وطلعوا إليها وحدهم، والذاكرون باتوا على ذكرهم.

ولما أصبح، أصبحنا مسافرين للحجاز، وسافر الركب المصري، وبقي الركب المغربي يجتمع في البركة، والناس يتلاحقون. ومررنا بوكالة، ونحن خارجون، فإذا بالشيخ عبد الوهاب والشيخ الشرقي وصاحبهما يشدون أحمالهم وحوائجهم، والجمال باركون في باب الوكالة والجمالة يشدون معهم، وخرجنا للبركة إلى عشية النهار ولم يظهر لهم خبر. ولما صلينا المغرب، جاء عشيرهما السيد حنين وأخبرنا أن سيدي الشرقي تعكس عليه السفر وحلف أن لا يسافر، وتبعه الشيخ عبد الوهاب وجلس معه.

---

[1] ب: حسن.
[2] بياض قدره كلمة.
[3] ب: ساقط.
[4] كذا.
[5] حزب الشاذلي: انظر فهرس المصطلحات.

فلما نزلنا من الحجاز، وجدنا الشيخ الشرقي طلع في بحر سويس، فجاء خبره غرق، والشيخ عبد الوهاب وجدناه غرب في البحر عن إذن الشيخ الحفني مع الشرفاء الصقليين؛ سيدي علي بن مولاي أحمد، وولد عمه سيدي عبد الهادي، رحمة الله عليهما.

وسافر الشيخ عبد الوهاب بعد ذالك مع مولانا أحمد الصقلي ﷺ، وسيدي عبد الهادي المذكور، وحج معهما، ورجعوا سالمين.

الطائـــفـــة السابـــعـــة

[الطـــائـــفـــة السفيـــانيـــة]

[الحسن بن إبراهيم السفياني] [1]

وهم السادات الفقراء، أصحاب الشيخ الإمام، المجذوب السالك، صاحب الأحوال الربانية، والأسرار الإلاهية، والأنوار المحمدية، والمواهب اللدنية، أبو علي، سيدي الحسن بن إبراهيم، السفياني أصلا، الفاسي دارا وقرارا ودفينا ومزارا.

كان، رحمه الله تعالى، سالكا ومجدوبا، والجذب أغلب، غريقا في بحر محبة النبي ﷺ، تخرج على يده ﷺ أقوام، وله أتباع وزوايا عديدة في البوادي والحواضر إلى الآن.

أخذ، رضي الله تعالى عنه، أولا عن الشيخ سيدي قاسم بوعسرية، المتقدم ذكره، وثانيا عن الشيخ المجذوب، العارف الرباني، القوي الحال، الغريق في بحر محبة النبي ﷺ، أبي العباس، سيدي أحمد بن لهبوب[2]، دفين حوز صفر، وهو عمدته. وسيدي أحمد هاذا أخذ عن الشيخ سيدي غانم السباعي، ﷺ، دفين مراكش، وهو عن الشيخ الشهير، العارف بالله، سيدي عبد الله بن سامي، دفين حوز مراكش، عن الشيخ الكامل، القطب الرباني، أبي محمد، سيدي عبد الله الغزواني ﷺ عن الشيخ الإمام النفاع، أبي فارس، سيدي عبد العزيز التباع، رضي الله تعالى عنه، عن شيخه سيدي الصغير السهلي، دفين وادي اللبن، عن شيخ المشائخ وقطب الأقطاب، أبي عبد الله، سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان الجزولي السملالي، رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به وبأمثاله آمين.

توفي صاحب الترجمة، رضي الله تعالى عنه منتصف القعدة الحرام عام ثمانية وتسعين وألف. ودفن بزاويته بعين أصلتى من طالعة فاس القرويين.

---

[1] أبو علي، الحسن بن إبراهيم السفياني (-1098هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 269/1.

[2] أحمد بن الحسين بن لهبوب. من أهل القرن الحادي عشر. ترجمته في: الروضة المقصودة: 213/1-215.

[من أصحاب السفياني الذين لقيهم الزبادي]

وقد لقينا من أهل الخير من أصحابه ثلاثة نفر، وتواخينا معهم وصحبناهم واستفدنا منهم.

[محمد بن منصور الدلائي]

أحدهم الشيخ المسن البركة، المؤدب الجلاب، أبو عبد الله، سيدي محمد بن العربي بن منصور، الدلاء حرفة، يصنع الدلاء ويخيطهم بالدلائيين أعلى عين علوا.

وكان، رحمه الله تعالى، من أصحاب وقت الفجر الراعين له من ثلث الليل الأخير، مواظبا على قراءة دلائل الخيرات في ذالك الوقت عند ضريح الإمام مولانا إدريس ﷺ ونفعنا به. وكان، رحمه الله تعالى، من أهل الخير وظهر عليه الحب في أهل الله وبنت رسول الله ﷺ، صاحب أحوال ربانية، ومواهب لدنية، وأخلاق كريمة، وذو خشوع وخضوع، ومن أهل الجملة، وظهر ذالك لنا عليه وفيه قرب موته في مرضه بأيام قلائل، كما يأتي إن شاء الله تعالى عند ذكر وفاته.

كان، رحمه الله تعالى، من أهل المحبة الصادقة والنية الخالصة، وإذا اعترته حال، يظهر فيه آثارها. وكان يشير بأمور غيبية، فتكون في القرب أو في البعد، وفي بعض الأحيان يتكلم بكلام لا يفهمه إلا من له ذوق به.

وكان، رحمه الله تعالى، في أول أمره كثير الاجتماع مع الشيخ مولاي قاسم بن رحمون في القرويين وغيرها، وفي المبيت والمقيل. وكان معه يوما في مستودع القرويين، إذ وقعت فتنة عظيمة وقتال بين الأدارسة وأهل فاس، فرأيته، رحمه الله تعالى، قام من حينه مزعجا وسار لمولانا إدريس، وأدخل في سقاية العين كساءه حتى تخمرت غاية، وأخرجها وحملها على كتفه، والماء يقطر عليه منها، وسار يطوف به كذالك بخصة الصحن. ثم خرج وجاز بها كذالك بين الفريقين، فحد الأمر بينهما في حينه، وسلك الأمر من الغد بخير من فضل الله والأجواد.

وكان، رحمه الله تعالى، جلابا؛ يجلب الشبان الصغار ويروضهم لطريقه ولزوم الزاوية، يلتقطهم من طوائف الفقراء ومن غيرها، حتى اتهم وقيل فيه ما قيل، وبلغه فقال، رحمه الله: الغرس الصغير كله يقبض ولا يخطي، والغرس الشارف يخطي جله، ولا يقبض منه إلا القليل.

ولما قرب أجله، رحمه الله تعالى، كان كلما لقيني يقول لي: الله، الله، ابن سيدي. اشتهيت عليك شيئا تعلمه لي: فنقول: وما هو؟ فيقول: طلبت عليك جمع الإخوان في يوم وأنا ممتد في وسطهم وهم يذكرون الله وكل واحد ولغته. فحكيت ذالك للإخوان، فقالوا: لا

يليق ذالك ولا يمكن إلا في جنان أو عرصة. فجمع الإخوان دراهم بقصد ذالك اليوم الذي اشتهى. ثم إننا كنا في عشية واقفون عند بعض الإخوان بالعطارين نتكلم في هاذا الأمر، فإذا به جاء وسلم، وقال: الله الله إخواننا، اقبلوا علينا، الله يقبل عليكم. فقلنا له: ها نحن يا سيدي دفعنا دراهم بقصد ما قلت، وجعلناه بالموضع الفلاني في اليوم الفلاني. فقبض، رحمه الله، تلك الدراهم في يده ونادى حلوجيا مارا مع السوق يبيع الحلواء، فأعطاه تلك الدراهم كلها جملة، وأخذ جميع ما عنده من الحلواء، وفرق منها على من حضر، وأمرنا بتفريق ما بقي على من لم يحضر، وانصرف عنا. وغدا أو بعد غد، سقط مريضا المرض الذي توفي منه، فدخلنا عليه نعوده فجلس وجلسنا عنده، فقال لي: ابن سيدي، أنا عييت. فقلت له: أصبر، ومد عنقك. فرد علي بكلام يدل على أنه لم يلق به ما قلت له، فقلت له: إذا كان بيدك ويمكنك إنزاله عنك، فحطه عنك وأرح نفسك. فانقلب عند ذالك على وجهه. وكشف عن ظهره، وهو يبكي، ويقول: انظروا إخواننا، هل بقي بعد هاذا من صبر. فنظروا، فإذا ظهره كله ضرب أسود وأزرق كضرب الحديد، والسوط والدم (حاصر) تحت الجلد[1]، وغاب فقمنا عنه وخرجنا.

ورجعنا عنده غدا، فوجدناه جالسا، فسلمنا عليه، وقلنا له: كيف أصبحت سيدي؟ فقال: بخير انفرجت، والحمد لله. وانقلب أيضا على وجهه وكشف عن ظهره، وإذا بظهره صاف أبيض لا شيء فيه مما كان به بالأمس، فتعجبنا من ذالك وجلس. فجعل، رحمه الله، يخبرنا بخبر الدنيا بعده، عن السلطان وفعله وأمره وما يفعل بالناس، وعن مدة ولايته، وما يكون عمله فيها من الغلاء والمرض والموت، ويأمرنا بالألطاف، إلى أن توفي، رحمه الله، عام سبعة وثمانين ومائة وألف. ودفن بزاوية شيخه المذكورة قرب قبره، فاجتمع في جنازته كل الطوائف من الفقراء والطلبة، ووضعوه في وسط الدار مكفنا، واشتغلوا بالقراءة عليه والذكر والصلاة على النبي ﷺ، وقراءة البردة والجلالة، وكل طائفة ولغتها، إلى أن أخرجناه للصلاة وللدفن. فلما رأيناه على تلك الحالة تذكرنا: يشتهيه علينا، وأن إشارته كانت لذالك اليوم. وجازت ثلاثة أيام جنازته كأنها عرس حفيل لا جنازة، بما وقع فيها من الذكر والتلاوة والجلالة والحضرة، وعمرت فيها أسواق ونفحات، ظهر فيها خير وربحت فيها أقوام.

لقيته، رحمه الله، في حياته صباح يوم بقبيب الناقص، (وأنا أشتري الصابون، فأخذ الصابون من يدي، وقال لي: والله لا يحمله غيري للشرفاء. فلما بلغ باب الزنقة أعطاني الصابون)[2]، وقال: والله أكبر، ماذا يدخل من الناس على هاذه الباب ويخرجون، لا قوة إلا بالله. ثم بعد موته، عملت الخادم لنا "الرهج" في قدرة العشاء، وأكل جميع من في الدار؛ نحو الأربعة عشر نفسا، رجالا ونساء وصبيانا، فكانت الدار ثلاثة أيام وهي

---

[1] كلمة دارجة.
[2] ب: ساقط.

مفتوحة، والناس داخلون عليها وخارجون لعيادتنا، ووقع ازدحام كثير من أجل ما نزل بنا. وبعد السلامة من ذالك، مرضت بالحمى والسخنة نحو الأربعين يوما، وأنا ملازم الفراش، وطوائف الفقراء يجيئون عندي للعيادة، طائفة داخلة، وأخرى خارجة. ولما رأيت ما رأيت في الأولى والثانية، قلت: والله هاذه إشارة أخينا ابن منصور.

ورأيته أيضا بعد موته في أثناء المرض المذكور، رحمه الله تعالى، نوما، وكأني في السفر في ناحية تادلى عند القصبة القديمة التي هناك، وفي عطش شديد، ولم أجد ماء، ويقال لي: الماء أمامك. وإذا بقبة كبرى لها بابان مقابلان ينزلون إليها بالدرج من البابين، وبوسطها حوش مربع عال كصهريج الحمام، وعليه سرير من أعواد وحرائر، بأطولة وادابة. فنزلت من باب، فوجدت الناس يسقون منه، ثم إن ابن منصور، صاحب الترجمة، دخل من الباب الأخرى المقابل، عليه قشابة من غير حائك وبرأسه كرزية، فنادى علي: يا ابن سيدي، خذوا، طاش لي دلوا، فتلقاه إنسان، وقبضه ومده لي. وذالك الإنسان فقد بوادي بهت قبل ذالك بمدة، ولم يظهر خبره، وذالك الرجل المفقود عريان مجرد، مذبوح من أذنه إلى الأذن الأخرى، وأوداجه تشخب دما على صدره. فتركت الدلو بيده، وهربت منه، وخرجت لرفقتي. فتعرض لي ابن منصور، صاحب الترجمة، من الباب الأخرى وعانقني وسلم علي، وقال لي: ابن سيدي، أرسلت لك الدلو لتشرب، فلم تشرب. فقلت له: هربت من المذبوح، وعفته من الدم الذي يسيل على صدره. فقال لي: كيف يا ابن سيدي، علي الحرام، وكان يحلف به في حياته، لوشربت من ذالك الدلو، لم تعطش أبدا. فلما قال لي ذالك، ندمت وأردت الرجوع، فاستيقظت وأنا في عطش كبير.

[عبد القادر التماق حبيبي]

والثاني: الفقير المسن الناسك، المرابط الجوال السائح، الخير الدين السني، الخاشع المتواضع، سيدي الحاج عبد القادر التماق، المدعو حبيبي.

كان، رحمه الله تعالى، تقدمت له سياحته في أول أمره، وكان من الذاكرين لله كثيرا، تظهر وتشرق فيه أنوار ربانية وأحوال، وكان يخبر بأخبار غيبية، ولا ينسب ذالك لنفسه، وإنما يقول: رأيت نوما، أو رأى بعض الناس إذا كان صاحيا. وهو أول من أخبر بهاذه الفترة الموجودة الآن.

لقي، رحمه الله تعالى، مشائخ؛ من عرفنا ومن لم نعرف. فممن عرفنا، الشيخ السياح في البوادي والصحاري، سيدي عبد الكريم بناني تبعه وخدمه. وكان صاحب الترجمة، رحمه الله، يجتمع بالفقراء؛ أصحاب الشيخ سيدي الحسن السفياني، وإليه كان ينتسب أولا واشتهر بها، وصحب آخر الشيخ العارف بالله تعالى، مولاي أحمد الصقلي، المتقدم ذكره، واعتمده ولازمه وانحاز إليه.

توفي صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

[محمد ابن الغزواني]

والثالث: الشيخ المرابط الفقير، المسن البركة، الخير الناسك، المتجرد الجوال، أبو عبد الله، سيدي محمد، المدعو ابن الغزواني، به عرف، ينتسب لسيدي عبد الله الغزواني، دفين القصور من مراكش، نفعنا الله ببركاته، آمين.

كان، رحمه الله تعالى، فقيرا متجردا، ذاكرا سنيا، جوالا في عمره. لقي أقواما من أهل الخير ﷺ، كسيدي أحمد بن ناصر الدرعي، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، وسيدي أحمد بن عبد الله معن، صاحب المخفية، عدوة فاس، الآتي ذكره، وسيدي عبد الله القصري، دفين مكناسة الزيتون، وأمثال هاؤلاء من العلماء، كسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، والعلامة القاضي سيدي العربي بن أحمد بردلة، والعلامة الشهيد، سيدي عبد السلام جسوس[1]، والعلامة الخامل، سيدي محمد ميارة، والعلامة الصوفي، سيدي محمد بن زكري، المتقدم ذكرهم، ﷺ، ولقي أيضا الشيخ سيدي محمد العياشي، رحمه الله.

وكان، صاحب الترجمة، رحمه الله، يعتمد الشيخ سيدي الحسن السفياني[2] المذكور آنفا. وكان، رحمه الله تعالى، كثير الكلام والذكر، ويخبر بأمور غيبية، وكانت تعتريه أحوال وتظهر عليه علاماتها. وكان يحب الاجتماع مع الفقراء الدراويش من أهل الخير، ويتواجد عند الذكر، وله مكاشفات كثيرة.

توفي، رحمه الله تعالى، عن سن عالية، في ربيع الثاني سنة ثلاث ومائتين وألف.

[1] عبدالسلام جسوس (-1121هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 3/207-208. التقاط الدرر: 306. سلوة الأنفاس: 2/17-19. إتحاف أعلام الناس: 4/100.

[2] أبو علي، الحسن بن إبراهيم السفياني (-1098هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 1/269.

الطائفـــــة الثامنـــــة

[الطائفـــــة الفيلاليــــــــة]

[أحمد بن عبد الصادق الفيلالي]

وهم الفقراء المحبون، المداحون للنبي ﷺ، المغرقون في بحر محبته ﷺ، وفي الصلاة والسلام عليه، والمداومة عليها ليلا ونهارا وفرحا وحزنا، لأن الصلاة عليه ﷺ هي ذكرهم وغذاؤهم، وعليها رقصهم، وهي دأبهم وديدنهم وسيرتهم، وبها يسيرون، وعليها يعتكفون؛ كبيرهم وصغيرهم، وألفوها ولم يألفوا غيرها، حتى سكنت في قلوبهم، وامتزجت بدمائهم وفي لحومهم، وهي طريقة شيخهم؛ الشيخ الإمام، القطب الهمام، الواصل الموصل، الكامل المكمل، العارف بالله تعالى، أبي العباس، سيدي أحمد بن عبد الصادق الفيلالي، ودفينها سنة ست وستين وألف. وله هناك زاوية بتافلالت مشهورة فيها قبره مزارة للزائرين، (يجتمعونَ)[1] فيها أصحابه وأولاده، وله زوايا مشهورة في البلدان وأتباع وأصحاب وخدام في الحواضر والبوادي.

[سند الطائفة الفيلالية]

أخذ ﷺ عن شيخه أبي الحسن، سيدي علي التومي، المتوفى سنة ست وثلاثين وألف، وأخذ عن الشيخ أبي محمد، سيدي عبد العزيز بن عبد الحليم، عن الشيخ الإمام، القطب الهمام، أبي عبد الله سيدي أبي الطيب بن يحيى اليحياوي[2] الميسوري، دفين ميسور في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

كان، رحمه الله تعالى، من أهل الفضل والصلاح، والديانة والنجاح، متصفا بأحوال الهداية والاستقامة، ظهرت دلالة ولايته، وكان ملازما للصمت، قليل الكلام.

أخذ ﷺ عن الشيخ أبي محمد، سيدي عبد الله الخياط الزرهوني، كان، رحمه الله، من كبار المشائخ الذين نفع الله بهم، وكثرت الهداية على أيديهم، وكان كثير الاتباع للسنة، ويحضر مجالس العلم، ويحض أصحابه على تعلمه.

---

[1] كذا.

[2] أبو الطيب بن يحيى اليحياوي (-988هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 80.

توفي، رحمه الله تعالى، مسموما سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن، رحمه الله، بجبل زرهون، له هناك روضة مشهورة للزيار الوافدين عليه، وعليه عمارة كبيرة شهيرة إلى الآن.

أخذ أولا ﷺ عن الشيخ الإمام، سيدي الحسن بن عمر أجنا، دفين وادي اللبن، صحبه اثنتي عشرة سنة، ثم قال له: يا عبد الله، إنا طهرنا لك نجارتك، وأنت سر إلى الشيخ الكامل، سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني هو الذي يعمرها لك. فكان تكميله على يديه، واشتهرت نسبته إليه.

وأخذ سيدي الحسن هاذا عن شيخ المشائخ، سيدي محمد بن سليمان الجزولي، رضي الله تعالى عن جميعهم.

وأخذ أيضا سيدي أحمد بن يوسف المذكور، دفين مليانة، عن كبار مشائخ أهل العلم والولاية، وعموم البركات والهداية، المتوفى، رحمه الله، سنة سبع، وقيل تسع وعشرين وتسعمائة، عن الشيخ الامام، القطب الهمام، محتسب الطريقة، أبي العباس، سيدي أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي، عرف بزروق، دفين مسراتة من عمالة طرابلس، وهو الذي قال فيه تلميذه الشيخ الإمام العالم، الولي الكبير جار رسول الله ﷺ، أبو الجمال، طاهر بن زيان القسطنطيني، رحمه الله تعالى:

[الطويل]

مَسْرَاتَتُنَا نَالَتْ عَلَى الأَرْضِ رِفْعَــةً	بِزَرُّوقَ أَشْمَسَ الْبُدُورِ الْمُـضِيئَةِ
هَنِيئًا لِمَنْ زَارَ الــضَّرِيحَ بِأَرْضِـــهِ	وَطُوبَى لِقَوْمٍ قَدْ رَضَاهُمْ بِجِيــرَةِ

[في ذكر من لقيه المؤلف من أتباع الطائفة الفيلالية]

ولقد لقينا من أهل الخير من طائفة الشيخ المذكور رجلين:

[المهدي الفيلالي]

أحدهما: نجله الشيخ الفقيه، العالم الزاهد، الورع المتواضع، الموجود الآن، خليفته في زاويته بتافيلالت، أبو محمد، سيدي المهدي بن الشيخ العارف بالله، الكامل الواصل، ذي الكرامات الظاهرة، والخوارق الباهرة، سيدي عبد الكريم بن الشيخ الكامل سيدي عبد الله، المدعو بن عبد الله بن القطب، سيدي أحمد بن عبد الصادق، صاحب الترجمة، رضي الله عن جميعهم.

لقيت سيدي المهدي بفاس حين قدمها عام اثنين وثمانين ومائة وألف، ونزل بزاوية جده القديمة بالقصبة القديمة، ولازمته مدة إقامته بها إلى أن سافر، وتواخيت معه، وسردت معه كتابي المسمى "دوحة البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ سيدي علي

بن عبد الرحمان"، فاستحسنه، وقيد منه ما احتاج إليه، نفعنا الله به، آمين، وذالك قبل انتقال الفقراء أصحابهم عن الزاوية المذكورة إلى زاوية أخرى بباب التقبة؛ بنوها قرب القرويين، وهم يجتمعون فيها الآن.

[السهلي بن العروسي الفيلالي]

الثاني: نجله أيضا، الفقير المرابط الخير، الناسك الذاكر، المحب الصادق، المتجرد المتقشف الخامل، سيدي السهلي بن الولي الصالح، سيدي الحاج العروسي بن الشيخ الولي الكفيف، سيدي بوزيان بن الشيخ الكامل، سيدي أحمد بن عبد الصادق، صاحب الترجمة.

صحبته، رحمه الله تعالى، نحو الست عشرة سنة، فكان شاكرا صابرا ذاكرا، منزها عن كل قيل وقال، ولا تراه إلا ذاكرا الله تعالى، ولا تراه شاكيا قط، في غلاء ولا رخاء ولا من برودة ولا حرارة، ولا من قلة قط، وإن كان في غاية الاحتياج، من كثرة صمته وصبره وحيائه، ورفع همته عن الخلق، حتى لا يكون جوابه عن سائله عن حاله إلا بخير وعلى خير. هاذه كانت حالته، رحمه الله تعالى، وعليها توفي، رحمة الله عليه، سنة ثمانية وتسعين ومائة وألف، ودفن بمطرح الجنة قرب القبب خارج باب الفتوح؛ أحد أبواب فاس. وكانت له جنازة عظيمة، حضرها كل طوائف الفقراء والعلماء، والخصوص والعموم من الناس. وكان، رحمه الله، عازبا، يأوي في بيت المدرسة الرشيدية، رحمة الله عليه.

الطائفة التاسعة

[الطائفة الحمدوشية]

وهم الفقراء، أصحاب الشيخ الكامل، الشهير الرباني المجذوب، أبي الحسن، سيدي علي بن حمدوش، دفين جبل زرهون سنة إحدى وثلاثين ومئة وألف، وقبره بزرهون مزارة للزائرين الوافدين.

[علي بن حمدوش] [1]

كان، رحمه الله تعالى، ورضي عنه، من مشائخ أهل الجذب، قوي الحال، يحب السماع والحضرة، والمدح والثناء وآلة الطرب، وفي بعض الأحيان يكون كالأسد، لا يزعم عليه أحد، يضرب الناس بما وجد من عصى أو حجر أو آنية، أو غير ذالك.

وله ﷺ أتباع وزوايا في كل بلدة، وتخرج على يده وظهر كثير من أهل الخير والصلاح، وجلهم مجاذيب، أو مشوب بالجذب.

وكان في ابتداء أمره يجلس بباب القرويين الكبرى المقابل للشماعين، بقي يجلس بها سنين، وانتقل لزرهون، وخلفه في الجلوس بالباب المذكورة تلميذه سيدي علي تول، به شهر، الآتي ذكره، إن شاء الله، إلى أن توفي، وخلفه بها سيدي محمد الزماري، الشريف المجذوب أيضا.

أخذ الشيخ، صاحب الترجمة، عن الشيخ سيدي محمد، المدعو الحفيان، وهو عن والده، الشيخ سيدي محمد، المدعو أبا عبيد الحفيان الشرقي، عن والده سيدي أبي قاسم الزعري الجابري، ينتمي إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، عن الشيخ النفاع، سيدي عبد العزيز التباع. وأخذ سيدي محمد الشرقي أيضا أخذ إرادة وانتساب عن الشيخ سيدي عبد الله ابن سامي، عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني، عن التباع، ﷺ أجمعين، وسقانا من مددهم آمين.

---

[1] علي بن حمدوش (1135هـ). ترجمته في: التقاط الدرر:325. نشر المثاني:204/2.

فصل
في ذكر من لقيناه وتبركنا به واجتمعنا معه منهم من أهل الخير من هاذه الطائفة المذكورة المباركة، رحمهم الله تعالى

[محمد بن يوسف]

فمنهم الشيخ المسن البركة، ذو الأحوال الربانية، والمواهب العرفانية، أبو عبد الله، سيدي محمد بن يوسف.
كان، رحمه الله تعالى، ذو همة وأحوال حسنة مستحسنة وأخلاق كريمة، صاحب جد وأحوال ربانية ومواهب عرفانية لدنية، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، سالكا سنيا غالبة أحواله عليه، لا يقف عند صحو ولا سكر، وله أتباع ﷺ من أعيان الناس.
وتوفي، رحمه الله تعالى، عام أربعة وخمسين ومائة وألف. ودفن بزاويته الآن بشيبوبة عدوة فاس.

[علي تول]

ومنهم الشيخ الجامع بين السلوك والجذب، خليفة شيخه من بعده في الجلوس في باب القرويين، سيدي علي، المدعو تول، به عرف، والشهير بذالك. كان، رحمه الله، خاملا متقشفا ذاكرا، ملازم الخمسة في القرويين، دائم الجلوس في باب القرويين المقابل للشماعين، موضع شيخه ابن حمدوش، الليل والنهار، وكانت له سبحة كبيرة تكون تتكلم تحته، يسمع هريرها وهزيزها من البعد، ولا يقوم من موضعه إلا لحال ينزل به أو لقضاء حاجة. وكان، رحمه الله، قوي الباءة، تزوج من النساء سبع عشرة أو تسع عشرة بين الأبكار والثيبات، وجرت على لسانه لفظة تول، يقولها على كل شيء ولكل أحد حتى الصبيان، فكان في جوابه أولا إذا قالها أحد: وأنا على مخفيتك معول. وفي آخره كان جوابه: أنا على حايك معول. إشارة للخوض والهرج، وقلة العافية.
توفي، رحمه الله تعالى، سنة ثلاث وستين ومائة وألف.

[علي بن ناصر الورياجلي] [1]

ومنهم الشيخ المجذوب الغائب، صاحب العناية الربانية، والخوارق الباهرة، والمكاشفات الواضحة الظاهرة، والبراهين القاطعة، أبوالحسن، سيدي علي بن ناصر، الورياجلي أصلا، الطراز حرفة في ابتداء أمره. كان، رحمه الله تعالى، من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: "إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم"[2]، فكان، رحمه الله تعالى، لا يقسم على شيء إلا كان خيرا أو شرا. وكان أولا طوافا بالأسواق وبالمساجد قبل سجنه وقعوده، فكان في أول سجنه في حانوت بالبرادعيين من باب السلسلة، بقي بها مدة تنيف على العامين، ثم انتقل منها إلى حانوت بجوطية الحوت، فبقي بها إلى أن توفي ﷺ سنة ست وسبعين ومائة وألف. ودفن خارج باب الجيسة، قرب الشيخ العارف بالله الشهير، مولاي محمد بن الحسن السجلماسي[3] ﷺ ونفعنا به، وكنت لم أحضر جنازته.

كان، رحمه الله، إذا قوي حاله وغلب عليه الجذب، يطلب من الناس الخمر يشترونها له ويشربها. وكان قبل سجنه يطوف بالأسواق بقشابة ووجهه مخرج من طرفها، وهو يطوف من القرويين إلى مدرسة العطارين إلى مسجد الأبارين، وبيده قصبة طويلة. ودخل بها يوما مدرسة العطارين وخرج ونحن جلوس ببابها، وأدخل القصبة في قادوس غسل أسطوانها وكسرها فيه، ثم أعاد وأعاد حتى أغلق القادوس، فقال له الفقيه سيدي عبد السلام حسين، رحمه الله تعالى: ما هاذا الفعل الذي فعلت؟ أفسدت قادوس الحبس؟ فأجابه سيدي علي: إن كنت أفسدته، فكن أنت ناظرا وأصلحه. فضحك الحاضرون من قوله يكون حسين ناظرا. ثم والله ما سرح القادوس حتى كان حسين ناظرا وسرحه.

ودخل يوم الجمعة إلى القرويين والخطيب جالس على منبر والمؤذن يؤذن، وبيده قصبة طويلة، حتى بلغ الصف الأول من الناحية اليمنى، وجعل يحرك مثل الفارس من الأسبع الفوقي إلى المنبر، ويدق القصبة على المنبر، ويرجع لناحية الأسبع، ويعود ثانيا وثالثا. ولما وقف الخطيب للخطبة، قام بعض المؤذنين خوفا على المصابيح، وأراد أخذ القصبة منه، فامتنع السيد، فكسرها المؤذن ورماها لمسجد الجنائز، وصد عنه، فقال له سيدي علي: هرستها، هرستها، الله يهرس مزودتك، قالها ثلاثا. ولما دخلنا في الصلاة جعل يكبر معنا بأعلى صوته.

ولما قضيت الصلاة وخرجنا لناحية الصحن، وجدنا الناس مجتمعين على المؤذن المذكور، وهم يلومونه على كسر القصبة، ويقولون له: التسليم لذالك الرجل هو أسلم. ولم

---

[1] أبو الحسن، علي بن ناصر الورياجلي (-1176هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 3/161-162.

[2] صحيح البخاري، كتاب الأذان، رقم: 714.

[3] أبو عبدالله، محمد بن الحسن السجلماسي (-595هـ). ترجمته في: التشوف: 354. الروض العطر الأنفاس: 275.

يقبل كلامهم. ثم إن سيدي علي جاء ونظر في المؤذن، وقال له: والله لا مت إلا بالحديد، والله لا مت إلا بالحديد، ويكررها. فتغير الناس وتغيرنا من أجل تلك الدعوة. ثم إن غدا أو بعد غد، تخاصم المؤذن المذكور مع رفيق له بسوق غزل الكتان من رحبة الزبيب، وهدده وشمته، فانسل ذالك الرفيق من الحديد، وضرب المؤذن على بزولته اليسرى، فسقط المؤذن ميتا من حينه، وقبض الضارب، فأقر بمجلس العلماء من الحكام، وأفتى الشرع العزيز بقتله فقتل من حينه، وذالك عام ستين ومائة وألف، والمدينة محسورة حسرة سبعة وعشرين شهرا، وصلوا على القاتل الظهر بجامع الأندلس، وصلينا على المقتول الظهر بالقرويين، فدفن القاتل قبل المقتول، لقينا نعش القاتل بجزاء بن برقوقة راجعا ونحن ذاهبون بالمقتول، ودفنا معا؛ القاتل والمقتول، في موضع واحد ملتصقين عند ضريح الشيخ الإمام سيدي أبي زيد، عبد الرحمن الهزميري، قرب باب الحمرة ﷺ.

وفي يوم آخر من أيام تلك الحسرة، جعل سيدي علي، صاحب الترجمة، ﷺ يطوف في الأسواق، والناس يتبعونه والصبيان وغيرهم، وهو ينادي بأعلى صوته، ويقول: الله ينصر مولاي عبد الله. وأهل المدينة مخالفون عليه، فقبضوه وأوصلوه بين يدي القائد الحسن بن صالح اللايرني، فهدد عليه القائد ليرجع عن كلامه، فأبى وامتنع ولم يسكت عنه، فضربه بالعصا، وهو لا يقول إلا ذالك. ولما أطلقه من العصا، رجع لمقالته، وزاد: عليه الحرام إلا كلهم قالوها، وعليه الحرام إلا كان إلا هو. فقام عند ذالك بعض السفهاء، فقال القائد: يخرج عنا من بلادنا، ويمشي إلى عبد الله يحشره معه. فأذن القائد لذالك السفيه في إخراج السيد من المدينة، فأخرجه بعد المغرب من باب الجديد والحبل في عنقه حتى أبعده عن المدينة، وسرحه ليذهب إلى فاس العليا، وهو محمد بن علا، به عرف. ولما أراد أن يرجع قال له سيدي علي: مررت، اصبر حتى أعطيك أجرتك، الله يطول عمرك، ويقلل رزقك وجهدك حتى تكون ماشيا والعياط عليك. ووالله ما مات ابن علة المدعو له حتى نفذت فيه دعوته كاملة، وبقي على تلك الحال سنين حتى أقعد، وكان بحانوت الشماعين يتكفف الناس، والمار يصيح به والراجع كذالك، من رجال وصبيان وهو يشتمهم، وهم يقولون له: ءاخ يا ابن علة، وهو يصيح عليهم بأقبح القول. وشاع وذاع خبره بتلك الحالة البشيعة. نسأل الله تعالى السلامة والعافية. وبلغ خبره لولد السلطان، الخليفة بفاس العليا، وهبط عنده بالقصد، وأمر من ينادي عليه: راح يابن علة. وانطلق ابن علة يسب ويشتم ويسفه، حتى مات بتلك الحانوت، أصبح بها يوما ميتا ونصفه في معدة الماء التي بها وهو ملطخ بالعذرة. اللهم أجرنا من دعوة الصالحين ولاسيما دعوة مات من ادعاها. نسأل الله تعالى أنا يجيرنا من مصادفة البال، ومن الفضول وعثرة اللسان، وأن ينفعنا بدعوتهم الصالحة، ﷺ. وأما سيدي علي ﷺ، صاحب الترجمة، فبقي بفاس العليا حتى فتحت المدينة ونصروا مولاي عبد الله كما قال.

ثم إني خرجت يوما أنا وطالب من أصحابي إلى فاس العليا لشراء الذهب له كتابة، فوجدنا سيدي علي المذكور قاعدا عند حانوت السفاج، فنادانا: يا الطلبة. فزدنا إليه، فرحب بنا، ونظر إلينا، وقال لصاحبي: هات البشارة أبشرك. ففتح طرفه، وقال له: يا سيدي، ما وجدت عندي إلا هاتين الموزونتين. فقال له سيدي علي: هات واحدة. فأعطاه موزونة واحدة، فأخذها، وقال له: أبشرك. فقال: نعم يا سيدي. فقال: إنك ذاهب إلى الجنة. عليه الحرام إلا رأيتك فيها. فأدخلت عند ذالك يدي معي لأعطيه البشارة، فقال لي ﷺ: لا تعطيني شيئا، أنت باق وباق، ومد على الباء. فبقينا بعد ذالك نحو الشهر أو ما ينيف عليه، وظهر الطاعون بالمدينة عام ثلاثة وستين، فطعن صاحب البشر ومات، رحمه الله تعالى.

ثم بعد هاذا جعل ﷺ يبرح بفاس العليا، ويقول: لا إله إلا الله، سي ومحمد لا. إشارة إلى موت السلطان مولاي عبد الله المذكور وخلافة ولده سيدي محمد بعده، ولم يوافق هو على توليته والأوداية (أهل لئلا يهجوا) [1]، لأنه يذكر لا إلاه إلا الله ويكره محمد، وراموا تكفيره، ثم أخرجوه من بلادهم، ورجع إلى فاس الإدريسية، فسجن بها لأجل مخالفته فيمن تولي بحانوت بالبرادعيين من باب السلسلة. ثم انتقل إلى حانوت بجوطية الحوت عند حوانيت النوار، فكنت أجلس عنده بها، وحين يجوز على الطريق أحد من أهل الدنيا وأنا عنده، يقول لي: قم، قم قبل أن يروك هاؤلاء فيضحكون عليك بجلوسك عندي وأنا بهاذه الجلاب. فنقول لهم: أنا الذي أضحك عليهم.

وكان ﷺ يدعو لكل من يطلب منه الدعاء، إلا أنا كنت أطلب منه الدعاء ويسكت عني ولا يدعو لي، فقلت له يوما: ما لي معك يا سيدي، الناس كلهم يطلبون منك الدعاء فتدعو لهم، إلا أنا فتسكت عني، ولم (تدعي) [2] لي. فقال: إني لم أبخل معك بالدعاء، ولكني لأجل محبتك فينا ومحبتنا فيك، أردت أن يلهمني الله تعالى لدعوة تناسبك، فأدعو لك بها. فقلت: سبحان الله يا سيدي، الدعاء كله والزمان كله لم تجد فيه دعوة تناسبني، ادع لي، فإن الدعاء كله ينفع كيف ما كان. فقال لي: اسكت، فما عندك خبر. ثم بعد ذالك بمدة نادى علي وأنا بسوق النوار. ياشريف، إني وجدت لك دعوة تناسبك وتليق. قلت: وما هي يا سيدي؟ ادع لي بها. فقال لي: الله تعالى يسلط عليك الدراويش. فلم تقنعني تلك الدعوة. فقلت في نفسي: أعلى هاذه كان يدور. فقال لي: جدك حبهم. يشير إلى حديث البخاري، " اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين" [3].

وفي يوم آخر أيضا، قلت له ﷺ: متاع الله لله. ونصبت له حجري، فقال لي: أنا عندي الخبز. فقلت له: لم أطلب الخبز. فقال لي: تطلب الدراهم، ماعندي إلا الجلابة والزبطة. قلت: لم أطلب الدراهم. فقال لي: وما تطلب؟ قلت: سر الله الذي أعطاك. فقال.

[1] ب: يهجو لأنه.
[2] ب: تدعوا.
[3] سنن الترمذي، كتاب الزهد، رقم: 2357.

يا كتحبها؟ قلت: نعم والله. ونصبت له حجري. فقال لي: هاكذا يكون، السلام عليكم، طلعونا فوقكم. قلت: وكيف؟ قال: أما كيخصك من حلاليس وحلاليس. ثم قال لي: أنت مشغول حتى تنقضي طريحة شغلك. فسكت عنه. ثم بعد ذالك بمدة، وكان صباح مولد النبي ﷺ وأنا بذالك السوق؛ سوق النوار، فإذا به ينادي علي: يا شريف، تعال. فجئته. فقال لي: هات البشارة، إن طريحتك قد انقضت. فمددت شملتي، وقلت له: الله، الله، سيدي علي، متاع الله لله. فقال لي: ما تصنعون بالعروس عند الرواح؟ قلت: يحسن شعره، ويغسل بدنه في الحمام، ويلبس الثياب الجديدة. فقال: وأنت كذالك تفعل، تمشي للحمام، وتغسل. قلت: وفي أي حمام تأمرني أغتسل؟ ليلا أونهارا؟. فقال لي: ليس الحمام ما عرفت، أنا أقول لك تمشي للحج تحج هاذه السنة. قلت: إن شاء الله، يا سيدي. فقال: هات يدك. فمددت يدي، فقبض عليها، فقال: والله حتى تحج هاذه السنة، إن شاء الله. قم سر إلى مولانا إدريس. فقمت وانصرفت. وبعد انصرافي نادى علي: يا شريف، أنا أبعث لك حميرا يعينك. قلت: نعم. وانصرفت، وأنا ذاهل العقل، لا أعرف أين أنا، ولا كيف أمشي، حتى بلغت لمولانا إدريس، نفعنا الله به. وزرت وبقيت على تلك الحال نهاري وليلي.

ويوم خامس المولد النبوي، وكان يوم الجمعة، عشية قرب المغرب، كنت قاعدا بموضع أناس، وإذا بالرجل الصالح سيدي عبد العزيز غيول[1]، الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، دخل علي من غير استئذان لذالك الموضع وليست له بعادة، وسيأتي تمام القصة في ترجمته، وقبضني من يدي وأخرجني، وسار بي إلى مزارة مولانا إدريس، نفعنا الله به، وأوقفني عندها، وجعل يسألني عن أبي، هل حج، وعن عمي. قلت: نعم. وعن إخواني واحدا واحدا، وأنا أقول: نعم. فقال لي: الله الله سيدي محمد، تمشي تحج هاذا العام. قلت: إن شاء الله. فقال: احلف لي بالله حتى تمشي. فقلت له: لست أهلا لذالك. فأدار وجهه إلى مولانا إدريس، وجعل يتكلم وحده ولا نفقه ما يقول، ثم رجع إلي، وقال لي: تحلف. وهو يكرر ذالك كل مرة، ويتكلم مع المزارة، ويرجع إلي ويطلب مني الحلف، وأنا أقول: لست أهلا لذالك. ثم تكلم آخرا كما كان يتكلم، ورجع إلي فقال لي: هاذا مولانا إدريس ينظر إليك، وشاهد عليك، والله الذي لا إله إلا هو، إن لم تسافر للحج في هاذه السنة، لا كانت لك كائنة أبدا. وذهب عني وانصرفت لموضعي.

وبت تلك الليلة أتفكر ما عندي من الدراهم، فوجدت عندي من الدراهم أحد عشر مثقالا لاغير، فكان الأمر كما قال، سافرت تلك السنة يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الثانية عام ستة وستين ومائة وألف، وأنا عندي من بركة الأجواد، بعد شراء البغلة وكسوتي وخلاص القطعة إلى طرابلس، ثلاثمائة مثقال تنقص شيئا قليلا. فلما بلغنا عقبة بني مكارة، وإذا برجل يصيح وينادي على رب حمار دخل فدان قمح أو شعير، وهو يقول: يا مولى غيول، اخر[ج] غيولك من الفدان. فتذكرت عند ذالك مقالة سيدي علي بن

---

[1] عبدالعزيز غيول (-1199هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/408-409.

ناصر حين قال لي: بعثت لك حميرا تستعين به، ولأنه هو سيدي عبد العزيز غيول، رحمه الله تعالى.

ولما جئنا من الحج، نزلنا وادي سبو تاسع قعدة الحرام عام سبعة وستين ومائة وألف، هبط عندي سيدي عبد العزيز يسلم علي، وبات عندي هنالك. ولما صلينا المغرب عند الوادي، قال لي: أنا لا ألقى حجاجا ولا أشيعهم، ولاكن أنت حبيبنا، جئت أسلم عليك، وأوصيك، إياك أن تقول مع نفسك أو مع الناس أن عبد العزيز قال لي أو أمرني أو حلف، فإن عبد العزيز ليس له من الأمر شيء، وإنما الشيخ مولانا إدريس ﷺ هو الذي فعل معك ما فعل، ولا تظن غير هاذا. ولما سلمت على سيدي علي، رحمه الله تعالى، صاحب الترجمة، قال لي: حججت تبارك الله، وما الذي جئت به؟ الناس جاءوا بالسلع المكاوية، وأنت جئت بالرزة واللحية الكبيرة؟ قلت: نعم: قال: وهل لقيت أحدا من تلك الناحية من أهل الخير؟ قلت: نعم: قال: هل فعلوا معك خيرا؟ قلت: نعم: قال: وما هو؟ قلت: كثيرا، يكفيك زوجوني وبعثوني لأمي. قال: وهل زوجوك هناك عندهم أو هنا؟ قلت: هنا. قال: نحن زوجناك ورددناك إلينا، لا جميل لهم عليك في ذالك، فلا يكون جميلهم عليك حتى يزوجوك عندهم. وأما الآن، فنحن جذبناك، وهم ساعفونا وطلقوك، فصار التزويج لنا والموافقة لهم، والسلام.

وجئته يوما ﷺ ثاني عيد الأضحى بقصد الغفران، فوجدته في غاية الفيضان، فقال لي: يا شريف، اسمع، اسمع ماذا يفعل هاذا ابن القران. فقلت: من هو؟ قال: الذي يقولون له الكبير وهو صغير، اسمع. فسمعت صوت الرباب وآلة اللهو ودق الأقدام والشطح في المصرية التي فوق الحانوت التي هو بها، فقال لي: انظر هاذا ابن القران. قلت أو قال يفعل معي الخير لله. فجعل الطعام في بطني وعطارة على قفاي، علي الحرام، لولا طعامه الذي في بطني لم يتغير (حتى تعمل القحبة ذي أمها)[1] هاكذا، وعنق السارية المحملة عليها المصرية بيديه. فهربت ورجعت القهقرى، فقال لي، رحمه الله: كتهرب؟ ولما انصرفت عنه، قلت لصاحبي الذي يبيع النوار تحت ساباط المصرية المذكورة: خمل هاذه الحانوت، وسدها في هاذه الساعة خوف ما يقع بعدي. ففعل ثم انصرفت. فلقيني رجل شريف من أهل تلك المصرية، فغافرته وجلست معه على باب مسجد القفاصين، وقلت له: إلى أين تريد؟ فقال لي: عند فلان نغافره، يعني رب المصرية. فقلت له: ارجع، ولا تمش في هاذه الساعة. فقال: ولم؟ فقلت له: إني سمعت الشيخ سيدي علي بن ناصر وهو يقول كذا وكذا. وقال لي اسمع، فسمعت كذا وكذا، وقصصت عليه ما كان. فمشى الشريف عندهم وأنذرهم، فانتقلوا إلى دار أخرى هناك، فلما جئته عشية، قال لي الشيخ: يا شريف، أنصحتهم، وجعل يكرر أنصحتهم في لسانه.

---

[1] ب: ساقط.

أخذ ﷺ عن شيخه وعمدته، القطب الكامل، سيدي علي بن حمدوش المذكور، رئيس الطائفة، ثم ثانيا بعده عن الشيخ سيدي قاسم أبقار، دفين بني مسارة، رحمه الله، ثم أيضا عن الشيخ المجذوب، الغائب غيبة اتصال، سيدي أحمد الأغصاوي، دفين شيبوبة بزاوية ابن يوسف المتقدم، وكلهم ﷺ عن الشيخ ابن حمدوش.

وتوفي الشيخ، صاحب الترجمة، رحمه الله، سنة ست وسبعين ومائة وألف، وكنت غائبا عن فاس فلم أحضر جنازته، ودفن ﷺ خارج باب الجيسة، قرب ضريح الشريف الأجل، العارف الشهير الأكمل، مولاي محمد بن الحسن السجلماسي الحسني، الذي قيل: الدعاء عند قبره مستجاب، ويقال إنه من البدلاء هو وستة من إخوانه ﷺ. وذكر الشيخ سيدي محمد المدرع، المتقدم ذكره، في منظومته أن عند طلوع شمس كل خميس يحضر عند ضريحه النبي ﷺ، كما يحضر كذالك عند غروب شمس كل جمعة عند ضريح الإمام الحافظ، أبي ميمونة، الدراس بن إسماعيل، ﷺ، ونفعنا بهم، وأمدنا بمددهم، آمين، لأنهم كرام، والكرام لا تنزح بحارهم وهم الدلاء.

[علي بن علي المجذوب]

ومنهم الشيخ العارف بالله السالك، ذو الأحوال الربانية والمكاشفات، أبو الحسن، سيدي علي بن علي، نجل الشيخ، شيخ المشائخ الشهير، سيدي عبد الرحمن المجذوب ﷺ.

كان، رحمه الله، سالكا من أهل الأحوال، كريم الأخلاق، جميل المعاشرة، متجردا خاملا، قاطنا بدرب سيدي يعلى من طالعة فاس الأندلس، له زاوية هنالك، دفن بها مع أخيه المرابط الفقيه، سيدي عبد الوهاب، وذالك سنة ()[1] ومائة وألف. وبعد دفنه بها بنحوعشرين شهرا، أخرجه ولده سيدي محمد من قبره خفية فوجده على حاله كيوم دفن، وسار به إلى بلده صرصر، ودفنه هنالك.

وكان، رحمه الله، يقول لي وهو على صحته: رأيت أبي في المنام، وقال لي: ما تعاين أن تجيء لدار أبيك، ويعيدها مرارا. فما عرفت الرؤيا تكررت، ولا هو كان يقصها علي وينسى أنه قصها علي، وأولتها بقرب أجله.

وله، رحمه الله، مكاشفات كثيرة:

منها أني كنت جالسا يوما في قبة مولانا إدريس، نفعنا الله به، مع بعض العارفين، وكنا نتكلم، وكان بإزائنا رجل بدوي كبير أشيب، لا أعرفه، فجعل يستمع كلامنا منا، ويقبل ركبتي وركبة الشيخ الجالس معي، حتى شوش علينا وشغلنا عما نحن بصدده. فلما تكرر منه ذالك الفعل، قال له الشيخ الذي معي، وهو سيدي علي التسولي، المتقدم ذكره، ﷺ: كف عنا من هاذا التقبيل، فلسنا من أهله، ولا غلة فيه ولا فائدة. فقال له

[1] بياض قدره كلمتان.

البدوي: طلبت منكما الدعاء لله تعالى. فقال له الشيخ: قل لنا مقصودك الذي أردت وحاجتك، (فنعيناك)[1] عليها بالدعاء. فقال: ادعو لي كيف أحببتم. فقال له الشيخ: مرادنا الحاجة التي مهتم بها، فندعو لك في قضائها. وأما إذا دعونا لك بمطلق الدعاء، ربما نخطي حاجتك. فقال البدوي: مقصدي تقولا لي: الله يميتني على الإسلام. فانتفخ عند ذالك الشيخ، وقال له: هاذا أمر مفروغ منه. فقلت في نفسي (فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)[2]. ثم سأله عن سنه وسن أبيه وجده، فقال له: أنا من السبعين، ومات والدي من نحو الثمانين، ومات جدي من نحو التسعين. قال: وجدك فيها مسلم؟ قال: نعم. قال: وأبوك فيها مسلم ؟ قال: نعم . قال: وأنت فيها مسلم ؟ قال نعم. فقال الشيخ: هاذا من سوء الظن بالله تعالى، لأن النبي ﷺ قال: "يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه"[3]. ونهض الشيخ وقام عنا وتركني أنا والسائل قاعدين، وأنا ذاهل العقل في تلك العشية مع ليلها إلى الصباح، ولم يفارقني الشيطان، وهو يقول لي: أنتم طلبة العلم، وتقلدون العوام حتى يشوشون عليكم أمر دينكم. وأنا أدفعه بالخزي واللعنة الليل كله إلى الصباح، من شدة يقيني في الشيخ القائل، ولكن أذهلتني تلك المقالة.

ثم بعد صلاة الصبح، نويت نيتي أن نطلع عند الشيخ، صاحب الترجمة، لداره ونقص عليه القصة، ونرى كيف يقول فيها. فطلعت عنده وخرج عندي، ودخلنا إلى زاويته هناك، وجلسنا، فقال لي: ما جاء بك قلقا؟ قلت: توحشتك. فقال: قل والله ما جاء بك إلا وحشتي. ورجع إلى الدار وأخرج مقرجا مملوءا عسلا، فمده إلي وقال لي: اشرب العسل. فشربت حتى رويت، ثم قال لي: يا مولاي محمد، أوما وصيتك كم من مرة أن تبدل هاذا الطنجير الذي شقفه رهيف يغلي بالعشيب بطنجير آخر غيره يكون شقفه غليظا تعمل تحته الحطب الكثير ولا يسخن إلا بعد حين؟ قلت: نعم يا سيدي. قال: ولكن اضرب لك مثلا: إن رجلا كريما، موصوف ومعروف ومشهور بالكرم، لا يحد كرمه، وكل الخلائق يشهدون ويقرون بكرمه، يحقونه ولا يشكون فيه، وهو معلم يصنع الفخار، وكل فخارة وما يجعل فيها، واحدة يملأها بالقطران، وواحدة بالعسل وواحدة باللبن، وواحدة بالماء، وواحدة يتركها فارغة. فما هو سيدي وصف الكرم؟ يفرغ ذات القطران من القطران ويملأها عسلا أو حليبا؟ أو يفرغ ذات العسل أو الحليب ويملأها قطرانا؟ فقلت له: أوصاف الكرم أن يفرغ القطران ويملأ عوضه العسل أو الحليب. فقال لي عند ذالك، ﷺ: ولم أنت فيما أنت فيه من الضيق والكرب؟ ما خوضك ودهاك؟ ففرجها عني ﷺ قبل أن أقص عليه ما جئت إليه، واتسع الأمر علي، وزال عني ما كان في ببركته، رحمه الله تعالى. وهاكذا كان فعله معي دائما، يخبرني بحاجتي التي جئت إليها قبل ذكرها له.

---

[1] كذا.
[2] سورة الأعراف:98.
[3] صحيح مسلم. كتاب الجنة، رقم: 83.

واليوم الذي اجتمعت به ورأيته، وهو أول معرفتي به، طلعت عنده أنا وبعض الإخوان في الله من الفقراء المحبين، وكنت لم أره قبل ذالك اليوم ولا رآني، فخرج عندنا وجلسنا عنده بباب الزاوية، وطال المجلس، ووقع فيه ذكر الجلالة ساعة من نهار. ولما زرناه وأردنا الانصراف عنه، رحمه الله تعالى، قال لنا: أوصيكم بمحبة الزبدة، فإن الله أعزها ورفعها على أنواع الطعام، حتى إنها تكون فوق العسل، وتكون فوق الحلاوي الحلواء والمقروط والرغايف وفوق السفة، فلا تفرطوا فيها، فإن الله تعالى جعلها لا تكون إلا أعلى، ولا تكون أسفل. فخرجنا من عنده، ونحن نتدبر كلامه في الزبدة، وكل واحد وما فهمه فيها، حتى قال أحدنا ورمى يده علي، وقال: هاذه هي الزبدة التي تكلم عليها الشيخ، وأوصاكم بها.

وكان، رحمه الله، قبل معرفتي به ولقائي معه، مهما بات في ليلة معي عند أحد ويحضر أحد من الإخوان إلا ويسأل عني، ويقول: ما لهاذا الزبادي نسمع به ولم نره؟ وبلغني ذالك عنه حتى أراد الله والتقينا، والحمد لله. وكانت عادته معي كلما جئته في أمر إلا ويسبقني في الجواب قبل السؤال.

أخذ، رحمه الله تعالى، أولا عن الشيخ سيدي علي ابن ناصر، المتقدم ذكره، وعن الشيخ المجذوب الجذب الكامل، سيدي أحمد الأغصاوي، دفين زاوية سيدي محمد بن يوسف المتقدم، وهما معا عن الشيخ ابن حمدوش ﷺ ونفعنا بهم.

وخلف، صاحب الترجمة، رحمه الله، ولده سيدي محمد، وكان، رحمه الله، سالكا مجذوبا، والجذب أغلب، وكان ضيق الصدر. لقيته مرة في حياة أبيه، ومرة يوم جنازة أبيه، ومرة أخرى بعد ذالك. وكان والده كلما ذكر عنده ولده يقول: ادعوا إخواننا لولدي محمد والله يوسع قشابته. فكان، رحمه الله، قوي الحال، مقدام على الأمور، ضيق الأخلاق حتى توفي كذالك، رحمه الله تعالى، سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن ببلاده، رحمه الله. وهو الذي اقتلع والده من فاس إلى البلاد بعد عشرين شهرا.

[أحمد الأغصاوي]

ومنهم الشيخ الكامل، المجذوب جذبة اتصال، أبو العباس، سيدي أحمد الأغصاوي. كان، رحمه الله، غائبا غيبة اتصال، يكثر الكلام جهرا أو بالمعاني، حتى قال مرة كلمة كبيرة وهو في ناحية الجبل، وقامت عليه الحجة بها، حتى أفتى فيه بعض قضاة الجبل أن يحرق، وأمر القاضي الناس أن يجمعوا الحطب لحرقه، وقال لهم: كل من جاء بحزمة من حطب، أضمن له الجنة. حتى جمع حطب كثير قرب السوق. ويوم السوق عزم القاضي على حرقه فيه، ثم أصبح الشيخ سيدي أحمد جالسا بالسوق، ومعه بعض أصحاب الشيخ ابن حمدوش، والناس يجتمعون، فقال له الجليس المذكور: يا سيدي، إن الناس عزموا على حرقك. فقال له: يعملون ما بدا لهم. وكلما أعادها عليه، يقول لهم:

يعملون ما بدا لهم. حتى جاء القاضي راكبا على بغلته، فقال له: جاء القاضي إليك، ومعه كثير من الناس، والآن إن لم تخدم أنت معه، فأنا أخدم معه. قال له: ومن قدر على شيء، فليفعله. فلما قرب القاضي من الشيخ قاصدا له، جفلت به بغلته وحدها من غير سبب، ورمت به إلى الأرض، فانكسر ظهره وعنقه، وتفرق الناس في كل ناحية، وسيدي أحمد جالس في موضعه مع جليسه المذكور لم يتحركا. هاكذا سمعناه من تلميذه الشيخ سيدي علي بن علي، المتقدم ذكره، رحمه الله تعالى.

[القاسمي السجلماسي الأمراني]

ومنهم الشريف الأجل، المرابط الخير الناسك الأفضل، مولانا أبو محمد، القاسمي بن محمد السجلماسي الأمراني الحسني.

كان، رحمه الله تعالى، سنيا ذاكر، صاحب جد ومحبة، كريم الأخلاق متواضعا، بحاثا عن أهل المحبة، ومنتظرا ملاقاتهم والاجتماع معهم.

أخذ، رحمه الله، عن الشيخ سيدي علي بن ناصر المتقدم، وعن سيدي أحمد الأغصاوي، وهما عن الشيخ ابن حمدوش، نفعنا الله بهم.

[علي الودغيري]

ومنهم الشريف الأجل، الضرير البركة الأفضل، الفقير الذاكر المتقشف الناسك الأكمل، المحب الصدوق، الناصح الوثوق، أبوالحسن، سيدي علي الودغيري الحسني، الفجيجي دارا.

كان، رحمه الله، كثير السياحة والزيارة والبحث عن أهل الخير، ملازما لذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، من أهل الأحوال، ملازما لمسجد القرويين ولمولانا إدريس، نفعنا الله به، أكثر، ملازما صدوقا، باحثا وزائرا عن الأحياء والأموات، وفي آخر عمره فقد بصره. وكان، رحمه الله، له قنبري يضرب فيه في بعض الأحيان، ويختم كلامه بقوله: لمن نعاود وا يما، رب لمن نعاود.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ سيدي علي بن حمدوش، لقيه في صغره، وأخذ عن سيدي علي بن ناصر المذكور آنفا، وعن سيدي أحمد الأغصاوي المتقدم، وعن الشيخ سيدي أحمد الدغوغي، وكلهم، ﷺ، عن ابن حمدوش، نفعنا الله به.

وتوفي، رحمه الله، عام ستة ومائتين وألف.

[بوعز الحانث الحسناوي]

ومنهم الفقير المرابط، الخير السالك، صاحب أحوال ومكاشفات، أخونا في الله، الصدوق المحب الوثوق، سيدي بوعز، المدعو الشهير بالحانث الحسناوي، القاطن بفاس العليا، وله حانوت بها يخرز فيها البالي.

كان، رحمه الله، صاحب أحوال ومكاشفات، يغلب عليه الجذب تارة، وأكثره السلوك، وتارة يغلب عليه القبض فيكون كالأسد، حتى يكون يتكلم بالعجمية، وفي حالة البسط يكون كلامه كلام الناسي، ولا ينسب لنفسه شيئا، وإذا أخبر يقول: رأيت في المنام، أو قيل لي، ويكون ذالك كالشمس المشرقة. ومن استغاث به في حاجة وجازه فيها، يقول: نطلب الله تعالى يكون خيرا، إن شاء الله، الله كريم، على الله والأجواد.

وحين اشتد المرض والموت في البلاد، عام أربعة وتسعين، وعندي بالدار مرضى نحو الأربعة عشر نفسا؛ نساء ورجالا، ودخل لعيادة الرجال، ودعى للجميع بخير. ولما أراد الخروج وقف عند سقاية الدار، وجعل يأخذ الماء بيده، ويرشه ويقول: الامان، الامان، خرج الباس، فشفاهم الله تعالى إلا بنية لي ماتت، رحمة الله عليها.

وحضر عندي في وليمة، وأنا داهش من قلة الطعام وكثرة الناس، فدخل، رحمه الله، لموضع الطبخ، وجعل يدور بالطعام، ويحركه بيده، ويقول: نحن والله لا يخصنا شيء، إن شاء الله، من فضل الله تعالى. ثم خرج، وقال لي: نادي على من يأكل طعام الله، والله كل من جاء حتى يأكل، ويبقى الخير، ليلا ونهارا. والله العظيم إلا كل من أدخل يده فيه من الطعام كفانا ليلا ونهارا، عدى الخضرة لم يمسها أنقصت في النهار، وجددنا أخرى ليلا.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ أحمد الدغوغي، وعن سيدي علي بن ناصر، وهما عن الحمدوشي، نفعنا الله ببركاته.

وتوفي، رحمه الله، أوائل رمضان المعظم سنة تسع وتسعين ومائة وألف.

[محمد ابن عطية التلمساني]

ومنهم الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، الخامل المتقشف الناسك الذاكر، صاحب وقت ثلث الليل الأخير دائما، أبو عبد الله، سيدي محمد، المدعو ابن عطية التلمساني.

كان، رحمه الله، سنيا خامل الذكر، مواظبا على قراءة دلائل الخيرات، لا تجده ثلث الليل الأخير نائما قط، صيفا وشتاء، إلا عند ضريح مولانا إدريس، نفعنا الله به، يقرأ دلائل الخيرات. وكان، رحمه الله، زوارا للأحياء والأموات، ملازما لكراسي العلم

والوعظ. وكانت له حانوت بالرصيف يبيع فيها الخضر، وله صحبة ببعض أسلافنا، وكان من أصحاب الشيخ سيدي علي بن يوسف، المتقدم ذكره، ملازما لا يفارقه قط.

مرض، رحمه الله تعالى، المرض الذي توفي منه، ولا علم لي إلى أن قرب أجله.

رأيته (ليلا)[1] في المنام، (وكأني)[2] بمسجد مع جمع غفير من الناس من أهل الخير، ولم أعرف ذالك المسجد، والناس داخل المسجد وخارجه، وفيهم من عرفته ومن لم أعرفه، وفيهم الأحياء والأموات، وبصدر المسجد خوخة للحومة دخل منها الشيخ سيدي أحمد السلوي[3] التازي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، بعد موته، وهو في قشابته الخضراء المعهودة للباسه في دار الدنيا وحايك ملفوف تحت إبطه، وجلس عند أرجلنا واتكأ على حائكه، فقلت له: قم يا سيدي من ثم. فقال لي: نحن من هنا ربحنا. فقلت له: أنت ميت. فقال لي: حمراء أنتم الأموات. فقلت: يا سيدي، إلى أين هاذا الجمع هنا، ولماذا جمعوا؟ فقال لي: إن هاذا الشريف هنا من أخيار عباد الله وأولياء الله في النزع، والناس يجتمعون يرجون قدوم النبي ﷺ، فحضر عنده (لموته. فتركت)[4] السؤال عن الشريف من هو، وقمت مسرعا للدخول عليه لنعرفه من هو، وليجدني النبي ﷺ عنده. فلما قمت واستيقظت من نومتي، وجعلت أتذكر المسجد الذي رأيت، فلم أعرفه. ولما صلينا الصبح وفتح النهار، تخيل في وهمي أن المسجد المذكور من ناحية أبي ميمون أو ما يقرب من ذالك. فذهبت لتلك الناحية، وجعلت (أسأل عمن) [5] توفي في تلك الليلة، فلم يخبرني أحد شيء. وأوصيت أصحابي إن ظهر عندهم أحد أن يخبروني، وأقلت نهاري بقنطرة الرصيف ولا شيء، حتى كان قرب الفجر من الغد (وأنا) [6] بمولانا إدريس، نفعنا الله به، وإذا برجلين من أصحاب سيدي محمد بن يوسف سلما علي، وقالا لي: إذا خف عليك الحال، توفي الشريف مولاي محمد بن عطية، رحمة الله عليه. وسألتهما عن داره، فقالوا لي: بجزاء بن برقوقة. قلت: وفي أي وقت قضى؟ فقالوا: أول الليل. قلت: هو ورب الكعبة. فلما طلع النهار، قصدت الدار، فوجدنا الناس كما رأيتهم في المنام. فكانت له جنازة عظيمة حفيلة، عليها هيبة وحسن وطلاوة ونور وكثرة الذكر والتلاوة وصلاة على النبي ﷺ، والناس يتحدثون على حال موته الذي مات عليه، وفيها ظهر عليه من علامات الخير وبنزعه ثلاثة أيام ما لا يكيف، مع حضور أهل الخير والصلاح والأشراف وأعيان الناس والعلماء وجميع المنتسبين لله تعالى، وذالك سنة خمس وسبعين ومائة وألف. ودفن بزاوية شيخه

---

[1] ب: ساقط.

[2] ب: وكان.

[3] أحمد السلوي (-1195هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي: 134-135.

[4] ب: بياض.

[5] ب: أستاذن.

[6] ب: أنا.

سيدي محمد بن يوسف المتقدم (بشيبوبة) [1] ﷺ ورحمنا وإياهم آمين. وبلغ بصاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، عام الخميس -لا أعاده الله للإسلام – الجهد الجهيد، حتى ظهر فية آثار الجوع، ولم يقل لأحد شيئا قط من كثرة صبره وشكره ﷺ. (وتوفي) [2]، رحمه الله، عن سن عالية.

[محمد المكناسي أبو شكال][3]

ومنهم: المرابط المسن، المجذوب الغائب، السيد محمد خنوس، المكناسي أصلا، الفاسي موطنا وقرارا، الحمدوشي طريقة، الملقب بأبي شكال، لأنه كان برجله اليسرى خلخال من شعر مربوط ربطا وثيقا قرب ساقه.

وكنت يوما واقفا بالعطارين الكبرى عند أخ في الله مع بعض الإخوان في الله، وصاحب الترجمة مار مع الطريق، فسلم علينا، فقلت له: ولم هاذا الحبل في رجلك؟ وإلى أين هو في رجلك؟ انزعه عنك. فقال: ومن يقدر على نزعه؟ فقلت: أنا أحله وأنزعه. فقال: أو تقدر؟ قلت: نعم. فمد لي رجله، وقال لي: حله إن قدرت على حله. فنظرت إلى ذالك الحبل فلم أجد له بدءا ولا نهاية ولا أثر عقد، كأنه فرغ أو نسج على رجله. وعزمت على شقه بالحديد، فقبض على يدي، وقال لي: أو كنت تقدر على ضمان الخبزة وحرسها للمسلمين، فافعل. ولكن عول عليه في رجلك أو على شرط آخر، وها أنت في الوسع، افعل أو اترك. فقلت: لا طاقة لي بذالك. فقال: وعلى م تتكلم فيما لا طاقة لك به، ها رجلي، ومدها. وقال: من هو شديد يحل منها ذالك الحبل، وصد. حتى كان عام اثنين أوثلاثة وتسعين ومائة وألف، رأيت في رجله خرقة من صوف ومن حبل الشعر.

وكان قبل ذالك جاء عندي المرابط الحاج عبد الكريم الصنهاجي العيساوي، المتقدم ذكره، وقال لي: رأيت قوما رجلين، أحدهما أبيض والآخر أسمر، والأسمر يجري على الأبيض وانحدر لواد، ولما دخل الأبيض الوادي، سقطت منه خبزة في الوادي، وسقط عليها الأسمر وأخذها ورجع بها هاربا. قال: فتبعته حتى امتنع ورجعت عنه، فوجدت الوادي قد نقص وأحجار قعره تظهر. فقلت: الوادي المخزن أو الغلاء، والرجلين كانت الخبزة للأبيض فصارت للأسود إما لغلائها أو لرخصها. فكان الأمر كذالك. فحين رأيت، صاحب الترجمة، رحمه الله، بدل حبل الشعر الذي برجله بخرقه الصوف، قلت: هاذه والله رؤية الصنهاجي، فكان الأبيض من الرجلين، صاحب الترجمة، والأسود السيد عبد الرحمن الفلالي، المتقدم ذكره وحكايته في ترجمة مولاي الخياط القادري، رحمة الله عليهما.

---

[1] غير مقروءة في أ، التصحيح من ب.
[2] ب: بياض.
[3] محمد أبو شكال (-1194هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 3/366-367.

وكان، صاحب الترجمة، رحمه الله، يبيت في بعض الأحيان بساباط شرق الجامع ويعمل حوشا من حجارة ويجلس به، ويعمل مجمارا من نار، فمررت به ليلا وأخذت الضوء من عنده، وقلت له: إن كنت جئت لهاذا السوق، فما هاذه موضعك؟ فقال لي: وأين موضعي؟ قلت له: باب القرويين المقابل لسوق الشماعين. فقال لي: من أين علمت هاذا؟ قلت: هو موضع الشيخ ابن حمدوش، ﷺ، وموضع خليفته سيدي علي تول، لأنه سوق الحمادشة، فتحول بعد ذالك، صاحب الترجمة، إلى باب القرويين الكبرى. فبقي بها حتى زالت له الخبزة، وانتقل إلى بطالين راس الخيال بعيون بوخزار، فكان يقيل ويبيت بها، إلى أن توفي هنالك، رحمه الله تعالى، عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

وكان، رحمه الله تعالى، إذا وجد ما يسد به الرمق قنع، ليلا أو نهارا، وإذا لم يجد شيئا، يطلب من الناس ما يسد الرمق. وكان ضيق الحال، الغالب عليه القبض، ولا يدعي بدعوة قط. وكان قائد الوقت عزلني عن كرسي مولانا إدريس، نفعنا الله به، ظلما وعدوانا وولى غيري، فكان صاحب الترجمة كلما لقيني، يقول: لا تخف شيئا، والله إلا السلطان مولاي إدريس واقف معك، ولا يجوزك قط. فكان الأمر كذالك.

ورأيته يوما مارا بسوق حارة قيس والطريق بها طين، ورجل من لصوص الوقت طالع، ممن له صيت بذالك الزمان، فضرب كتفه كتف صاحب الترجمة، فقال ذالك الرجل: الفرع. فقال له السيد: لا ينطق بالخير إلا أهله، ولا ينطق بالشر إلا أهله. فقبض الرجل عند ذالك على الشيخ وحتفه بكسائه، فجعل الشيخ يقول: اطلق مني، الله أقوى منك. والآخر يزيد في تلبيبه ويهدده ويشتمه، ثم قال له الشيخ: والله إن لم تطلقني ليهلكك الله. وقبض فيه الشيخ قبضة منكرة، فضربه الآخر برأسه حتى سال الدم من أسنان الشيخ، ولم يقدر أحد على إفكاكه منه إلا بمشقة، والشيخ يدعو عليه، ويقول: الله يهدك، والله ما غلبتني، ولكن أردت أن يهلكك الله بقدرته، الله يهدك ويريح منك البلاد والعباد. فو الله من ذالك اليوم ما اكتسب الرجل جهدا ولا صحة، وسلط الله عليه المرض الرقيق فكان يقل شيئا فشيئا، وهو يضعف ويسقط لونه حتى صار مثل الكلخة، بعدما كان مثل الطود العظيم، وصار إذا جلس لا يطيق الجلوس، فيميل على أحد جنبيه، وإذا أراد القيام فلا يقوم إلا بعواد وشق الأنفس، وقل رزقه كما قل بدنه. بقي كذالك حتى لزم الفراش مدة، ومات عفا الله عنا وعنه.

وخرجت يوما بعد صلاة العشاء من القرويين، فوجدت المرابط الطالب، سيدي محمد الرقعي، المتقدم ذكره، خرج أمامي والناس تابعون له، وهو يتكلم في شأن الخبزة، ويقول: الخبزة كذا، الخبزة كذا. ولما بلغ باب مدرسة العطارين، قام عليه صاحب الترجمة، رحمه الله، من شرق الجامع كأنه أسد، وهو يقول: أين الذي يتكلم في الخبزة؟ من هو هاذا؟ أين كذا ابن كذا؟ وسار الآخر هاربا، وبقي، صاحب الترجمة، طالعا إلى سوق العدول راجعا إلى جامع الأبارين، ثم قال: والله لو قبضته، لأريته أن يتكلم في غير

سوقه، الرجال سهروا على الخبزة الليالي والأيام، ونصبوا عليها ظهورهم للحر والقر سنين، والشمايت باتوا ليلة في الغدير، فأصبحوا قراينا، ولا أبت غلومة أن تبرد، وأنا قائم ننظر ذالك. ثم سألني: من هو هاذا؟ قلت: السيد محمد الرقعي. فقال: والله حتى (يسقطه)[1] الله حتى يعرف أين هو ماش. فبقي الرقعي المذكور بالحمى من ذالك اليوم نحو الشهرين أو ثلاثة.

[الوفي عشابة]

ومنهم أيضا الشيخ المسن البركة المرابط، سيدي الوفي عشابة. كان، رحمه الله تعالى، سالكا مجذو با، والغالب عليه الجذب.

وكان سببه في ابتداء أمره أن وجد الشيخ سيدي علي بن حمدوش ﷺ يجلس في باب القرويين المقابل للشماعين، ملازما الليل والنهار، وهو يكثر البصاق يمينا وشمالا، فلما رآه سيدي الوفي على تلك الحال، جلس مقابلا له في تلك الباب، وجعل يبصق كما يفعل الشيخ، فضربه الشيخ بعصى، فنشف ريق فم سيدي الوفي حتى لم يقدر على البصاق ولا على غيره. فتاب عند ذالك سيدي الزفي، رحمه الله تعالى، وأقبل على الشيخ ابن حمدوش. فقال له ابن حمدوش: اجلس حتى تسمع بي في زرهون وائتني هنالك. فلما تقرر الشيخ ابن حمدوش بزرهون، ذهب عنده سيدي الوفي، فوجد غليه هيبة كبيرة، فتأدب واستشار، فأذن له في الدخول، فدخل، فقال له الشيخ: من أنت؟ ومالك؟ فقال له: جئت في ميعادك. فقال له الشيخ: إن كنت جئت للخدمة، فسر حتى تجيئ بالهدية، وتعمل النزاهة هنا، ونأمرك بالخدمة. فرجع سيدي الوفي إلى المدينة، واشترى ثورا وما يناسبه من الإقامة، وذهب حتى أقبل على الشيخ، فقال له الشيخ: أين الهدية؟ فقال: ها هي هنا. فقال له الشيخ: سر دق خزانتك عند تلك الكرمة، ونزل شغلك هنالك، واقسم ما جئت به من الطعام أثلاثا، كل قسمة بنزاهة يوم، ففعل كذالك. وكان معه بعد ذالك حتى توفي الشيخ، رضي الله عنهما.

ولما توفي السلطان أمير الوقت، مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل، رحمة الله عليهما، وتولى بعده ولده سيدي محمد في ثالث صفر الخير إحدى وسبعين ومائة وألف، سمعت سيدي الوفي، صاحب الترجمة، يقول: الراي رايان، راي كلبي، وراي قطي. والآن انقضى الكلبي وبقي القطي. فقيل له في ذالك، فقال: الراي الكلبي: إذا لقي كلب كلبا يزهر كل واحد منهما على الآخر، ويظهر كل منهما العدة، وقد انقضى ذالك. والراي القطي: ترى القط منحذر الرأس متأخر في صدده وهو يعيد الخرافة فيه، وهاذا زمانه. فكان الأمر كذالك.

وله، رحمه الله تعالى، أخبار ومكاشفات وكرامات. وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

---

[1] غير مقروءة في ب.

الطائفة العاشرة

[الطائفة الغازية]

وهم الفقراء أصحاب الشيخ الإمام، القطب الهمام، الغائب في الله، والغريق في بحر محبة رسول الله ﷺ، صاحب العناية الربانية، والأسرار العرفانية، والكرامات الظاهرة الباهرة، أبي محمد، سيدي أبي القاسم بن أحمد الدرعي أصلا، الفيلالي دارا وقرارا ومزارا، الغازي لقبا.

[أحمد الدرعي الفيلالي]

كان ﷺ جليل القدر، نشير الصيت. توفي، رحمه الله تعالى، في شعبان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة بتافيلالت، وقبره بها مشهور، ومزارة للصادر والوارد. وله ﷺ زوايا وأتباع بكل ناحية، ولم تكن لأصحابه بفاس زاوية إلا روضة تلميذه سيدي مسعود الفيلالي خارج باب المحروق قرب ابن العربي ﷺ.

[العربي الرندي]

فلما توفي المرابط سيدي الحاج العربي الرندي الأندلسي، الخراط حرفة، وكان ينتسب على سيدي الغازي، وكان في ابتداء أمره خفيف العقل، وسافر للحج، ودخل تونس، فلقي بها الرجال من أهل الخير، وزارهم أحياء وأمواتا ﷺ، ورجع للمغرب، وسافر لتافلالت، ولقي بها أصحاب سيدي الغازي، فجلبوه وطبعوه بطابع سيدي الغازي، فجاء منها بشهب غازيا، فكان إذا غلبه الجذب يخبر بأخبار غيبية.

توفي، رحمه الله تعالى، سنة ست أو سبع وسبعين ومائة وألف، ودفن بدار ابن الأحوال بحومة الشراطين، وأعملت زاوية يعمرونها الآن أصحاب الشيخ سيدي الغازي، ومن الجمعة إلى الجمعة يطلعون إلى ضريح الشيخ مسعود الفلالي المذكور، ويعمرون فيها كل عشية جمعة، وفيما عدى الجمعة يعمرون بزاوية الرندي بالشراطين الجديدة المجاورة لزاوية الشيخ سيدي محمد مساء الخير.

[محمد مساء الخير]

وسيدي محمد مساء الخير هاذا كان مجذوبا غائبا، سمعنا ممن لقيه أنه كان يلف جميع الحائك على رأسه ويمشي به كذالك. فلقيه يوما ولد السلطان، مولاي الحفيد بن إسماعيل، وهو على تلك الحال، وكان ولد السلطان خالي العقل والذهن، مؤذيا للخلق، فرآه والحائك ملفوف على رأسه، فسأل عنه، فقيل له: مرابط. فزاد عنده، وقال له: أنت مرابط بالحق؟ فقال له سيدي محمد: إذا قالها الله. فقال له ولد السلطان: وهل تعرف الله؟ قال نعم. قال: وبم عرفته؟ فقال له سيدي محمد: عرفته يقتلك، ولا يعطي فيك دية. فصد الشريف عنه وتركه. ومن الغد أصبح الشريف ولد السلطان ميتا.

[مخالطة الزبادي للطائفة الغازية]

ولم تكن لي خلطة بهاذه الطائفة الغازية، حتى كنت يوما مارا بالأنصاري من حومة جرنيز، فسمعت أناسا غازيين بطراز هنالك حرارين، وهم يقولون بصيغة: قلها يا أخي في الله لا إلاه إلا الله، فاستحسنت ذالك، ووقفت أسمع حتى ما فقت مع رأسي حتى وجدت نفسي معهم في علو الطراز وأنا أرقص بها.

وفي يوم آخر من أيام عيد من الأعياد جزت بالشراطين على باب زاويتهم الآن بعد صلاة العصر، فلقيني رجلان منهم داخلان إلى الزاوية، فطلبا مني الدخول إليها عندهم، فدخلت فوجدت الحضرة عندهم، وهم واقفون فيها صفوفا يقولون: سبحانك ما أعظم شانك، الله ربي، وهم نافحون فيها نفحة عظيمة. فما شعرت حتى وقفت معهم وأنا أقولها وأمشي بين الصفوف حتى غبت، وبقيت غائبا إلى العشاء، فرأيت في تلك الغيبة الشيخ الغازي ﷺ ففرح بي، وأكرمني ودعا لي بخير، وأمرني بزيارة الشيخ الإمام، القطب الهمام، أبي محمد، مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ، وأكد علي فيها، حتى قال لي: لك النفع فيها وللمسلمين معك. ثم أيقظني الفقراء بعد العشاء، وبلغوني إلى داري. فبت تلك الليلة بين نوم ويقظة، وأصبحت ثاملا ساقط الأعضاء، وقلت:

يَا لِّ يَسْعَى يَقْصَدْ بِيبَانْ الْكُبْـــرَى أَهْلْ الْقَدْرْ الرّفِيعْ وَالْجَاه الـــسَّامِي
صَقَّايَنْ النّحَاسْ فِي حِينْـــوا نُقْـــرَا فَكَّاكِينْ الْغَزُولْ مِنْ كُـــلّ خَبَـــالِي
تَمْشِي صَاحْبِي لِدَارْهُمْ تَرْجَعْ بُكْرَا يَسْقِيوكْ كَاسْهُمْ صَـــافِي زْلاَلِـــي

سَيِّدِي الْغَازِي شُفْ لله مِنْ حَالِـــي

وبعد صلاة العصر من الغد، دخلت القرويين، فوجدت الشريف سيدي محمد الطود، المتقدم ذكره، فقال لي: ما لك عجزت عن زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش.

والله لو كنت أنا أنت، ما بت اليوم هنا، والله لوعرفت ما في زيارتك هاذه، لسافرت الآن من حينك. الله الله أخي، لا تتراخى فيها. فزادني كلامه شوقا وغبطة ووجدا على ما بي .

ومن الغد، وقفت عند أخينا في الله، سيدي محمد بن شيخنا، سيدي محمد جسوس، رحمه الله، بقصد الطلب منه أن يمشي معي للزيارة، فقال لي: والله إلا هاذا قصدي، وأنا راجي مجيئك عندي لنطلب منك هاذا الأمر. ثم جاء بعض الإخوان، ونحن نتكلم في هاذا الأمر، فقالوا: نحن من رفقائكم. وانصرفت من عنده. فلقيني رجل بباب العطارين، فطلبت منه المركوب، فقال: حبا وكرامة.

وفي عشية ذالك اليوم، لقيت الشيخ سيدي عبد الله يزرور بقبيب الناقص، فقال لي: ما لك قصرت عن زيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، ما نعرفك إلا مولعا بها ومعتنيا بها، وفي هاذه السنة تراخيت عنها. ما السبب في ذالك، وقد تعينت عليك؟ فقلت له: غدا، إن شاء الله، عزمنا على الزيارة، والسفر إليها. فقال ﷺ: كل الخير فيها.

وسافرنا من الغد، بحمد الله، في رفقة طيبة، وكان الفصل فصل القناطير التي بين العنصرة والسمائم، وكنا نتهيأ للخروج، والناس يقولون لي: هاذا ما هو فصل الزيارة، وإنما هو فصل المصيف والحر.

ولما سافرنا، منذ سفرنا أعطانا الله تعالى الغيم والريح الغربي من باب فاس إلى أن زرنا. ونزلنا لتطاون وأقمنا بها خمسة أيام والقائلة والحر الشديد، ولما خرجنا من تطوان، أعطانا الله تعالى الغيم والسحاب حتى دخلنا فاسا.

فانظر أخي بركة الأجواد مع فضل الله تعالى ومراده وسعة رحمته سبحانه، فوالله ما كنت في سفري ذالك أدخل شعبة ولا غابة ولا أقطع واديا إلا ولقيت من يقول لي: اعزم ولا تتراخى، خفية من رفقائي.

فدخلنا وزان، وزرنا أهلها الأحياء والأموات يوم الجمعة قبل الصلاة، ولقينا الشيخ سيدي أحمد بن الطيب، نفعنا الله به، ونحن كنا بنية المقام هنالك تلك السنة. ولما خرجنا من عند الشيخ سيدي أحمد بن الطيب بعث لنا إكراما مع بعض أصحابه، وذالك الإكرام فيه إشارة للعزم بالسفر، الشعير لعلف الدواب، والخبز واللحم النيء من غير طبخ. فقمت من حيني، وأمرت الرفقاء بالرحيل بعيد صلاة الجمعة وسافرنا.

فلما كنا بوادي رهونة (حاداني حاد)[1]، وقال لي: يا هاذا، جد وجز على تازروت. قلت: إن شاء الله. فبتنا بالشيخ سيدي يوسف التليدي[2]، نفعنا الله به. ولما صلينا العشاء، خرجت عن القبة لقضاء الحاجة، فلقيني رجل هناك فسلم علي، لم أعرفه، فجلست معه على ضوء الفجر، وتحدثنا في أمور كثيرة، ثم قال لي: قم تنم، وأسرع في مشيك، فإنها نعم الزيارة، إن شاء الله، وجز على تازروت.

---

[1] كذا. دارجة.

[2] أبو الحجاج، يوسف بن الحسن التليدي (- 948هـ). ترجمته في: دوحة الناشر: 23-24. معلمة المغرب: 2532/8. عمدة الراوين: 38/4-39.

فسافرنا من الغد، وأفطرنا بعين السطح، ووقفنا، فقلت للرفقاء: طريقنا هي اليسرى على تازروت. فقالوا: هي اليمنى. ومنهم من وافق، ومنهم من لا، ووقع النزاع، فسكت. وتقدموا وساروا، وأنا تابع لهم من ورائهم، إلى أن افترقت الطريق يمينا وشمالا، فقبضوا اليمنى لمولاي عبد السلام، وقبضنا اليسرى لتازروت. وسرنا ما شاء الله، فإذا بهم سرقتهم الطريق؛ طريق أخرى من أعلى الجبل في الغابة، وانحدروا وانقطعت بهم تلك الطريق وتلففت، وهم يمشون في الغابة من غير طريق. فلما أشرفنا على صومعة تازروت، وجدناهم أمامنا، فبلغنا سواء. فنزلوا عن الدواب يقبلون يدي ورجلي، ويطلبون المسامحة، وهم يقولون: والله ما عرفنا كيف جرى بنا.

ودخلنا تازروت، وزرنا أهلها والشيخ الكامل، سيدي محمد بن علي بن ريسون[1] الحسني العلمي، نفعنا الله به، الآتي ذكره، إن شاء الله. ولما جلسنا بين يديه، نظر إلي، وقال لي: أنت من بني فلان؟ قلت: نعم. قال: زرت مولاي عبد السلام؟ قلت: لا. قال: ولم؟ قلت: حتي أسير المفتاح. فقال: وما المفتاح؟ قلت: أنت. قال: أي والله. وقال لأصحابه: أين بغلته؟ قالوا: هناك. قال: هاتوا له ببغلته. فأسرعوا بها. فقال لأصحابه: ركبوه. فرفعوني بين أيديهم حتى أقعدوني عليها، ثم قال لي الشيخ: انده، انده، وإياك تلتفت، فإن السوق عامر، وأردنا أن تلحقه عامرا. وسرنا سيرا شديدا عنيفا، حتى غبنا عنه، وهو يقول: انده، تلحق السوق. فلما توسطنا الغابة، لقيني رجلان يمشيان في الغابة من غير طريق، أحدهما راكب والآخر ماش، فتعرضا لي، وسلما علي من غير معرفة، وذهب الراكب، وبقي الراجل، فحاداني، وقال لي: سر، أبطأت كثيرا، انده. فسرنا وصلينا الظهر بمولانا عبد السلام، وزرنا زيارة مباركة، وقعت فيها نفحة عظيمة. ثم صلينا العصر، وركبنا منحدرين لمدشر الشرفاء فبتنا به. وقرب زوال غد، بلغنا تطوان وأقمنا بها خمسة أيام في ضيافة الإخوان وزيارة الصالحين الأحياء والأموات، ولقينا بها رجالا من أهل السر والإعلان، واغتنمنا كل الخير منهم، والحمد لله الذي من علينا بلقياهم والاجتماع معهم، نسأله سبحانه وتعالى أن يمدنا منهم بمنه وكرمه، آمين.

ولما رجعنا من هاذه الزيارة، وبلغنا إلى فاس، حاطها الله من كل باس، رأيت فيما يرى النائم – سبحان من لا ينام– أني واقف بسوق السباط، وإذا برجل من أصحاب الشيخ سيدي الغازي ﷺ أعرفه بوجهه مارا مع الطريق وهو ينادي، ويقول: لا إلاه إلا الله، محمد رسول الله، ﷺ، يا معشر الفقراء، اسمعوا خيرا: إن سيدي محمد الزبادي هو مقدم الفقراء، من أحب أحب، ومن كره كره. فزدت عنده، لأسأله عن حقيقة ذالك الأمر، فاستيقظت، وكنت لا أعرف ذالك الرجل أنه مقدم ولا من هو، حتى سألت عنه الناس،

---

[1] محمد بن علي بن ريسون (-1189هـ). ترجمته في: الروضة المقصودة: 528/2. موسوعة أعلام المغرب: 2405/7.

فقالوا لي: اسمه السيد أحمد بن موسى أقصبي، السرايري حرفة، وهو مقدم الفقراء الغازيين، دكانه بالمسائين من باب السلسلة، فكتمت ذالك ولم أقصه لأحد من خلق الله.

فلما فرغنا من قراءة القرآن بالزاوية الرحمانية غدوة، قال لي أخونا وشيخنا العلامة سيدي علي قصارة، رحمه الله، المتقدم ذكره: يا أخي، خصك تحاول معنا، أو كما قال. فقلت له: وكيف ذالك؟ فقال لي، سرا بيني وبينه: الرؤيا التي رأيت، وقصها علي فبعينها. فلما خرجت من الزاوية، ذهبت أنتظر المقدم حتى وجدته بحانوت، فسلمت عليه، ورد علي، ورحب بي، وقال لي قبل أن أكلمه: الذي أراد الله كان. فقلت له: أخبرني عن هاذا الأمر من أين هو؟ فقال لي: ما أنا إلا عبد مأمور، فإذا سمعت شيئا هو ذالك، وإذا بلغك هو ذالك، والله يحفظنا وإياك بمنه آمين.

فهاذا ما ظهر لي من إكرام الشيخ أبي القاسم الغازي ﷺ.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ مجبر التلايف، سيدي علي بن عبد الله السجلماسي التمنمرورتي، وهو عن أبي العباس الراشدي الملياني، عن الشيخ أبي العباس زروق، رضي الله تعالى عن جميعهم، ونفعنا بهم آمين.

الطائفة الحادية عشر

[الطائفة الناصرية]

وهم الفقراء، أصحاب الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، العارف بالله تعالى، وجامع سنة رسوله ﷺ، أبي العباس، سيدي أحمد بن الشيخ الواصل، القطب الكامل، أبي عبد الله، سيدي محمد[1] بن ناصر الدرعي، القاطن بها والدفين بها سنة (تسع وعشرين)[2] ومائة وألف.

[أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي][3]

كان، رحمه الله، من عباد الله الصالحين وأوليائه الصادقين، عالما عاملا، زاهدا ورعا حافظا للسنة مواظبا عليها.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن والده سيدي محمد المذكور، وأخذ والده عن الشيخ الناصح، والبرهان الواضح، سيدي عبد الله بن حسين الدرعي، مولى تمصلحت، عن الشيخ أبي العباس، أحمد بن علي الدرعي التمجروتي، عن الشيخ أبي القاسم الغازي، عن الشيخ سيدي علي بن عبد الله، عن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني، عن شيخ المشائخ، أبي العباس زروق ﷺ أجمعين، وسقانا من مددهم آمين.

[من أدركهم الزباي من أصحاب أحمد بن ناصر]

وقد أدركنا أناسا من أصحابه من أهل الخير، واجتمعنا معهم وتبركنا بهم.

[يوسف بن محمد بن ناصر]

منهم: نجله الفقيه العالم السني، والمرابط الناسك، سيدي يوسف بن محمد بن العارف بالله، سيدي محمد، اجتمعت معه بفاس عام ستة وسبعين ومائة وألف بعد حجه.

---

[1] محمد بن محمد بن ناصر (-1085هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 211/2. التقاط الدرر: 196. طبقات الحضيكي: 319321. الحركة الفكرية: 551/2. الزاوية الدلائية: 57. جامع القرويين: 518/2.

[2] بياض قدره كلمتان، الزيادة من مصادر ترجمته.

[3] أبو العباس، أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي (-1129هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 324/3-325. التقاط الدرر: 312-313. طبقات الحضيكي: 8590/1. سلوة الأنفاس: 298/1. الحياة الادبية: 172-176.

[محمد بن عبد السلام بناني][1]

ومنهم: الشيخ الإمام، العلامة الهمام، المشارك الصوفي، المدرس المؤلف، العارف بالله تعالى، أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد السلام بناني.

كان، رحمه الله تعالى، من ذوي الهمم العالية، إمام في التدريس، ومن أهل التصنيف، صنف تواليف كثيرة في كل يوم. شرح "الصلاة" لمولانا عبد السلام بن مشيش على ظهر دابته في طريق الحج، وشرح "الحزب الكبير" للشاذلي، وشرح قصيدة الشيخ أبي عبد الله الغوث التي أولها: تضيق بنا الدنيا الخ[2]، وشرح الكلاعي[3]، وغير ذالك مما لم نقف عليه، وتخرج على يده أقوام علماء.

وكان له إذن في تلقين الأوراد الناصرية، وعليه هيبة وسكينة ووقار، وله أخلاق كريمة مع الناس. كان، رحمه الله، زوارا للصالحين، ولاسيما الأموات، وله خبرة بقبورهم، يدرس الفقه في الصف الأول من القرويين ضحوة كل يوم، وكان على مجلسه هيبة ووقار، وسكينة وأنوار، مجلس عظيم يحضره الفقهاء الأعلام كأخينا في الله وشيخنا، سيدي علي قصارة المتقدم، وشقيقنا الفقيه سيدي أحمد، والفقيه سيدي محمد بن سيدي محمد بردلة، والعلامة القاضي، سيدي عبد القادر بوخريص، والفقيه الحافظ الواعظ، سيدي إدريس العراقي الحسني[4]، والفقيه الحيسوبي، سييدي أحمد بن عبد الجليل الشرايبي[5]، والفقيه العدل، سيدي علي بن سليم، وأمثال هاؤلاء، والفقيه العالم العلامة المفتي، سيدي محمد بن الفقيه العدل، سيدي الخياط بن إبراهيم، رحمه الله، والعلامة ولد عم صاحب الترجمة، سيدي محمد بن الحسن بناني، إمام مسجد الشرفاء، المتقدم ذكرهم، ﷺ. وله مجلس قبله للحديث بمسجد القاضي عياض من حومة الصاغة، وكان له مجلس للبخاري، ورسالة ابن أبي زيد بين المغرب والعشاء بالمدرسة المصباحية، وحضرت له مجلسا بالزاوية الناصرية بتطوان للفقه عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف.

ثم بعد ذالك رجع إلى فاس ولازم الفراش بها سنين، فكنت أعوده إلى أن توفي عن سن عالية، عفى الله عنا وعنه، ضحوة يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن قرب داره بالديوان من حومة الصاغة، وبنيت عليه زاوية هناك كبيرة، وكان بدء بنائها في حياته.

وكان، رحمه الله تعالى، كثير الزيارة للصالحين كل يوم بما فيه معلوم.

---

[1] محمد بن عبدالسلام بناني (-1163هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 4/80-81. التقاط الدرر: 416-419. سلوة الأنفاس: 1/156. فهرس الفهارس: 1/224-227. الفكر السامي: 2/344.

[2] ومطلعها: تضيقُ بنا الدنيا إذا غبتُم عنا   وتذهَبُ بالأشواق أرواحُنا منّا
فبُعدُكُمُ موتٌ وقُربكُم حيا   فإن غبتموا عنّا ولو نفسا متنا
انظر الديوان: 59.

[3] أبو الربيع، سليمان بن موسى الكلاعي (-634هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف: 1/123، هامش: 496.

[4] إدلايس بن محمد العراقي (-1184هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 4/193. طبقات الحضيكي: 1/120121.

[5] أحمد بن عبدالجليل الشرايبي (-1190هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 3/68.

وكان بيني وبين أولاده الثلاثة أخوة وصحبة ومحبة، وهم:

العلامة المفتي سيدي حمدون

كان، رحمه الله تعالى، فقيها مشاركا صالحا متعففا، حسيبا لبيبا، هينا لينا مدرسا، ذا أخلاق حسنة كريمة وحياء، خاملا عازلا عن الخلق. أخذ، رحمه الله، عن والده سيدي محمد، صاحب الترجمة. وتوفي بمكة المشرفة مهل صفر الخير عام سبعين ومائة وألف.

لقيته بطرابلس مشرقا وأنا مغرب.

[محمد بن محمد بناني]

كما لقيت أخاه سيدي محمد مغربا وأنا مشرق عام سبعة وستين ومئة وألف، وسافر لمصر في البحر مع أخيه الفقيه سيدي عبد الكريم وأخوهما الفقيه الأجل، المرابط الأفضل، أبو عبد الله، سيدي محمد.

كان، رحمه الله تعالى، فقيها فقيرا، محبا صادقا في محبته، ونية كبيرة في جميع المنتسبين، يحب الاجتماع معهم ويأوي إليهم، وكان مولعا بالذكر وبأهله، وتأخذه فيه أحوال، ذو أخلاق كريمة مستحسنة، وأوصاف حسنة، يكفيك فيه كثرة الحياء، لا يتكلم معه أحد، كائن من كان، إلا وتكسوه حمرة في وجهه وذاته (كلها)[1].

أخذ، رحمه الله تعالى، عن والده سيدي محمد المذكور وأخيه سيدي حمدون المذكور قبله. وتوفي، رحمه الله، ليلة الخميس عاشر رمضان المعظم عام اثنين وثمانين ومائة وألف، ودفن مع والده، رحمه الله تعالى.

ورأيته بعد موته في المنام وهو على هيئة حسنة جميلة، وهمة عالية وبسط، فسلم علي، وقال لي: سيدي، هاكذا هي معرفتكم؟ قلت: كيف ذالك؟ قال: تبارك الله. قلت: كيف أنت؟ فجمع أصابع يده اليمنى وحصر السبابة بالإبهام، وقال لي: على خير، ومد عليها. فسألته كيف هو عم العربي. فرفع بصره إلى فوق، وقال: هذاك أعلى من هاذا الشي وأعلى. وعم العربي هاذا، والده عمه.

[عم العربي]

كان يخدم الشيخ سيدي محمد، صاحب الترجمة، في حياته، ويخدم أولاده بعد موته، وكان يؤذن بالزاوية المذكورة، ويوقدها، ويبخرها ليلة الاثنين والجمعة، وكان ورده فيها كل يوم قبل الفجر عشرة آلاف من سورة الإخلاص راتبة عنده من أول ثلث الليل

---

[1] ب: ساقط.

الأخير إلى طلوع الفجر، وكان يقرؤها جهرا، يسمعه المار مع الطريق. وكان، رحمه الله، يقول وأنه كان يستشير في أموره كلها مع الشيخ ويقع له الجواب من القبر.

وكان يبيع الدقيق من حانوت بحارة قيس، ويقرأ فيها دلائل الخيرات، يختمه كل يوم أربع مرات أوخمس مرات، ويوم الجمعة يزيد على ذالك.

قال، رحمه الله: وكان يوما يقرأ ورد سورة الإخلاص على عادته في الوقت المعلوم، وإذا بميت كان قريب عهد بدفنه هناك انفتح قبره، وخرج وجلس على القبر، وهو يقول: زدنا يا عم العربي، كثر الله خيرك، وجزاك عنا خيرا. ولما بلغ الفجر وجاء بعض الناس للصلاة، قال: فانفتح القبر ودخل صاحبه فيه، ورجع كما كان.

وكان عم العربي هاذا كثير الصيام، مداوما عليه في الاثنين والخميس وما أشبه ذالك من عاشوراء وعرفة وشوال، وكان من أهل الخير من الصالحين، محبا في الفقراء والمساكين والعلماء وأهل البيت، وكان من الذاكرين الله كثيرا، وكانت تعتريه حال عند ذكر الهيللة، وكان ينكر ذالك وينتسب للأرياح.

توفي، رحمه الله تعالى، سنة اثنين وثمانين ومائة وألف، ودفن بصحن زاوية شيخه المذكورة، وكنت المباشر لغسله وإلحاده، ولما توفي الشيخ صاحب الترجمة، سيدي محمد بن الشيخ المذكور، وكان أوصاني بمباشرة غسله، فغسلته وأنزلته قبره.

وأوصى بالكسوة التي عليه بالحائك والقفطان ملف والكرزية، مكنوني من الكرزية والحائك، وامتنعت امرأة من الورثة من إعطاء القفطان. ثم بعد ذالك كانت المرأة الممتنعة عند بعض القرابة منهم في فرح كان عندهم، واحتاجت إلى بعض الحوائج من صندوقها، فأرسلت لمن يفتح الصندوق من أهل الدار ويبعث لها ما احتاجت إليه منه، فكان الليل، فسقطت طشة من النار في الصندوق ولم تشعر بذالك فاتحته فأغلقت الصندوق على ذالك، فشعلت النار في جميع ما في الصندوق من الحوائج، من الكتان وغيره، فكان من جملة ما كان في الصندوق القفطان الممنوع. وبلغني الخبر بذالك، وظنوا أن ذالك من أجلي، وإنما هو من أجل المرحوم، لأن لفظه كلفظ الشارع، ومن بدل أوغير فالله حسيبه.

الباب الثامن

في ذكر من لقيناه واجتمعنا معه وصحبناه من أهل الخير وتبركنا به من أهل الجذب والسلوك من غير الطوائف المذكورة

فصل في ذكر أهل السلوك منهم ﷺ

[محمد الصنهاجي][1]

فمنهم الشيخ السالك السني المتجرد، أبو عبد الله، سيدي محمد ابن عبد العزيز، الصنهاجي أصلا، الفاسي دارا وقرارا، القاطن بمصمودة، دفين أبي ميمونة، الدراس بن اسماعيل، رضي الله عنهما، ملتصقا قبره بقبره، وذالك عام أربعة وخمسين ومائة وألف.

كان، رحمه الله تعالى، من المحبين في أهل البيت والعلماء والفقراء المنسوبين، مولعا بخدمتهم وإكرامهم. وكانت له صحبة مع أسلافنا ومحبة شديدة، فكان يبيت عندنا في بعض الأحيان ويقيل. كنت من صغري وهو يسميني بالشيخ محمد، لا في ندائه علي، ولا في السؤال، ولا في الأمر، ولا في النهي. وكان، رحمه الله، مؤذنا بمسجد أبي ميمونة، المحمل على ساباط مصمودة قرب داره.

وكانت تعتريه أحوال ﷺ، حتى كان في بعض الأحيان ينزع الثياب عنه حتى يبقى في السراويل ولاسيما عند الدعاء.

(رأيته)[2] ليلة زمن المصيف في صحن القرويين مع بعض العلماء والطلبة، وكلما أراد أحد أن ينام لا يتركه ينام، ثم إنما انفتح باب في السماء فوق مولانا إدريس قدر القبة، وخرج منه نور قدر طول ذالك القبر وعرضه، وهبط حتى دخل في قبة مولانا إدريس، ورجع الليل نهارا من شعاع ذالك النور، وجعل الشيخ، رحمه الله، يوقظ النائمين، ويقول: الله، الله، الرجال. ويرمي ثيابه حتى بقي في السراويل، ويدعو، ويأمر الناس بالدعاء، وبقي بعض العلماء نائما فأقاموه، وجلس ثم رجع، ولما أنزل خده على الأرض لدغته

---

[1] أبو عبدالله، محمد بن عبدالعزيز الصنهاجي (-1154هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي ابن سودة: 122-124. الروضة المقصودة: 2/449-451. سلوة الأنفاس: 2/200-201.

[2] ب: بياض.

عقرب، وكان مكرها عليه كالأحمق من شدة الألم، والشيخ يقول له: أنت بغيت، ولاكن لا باس عليك. وكانت تظهر عليه مآثر الخير كثيرا، منها ما تقدم ذكره في ترجمة سيدي أبي العباس السوسي من الطائفة القاسمية.

وكان ﷺ من علامات حاله يكثر الأكل في جسده، ويعطينا نحك له ظهره، وكلما حكنا ظهره ينفتح جسده حتى يعظم جدا. وعند أول الحك ينزع ثيابه، ويقول: حك، حك، حتى يغيب عن الوجود، ويبقى على الأرض كالجبل من عظم جثته، ولا يفق حتى ينفش. قبضني يوما، رحمه الله، قبل طلوع الشمس من يدي ودخلت معه إلى مسجد سيدي أبي الشتاء بسوق حارة قيس. وقال لي: سد الباب. فسددته، وتجرد من ثيابة حتى بقي في السراويل، وجعل رأسه على ركبتي، وقال لي: حك لي. فجعلت أحك له ظهره، وهو ينتفخ لدي ويعظم حتى صار كالجمل. وغاب، فكنت أحس ثقل جبل على ركبتي وفخذي، وأردت أن أنفس رأسه عن ركبتي لنجعل حوائجه تحت رأسه لنستريح، فما قدرت على هز رأسه بالكلية، من كثرة الثقل. وبقي على ذالك الحال نحو الساعة، وهو ينفش شيئا فشيئا حتى أفاق. فلما أفاق، قال لي: يا شيخ محمد، أفطرت؟ قلت: لا. فقال لي: تفطرني أو نفطرك؟ قلت: الذي أحببت يكون. فقال: أنا أفطرك. فما تحب أن تفطر؟ قلت: الذي تحب. فقال: تفطر فطور الزوامل. قلت: ما أعرفه؟ واستحييت من تلك المقالة، فقال لي: وكيف لا تعرفه؟ قلت –وأنا صادق في مقالتي–: والله يا سيدي ما رأيته ولا سمعت به قط إلى الآن. فقال لي، رحمه الله: قم وافتح الخلوة، وادخل إليها، وانظر إلى الطريق، ومن نظرته أو نظرك من المعارف، فقل له: قال لك محمد الصنهاجي، سق له ما يفطر. ولا تزد على هاذا المقدار. فقمت وفتحت الخلوة ونظرت إلى السوق كما قال لي، ﷺ، وإذا بالحاج محمد بن عبد الواحد السبتي، رحمه الله، هابط مع الطريق، فوقع بصره علي، فقلت له: إن سيدي محمد الصنهاجي يقول لك تفطره. وها هو هنا. فقال: تبارك الله. فقال الشيخ: مع من تتكلم؟ فقلت: مع أخينا، الحاج محمد بن عبد الواحد السبتي. فقال: كيف قلت له؟ قلت: قلت له كذا وكذا كما كان. فبينما نحن كذالك، إذا بالسبتي المذكور داخل علينا، وبيده مخفية مملوءة بالحليب والزبدة والسكر والخبز الخالص، فسلم، وأنزل ذالك بين يدي الشيخ، فقال له الشيخ: من أمرك بهاذا؟ فقال: فلان هاذا. فقال له الشيخ: أمرك بهاذا بعينه؟ قال: لا، إنما أمرني بالفطور. فقال له الشيخ: ترد الخبز. فترده في ذالك الحليب. فقال له: قم سر في أمان الله ورسوله. فقام الرجل وخرج، وحشمت من ذالك، فأكلت أنا وهو، ثم قال لي: عرفت هاذا الفطور. فقلت: لا. قال: هو الذي قلت لم تعرفه. فقلت له: أعرف عينه، ولا أعرف اسمه. فأكلنا وشبعنا وبقيت فضلة، فقال لي: يا شيخ محمد، اعط هاذه الفضلة لمن هو عزيز عليك. قلت: ومن هو؟ قال: وهل عندك أحد أعز عليك من أحد؟ قلت: لا. فقال: قم اعطه لها، وقل لها: لا تعط منه شيئا لأحد، وإن كان

أبوك سيدي علي. فقمت وبلغت لها، وأخبرتها بما قال لي الشيخ، ففعلت وأكلت ذالك وحدها، رحمة الله علينا وعليها.

ووجدني، ﷺ، يوما ضحوة النهار عند باب مسجد الأبارين، وأنا أجمع الأفراخ، وهابط لخدمة الصيفية بخولان، فقال للمؤذن السيد أحمد: قم افتح لنا الباب. فقام وفتح الباب، وكان المؤذن المذكور من الخدمة التابعين له، فدخلنا المسجد المذكور، وقال له: افتح باب الصقلابية المحملة على الميضات. ففتحها وطلعنا لها. فقال لنا المؤذن: سد علينا المسجد. فسده علينا، وخرج لحانوته. فجلسنا بالصقلابية، ونفسه تكثر وتتقوى، ثم اتكأ، وقال لي: افل لي يا شيخ محمد. واشتغلت بالفلي، ثم قال لي: حك لي. وتجرد من ثيابه، وجعل رأسه على فخدي، فكنت أحك له ظهره بيدي وهو يعظم بيدي حتى ملأت ذاته الصقلابية، من الحائط إلى الحائط عرضا. وغاب غيبة من الضحى إلى صلاة العصر، حتى كنت أظن برجلي ماتت من كثرة ثقل رأسه، وأنا في مشقة من شدة الألم الذي بي من أجل ذالك، وكادت روحي تزهق، ولا أفاق حتى كان الناس في صلاة العصر. فقال لي: هل صليت الظهر؟ قلت: لا. فلبس ثيابه، وقال لي: قم صل الظهر والعصر، وسر لشغلك في أمان الله ورسوله. فخرجت عنده، وتوضأت، وصليت الظهر والعصر، ودخلت الدار، فقالوا: أين كنت؟ قلت لهم: كنت مع الشيخ سيدي محمد الصنهاجي. فقالوا: الحمد لله، إن المتعلمين أصحابك الذين بالجنان أخذوا الماء ليلا لأهل النوبة في السقي وسقوا الجنان، وأصبح صاحب النوبة يطوف، فوجد جرة السقي عندكم، فاشتكى على الحاكم، وطلبوك أصحاب الحاكم، فلم يجدوك، وساروا إلى الجنان، وطلعوا أصحابك المتعلمين مقبوضين. وبلغ الخبر لأبيك، فذهب إلى الحاكم وعند صاحب نوبة الماء، وكلمهما في ذالك، ووقعت المسامحة، وأطلق الحاكم المتعلمين وساروا إلى الجنان. فالحمد لله على السلامة. فعلمنا أن سجن الشيخ لي بالمسجد المذكور كان من الألطاف الخفية ومن اطلاع الشيخ على ذالك، نفعنا الله به، وسقانا من مدده آمين.

ووجدني يوما، ﷺ، عند زوال بقبة القيسارية الكبرى، فقبضني، رحمه الله تعالى، من أذني، وكان فائضا ماؤه، فجعل يجذبني منهما جذبا عنيفا، ويقول لي: قل، قل، ويكررها. فقلت: وما أقول يا سيدي؟ فقال: قل لي الغناية التي يقولون لها: قولوا لحبيبي هاذا. فقلت له:

قُولُوا لِحَبِيبِي عْلاَشْ زَايَدْ قَلْبِي هَاذَا الْعْتَابْ
تَعْرَفْنِي مَغْرُومْ فِي جمَالَكْ
مَا زِلْتْ وَلاَ نزُولْ بِحْكَامَكْ رَاضِي

فقال: لا، قلها لي بإبزارها. فقلت: يا سيدي، وهل هنا؟ لو كان في خلوة أبي في جنان؟ أو قال أو مدرسة. فشد عند ذالك يديه على أذني وصاح، وقال: اشهدوا على هاذا،

فإني أجره إلى السوق الذي بغير حوانيت، وهو ما أراد إلا السوق الذي بالحوانيت. ويعيد علي: قل، قل. فقلت بأعلى صوتي: قولوا لحبيبي. الخ. فأطلقني، وهو يقول لي: يه، يه، وتركني. وطلبت واحدا من أهل القبة سمعني فلم أجده.

وبتنا معه ﷺ ليلة عند العلامة القاضي، سيدي أحمد الشدادي بالسبع لويات المجاورة وراء العلامة سيدي محمد بن ابراهيم، ومعنا جماعة من أهل الخير؛ علماء وغيرهم من الفقهاء والإخوان في الله المحبين، فكانت ليلة مباركة نافحة بكثرة الذكر والصلاة على النبي ﷺ، والفقيه سيدي محمد بن ابراهيم المذكور يسمع ذالك من وراء الحائط. ولما أصبح وخرجنا من عند القاضي، فتح الفقيه ابن ابراهيم باب داره وقبض قنديلا بيده ورفعه لينظر فيمن بات، ولما خرج الشيخ، صاحب الترجمة، التفت إلى صاحب القنديل، وقال له: انزل القنديل من يدك، البطل. فلما طلع النهار، وخرج الفقيه المذكور إلى جنان له بالمرج، فلقيه لص من لصوص ذالك الوقت، فضربه بسكين على أصبعيه الذين كان قابضا بهما القنديل فقطعهما باثنين.

وبتنا ليلة عند بعض المحبين من الفقراء ليلة مباركة، ولم يخبره أحد بها، ولما وجد الطعام والباب مسدود، والناس في اثناء الأكل، إذا بالشيخ سيدي محمد الصنهاجي رفع الخابية بيده، وقال: السلام عليكم يا جماعة، أو يا أهل كذا، ظهر لكم أنكم جزتم بخير هاذه الليلة وحدكم، والله لا أترك لكم نصيبي فيها في شيء. ثم قال لرب الدار: هات لي عشاي. فقيل له: كل هاذا الحاضر الذي وجد، ها الكسكس ها الحليب. قال: واللحم؟ قالوا: لا لحم. فقال لرب الدار: أين نصيبي من اللحم؟ والله لا آكل حتى تعطيني نصيبي من اللحم. فقال له رب الدار: ومن أين؟ فقال له الشيخ: مولاة الدار خباته لي، وهو تحت الكسكاس. فخرج رب الدار يفتش موضع صنع الطعام فوجد به كسكاسا، فرفعه فإذا تحته طرف من لحم، فجاء إلى الشيخ بهما. ورجع إلى امرأته، وقال لها: ما قضية اللحم الذي تحت الكسكاس؟ فقالت له: إني جعلتهما لك هنالك إن احتجت إليهما، وإلا يصبح ذالك لأولادك. وتعجب الناس من أين له ذالك المبيت في الدار، ومن فتح له، ومن أين دخل، ومن له باللحم الذي تحت الكسكاس، ﷺ ونفعنا به آمين.

وجاء يوما، رحمه الله تعالى، لدارنا بعد صلاة العشاء؛ والعشاء بين أيدينا قبل شروعنا في الأكل، ودق الباب ونادى على سيدنا الوالد: يا سيدي علي، طابت العشاء. فقال سيدنا الوالد لأهل الدار: قوموا ارفعوا مائدتكم إلى البيت الآخر، ففعلوا. وخرجنا عنده أنا وأخي سيدي عبد المجيد وسيدنا الوالد وطالبناه بالدخول عندنا، فامتنع وأبى، وقال: أين الشيخ محمد؟ لأني كنت من ورائهما. فتقدمت وسلمت عليه، فقال: إني جئت عند الشيخ محمد يعشيني هاذه الليلة. وأمر أبي وأخي بالدخول، فدخلا. وقال لي: عشائي الليلة عندك. فقال لي: إذا كان خد حبيبك ورد السجلماسي، حتى أنا خدي حبيبي حكم بلا

شريعا. فذكرتها له، فانصرف عني، وهو يرددها في لسانه، ويقول: يه يه حكم بلا شريعا. وانصرف ودخلت الدار، وفهمت أن ذالك إشارة، والله أعلم، لما يستقبل.

ووجدته ﷺ يوما قبل طلوع الشمس واقفا مع الشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ سيدي العربي ابن الشيخ سيدي أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي بمولانا إدريس قبالة دار القيطون، وأنا جئت من ناحية الملاحين، والشيخ سيدي محمد، صاحب الترجمة، ظهره إلي ووجهه لسيدي عبد الله، وظهر سيدي عبد الله لمولانا إدريس، وهما يتحدثان. فوقفت وراء سيدي محمد لنتستر به ونسمع حديثهما الذي يتحدثان به، فسمعت الشيخ سيدي محمد يقول لسيدي عبد الله: في أي شيء أنت مقبوض؟ فقال له سيدي عبد الله: ما أنا مقبوض الآن في شيء إلا في من يقل لي الله ينصر من ظفر بحبيبه. فقال له سيدي محمد: ها هو وراءك يقولها لك. وضربني برجله وراء، وانصرف، ولم يلتفت إلي. فرآني عند ذالك سيدي عبد الله، فقال لي: الله ينصرك، وكان الله معك. فقلتها لسيدي عبد الله.

ولقيته ﷺ عشية يوم من أيام عيد عند باب المدرسة المصباحية وهو فائض، فسلمت عليه، فأزال الحائك عن رأسي، ولببني به جدا، وقال لي: أجي أبن كذا، إني جئت دائرا عليك للفصل معك، فلقاني الله بك هنا، والآن تساعفني أولا؟ قلت: افعل ما بدا لك. فأخذني مليا علي وروحي تكاد تزهق، وسار بي على تلك الحالة حتى بلغنا النخالين عند الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الله، الآتي ذكره قريبا، كانت له هناك حانوت يبيع فيها الحليب واللبن. فنظر إلينا سيدي عبد الله، وأنا على تلك الحالة، فقال له: ما لك معه؟ فقال الشيخ: جئتك لتفصل بيني وبينه بما يظهر لك. فقال له سيدي عبد الله: أنا ما ظهر لي إلا أن نسقيه، أو نسقيه من الحليب حتى يروى. وبين يديه محبس مملوءا حليبا. فقال لي سيدي محمد: اجلس. فجلست تحت الحانوت على ركبتي، وملأ سيدي عبد الله الكيل بالحليب ليسقيني به. فقال له سيدي محمد: بالكيل، لا كيل بيننا. فأمال عند ذالك سيدي عبد الله المحبس، وجعلت أشرب الحليب من المحبس، والشيخ يضرب بيده على كتفي، ويقول لي: اشرب، اشرب. وأنا أشرب، وسيدي عبد الله قابض في المحبس يميله لي حتى انتهت، ووقفت لا أقدر أزيد شيئا. فعند ذالك قال سيدي عبد الله لسيدي محمد: أنا ما ظهر لي الآن إلا أن نفرغ عليه الباقي. فقال الشيخ سيدي محمد: وذاك هو الغرض. فقبضني الشيخ سيدي محمد، ورفع سيدي عبد الله المحبس وأفرغه على رأسي حتى ابتلت ثيابي كلها وبلغ الحليب لحمي، وهبط مع رجلي حتى بلغ في بلغتي. فعند ذالك أقامني الشيخ سيدي محمد، وقال لي: سر يا الشيخ محمد بلا ضامن. "لهم إني قد استرحت منك. وسرت على تلك الحال، (ورأوني)[1] الناس كيف جزت عليه اولا، ورأوني كيف رجعت ثانيا، فكان كل واحد وما يقول فيما رآه.

[1] كذا. الصواب: رآني.

فلما بلغت الدار، نزعت ثيابي، وقلت لسيدتنا الوالدة: اعطني حوائجي. وقصصت عليها كيف جرى. ودخل أخي سيدي عبد المجيد المذكور وهي تغسل الثياب من الحليب، فقال: ما هاذا؟ قالت له: هاذا فعل سيدي محمد الصنهاجي وسيدي عبد الله بن عبد الله. فقال: إذا لم يرض ذالك، فليقلبه علي.

ثم بعد ذالك بأيام، مرض الشيخ سيدي محمد الصنهاجي مرض الشهدة ولزم الفراش، ودخلت عليه مع سيدنا الوالد لنعوده، فوجناه في وسط البيت ملقى على وجهه، لأن الشهدة بين كتفيه. فسلمنا عليه، ورد، ثم قال للوالد: من الذي معك؟ فقال: محمد ولدي. فقال: ما جاء يصنع عندي؟ فقال له الوالد: جاء معي يعودك. فقال له: لا حاجة له عندي، إني تفاصلت معه قبل اليوم ولا بقي له عندي حاجة. وقمت فخرجت عنه في الحين. وكان سيدنا الوالد، رحمه الله، لا علم له بقضية الحليب، فتغير من ذالك، وفهم من قول الشيخ قبل اليوم، أن قد تقدم بيننا خصام، حتى جاء الوالد إلى الدار، وحكى لأخينا سيدي عبد المجيد ما قال الشيخ لنا، فعند ذالك أخبره أخي بقضية الحليب.

وبعدها بأيام، توفي الشيخ، رحمه الله تعالى، ودفن في التاريخ المتقدم. وكانت له جنازة عظيمة حفيلة، حضرها الخواص والعوام.

وكانت عندي رخامة أصل عليها الذهب، فدقت امرأة من الدار عليه الشحم، فانكسرت. وتغيرت من أجلها، فخاصمت عليها أنا ووالدي. فبينما نحن في الخصام، إذا بالشيخ ﷺ ينادي علينا بباب الدار: يا سيدي علي، السلام عليكم. ما هاذا عندكم؟ فخرجنا عنده، وأخبرناه بالرخامة، فقال: لا بأس، أخرجوا لي الرخامة. فأخرجتها له، وكان كسرها ثلثان وثلث، فقبض ﷺ الثلثين، وقال لي: خذ هاذا اقض به حاجة حتى يأتي الله بما هو أحسن منه. فكان الأمر كما قال، فوجدت رخامة أحسن من ذالك، جيئ بها من مكناس فاشتريتها، (وبعت)[1] الثلثين بثمن ما اشتريت ببركة الشيخ. وأما الثلث فأعطانيه، وقال: اعطه لأمك لال تابعة، وقل لها تخبئيه لي عندها حتى أحتاج إليه، وانصرف عنا. ودفعت الثلث للوالدة، رحمة الله عليها، وبقي عندها إلى أن توفي، ﷺ، وأرادوا تزليج قبره، وكانوا يفتشون على طرف رخام يعلمون به قبره، فتفكرته وأخذته من عندها ودفعته لخديمه السيد الحاج محمد ابن جابر، فهو الذي على قبره الآن، ﷺ ونفعنا به.

[محمد بن محمد الصهاجي]

وخلف ﷺ ولده سيدي محمد، وتركه مخلطا بالجذب والسلوك، والسلوك أغلب، فيكون تارة هبيلا خبيل العقل، وتارة سالكا حاضر العقل، خديما للفقراء وجميع أهل النسبة، تغلبه حاله ويخبر بأمور غيبية فتكون كما قال.

---

[1] ب: ودفعت.

وكان متجردا متقشفا، فما مات حتى ظهرت علامات الخير وكراماته عليه، منها:

نزلت بي نازلة يوما بعد الظهر، وأنا بقبيب الناقص ذاهب لوليمة، وغبت عن حسي، وسقطت إلى الأرض، وسقط لساني من حينه، وحملني الناس إلى دارنا، ودهش الناس وأهل الدار من ذالك، وأدخلوا علي بعض الطلبة، وتسبب لي في ذالك حتى فقت، وقال: إنها عين معيان. وصبيحة غد، جاء سيدي محمد، صاحب الترجمة، ولد الشيخ، ونادى من باب الدار: لا بأس، لا بأس. السلام عليكم، أصبح الخير عليكم، الحمد لله على سلامة الشيخ مولاي محمد. والله ما ضربه الظالم الذي ضربه بقبيب الناقص إلا بنية قتله، ولكن حضر الأجواد وفضل الله، ورجعوا عنه غيرة عليه من الله، كثر الله خيرهم. والحمد لله على فضل الله وكرمه سبحانه.

وكان، رحمه الله تعالى، يخبر بأمور ويشير عليها فتكون، كغلاء ورخاء إلى غير ذالك.

أخذ، رحمه الله، عن والده سيدي محمد المذكور، ولقي الشيخ مولاي الطيب بن محمد وزاره مرارا. ولقي ولده الشيخ سيدي أحمد بن الطيب، وزاره كذالك.

وتوفي، رحمه الله، عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

وأخذ والده سيدي محمد، صاحب الترجمة، أولا ﷺ عن جده الشيخ الشهير، الولي الكبير، سيدي يوسف بن سيدي أحمد ابن القطب الكامل، أبي الحجاج، سيدي الحاج، يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي الحسني، دفين حوز صفرو، في شعبان سنة ثمان وثمانين وألف.

[يوسف بن عيسى الصنهاجي]

وهو: يوسف بن عيسى بن صالح بن الحسن بن أبي القاسم ابن عيسى بن محمد بن يعقوب بن أحمد بن يوسف بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن دهمان بن يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي، المدعو يعلى، بن اسحاق، المدعو عبد الأعلى، بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس ابن عبد الله الكامل، هاكذا وجدناه في كتاب "مناقب سيدي يوسف".

وفيه أيضا، أن سيدي عيسى الأول أخذ عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني، رضي الله تعالى عنه.

وسيدي يوسف بن أحمد، جد صاحب الترجمة المذكور، أخذ أولا عن الشيخ سيدي أبي القاسم الغازي، المتقدم ذكره في ترجمته، لأنه لما قدم سيدي الغازي إلى المغرب ورجع إلى الصحرة، طلع ومعه سيدي يوسف بن أحمد، وكان صغيرا من غير مشورة من والده سيدي أحمد، ولما بلغ سيدي يوسف إلى الصحرة، اشتغل بالقراءة مع خدمة الشيخ سيدي الغازي حتى فتح الله عليه. ثم طلع الشيخ سيدي مسعود بن مبارك

الفلالي من مدينة فاس إلى زيارة شيخه سيدي الغازي، ولما أراد الرجوع إلى فاس، قاله له الشيخ: تهلا يا مسعود في يوسف، فهو ولدي يقدم معك إلى المغرب. فأتى سيدي مسعود إلى سيدي يوسف وهو يقرأ العلم، فقال: والله لكان العلم ينزل عليك إلا مثل الثلج. فقدم معه سيدي يوسف إلى مدينة فاس، وخدمه ثمان عشرة سنة. ثم توفي سيدي مسعود، رحمه الله تعالى، ودفن خارج باب الشريعة، المدعو" باب المحروق"، قرب ضريح الإمام أبي بكر بن العربي ﷺ بروضته هنالك مشهورة، يعمرها الفقراء أصحاب سيدي الغازي بعد صلاة عصر كل يوم جمعة بالذكر والحضرة إلى الآن. ولم أقف على تاريخ وفاته.

ولما توفي الشيخ سيدي مسعود الفلالي هاذا، رحمه الله، قال له بعض الفقراء من أصحابه قرب موته: يا سيدي، هاذه مدة وسيدي يوسف في خدمتك، وترك والده في محبتك. فقال له: أما يوسف فهو ولدي ربيته، ولكن لم يبلغ وقته عندي، وأنا أمكن أمانته إلى الشيخ سيدي علي بن رزق السوسي، وأوصيه عليه إذا بلغ الوقت الذي أمرني فيه ربي أن أمكنه من حاجته علي أن يمكنه هو منها فيه . ثم أوصى سيدي مسعود سيدي علي بن رزق على سيدي يوسف، وقال له: هاذه أمانة الله عندكم.

ثم لما توفي الشيخ سيدي مسعود، اشتغل سيدي يوسف بخدمة سيدي علي بن رزق السوسي، كما كان يخدم سيدي مسعود رضي الله عن جميعهم ونفعنا ببركتهم آمين.

[علي بن رزق السوسي] [1]

وسيدي علي بن رزق هاذا كان رجلا مجذوبا هائما مولها غارقا في التوحيد، أسمر اللون أشيب، بطول أصابع اليد اليمنى، وكان يحلق لحيته[2]، وغالبه الخمول، وسكناه بفاس العليا بحانوت، وبها توفي، رحمه الله تعالى، عشية يوم الخميس، مهل صفر الخير، سنة خمس عشرة وألف، ودفن عند الخميس قرب وادي فاس، قبته هنالك مشهورة إلى الآن. قال بعض المعاصرين له: كانت له جنازة حفيلة عظيمة، حضرها جميع أهل الخير وأكابر الوقت على أرجلهم، ولم يجد أحد نوبة في تجهيزه وتكفينه.

أخذ، ﷺ، علم الحقيقة عن الشيخ أبي عثمان، سيدي سعيد بن عبد النعيم، وهو عن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع ﷺ.

وقال الشيخ سيدي يوسف الصنهاجي المذكور: مررنا يوما مع الشيخ سيدي علي بن رزق السوسي إلى رأس ماء وادي فاس، وبتنا معه في ذالك الموضع، فلما جن الليل، اشتغل الجرائن والضفادع يقرقرون، فقال سيدي علي لرجل من الفقراء: نادي يا فلان

---

[1] أبو الحسن، علي بن رزق السوسي (-1015هـ). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 324-326. التقاط الدرر: 47. نشر المثاني: 137/1. سلوة الأنفاس: 263264/3.

[2] يبين الزبادي أن حلق اللحي ليس وليد الاستعمار الأخير بل قديم، لكن الزبادي يشير لها كأنها حالة نادرة، أي أن الغالب كان هو عدل اللحى.

بأعلا صوتك: يا أيها الضفادع والجرائن، ادخلوا مساكنكم واصمتوا، ولا يتكلم منكم أحد، حتى يرتحل عنكم سيدي علي.

ففعل الرجل ما أمره به الشيخ، فأخرسوا ولم يتكلم منهم أحد في ذالك الغدير، وهو جالس به والماء إلى عنقه، وهو يذكر الله، ويقول: يا مولاي، أنا في حرمتك إلى طلوع الفجر. وخرج من الغدير، وسار إلى المدينة ونحن معه. فلما سار، دعا صاحبه فقال له: امض إلى الموضع الذي بتنا به، ونادي: يا أهل الضفادع والجرائن، قال لكم سيدي علي السوسي: من عنده شغل، فليشتغل به. فرجع الفقير وقال لهم ما قال الشيخ، قال سيدي يوسف: والله ما ذكر لهم ذالك الكلام حتى تكلموا بضجيج كثير، وتعجبنا من قوة أصواتهم.

وأخذ الشيخ سيدي محمد الصنهاجي المذكور، صاحب الترجمة، أولا ﷺ أيضا عن الشيخ الكامل، سيدي أحمد بن الشيخ العارف بالله، سيدي محمد بن ناصر الدرعي، عن والده سيدي محمد المذكور، عن الشيخ الفياض، سيدي عبد الله بن حسين الدرعي التمجروتي، عن الشيخ أبي العباس، سيدي أحمد بن علي الدرعي الحاجي[1]، عن الشيخ أبي القاسم الغازي، عن الشيخ سيدي علي بن عبد الله، (جابر)[2] التلايف، عن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، عن شيخ المشائخ سيدي أحمد زروق ﷺ.

وأخذ سيدي عبد الله بن حساين المذكور عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني ﷺ، عن الشيخ النفاع، أبي فارس التباع.

وأخذ الشيخ زروق المذكور ﷺ عن الشيخ أبي العباس الحضرمي، عن الشيخ أبي الحسن الغربي، عن الشيخ ابن عطاء الله الأسكندري، المتوفى ﷺ عام تسع وتسعمائة، عن الشيخ أبي العباس المرسي الأنصاري، عن شيخ المشائخ وقطب الأقطاب، سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ.

وأخذ ابن عقبة المذكور عن الشيخ أبي زكرياء، يحيى بن أحمد الشريف القادري، عن القطب أبي الحسن، سيدي علي بن وفا، المتوفى سنة سبع وثمانمائة، عن والده القطب أبي عبد الله، سيدي محمد بن وفا، عن الشيخ الإمام، سيدي داوود الباخلي، عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله المذكور.

وأخذ الشيخ زروق أيضا ﷺ عن الشيخ الإمام، العلامة الهمام، سيدي أبي عبد الله القوري، دفين الباب الحمراء، أحد أبواب فاس في القديم، قبل ابتداعهم لباب فتوح أواسط القعدة الحرام سنة اثنين وسبعين وثمانمائة.

وأخذ أيضا شيخنا الصنهاجي، صاحب الترجمة، عن الشيخ الكامل، القطب الواصل، الشريف الفاضل، مولاي التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني العلمي

---

[1] أبو العباس، سيدي أحمد بن علي الدرعي الحاجي (-998هـ). ترجمته في: الزاوية الدلائية: 57.

[2] ب: جبار.

الحسني، المتقدم ذكره في ترجمته، عن والده، سيدي محمد بن عبد الله، عن والده، مولاي عبد الله الشريف، رضي الله عن جميعهم، وسقانا من مددهم. ولقي أيضا منهم مولاي الطيب بن محمد، رضي الله تعالى عنه.

وأخذ أيضا شيخنا الصنهاجي المذكور عن الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن[1] الأندلسي، صاحب المخفية، ﷺ عن الشيخ سيدي قاسم الخصاصي، عن الشيخ، سيدي محمد بن عبد الله، عن الشيخ سيدي أبي المحاسن، يوسف الفاسي، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن الشيخ سيدي علي الصنهاجي، المدعو الدوار[2]، عن الشيخ سيدي أبي الرواين المحجوب، عن الشيخ سيدي محمد بن عيسى[3] المتقدم، عن الشيخ سيدي أحمد بن عمر المدني، عن الشيخ التباع، عن الشيخ سيدي الصغير السهلي، وهم عن شيخ المشائخ، سيدي محمد بن سليمان الجزولي السملالي، رضي الله عن جميعهم وسقانا من مددهم، آمين.

[عبد السلام التواتي] [4]

ومنهم الشيخ السالك، السني العارف بالله، ذو الأحوال الربانية، والإشارات العرفانية، والمعارف الوهبية، أبو محمد، سيدي عبد السلام التواتيﷺ.

كان، رحمه الله، متجردا متقشفا خاملا، خاليا عن الدنيا وزينتها، وكان معاصرا لشيخنا الصنهاجي، صاحب الترجمة قبله يليه. وكان من الذاكرين الله كثيرا، وفي بعض الأحيان تغلب عليه حاله حتى يجذب، وتظهر علامات ذالك عليه، باحمرار عينيه وضيقهما، واحمرار وجنتيه، وانتفاخ صدره، وعلوه عن ذاته، فيكون ماشيا ثم يستند إلى الحائط، وتراه ينفخ نفخا شديدا ويعرق جدا، وترى العرق ينحدر عليه كالجوهر.

وكان، رحمه الله، إذا كان في حالة يقظانه يجيئ حتى يقف علينا في القرويين، ونحن كلنا عازب، فيقول: تزوجوا معشر الطلبة قبل أن تعطوا في المرأة مائة مثقال ولم تجدوها، ولن تقبل منكم. فكلما وجدنا مجتمعين يقول لنا تلك المقالة. ثم جاء الوباء أولا وثانيا وثالثا ومات الناس وقل النساء، وبلغ المهر مائة مثقال كما قال، رحمه الله تعالى.

وجدته ﷺ يوما عند طلوع الشمس، وهو جالس عند باب عدوة القرويين، فسلمت عليه وجلست، وهو ساكت لا يتكلم، فعرفت أنه مالئ، فكنت أنظر إلى الخصة الوسطى

---

[1] أحمد بن عبدالله معن (-1120هـ). ترجمته في: مباحث الأنوار: 285-292. نشر المثاني: 3/182-192. التقاط الدرر: 300-301. طبقات الحضيكي: 9394/1. سلوة الانفاس: 325329/2.

[2] علي بن أحمد الصنهاجي الدوار (-947هـ). ترجمته في دوحة الناشر: 75-76. سلوة الأنفاس: 2/247-249.

[3] محمد بن عيسى (-933هـ). توفي كما في الدوحة أول العشرة الرابعة من القرة العاشر. ترجمته في: دوحة الناشر: 71-72. سلوة النفاس: 203/1. الاستقصا: 166/4. إتحاف أعلام الناس: 4/11-27.

[4] أبو محمد، عبدالسلام بن محمد التواتي الفاسي (-1155هـ). ترجمته في: الروضة المقصوة: 2/451-455. سلوة النفاس: 279/1.

من الصحن يخرج منها صرح ماء طالع قدر جسم الإنسان، مع ضيق الثقب الذي يخرج منه الماء يغلقه الإبهام، فأنا أتعجب من ذالك الأمر، والشيخ جعل يضربني بين كتفي بيده، ويقول لي: سمعت ما يقول ذالك الماء؟ قلت: لا. فجعل يضربني بين كتفي، ويقول لي: اسمع، اسمع، حتى اجتمعت فكرتي، وسمعت الماء يقول بلفظ الحروف مبينا: الله، الله، الله، يميل بها يمينا وشمالا. فقلت: سمعت يا سيدي. فقال لي: ما يقول؟ أو كيف يقول؟ فقلت: يقول: الله، الله. فقال الشيخ: سبحان الله (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَه)[1] الآية. ثم جاء بعض الطلبة وجلس معه، فتذاكرا ساعة، وقام ذالك الرجل وانصرف. فقال لي الشيخ: أو ما فهمت ما كنا نتكلم فيه؟ قلت: ما سمعت منكما إلا الفناء والبقاء. فقال: وما ذاك؟ قلت: البقاء الحياة، والفناء الموت. فتبسم ﷺ وقال: هو ذاك، وبالعكس فإنك تدرك ناسا يكثرون الكلام في الفناء والبقاء، بالعبارات والإشارات، ولم يدركوه، وإنما هم مشوشون على أنفسهم وعلى الناس، وإياك أن تلتفت إليهم، والذي هو أقرب من ذالك هو أنك حين كنت صامتا، ناصتا للماء متولها إليه، تسمع منه ما يقول، حتى سمعته وفهمته مبينا حرفا حرفا، فهل شوش عليك المارون بالصحن؟ قلت: لا: فقال: وهل شوش عليك هول ماء الخصة العليا أو السفلى. قلت: لا. فقال: ذالك هو عين الفناء، وهو غيبتك في الله عن كل ما سواه. فإن من اشتغل بالله عن غيره فهو حي، ومن غاب عن الله في غيره فهو ميت، فالأول فناء في الله، والثاني فناء في غيره. لأن ليس من غاب في الله كمن غاب في غيره، قال ابن عطاء الله ﷺ: "فماذا فقد من وجدك، وماذا وجد من فقدك"، فلولا غيبتك في ذالك، لهولك الماء والناس المارون، ولو هولوك، ما سمعت ولا فهمت شيئا، وحين اجتمعت فكرتك فيه، وفنيت عن الكون وعن نفسك فيه، سمعت ما لم تكن تسمع، وفهمت ما لم تكن تفهم، ورأيت ما لم تكن تراه، وعلمت ما لم تكن تعلم، وعرفت ما لم تكن تعرف، فإن لم تكن تراه (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلاسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّه)[2] الآية. قلت: يا سيدي، إني لما رأيت عظم جرم ذالك الماء وضيق المخرج الذي يخرج منه، كنت أتعجب من ذالك، فقال لي ﷺ: أما تقرأ في سورة الغاشية قوله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)[3]، فإن فرج الناقة هو أصغر الفروج وأضيقها، ويخرج منها مع ضيقها صورة الجمل بغلظ رأسه واعوجاج عنقه وطواله وطوال يديه ورجليه، سبحان القادر على مايشاء وهو الحكيم الخبير.

ووجدني أيضا ﷺ يوما غدوة بباب مسجد أبي الشتاء، نفعنا الله به، بحارة قيس، فقبضني من يدي، وقال لي: وهل تمشي معي؟ قلت: إلى أين يا سيدي؟ قال: نتسلكط، فإني أصبحت اليوم بهاذه نية التسلكيط. قلت: أنا أمشي معك. فانصرف وانصرفت معه، فطلع مع السوق وطلعت معه، وانعطف للديوان، وتبعته حتى جزنا قاعة السمن، ووجدنا رجلا

---

[1] سورة الإسراء:44.
[2] سورة الزمر:21.
[3] سورة الغاشية:17.

قاعدا فوق الطراز الذي فوقها حمري الثياب، فسلم عليه الشيخ ورد، وقال: أبطأت. فقال له الشيخ: وهل عملت معك ميعادا، أو ما عملت معي ميعادا؟ ثم تصافحنا وشرعا في الكلام، فتباعدت عنهما إلى العطفة، وجلست أرجوه على حانوت غسال كانت هنالك، وأنا أنظر إليهما واقفان يتكلمان، فإذا بالشيخ جاء، وقال: أنت جالس هنا، لم بعدت عنا؟ حضر الأدب، فهلا فاتك أدب تلك الساعة وبقيت معنا. فقلت: يا سيدي، قلت لعله بينكما سر لم يطلع عليه غيركما، لذالك تباعدت. فقال لي، رحمه الله: ومن هو ذالك الرجل؟ قلت: لا أدري. فقال: ذاك هو الخضر، عليه السلام. فلما قالها، رجع حتى النهار ليلا، وذهلت عن عقلي، والشيخ يضحك علي.

ثم انصرفنا حتى بلغنا من العطارين باب الجوطية، ولقينا يهودي لوجوهنا، فنهضت عليه، وقلت له: شمل، فرجع اليهودي عن يسارنا. ونهض الشيخ علي واستنكر ما قلته لليهودي، وقال: ما حصلت، كنت عن يمينه وهو عن يمينك، فصرت الآن عن يساره. إياك أن تجزم أو يظهر لك أنك لك الفضل عليه دون أفضلية الإسلام في هاذه الساعة، فإنكما في الدنيا، ولا علم لأحدكما كيف يخرج منها. فالذي كساه تلك الحالة قادر على أن يكسوه كسوتك وينقضه من تلك الكسوة، فإنه قادر على كل شيء. وذهبنا، فلما بلغنا آخر سوق العطارين فيما بينها وبين عين علون، بين النجارين وعقبة الجزارين، طلبته معي فلم أجده في الأربعة طرق المذكورة، ورجعت.

ثم بعد ذالك بأيام قلائل، كنت جالسا مع بعض الطلبة بباب مدرسة العطارين عند الظهر، وإذا بالرماة يلعبون بالبارود (وجوقة)[1] الطبالين، فقلنا: ما هاذا؟ فقيل: يهودي أسلم. فلما بلغ ذالك إلينا، وجدت اليهودي الذي وقع لي معه راكب على فرس قد أسلم، وكان منه ما كان من بركة الشيخ ﷺ مع ما سبق له في الأزل. انتهى.

ووجدته ﷺ يوما بالقرويين بين الظهر والعصر، وهو ملقى على ظهره تحت الشرفة الكبرى فاتحا فاه، والذباب يدخل ويخرج في فمه، وعمامته ساقطة عن رأسه، ورجلاه مفترقتان، وجسمه أبرد من الرخام، ولم تتحرك فيه شعرة قط، وجزمت بموته، فسترت وجهه بكساه، وخرجت عنه. فلقيت صاحبه، الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، المرابط، مولاي عبد السلام الكانوني، المدعو الكطراني، رحمه الله، وكان خديمه وملازما له، فأخبرته بذالك، فجاء معي إلى القرويين، فوجدنا الشيخ خارجا من القرويين ولا شيء به، فنظر إلي من حينه، وقال لي: قتلتني؟ وبقيت في حشمة من ذالك.

وكان، ﷺ، يوما يتكلم مع بعض المنسوبين بمحضر مولانا أحمد الصقلي، والمنتسب يقول: أنا كذا، أنا كذا. فقال مولاي أحمد لسيدي عبد السلام: انظر ما يقول هاذا؟ فقال سيدي عبد السلام لذالك الرجل: من هو أنت؟ وما تكون؟ إن كنت شيئا، قال الله

---

[1] ب: نوبة.

تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)[1]، وإن كنت نفسا، قال الله سبحانه: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)[2].

أخذ ﷺ عن الشيخ المجذوب، الغائب غيبة اتصال، سيدي عزوز[3]، رحمه الله، دفين السراجين من أعلا طالعة فاس الأندلس، المتوفى سنة أحد وأربعين ومائة وألف. وكان الشيخ يعتمده، ويقول: إن سيدي عزوز أكل طعاما عند (وفاته وقاءه)[4]، وأمر سيدي عبد السلام بأكله، فأكله ففتح عليه. وكان سيدي عبد السلام أيضا يقول: إنه يعتمد عامة من المشائخ الأموات.

وتوفي، رحمه الله تعالى، أوائل رجب سنة خمس وخمسين ومائة وألف.

[عبد الكريم الكرزازي][5]

ومنهم الولي الصالح، ذو البرهان الواضح، سيدي الحاج عبد الكريم الكرزازي. كان، رحمه الله تعالى، مداوما على الصيام، ذاكرا (جوالا)[6]، ومن أهل الخطوة، مخبرا بالأمور الغيبية. كنا يوما بجماعة متنزهين بلمطة وقت الخريف، بجنان صفيرة (بخندق الربع)[7]، فما شعرنا به ليله جوف الليل والناس نيام، حتى جعل ينادي علينا: يا فلان يا فلان، كل واحد منا باسمه، فقام الناس وخرجوا إليه وسلموا عليه، وقالوا: ما جاء بك في هاذه الساعة؟ ولم يكن بالمدينة قط قبل ذالك بكثير، فقال ﷺ: هاذا رجلي من القنادسة، بعدما صليت العشاء بها رأيتكم هنا، وجئت عندكم في هاذا الوقت. وبقي معنا هنالك ليلة أو ليلتين وذهب. ويوم رجعنا من الجنان المذكورإلى المدينة، سألنا عنه هل رأوه بالمدينة قبل النزاهة أو بعدها فما وجد من رآه قط.

توفي، رحمه الله تعالى، (قتيلا شهيدا بها)[8] على وجه الظلم والتعدي (على يد حاكم البلاد)[9] خارج باب الجيسة؛ أحد أبواب فاس، عام خمسة وخمسين ومائة وألف، ودفن هنالك، رحمه الله.

---

[1] سورة القصص:88.
[2] سورة العنكبوت:57.
[3] عزوز بن مسعود (-1141هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 3/278-279. التقاط الدرر: 330. الروضة المقصودة: 1/212-213.و: 2/422-423.
[4] ب: بياض.
[5] عبدالكريم الكرزازي (-1155هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 3/221.
[6] ب: بياض.
[7] ب: بياض.
[8] ب: بياض.
[9] ب: بياض.

[العربي بن أحمد معن] [1]

ومنهم الشيخ الولي الصالح، العالم المرابط المتجرد الناصح، المسن البركة، السالك المربي، أبو محمد، سيدي العربي بن القطب الواضح، الإمام الناصح، سيدي أحمد بن الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، سيدي محمد[2] بن عبد الله معن الأندلسي. كان، رحمه الله، خاملا متجردا، ملازما لزاوية والده المذكور، صاحب أحوال ربانية من صغره، ومواجد وهيبة، وحقيقة محمدية نورانية. وكان، رحمه الله، يحب السماع وتؤثر فيه المعاني وتخرقه، ويتواجد من ذالك.

بتنا عنده ليلة بداره مع جماعة المولعين (بالمدقوقة)[3]، وكان زمن الشتاء، فباتت ليلة مطيرة من أولها إلى آخرها، ودخلنا عليه في دويرة بدرب سيدي المخفي من حومة المخفية وهو في بيت على صحيفة وقطيفة مطلوقة في البيت، فسلمنا عليه، وجلسنا بين يديه ساعة، ثم قال، رحمه الله تعالى: اسمعونا شيئا. فأنشد رجل طبع الاستهلال. ولما فرغ من إنشاده، فتح بعضهم صنعة غرناطية، وهي: إن القبول من الله موهوب. فتواجد الشيخ عند ذالك ﷺ من حينه، وجعل يكررها، ويقول: قل يا أخي، إن القبول حتى نقول إن القبول من الله موهوب، ويقول، ﷺ: قل يا أخي كيف إن القبول من الله موهوب. فبتنا على هاذه الحالة معه طول الليل، وما يقول الناس (ولا يزول، أو إياك)[4] تقول إلا ويقوم قائما، ويقول: قل إن القبول. حتى أصبح الصباح وما زدنا على ذالك الشطر شيئا، والطعام مطروح من ورائنا لم يلتفت إليه أحد من شدة تواجده وتواجد الحاضرين. وخرجنا من عنده بعد الصبح.

توفي، رحمه الله، سنة ست وستين ومائة وألف.

أخذ ﷺ عن والده، القطب الشهير، سيدي أحمد الشيخ الناصح، البرهان الواضح، الذي محاسنه ومكارمه تغني عن التعريف به:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ   إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

---

[1] أبو عبدالله، العربي بن أحمد بن محمد بن عبدالله معن (-1166هـ). ترجمته في: الروضة المقصوة: 2/467-455.
[2] محمد بن عبدالله معن الأندلسي (-1010هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 1/222-223.
[3] ب: بياض.
[4] ب: بياض.

كان سيدي أحمد هاذا لا يخيب من قصده، ولاسيما أهل البيت، يأتيه الرجل في اضحية عيد أو أسبع أو في جنازة أو طهارة أو عرس، وكلهم تقضى حاجتهم سرا أو جهرا، وكل من قصده في ضر كيفما كان، يسقيه اللبن ويبرا، إن شاء الله، ولو مجنونا.

وسيدي أحمد هاذا، أخذ عن الشيخ سيدي قاسم الخصاصي، الولي الصالح، السني السالك، رحمه الله تعالى، عن الشيخ العالم العلامة، سيدي محمد[1] بن عبد الله معن الأندلسي المذكور، والد سيدي أحمد المذكور، وهو عن شيخ المشائخ، أبي المحاسن، سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عن جميعهم، المتوفى سنة ثلاث عشرة وألف. ولما توفي سيدي يوسف هاذا، وخلف من جملة أصحابه وأكابرهم، أخوه العلامة، الإمام الهمام، أبا زيد، سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي، المعروف والمشهور بالعارف بالله، والشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن المذكور.

وكان سبب ملاقات سيدي محمد مع الشيخ سيدي يوسف، أن والده سيدي عبد الله معن الأندلسي كان يسكن بالحفارين بالدرب المقوس عند سيدي عبد الله المكي، ﷺ، ونفعنا به، ولما توفي، رحمه الله، سيدي عبد الله، ترك ولده سيدي محمد صبيا صغيرا وأوصى عليه أمه، ودفع لها شكارتين دراهم، وقال لها: هاذه أمانة ولدي عندك حتى يكبر. فلما كبر الولد، دفعته للقراءة فلم يقرأ، ودفعته للخدمة فلم يخدم، وبقي كذالك مدة، ثم قالت له: سر عند فلان بسوق العطارين صاحب أبيك، وقل له يجلسك معه في حانوت يعلمك البيع والشراء. فقال لها: نعم. فكان يقيل غائبا إلى آخر النهار ويجيئ كل يوم. ثم إنها يوما أعطته شكارة من الشكارتين، وقالت له: اعط هاذه الشكارة لصاحب أبيك، وقل له يعمل لك بها حانوتا. فأخذها منها وذهب. فسألته أمه حين راح: هل دفعتها له؟ فقال: نعم. ثم صارت أمه تخرج كل يوم وتجوز على سوق العطارين لتنظره، فلم تره، فقالت له: يا بني أين تكون؟ ما رأيتك يوما بالعطارين قط؟ فقال: يا أماه، إني أقيل بالجنة، (ولم أمكنني)[2] لا أجيء منها لا أجيء. فقالت له: وأين هي الجنة يا ولدي؟ فقال لها: حومة يقال لها المخفية جزت عليها يوما، فما رأيت أحسن منها ولا من حيطانها، كلها نور شعشاع، فأنا كل يوم أقيل فيها وأرجع ليلا عندك. فقالت له: وأين خنشة الدراهم التي أعطيتك؟ قال: هي عند صاحبي، وهو بالحومة المذكورة. فقالت له: ألقني معه. قال: نعم.

وكان ﷺ يقيل في تلك الحومة، لما أراد الله به من الخير، حتى صادف يوما الشيخ سيدي يوسف خارجا من داره ودخل للزاوية، فتعلق به قلبه وانشغف، فكان كل يوم يتعرض له من الزاوية إلى الدار، ومن الدار إلى الزاوية، حتى صار يدخل إلى الزاوية ويجلس مع أصحاب الشيخ. فسأله الشيخ يوما من هو، وولد من؟ فقال: ولد فلان.

---

[1] محمد بن محمد بن عبدالله معن الأندلسي (-1062هـ). الروض العطر الأنفاس: 115-135. نشر المثاني: 2/55-58. التقاط الدرر: 130. سلوة الأنفاس:2/322325.

[2] كذا.

ولما قالت لسيدي محمد أمه ألقني مع صاحبك الذي أعطيته الدراهم وخرجا صباحا، خرجت معه أمه، وأخرجت معها الخنشة الباقية، فصار الولد ماشيا والأم وراءه حتى بلغ المخفية وهي معه، حتى بلغ الزاوية، دخل عند الشيخ، وقال له: يا سيدي، إن أمي بالباب، جاءت عندك. فخرج الشيخ عندها فسلمت عليه، وقال لها: هاذا ولدك؟ قالت: نعم. ولكن يا سيدي، قصته كذا وكذا، وأعطيته الدراهم على وجه كذا. فقال لها: إن الدراهم عندي دفعها لي، وهي تحت يدي أمانة. فلما قال لها الشيخ ما قال، أخرجت أمه الخنشة الباقية من جيبها ودفعتها له، وقالت له: الولد ولدك، والمال مالك، وأنا خرجت منهما لله تعالى. فدعا عند ذالك الشيخ لها وشكرها وقبل منها ذالك، وسارت وتركت له ذالك. فبقي الولد في الزاوية يتبع الشيخ ويقرأ عليه، حتى كان منه ما كان.

ثم لما توفي الشيخ سيدي يوسف، رحمه الله، اجتمع أصحابه على أن يكون أخوه سيدي عبد الرحمن العارف بالله المذكور هو المقدم عليهم، وعليه يكون اجتماعهم. ومشوا عنده يطلبون منه ذالك، فأبى وامتنع، وقال لهم: ما كان أن أتقدم على جماعة فيها سيدي محمد بن عبد الله. فذهبوا إلى سيدي محمد بن عبد الله، فقال لهم مثل ما قال سيدي عبد الرحمن: ما كان لمحمد بن عبد الله أن يتقدم على طائفة فيها سيدي عبد الرحمن أخو الشيخ، ولا ينبغي ذالك لغيره. فرجعوا عند سيدي عبد الرحمن وأخبروه الخبر، فبعث إلى سيدي محمد وأمره بذالك، وقال له: لم يتعين هاذا الأمر على أحد غيرك. فلما حسروا عليه، دخل داره وسدها عليه، ولم يخرج مدة حتى حسروا عليه يوما، فقال لهم: أوسعوا علي هاذه الليلة نستاخر الله فيها. فانصرفوا عنه إلى الغد، ورجعوا إليه، فقال لهم: إني أمرت أو تعينت علي زيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ، وبعد هاذه الزيارة يكون خير إن شاء الله. ووعدهم بيوم الخروج.

ولما كان يوم السفر، خرج الشيخ سيدي محمد إلى باب الجيسة، فوجد الناس المهيئين للزيارة أكثر من ركب الحجيج، كل من سمع بسيدي محمد خارجا للزيارة عزم على الزيارة معه. فلما رأى ذالك الشيخ، أمر بعض أصحابه أن يقف على مكان مرتفع وينادي: قال لكم الشيخ سيدي محمد: كل من يمشي معه لا يربح. وصد الشيخ وأصحابه، والناس منهم من رجع إلى المدينة، ومنهم من مشى على طريق آخر. ولما طلع الشيخ عقبة (قبقب)[1]، وقف، فالتفت، فرأى سيدي قاسم الخصاصي طالعا تابعا له، فقال له: يا قاسم، أما سمعت المنادي؟ فقال له سيدي قاسم: ما أنا يا سيدي بتابعك على الربح. فصد الشيخ وتبعه سيدي قاسم الخصاصي حتى بلغوا مولانا عبد السلام بن مشيش، جدد الوضوء في العين، وطلع حافي القدم، وجلس عند الضريح الشريف عازلا نفسه عن أصحابه وأطال في الجلوس. وكان ﷺ يمنع الناس من تقبيل يده وكتفه، ولما فرغ من الزيارة وقام، التفت لأصحابه، وقال لهم: من أراد تقبيل يدي، فهاذه يدي، ومن أراد

---

[1] ب: بياض.

رجلي، فهاذه رجلي. ولما رجع من تلك الزيارة فاحت بطيخته، واجتمع عليه الخاص والعام.

[قاسم الخصاصي][1]

وكان أول من ظهر عليه الخير من تلك الزيارة سيدي قاسم الخصاصي ﷺ.

أخذ سيدي محمد هاذا عن الشيخ أبي المحاسن، سيدي يوسف[2] كما تقدم. وأخذ سيدي يوسف عن الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي، المدعو الدوار[3]، عن سيدي أبي الروائن، ابن محجوب، الخ كما سبق، ﷺ أجمعين ونفعنا بهم آمين.

[أصحاب وأتباع العربي بن أحمد معن]

وكان للشيخ سيدي العربي بن عبد الله، المذكور أول الترجمة، أتباع وأصحاب خرجوا على يديه وانتفعوا منه.

[عبد الله بن العربي معن]

منهم: ولده الشيخ المسن، المرابط البركة، الناسك السالك السني، أبو محمد، سيدي عبد الله بن العربي المذكور. كان، رحمه الله تعالى، من الرجال العارفين بالشريعة والحقيقة، المحافظين على السنة، والعاملين بها، سريع الجواب واجده، بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وإن سألك وصادفت في جوابك الصواب، قال لك: الله ينصرك، أو يقول: الله معك. وإذا أراد أن يوقظ أحدا يقول له: لا تنظر إلا إلي، وسبابته قائمة، ولا تسمع إلا مني، ولا تعرف إلا أنا، ولا تهرب إلا إلي، وأنت على خير، والله ينصرك.

وكان، رحمه الله، مولعا بكتاب الشيخ ابن عباد على الحكم لابن عطاء الله، رضي الله عنهما، مكبا عليه، وعلى قراءة المصحف الكريم ودلائل الخيرات، ويتواجد من ذالك.

ولقيته، رحمه الله، يوما وبيده ريالات، فقلت: ما هاذه الدنيا بيدك، ارمها عنك، فإنها فتنة (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)[4]. فقال: يا أخي "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أفعالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم"[1] الحديث.

---

[1] أبو الفضل، قاسم بن الحاج قاسم بن قاسم الخصاصي (-1083هـ). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 152-166. نشر المثاني: 2/199-200. التقاط الدرر: 189-190. سلوة الأنفاس: 2/319-321. وانظر مصادر ترجمته أيضا في الإشراف: 2/74، هامش: 275.

[2] أبو المحاسن، يوسف بن محمد الفاسي (-1013هـ). ترجمته في: مرآة المحاسن. الروض العطر: 87-109. زهر الآس: 67-70. التقاط الدرر: 43-44. نشر المثاني: 1/119-124. سلوة الأنفاس: 2/345-348.

[3] علي بن أحمد الصنهاجي الدوار (-947هـ). ترجمته في دوحة الناشر: 75-76. سلوة الأنفاس: 2/247-249.

[4] سورة التغابن: 15.

وكان، رحمه الله تعالى، يقول: نحن هاذا الرهط لا نحب كذا، نحن هاذا اللون لا نفعل كذا، نحن هاذا اللون قليل ما هم، وإذا غاب هاذا اللون لم تروا غيره.

وكان، رحمه الله، يحب السماع ويتواجد بمعانيه، وإذا حضر في الحضرة يسقط منها كل الآلة إلا البنادير، وكان يعجبه كثيرا كلام الششتري وابن الفارض وأمثال ذالك، ويتحلى بذالك ويتواجد عنده.

وجدته، رحمه الله تعالى، يوما عند المغرب بقنطرة الرصيف، وبعض الطلبة صدر منه ظلم لأحد، فقال له سيدي عبد الله: اتق الله يا أخي، أنت تدعي الطلب وتنسب إليه ولا تتقي الله. فقال له: أين تعرف أنت تقوى الله؟ أو من أين لك بالتقوى؟ وماهي التقوى؟ وأنا مار على الطريق، فقبضني، وقال لي: إن هاذا طالب وأنا عمى، وقبضني في حقيقة التقوى. فقلت له قل: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه)[2] واعملوا به، (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[3] واتركوه. وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ)[4] الآية. فقال لي الشيخ سيدي عبد الله: الله معك، الله ينصرك.

واليوم الذي توفي فيه ﷺ لقيته فيه قرب الزوال وأنا طالع للشراطين من باب السلسلة، وهو نازل مقلقا، فسلم علي وكفنه تحت إبطه، ولم أعرف ما هو، وقال لي: الله الله سيدي، لا تغب عني في هاذا اليوم، فإني أحتاجك فيه عند الزوال. وقال: بعد الزوال، الله الله سيدي ولا بدة. فانصرف عني في قلق. فلما بلغت الدار عند الزوال جاء المنادي علي ينادي: إن سيدي عبد الله قد مات. فعرفت عند ذالك أنه كان يطوف على الأحباب للوداع، وعرفت أن ما كان تحت إبطه هو كفنه، وعرفت أن تأكيده علي كان لأجل الغسل، فغسلته والشريف الفقيه العالم سيدي محمد بن الطيب القادري الحسني حاضر معي يصب الماء، وذالك سنة ثمان وثمانين ومائة وألف. وكانت له جنازة عظيمة جدا، حضرها عامة الناس وخاصتهم، ودفن بالجنان وراء القباب، رحمه الله تعالى.

[عبد الوهاب بن العربي معن][5]

ومن أصحاب الشيخ سيدي العربي بن عبد الله المذكور ولده سيدي الحاج عبد الوهاب بن العربي.

كان، رحمه الله تعالى، سالكا مجذوبا والجذب أغلب، وكان يجذب عند السماع كيف ما كان، ويتواجد عنده ويرقص، وممن يقسم على الله تعالى في بعض الأمور بالقسم

---

[1] مسند أحمد: 539/2. رقم: 10973.
[2] سورة الحشر:7.
[3] سورة الحشر: 7.
[4] سورة البقرة:204.
[5] عبدالوهاب بن العربي معن (-1169هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 403/2.

أو بالحرام (فيضره)[1] الله تعالى. وكان، رحمه الله، متقشفا، متجردا عن الدنيا وأسبابها، حج حجتين أو ثلاثا، وفي الآخرة لقيناه بطرابلس مشرقا ونحن مغربين، عام سبعة وستين ومائة وألف. وجاور، رحمه الله، تلك السنة بمكة المشرفة، وسار منها إلى المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ووجد أهلها تلك السنة محتاجين في المطر، فطلبوا منه أن يطلب لهم الغيث من الله سبحانه، فامتنع أولا، ولما لحوا عليه خرج معهم لطلب الغيث، فأغاثهم الله تعالى بالمطر الغزير في ذالك اليوم، لاكن ما تم نهاره ذالك حتى كان ميتا، رحمة الله عليه. ودفن بعد المغرب بالبقيع، عام تسعة وستين ومائة وألف، قال من حضر هنالك: وحضر جنازته جل من بالمدينة، داخلها وخارجها.

[علي بن عبد الرحمان الجمال] [2]

ومن أصحاب الشيخ سيدي العربي بن عبد الله المذكور، الشريف الأجل، الصوفي البركة الأمثل، أبو الحسن، سيدي علي ابن الشريف المرحوم، مولاي عبد الرحمان الأمراني الحسني، المدعو الجمال.

كان، رحمه الله تعالى، شيخا عارفا صوفيا، عالما بالحقيقة، حافظا على السنة، ذاكرا متجردا متقشفا، خاضعا متواضعا، خاليا من الدعوة، محيدا عن أهلها، مولعا بالوحدة وكتبها وقوانين أهلها، وممن كانت له اليد الطولى في أصولها وفروعها وحقيقتها.

كان، رحمه الله تعالى، في ابتداء أمره راكنا إلى المخزن عام (ثمانية وتسعة)[3] وأربعين ومئة وألف. تولى في تلك المدة الولاية على الأشراف بفاس والتصرف فيهم، ولحقتهم الإذاية منه. ولما تبدل الملك عام خمسين، لا أعاده الله على الإسلام، خرج من فاس فارا بنفسه من الأشراف إلى تونس. وقعد بها ما شاء الله تعالى، فلقي بها من لقي من أهل الخير من أهلها، ذكرهم، رحمه الله، لي ونسيتهم وانتفع بهم. ثم بعثوه ﷺ إلى وزان عند الشيخ مولاي الطيب ﷺ، فاجتمعت معه عنده بوزان في ساعة واحدة، وذالك عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف، كما تقدم ذالك في ترجمة مولاي الطيب ﷺ، ثم بعثه مولاي الطيب إلى فاس، فجاء ونزل بالمخفية؛ بدرب زاوية الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله المذكور، فالتقى هناك بولده الشيخ سيدي العربي المذكور، فكان يلازمه مدة إقامته بالمخفية إلى أن توفي الشيخ سيدي العربي المذكور، رحمه الله، وتولى الأمر بعده الشريف سيدي علي المذكور.

---

[1] كذا، ولعله خطأ من الناسخ، والصواب: يبره.

[2] أبو الحسن، علي بن عبدالرحمان الجمال، أو الجمل (ت1193هـ). ترجمته في: رسائل العربي الدرقاوي: 61-63. الروضة المقصودة: 469/2. سلوة الأنفاس: 409/1-411.

[3] ب: بياض.

واجتمعت عليه الأتباع من الحاضر والباد، وشاع صيته وذاع، فاشتغل، رحمه الله تعالى، ببناء زاويته الكائنة والمعلومة له بحومة الرميلة؛ عدوة فاس قرب زاوية الشيخ أبي مدين الغوث ﷺ، [فكان، رحمه الله، يجتمع بها مع الأصحاب والأتباع إلى أن توفي، رحمه الله تعالى. ومنذ شرع في بنائها وجل من كان يخدم فيها الفقراء أصحابه، وهم طول خدمتهم بها يذكرون الجلالة لا يفترون، هاذا كان دأبهم مند ابتدئت إلى تمامها. وتوفي، رحمه الله تعالى، ودفن في بيت منها، وذالك عام أربعة وتسعين ومائة وألف، وكنت المنزل له في قبره، وكانت له جنازة عظيمة، حضرها الخاص والعام.

وبقي أصحابه وأتباعه يجتمعون فيها إلى أن افترقوا فرقتين، وذالك لأنه، رحمه الله تعالى، لما تقدم له ما تقدم كما ذكرنا من النخوة والثروة والأمارة والسطوة الدنيوية، ونقله الله تعالى إلى سطوة المعرفة به وسطوته وقهريته وتصرفه في عبد ه، كيف شاء وبما شاء، وبأي وجه شاء، وبنقله من حالة إلى حالة غيرها، عرف ذالك من نفسه ﷺ أين كان وأين هو الآن. فكان، رحمه الله تعالى، لا يدوم على حال، لا يقيد مقالا، ولا يقيد عليه مقال، ولا يبالي بما عدى ما هو عليه، ولا يلتفت إلى غيره، فتارة يكون عاليا رأسه حافي القدم وبثياب رثة، وتارة بحائك ابن شقرة والشربيل، وتارة بالقفطان وحائك الحرير، وتارة بالشربيل والرزة، وتارة بحائك الحرير ورأسه عريان والقدم حاف، وتارة بالإزار فقط، لا فرق في ذالك عنده ولا مساواة. ولم يلبس التليس قط، ولا المرقعة، ولا تعرى قط، ولا وقف قط بالأسواق يقول للناس: اشتر لي كذا، اشتر لي كذا إليه، ولا جهر بالذكر في الأسواق قط، ولا رقص، ولا نهق كالحمار، ولا تكلم مع السماء، ولا كان يدعي بدعوة قط، ولا كانت همته متشوفة لما في أيدي مطلق الناس. وإنما كان يتكلم مع الرجل في المعارف يلقاه أو يقف عنده بحانوته وذالك عند الحاجة، فيقول له: ثم ذاك المطبوع؟ والمطبوع كان يطلقه على الفلس والموزونة. ولا يقل ذالك لجميع الناس، ولا يداوم عليه، وإنما ذالك عند الحاجة، ولا يكلف على أحد، والناس على قدر نياتهم، ولا كان يضرب الناس بعصى واحدة، ولا كان ذالك عنده ركنا من أركان الطريق.

[انتقاد الزبادي للطريقة الدرقاوية]

خلاف ما يفعله الطائفة الخارجون عن زاويته وطوره وسيره من الدعوة والتكلف على جميع الناس، ويحسرونهم، ومن الدوام على السؤال، وكل من دخل معهم في زريبتهم يكون على ماهم عليه مما ذكرنا، والناس يعتقدون أنهم من أصحاب سيدي علي، وأن سيرهم سيره، وهو حاشاه من جميع ذالك، لأنهم مارأوه، وإنما يتبعون إنسانا[1] كان من أصحابه، ولما توفي الشيخ عزل عن أصحاب الشيخ، وجعل يجلب الناس، الطالب عن

---

[1] المقصود به العربي الدرقاوي. وقد تجاهل الزبادي حتى اسمه!!!.

قراءته، والراعي عن رعايته، والصانع عن صناعته، ويدلهم ويؤيدهم][1] علي حالة خلاف ما كان عليه الشيخ كما ذكرنا، والله سبحانه يقول: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ)[2]، والنبي ﷺ يقول: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[3].

وأما الشيخ سيدي علي، صاحب الترجمة، فإنما كان خاضعا متواضعا، مربيا هينا لينا، حلو الكلام، حلو المنطق، سنيا، يسلم على الناس ويرد السلام، جوز عمره بهاذه الطريقة، ولم يلبس قلنسوة غير قلنسوته، ولا قلنسوتين ولا ثلاثا، ولا مرقعة، ولا حمل حربة ولا عصى واحدة (ولا اثنتين)[4]، ولا حمل سلة قصب ولا قربا ولا اثنين، وإنما كان يسير سير ما ذكرناه، لما سبق له من الخيلاء والتبشح والتبجح والنخوة، لا لأجل الامتياز عن الخلق، ولا لأجل قتل النفس، لأن النفس لا يقتلها شيء إلا ما يثقل عليها، ولاشيء أثقل عليها من أفعال الطاعة وأعمال البر. وأما الامتياز عن الخلق بالتشوه والخروج عن الطور المعتاد، فيؤدي إلى الظهور، والظهور يؤدي إلى الرياء، والرياء يحبط العمل، وذالك عين حياتها ومرادها، وهو مقصد فاسد، مخالف للسنة والصواب، والعبادة والعادة، والله تعالى يحفظنا ويحفظ إيماننا بمنه، آمين.

[رجوع لترجمة علي الجمل]

وفتح الشيخ ﷺ دكانا بالعطارين الكبرى، وبقي بها نحو العام يبيع ويشتري، ولا تغير فيه شيء من الحالة التي ذكرنا حتى نزل منها كذالك.

وكان، رحمه الله، على السيرة والحالة المذكورة، ومعها يحضر مجالس العلم، فكان، رحمه الله، يحضر معنا في البخاري عند شيخنا سيدي محمد جسوس المذكور، رحمه الله، ومجلس الحكم لابن عطاء الله أيضا عنده في الخميس والجمعة، وكان كثير السؤال. وكان الشيخ، رحمه الله تعالى، يعجبه سؤاله، لأنه سؤال العارفين، وكان الشيخ يصغي إليه ويتردد معه في الكلام، ويعطيه الخاطر حتى كان أهل المجلس يقنطون من ذالك لطوله.

وكان، رحمه الله تعالى، يبيت عندي في بعض الأحيان، وأنا أكتب كتابي المسمى ب" تنبيه الفقير" فيقول لي: اسمعني يا فلان، أسمعك الله خيرا. فكنت أسرد عليه المحل الذي يجدني أكتب، فينصت لي ودموعه تسيل، ويطيل الوقوف جدا، وحين ينصرف يدعو لي بخير، وكان كثير دعائه لي بتنوير القلب وشرح الصدر.

---

[1] ما بين المعقوفتين ساقط من ب، ويبدأ من: (فكان، رحمه الله، يجتمع بها مع الأصحاب والأتباع إلى أن توفي) .
[2] سورة البقرة:165.
[3] صحيح البخاري، كتاب الجمعة، رقم:893.
[4] ب: بياض.

وفي قرب أجله، جاء عندي عشية جمعة متجردا في ثيابه من غير رداء ولا نعال، وإذا ببعض الفقراء وقف عندي معه، ثم جاء آخر ثم آخر، ونحن نتكلم فيما نحن فيه، وإذا بأحدهم استشهد بقول الهلال كذا وكذا، فقال الشيخ: قلها يا أخي كما يقولها أهلها. فقالها، وفتح الذكر في الحين. فجعلنا نذكر الهيللة سرا، والإخوان (يكثر)[1]، حتى كبر ذالك، وكلهم وقوف في باب الحانوت، وعمر السوق وكبر، وفتحوا الاسم المفرد، وحضر المنشد، وذالك كله بالسكون من تحت قدم، ولكن مع كثرة الناس لا يخفى. فمر بعض المنكرين مع الطريق فقال: إن هاذا لا يكون هنا، ليس هاذا موضعه. فقال الشيخ: كل موضع موضعه، فأينما حضر ووقع، فذالك موضعه، وما خلى منه موضع، (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)[2]. فقال آخر: يا سيدي، الصلاة، أذنت المغرب. فقال الشيخ: وهاذه صلاة، أو نحن في الصلاة. وانصرف هو ﷺ وترك القوم سكارى فيما هم فيه.

فكان، رحمه الله تعالى، بعد ذالك فيما بقي من أيام عمره، نجده جالسا على باب القرويين، فيقول لي: الله تعالى يأخذ بيدك، ويعينك على ما أنت عليه، فجزاك الله على أهل المحبة خيرا. نسأله سبحانه أن يقبل منه دعاءه علينا ولنا، ويوفقنا إلى الطريق المستقيم آمين.

[رجوع لانتقاد الطريقة الدرقاوية]

وأما قول من يقول: إن طريق الفقراء مبنية على التسليم، فنعم التسليم لأهل التسليم خصوصا لا عموما، وهم أهل الغيبة غيبة حال أو سكر أو جذب. وأما الحاضر الذي يفقه ما يقول وما يقال له، ويحس بالآلام، فلا نسلم له، لأننا مكلفون بالظاهر، والله يتولى السرائر.

وأما النظر لما في أيدي الناس والإلحاح عليه، فقد ورد كم من آية وعد ووعيد، وكم من حديث في تقبيح من يترك حرفته ويتجرد للمسألة، وتركناه هنا اختصارا، وأتينا ببعضه في أول هاذا الكتاب في الباب الثالث منه، ويكفينا في هاذا كونه ﷺ كان يربط الحجر على بطنه من الجوع ولم يسأل، وخرج ﷺ في حر الظهيرة في وقت لم يخرج فيه، فخرج أبو بكر، فقال: يا رسول الله، ما أخرجك في هاذا الوقت؟ وما استعودناك بينك؟ فقال له ﷺ: ما أخرجني إلا الجوع. وأنت يا أبا بكر، ما أخرجك؟ فقال: وأنا كذالك. ثم جاء عمر وسئل، فقال كذالك[3]. وأما من يعتمد في ذالك على أهل الصفة، فإن أهل الصفة لم يكونوا في رفاهة وسعة وتجردوا عنها للعري والمسألة، وإنما كانوا كما أقامهم مولاهم أول وهلة في كسوتهم ومطعمهم ومشربهم، فما بدلوا وما غيروا، ولا أمرهم رسول الله ﷺ

---

[1] كذا، والصواب: يكثرون.
[2] سورة الحديد:4.
[3] شعب الإيمان: 4286.

بشيء من ذالك، وإنما كان رسول الله ﷺ يأمر الناس من أصحابه يصلوهم بما فضل من الطعام، وكل واحد على قدر طاقته ووسعه، وفيهم نزل قول الله تعالى: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ)[1] من الجوع، (لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا)[2] أي إلحاحا. نسأل الله سبحانه أن يلهمنا إلى طريق الصواب، ويرزقنا فيه جزيل الثواب، ويجعلنا من الذين قال سبحانه فيهم: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)[3].

[أحمد المكناسي]

ومن أصحاب الشيخ سيدي العربي بن عبد الله أيضا، الطالب الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، المرابط الأفضل، الصوفي الأكمل، أبو عبد الله، السيد أحمد (أمزاج)[4]، المكناسي أصلا، الفاسي دارا وقرارا.

كان، رحمه الله تعالى، من أصحاب الشيخ المذكور، فقيرا متجردا متقشفا من أهل الدرابيل. وكان، رحمه الله تعالى، لا ينعق في الأسواق كالحمار، ولايرقص، ولايدعي بدعوة، ولا ينسب لنفسه شيئا، ولا يتشوف لما في أيدي الناس، ولا يطلب شيئا إلا إذا كان محتاجا لما هو أهم، وإذا سد جوعته لم يفتش على شيء وطلبه، متأس فيما هو أهم كان خفية.

وسببه كان في ابتداء أمره يخدم صناعة الدباغة، (مدعيا)[5] الجهد والقوة، ذو نخوة وتؤدة وافتخار، ولا يرضى بأحد، ويلبس الثياب الرفيعة، الملف السكرنطي وحائك الحرير وما يناسب ذالك من الثياب، ولما لقي شيخه سيدي العربي المذكور، رحمه الله تعالى، أنزله عن تلك الهيبة والمرتبة وأبدله غيرها، ونقله إلى ما هو أفضل منها وأحسن، فكان، رحمه الله، ينتقل شيئا فشيئا حتى صار من أهل الدراويش.

وكان، رحمه الله، طوافا على مجالس العلم وكراسي الوعظ، تابعا للسنة حافظا للحقيقة ولبعض السيرة النبوية، وحافظا للأشعار مولعا بها، يحفظ جل ما في الكلاعي من الشعر، سمعت منه أنه يحفظ من كلام ابن الفارض، رحمه الله تعالى، ستة آلاف بيت، وكثيرا من كلام الششتري وغيره من الصوفية.

وكان، رحمه الله، يحضر معنا عند شيخنا سيدي محمد جسوس في قراءة الحكم الخميس والجمعة، ويكثر السؤال للفقيه. وكان، رحمه الله، يعجبه سؤاله وسؤال سيدي

---

[1] سورة البقرة:272.
[2] سورة البقرة:272.
[3] سورة البقرة: 268.
[4] ب: بياض قدره كلمة.
[5] ب: بياض قدره كلمة.

علي المذكور آنفا، لأنهما كانا غريقين في طريقة القوم، لحبهما إياهم وحب سماع كلامهم والحديث عنهم.

توفي، رحمه الله تعالى، ثلاث وتسعين ومائة وألف.

[محمد البوعصامي][1]

ومن أصحاب الشيخ سيدي العربي المذكور الفقير المتجرد من صغره، الساكت الخامل، أبو عبد الله، سيدي محمد البوعصامي، المكناسي أصلا، الفاسي دارا ونشأة وقرارا.

كان، رحمه الله، ذا دربلة حتى مات، ولم ينتقل عليها منذ عرف الشيخ المذكور، ونقله من القفطان والحائك المحربل وشبهه وعن نخوة وهو يلبسها، يطوف في الأسواق والمساجد، وكثيرا ما يجلس في القرويين وحده، ولا يدعي بدعوة، قليل الكلام مع الناس.

وفي آخر عمره، تكلمت معه يوما بالقرويين في شأن ذالك، حتى قلت له: هاذه سنون وأنت على هاذه الحالة مخالفا لما عليه أهلك وأهل بلدك، أفلا ظهر لك ما يرقيك عن هاذه الحالة إلى غيرها؟ فهرب، وقال لي: والله يا سيدي ما قبضني عن تركها غير كوني ظهرت فيها، واشتهرت بها، ورأوني الناس عليها، فثقل علي تركها، فاستحييت. وقلت له: إذا كان مقصودك الله، فلا عليك فيها ولا في تركها.

وكان ذالك العام فيه وقفة شديدة من قلة المطر وكثرة الجراد، وكان في ذالك الوقت رجل ينتسب، يأمر الناس بشراء القمح، ويعلمهم بغلائه، وأنه يبلغ ستين مثقالا للوسق، وتشوش الناس بكلامه، واشتغلوا بشراء القمح وادخاره، وزاد السعر بكلامه، وكان ذالك القائل متهما عند الناس بالصلاح. ثم إني زجرته يوما عن ذالك القول، فأبى أن ينزجر عن ذالك، حتى قال: لست بالقائل، وإنما سمعت من غيري نوما. وقال لي: عندي رائي يجيئني أو يقف علي نوما يخبرني ويصدق في خبره. فأطلق الله على لساني أن قلت: هاده أضغاث أحلام، وإلا صحفت في كلامك أو زدت في روايتك، وإنما هي ستون أوقية لا ستون مثقالا. وشكر السامعون ما قلته له.

ثم بعد ذالك، رأيت في المنام السيد محمد البوعصامي، صاحب الترجمة، وهو يسمسر القمح برحبة الزرع حتى بلغ في سمسرته ثلاثون مثقالا، وإذا بفارس أقبل، لا أدري جاء من ناحية الحفارين، أو من ناحية أرض الحفارين، أو من ناحية قبيب الناقص، ومعه رجلين وعلى كتفه مزراق، فقال الفارس للبوعصامي: بكم القمح؟ فقال البوعصامي: بثلاثين مثقالا. فنهض الفارس، وقال: هو بستين أوقية. فقال له البوعصامي: بثلاثين مثقالا. فنهض الفارس ثانيا، وقال: أنا أقول بستين أوقية، وأنت تقول بثلاثين مثقالا.

---

[1] أبو عبدالله، محمد البوعصامي (-1195هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 367/3.

وضربه بالمزراك الذي على كتفه، وزاد الرجلان وأخذ منه القمح وفرغها في القعدة والمضروب ساقط في الأرض. وصد عنه الفارس وصاحباه، ولا أدري أطلعوا على الحفارين أم على قبيب الناقص.

واستيقظت فرحا مسرورا، فتوضأت، وخرجت فوجدت الفقيه العالم سيدي الحاج عبد القادر بن شقرون[1] بمزارة مولانا إدريس، نفعنا الله به، يزور، فقال لي: هات البشارة. قلت: على م؟ قال: إني رأيت قمح صابة هاذه السنة بيع بستين أوقية، وكان عرضه في يدي هاذه، لكنه لم يكمل اليبس فازددت بقوله فرحا.

ثم إني من الغد سمعت الناس يقولون: إن السيد محمد البوعصامي مات، كان نائما واستيقظ من نومه ساقط اللسان، وبقي حتى مات، رحمه الله تعالى، سنة خمس وتسعين ومائة وألف.

وأصحاب سيدي العربي بن عبد الله المذكورون كلهم أخذوا عنه، وهو أخذ عن أبيه عن سيدي قاسم الخصاصي، كما تقدم آنفا.

[1] أبو محمد، عبدالقادر ابن شقرون (-1219هـ). انظر مصادر ترجمته في الإشراف:22/2، هامش:82.

فصـــــل

في ذكر من لقينا من غير أصحاب سيدي العربي بن عبد الله، رضي الله تعالى عنه وعنهم، ونفعنا ببركاته بمنه وكرمه، آمين

[عبد الواحد الطاهري الشبيهي الجوطي] [1]

ومنهم الشريف الأجل، العالم الأفضل، الخطيب البليغ الأكمل، الزاهد الخامل، أبو محمد، سيدي عبد الواحد بن مولاي عبد الرحمن الطاهري الشبيهي الجوطي الحسني بن عبد الواحد بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن عبد الواحد بن الشيخ البركة، سيدي أحمد الشبيه بن عبد الواحد بن عبد الرحمان بن أبي غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاهد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمود بن علي بن حمود بن عمر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى بن قاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ﷺ، دفين زاوية زرهون الإدريسية، وإمام جامعها الأعظم وخطيبه، المتوفى سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

كان، رحمه الله تعالى، عالما عاملا، عابدا عارفا خاملا، من الذاكرين الله كثيرا، الخاشعين الخاضعين لله تعالى، المتواضعين القانتين الصابرين المحبين الصادقين في الأقوال والأفعال.

وكان، رحمه الله تعالى، ذا فائدة وأخلاق كريمة من ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[2]. فإنه لما نزلت هاذه الآية قيل: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال ﷺ: هم الذين إذا رؤوا ذكر الله. فكان، رحمه الله تعالى، من أهل هاذا الوصف.

حج، رحمه الله تعالى، وجاور بالمشرق، ولقي هنالك ناسا كثيرا انتفع بهم، وفتح عليه. فكان، رحمه الله تعالى، يرى النبي ﷺ قريبا في قريب كما كان (يفهم)[3] من حاله وإشاراته. وكانت له صحبة معنا ومع أسلافنا، رحمهم الله، ومحبة وأخوة في الله.

ولقد كنت عنده يوما في داره بزرهون، وهو في مرضه الذي توفي فيه، وتكلمنا معه في أمور حتى وافانا في الكلام على النسبة الكريمة، ثم نهض وفاض، رحمه الله تعالى، وجلس، وقال: والله الذي لا إله إلا هو حتى يقدر الإنسان. والرجل يحلف بالطلاق

---

[1] عبدالواحد بن عبدالرحمان الشبيهي (-1194هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 244/4.
[2] سورة فصلت: 29.
[3] ب: بياض.

أنتم من أهل بيت النبي ﷺ. وزاد: من أولاد فاطمة، رضي الله عنها، ثم قال: والله لولا ما عرض لي من الخوف من إفشاء ما رأيت وعلمت، لبينت لكم ذالك.

وهاذا الكلام فيه إشارة دالة على رؤيته النبي ﷺ وشاهد لقضية وقعة الموالد، رحمه الله تعالى، مع الروسي ومع الشيخ الإمام سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، صاحب المخفية المتقدم ذكره، وهي: كان جدي والد أبي، رحمه الله تعالى، تعدى عليه القائد عبد الخالق الروسي، هبط عليه لداره ليلا ونهب له أربعة كيوس من الحرير، وقام الجد معهم، فضربوه بالحديد وانصرفوا عنه، واشتكى بعض بني عمي لمولانا إسماعيل، فبعث من ورائه. ولما بلغ عند السلطان، وكان مع الناس في المشور، قبل خروج السلطان، تخاصم شريفان من أولاد السلطان، وضرب أحدهما الآخر فأخطأه وضرب الروسي، وحل به ما حل قبل أن يلقى السلطان.

ولما ولي بعده ولده بقي ذالك بقلبه. فكان الوالد، رحمه الله، كلما بلغه القدر إليه داعيا أو مدع إلا رده حقه باطلا. ويؤثر ذالك في قلب الوالد. فكان، رحمه الله، يشكوا للشيخ سيدي أحمد بن عبد الله المذكور. ثم إن الشيخ سيدي أحمد هاذا رأى يوما النبي ﷺ، وسيدنا الوالد تحت شملة النبي ﷺ وهي منشورة عليه. ولما وقعت الرؤية للشيخ، بعث، رحمه الله، إلى الوالد وشده إليه، وبعث بها إلى القائد مع الفقيه سيدي أحمد الوزير[1] يقصها عليه، وبعث القائد إلى الوالد، وطلب منه السمح والعفو عما سلف، ولم نقف لصاحب الترجمة، على شيخ ولم أسأله عن ذالك.

[محمد بن الطيب القادري]

ومنهم: الشريف الأجل، المرابط الأفضل، العالم الأمثل، الأديب البليغ، المدرس الأكمل، أبو عبد الله، سيدي محمد بن الشريف الفقيه العدل، مولاي الطيب القادري الحسني.

كان، رحمه الله تعالى، عالما فقيها، مدرسا أديبا، متقشفا حسيبا، تقيا نقيا عفيفا، ذا أخلاق حسنة، وأوصاف مستحسنة، قانعا بالكفاف، عاشرته، رحمه الله، مدة، في حانوت العدول، فكان إذا دخلت عليه أوقية أو خمس موزونات أو ست موزونات، ينزل عن الحانوت، ويقول: يكفينا في هاذا اليوم، سواء حصل في الصبح، أو عند الزوال، أو بعده. ونقول له: اجلس يا سيدي، النهار باق، والرزق يأتي. فيقول: خذ من الرزق ما كفى وسهل.

[1] محمد بن عبدالوهاب الوزير (-1146هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 236/2. التقاط الدرر: 360. سلوة الأنفاس: 338-337/2.

وكان، رحمه الله تعالى، مورقا، ترك تأليفا جليلا في سفرين كبيرين، سفر في أهل القرن الحادي عشر، وسفر في أهل القرن الثاني عشر، وتولى الإمامة في آخر عمره في مسجد الأندلس ما شاء الله تعالى، وتخلى عنها.

ورأيته، رحمه الله تعالى، في آخر عمره نوما، وهو في داخل الحجرة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، ومعه غيره من الناس من الإخوان، وكلهم مرضى، وهو في قعرالحجرة على فراش، قلت له: مالك هنا يا سيدي؟ فنسيت الجواب. ومن الغد لقيته (وقصيت)[1] عليه الرؤيا، ففاضت عيناه، وقال: أراك الله خيرا، أو أسمعك الله خيرا. وتوفي بعد ذالك بقريب، رحمه الله تعالى. وبقي المرضى الآخرون الذين كانوا بباب الحجرة، وتلك ليلة الجمعة السادس والعشرين من رجب الفرد الحرام عام سبعة وثمانين ومائة وألف.

قرأ، رحمه الله تعالى، على جماعة من المشائخ المتقدمين، كسيدي عبد الكريم السرغيني[2]، وسيدي أحمد بن مبارك الفلالي، وسيدي محمد جسوس، وأخينا سيدي عبد المجيد، والنحو على سيدي محمد الجندوز[3]، ﷺ أجمعين.

[الطيب المريني]

ومنهم الفقيه العالم العامل المشارك، الصوفي الأديب، الخير المسن، الناسك العدل، أبو محمد، سيدي الطيب المريني[4]. كان، رحمه الله تعالى، فقيها عالما، صامتا صوفيا، أديبا بليغا، له قصائد شتى في مدح النبي ﷺ. وله، رحمه الله، تأليف في التصوف[5]، جليل القدر، قليل الألفاظ، كثير المعاني، وقفت عليه وطالعته.

وكان، رحمه الله تعالى، له دكان بالعدول يجلس فيها هو وولده سيدي محمد.

وكانت له قرابة من أسلافنا من جهة الرضاع، فكان كلما رآني يقول بعد دعائي وفرح بي: الله أكبر، رأيت عمود نور خارجا من فم هاذا الصبي، أو الولد.

ولما مات السلطان مولاي اسماعيل، رحمه الله تعالى، اتفق أهل فاس عليه وجعلوه في مسيد الحسبة يحكم يوما على جازر بالتطويف، وتعرض أهل فاس على الجازر وطرحوه، وجاءوا عنده ينكرون عليه التطويف، فخرج من المسيد، وقال لهم: الله يلعن ويحرق أبا من يعرفكم ويتولى عليكم، وانصرف ولم يرجع إلى الحسبة قط.

---

[1] كلمة دارجة، معناها: قصصت.

[2] عبدالكريم السرغيني (-1164هـ) ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/383-386.

[3] أبو عبدالله، محمد بن الحسين الجندوز (-1148هـ). ترجمته في: نشر المثاني: 2/238. التقاط الدرر: 365. الروضة المقصودة: 1/276-282. سلوة الأنفاس: 1/262-263.

[4] أبو محمد، الطيب المريني (-1142هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 3/150-151.

[5] عنوانه كما في ترجمته في سلوة الأنفاس: "تبصرة العاقل، وتذكرة الغافل".

توفي، رحمه الله تعالى، عن سن عالية، سنة اثنين وأربعين ومائة وألف.

[محمد بن الطيب الشرقي] [1]

ومنهم الشيخ العالم العلامة، الإمام المشارك، الخطيب البليغ، أبو عبد الله، سيدي محمد بن الطيب، الشرقي أصلا، الفاسي دارا ومنشأ، المدني قرارا وموطنا.

كان، رحمه الله، عالما علامة، مشاركا أديبا، وكان يسكن بإزاء دارنا بالدرب الطويل، وكانت له صحبة وأخوة مع أخينا سيدي عبد المجيد المذكور وسيدي محمد في الله صادقة.

خرج، رحمه الله تعالى، إلى المشرق سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وجاور بالمدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وتولى الإمامة فيها بالمحراب النبوي والخطبة، وبقي بها على هاذه الحالة إلى أن مات بها، ودفن بها، وتولى ولده موضعه.

ولقيته بمصر عام سبعة وستين ومائة وألف، قدم من عند سلطان اسطنبول وأعطاه خزانة من الكتب رفيعة، فكنت أدخل عنده بداره بالزباكية بمصر، فرأيت عنده الكتب المذكورة مرتبة في بيته على أربعة أركانه وقدر القامة في العلو، فرأيت "الصرط[2] النبوي" للواقدي في إحدى وعشرين سفرا، وسفرين اثنين للسيوطي "الدر المنثور" في أربعة أجزاء، والآخر في ثلاثة وستين سفرا كبيرة، وما أشبه ذالك. ثم بعدما غربنا رجع إلى المدينة، وتوفي بها سنة سبعين ومائة وألف.

وحضرت مجلسه بمصر عند قراءته صحيح البخاري بين الظهر والعصر بجامع الأزهار وأبي عثمان، فكان مجلسا حفيلا عظيما يجلس عنده فيه العلماء ﷺ.

[العباس ابن ناجي]

ومنهم الفقيه العالم، العامل الناصح، العارف بالله الصالح، سيدي العباس بن محمد ابن ناجي.

كان، رحمه الله تعالى، عالما عاملا، صائما قائما، صامتا خاملا، ذاكرا، هاربا من الخلق، لا يحب الكلام إلا فيما يعني. وكان والده، رحمه الله، من أصحاب الشيخ الكامل، القطب الرباني، سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي المتقدم، وأخبره الشيخ المذكور بأن يتزايد عنده سيدي العباس.

---

[1] محمد بن الطيب الشرقي (-1170هـ). ترجمته في: الروضة المقصودة: 295/1. سلوة الأنفاس: 67/3. فهرس الفهارس: 1067/2-1071. الحياة الأدبية: 258-264.
[2] كذا، والصواب: الصراط النبوي.

وكان لسيدي العباس خبرة بمناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان المذكور، نفعنا الله به، ولقي كثيرا من الناس من أهل الخير، وهو كان يعتمد سيدي عبد السلام التواتي[1] المذكور. وكان سيدي العباس، رحمه الله، من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

توفي، رحمه الله تعالى، سنة أربع وتسعين ومئة وألف.

[إدريس ناصح]

ومنهم الشريف المسن، البركة الناسك، الخامل المتقشف، المتجرد الخاشع، الخاضع المتواضع، أبو العلاء، سيدي إدريس ناصح، رحمه الله تعالى.

كان، رحمه الله، من المتجردين الذاكرين الله كثيرا، ومن أهل الثناء على الله سبحانه بما هو أهله، وعلى رسول الله ﷺ كذالك، ومن المداحين بالقريحة، نظما ونثرا وملحونا، ذا خلوة وأخلاق كريمة حسنة، وجل عمره عازبا حتى توفي كذالك، عفيفا لا يتشوف لما في أيدي الناس، ولا يشكو من قلة الشيء ولا من كثرته، ذو همة عالية وقلب كبير.

وكان في أول أمره مولعا بالموسقة وأهلها، وبحبهم وحب الاجتماع معهم، وكان قوالا كثيرا في الملحون، له فيه قصائد معلومة، عند الناس مشهورة، منها قصيدته المشهورة التي أولها:

رَبٌّ يَا رَبٌّ مَا يَلِّي غَيْرَكْ يَا مَوْلاَيْ نَـــــشْكِي لَـــــكْ بِالْحَـــــالْ

أَنْتَ تَعْلَمْ مَا خْفَا مِنْ دِيوَانْ سْرَارِي

(فضميني) مَكْتُومْ مَا نَعْرَفْ قَلْبِي أَيْنَ مْرُهُ مَا لِي بِــهْ ادْوَايَ فِــي حَيْــرَا جَــوَّالْ

تَايَـــهْ بَـــيْنَ الـــصَّدْ وَالْجَفَــا جَافَـــلْ عَـــنْ اقْـــرَارِي

فَالاَرْسَـــامْ يْهُـــــومْ

وَعْيِيتْ مَا نَخْفِي وَنَنْتَظَرْ مَرْكَبْ كُــلْ ثْنَايَــا وَانْعَاهَـــدْ لْطْـــلاَلْ

(وَخَلاَّتْــنِي)[2] مِنِّــي تَالْفَــا

مَـــا نَـــاوِي لُـــو كَـــارِي مِثْـــلْ الطَّيْـــرْ نْحُـــومْ

---

[1] أبو محمد، عبدالسلام بن محمد التواتي الفاسي (-1155هـ). ترجمته في: الروضة المقصوة: 2/451-455.

[2] ب: وخلاقي.

بَارَتْ حْيَالِي وقَدْ وقَعْتُ فِـي هَلَـكْ وَالنَّـاسْ تَجْلَبْنِـي لِمَـا لاَ يَعْنِينِـي
أرَاهَـا تَغْلَبْنِـي ولَـسْتُ أغْلَبْهَـا ضَيَّعْتْ مِنْ أجْلهَـا (دُنْيَـايْ وَدِينِـي)
أمَّـا عْظَـمْ تَعْبِـي فِـي وَسْـوَاسْ الـشَّيْطَانْ بْـلاَيْ
لَهْلاَكِـي عُمَّـالْ وَجْنُـودْ الْمِحْنَـا مْجَرْقَـا
هَـدّتْ حِـصْنْ اصْـوَارِي وَاتْرَكْـتْ مَهْـدُومْ
وتَّقْـوَّ عَجْبِـي وَلاَ ادْرَكْـتْ لِمَطْلُـوبْ غَايَـا
طَالِـبْ لِلْمُحَـالْ مَـا شُـغْلِي غِيـرْ الْمْخَالْفَـا
فِـي لَيْلِـي وَنْهَـارِي نَرْقَدْ كِيفْ نَقُـومْ مَـا نَخْـشَى ذَنْبِـي
وَالْحِـسَابْ ثْـوَا وَوَيْلْنَـا وَالْبَعْـثْ وَلَهْـوَالْ
يَـوْمْ تْكُـونْ الْخَلْـقْ وَاقْفَـا بَـيْنْ ايـدِينْ الْبَـارِي
مَـا أعْظَـمْ ذَاكْ الْيَـوْمْ يَوْمَا يْقُـولْ الـشَّفِيعْ فِيـهْ أنَـا لِيهَـا
مَا لِي سِوَاهْ غَـدًا شْـفِيعْ يَحْمِينِـي هُوَ اعْتِمَادِي وَلَيْسَ غَيْرُهْ يَحْمِينِي فِي مَلْجَا

بِهْ وَسِيلْتِي فِي الدُّنْيَـا وَفِي الدِّينْ

ظَنِّـي فِـي رَبِّـي بِالْعَفْوِ يَصْفَحْ عَنْ اخْطَايَا فِي الْقَوْلْ وَالاَفْعَـالْ
لَـيْسَ يْوَاخِـذْنِي إذَا عقَـا فَـاشْ تْجِيـهْ وْزَارِي

وَالْفِعْلْ الْمَذْمُومْ مِنْ فَايَدْ قَلْبِـي

كَرِيمْ قَـادِرْ يْعَجَّـلْ بِـشْفَايَا نَلْحَـقْ بِالْكَمَـالْ
وَاقْـوَافِي لِرْجَـالْ الـصّفَا تَـتْجَلاَّ لْفَكَـارِي
حَقَايِقْ كُلّ عْلُومْ ويْوَافِي طَلْبِي وَكُـلّ مَـا هُـوَ فِـي مْنَايَـا

وَلاَ يَخْـطُـرْ فِي بَـالِ

حـُول الله مَـعَ الْمُـصْطَفَى بِـهِ تَقْـرَا بْـصَارِي

فِي الْيَقْظَـا وَالنُّـومْ

ومن غريب ما اتفق لي معه أنه كان لا يخرج كثيرا إلا في يوم الجمعة للجمعة، وكانت عادته معي حين يخرج، ويكون عنده نظم قاله إلا ويأتيني به في يده، وأنا كذالك، إن وجد عندي شيئا قلته أريته إياه، وقلت: في يوم الجمعة عروبيا ثلاثيا بليل، وأصبح عندي لم يطلع عليه أحد، وقال هو مثله في تلك الليلة.

وجاء عندي صباح الجمعة على عادته، وقال لي: هات ما عندك. فمكنته من البطاقة فقرأها، وقال لي: بت معك، أو بت معي الليلة. قلت: كل ذالك لم يكن. ثم أعطاني بطاقته، فقرأتها، فوجدت فيها الكلام الذي في بطاقتي، لم يختلفا في حرف واحد. فقال: والله ما رآه أحد غيرك، وقلت أنا كذالك. ولفظ العروبي:

يَقْصَدْ الْبَابْ لِأَغْنَى سَـيِّدْ يَحْمِيـهْ … الِّ يَنْحَـازْ مَـا يَلُّـو إِلاَّ سِـيدُ

وَجَمِيعْ الِّ يُرِيدْ يَحْضُرْ بَيْنِ يَدَّيـهْ … يَنُوبْ عَلِيهْ فِي كُلِّ شَيْ يَاخُذْ بَـدُ

وترى الأكوان كلها تسخر ليه

وكنا نصلي الجمعة؛ في كل جمعة بفاس العليا مع ولد الأمير مولانا علي بن سيدي محمد بن عبد الله وجماعة العلماء والطلبة والأشراف، ولما صلينا تلك الجمعة ورجعنا، كنت نتكلم مع العلامة سيدي عمر الفاسي، رحمه الله تعالى، المتقدم ذكره، ونحن راكبون على الدواب، حتى قلت لسيدي عمر: وقع لي مع سيدي إدريس ناصح[1] في ليلة صباح اليوم كذا وكذا. فقال لي، رحمه الله: اذكر لي العروبي الذي اتفقتما فيه. فلما ذكرته صاح ﷺ وسقط عن بغلته إلى الأرض مغشيا عليه، فدهش الناس واجتمعوا عليه، وقال لي القاضي سيدي عبد القادر بوخريص: قتلت الرجل يا فلان. ثم نزلنا عن دوابنا وساعفناه حتى أفاق، وركبناه على دابته ولونه كاليرقان.

وكان، صاحب الترجمة، سيدي إدريس يرى النبي ﷺ كثيرا. توفي، رحمه الله، سنة أربع وتسعين ومئة وألف.

[عبد الله العبادي]

ومنهم المرابط الأرضى، المسن الصامت المرتضى، الناسك البركة، أبو محمد، سيدي الحاج عبد الله العبادي. كان، رحمه الله تعالى، متقشفا متجردا، ذاكرا صائما ساكتا، قليل الكلام، قوي الحال جدا، يتواجد كثيرا، وكان له كنبري يضرب فيه عند الذكر والصلاة على النبي ﷺ، ويمدح شيخه فيه، ويثني عليه، ودموعه هاطلة على خده. وفي أثناء كل كلام يقول: يه تهنا من لا جاب الخبر. وكانت جارية على لسانه.

[1] إدريس ناصح (-1194هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 374/2.

كان، رحمه الله تعالى، يحبني كثيرا، ويهتم بأموري، ويتردد إلي كثيرا، وكلما لقيني، يقول لي: كيف أنت؟ فيقول: بخير. فيقول: نعم. وبعض الأحيان يكون ماليا، فيقول لي: أين أنت؟ فأقول: ثم. أو: من أين؟ فأقول: من ثم. أو: إلى أين؟ فأقول: إليه.

ووجدني يوما بسوق حارة قيس، فقال لي: أين تسكن (بغتتي)[1]؟ فقلت: في هاذه الجهة. فاحمر وجهه، وفاض وصاح، وقال: أين هي الجهة؟ أنت تقول الجهة؟ فاستيقظت، (وقلت: ثم. فقال: لا تنم، فإنه)[2] لا ينام، والعساس لا ينام. وانصرف عني، رحمه الله.

ولقيته صباح يوم بالقبب طلوع باب الفتوح، ورجعنا ويدي في يده، ولما أشرفنا على باب فتوح، وجدنا قوما رحالة، إما عربا أو بربرا، وهم مارون مع الطريق (لناحية عين المقلي)[3]. ثم ما شعرت بالشيخ المذكور حتى صاح، وجعل يقول: انظر، انظر معاندة القدر مع مساعدته، ويشير. فنظرت، فإذا امرأة من القوم الرحالة راكبة على حمار وكلب مربوط بحبل في عنقه وفي مؤخر الحمار، فإذا ساعف ومشى، مشى الحمار، كان في راحة، وإذا عاند وتب بيده في الأرض يجيفه الحبل، ويمشي مجرورا، والشيخ يصيح بذالك العبارة، حتى غاب عنا الحمار والكلب.

فإذا هي عبارة وإشارة كان يشير بها علي، لأني كنت ضاق حالي من الجلوس بسوق الشهود، وأردت في قلبي النزول منه والإعراض عنه، ولا ذكرت له شيئا من ذالك. فإذا بالقدر حكم علي، كأنه يقول لي: ليس لك اختيار، فإن لم ترد الشهادة، تكن محتسبا. فوليت الحسبة عشرة أيام، وتخليت عنها لما دخل علي فيها من الغم، فكان ﷺ يجيء عندي، ويقول لي: أنت ساعفت القدر والله ينجيك. ثم جاءني بعد ذالك، وقال لي: وإياك ومعاندة القدر. فولوني النظر في حبس المساكين بحيلة، فكنت كلما رأيته، أقول له: هاكذا أحببتم. فيقول: ساعف القدر، لا تختر، واسكن دار العجز وعدم القدرة والتسليم، ينجيك الله ويسلمك. وأنقذني الله تعالى بعد عشرة أشهر.

واجتمعت معه يوما في عقيقة عند الفقيه العلامة سيدي محمد بن الحسن بناني المذكور آنفا، فلما دخلت الدار، وجدت الشيخ جالسا في ركنة، وكنت خارج البيت، وحده معتزلا عن الناس، فقلت في نفسي: اليوم الخميس، ولعله صائما، فجلست معه. ولما نزل الطعام، ونحن اثنين، قال لي: كل أنت وحدك. فتحققت بصيامه. فقلت له: يا سيدي، إن لم تاكل، فوكل. فاحمر وفاض وأعطاني لقمة بيده، وقال لي: نبشرك؟ قلت: نعم. فقال لي: قلبوك الناس فوجدوك مليحا واتفقوا على ذالك. سمعت؟ قلت: نعم. فحضرني في الحين كلام من بركته في معنى ما قال، قلت:

قَالْ لِي وَاحَدْ قَلْبُوكْ صَابُوكْ مْلِيحْ   لَعَلَّ الُوذَنْ قُلْتْ قَلْبَتْ لْعْبَارَا

---

[1] ب: بياض قدره كلمة.
[2] ب: بياض.
[3] ب: بياض قدره ثلاث كلمات.

إِذَا بِالْغَيْرْ شَبْهُونِي رَاهْ صَحِيحْ لاَيَنْ فِعْلِي مَا يَرُوحْ لِعْمَارَا
وَإِذَا صَحْ الصَّحِيحْ نَعْطِيكْ بْشَارَا

فلما قلت هاذا صاح صيحة عظيمة، اهتز بها كل من بالدار علوها وسفلها، ونزل بي ما نزل، وهو يقول لي: قم، قم من غير فضيحة. فقمت وخرجت، وأنا أطأ في الأواني التي في وسط الدار، والناس يسألوني عن ذالك، ولا كلمت أحدا ولا جاوبته. فما بلغت الدار إلا بكلفة، وبقيت على ذالك الحال إلى الغد.

وكان، رحمه الله تعالى، يعتمد الشيخ الزاهد الرباني الشهير، سيدي الحاج محمد بن أبي زيان القندسي، رحمه الله تعالى، ورضي عنه.

وبت ليلة معه عند بعض الإخوان المحبين بداره، وحضر تلك الليلة ولد شيخه سيدي أبي مدين وجماعة من الفقراء والطلبة والتجار، وولد الشيخ جالس على فراش عال عن الناس، ومعه عليه ناس خصوص من أهل الدنيا، واشتغلوا بالهدر، والناس يذكرون الله، فسكت الذاكرون عن الذكر من أجل هدرهم، لأنهم لم يشعروا بمن ذكر ولا بمن سكت. فقام عند ذالك الشيخ سيدي الحاج عبد الله المذكور قائما وأومأ بحفنته على الحائط، كأنه يأخذ منه ترابا، وأومأ وأشار بتلك الحفنة إلى القوم أهل الهدر والتفت إلينا، وقال: صلوا على الحبيب، ما أحس أحد بأحد، تهنًّا من لا جاب خبر. ففتح عند ذالك الفقيه المؤدب، سيدي الحاج عبد الواحد الحريشي قصيدة في مدح النبي ﷺ، وهي التي أولها:

[الطويل]

تَمَتَّعْ بِذِكْرِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ إلخ
وَكُلٌ لَهُ عِرْسٌ بِذِكْرِ حَبِيبِهِ وَنَحْنُ بِذِكْرِ الْهَاشِمِيِّ لَنَا عُرْسُ

فوالله ما بلغنا هاذا البيت حتى كان ولد الشيخ ومن كان معه من أهل الدنيا كالأموات، سلط الله عليهم النعاس من بركة الشيخ سيدي الحاج عبد الله، ونفحت حضرة الذكر عند ذالك نفحة ربانية حتى أصبح الصباح، وخرج الناس وبقي الطعام كذالك والنيام.

توفي، صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، بالقنادسة، ودفن بها عند شيخه عام أحد ومئتين وألف.

وتوفي شيخه وعمدته، سيدي الحاج محمد بن بوزيان القندسي ﷺ سنة ست وأربعين ومئة وألف.

[عبد العزيز القداري]

ومنهم المرابط السالك المجذوب أبو فارس، سيدي عبد العزيز القداري، نجل الشيخ سيدي قدار، دفين القبب ﷺ، ينسب لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

كان، رحمه الله، متجردا، براحا (بالأسواق)[1]، تارة يكون بفاس، وتارة يغيب عنها لبلاده.

ولم تكن لي معرفة به حتى لقيته عشية يوم بسوق الرصيف وهو مار ويبرح وينادي، ويقول: الذي عنده القليل، ما قده شي، والذي عنده الكثير، ما قنعه شي، هايا الذي راد الزيادة، رد بالك من النقصان. فتعرضت له وصافحته، وقلت له: ما هاذا الذي تقول، مع كون الكلام اليوم مقطوع مبرح عليه، إلا من وجهين: الإذن فيه، أو الغلبة على قائله حتى يقوله. وهاذا الكلام غير مفيد، لأن الناس سبقوك به. فإذا كان عندك خبر جديد، فإنه في الأسماع لذيذ، وأما ما تقول، فقد قاله من تقدم قبلك. فقالوا: إذا رأيت الزائد، فاستبشر بالنقصان، والكلام اليوم حكمت عليه الفترة إلا عن إذن. فقال: أنا أقول بإذن وبغير إذن. وصد عني، وانصرف يقول كلامه.

ثم من الغد أو بعد الغد، جاز على سوق العدول، وأنا واقف مع الشريف الفقيه، مولاي حمدون الطاهري الحسني الجوطي، المتقدم ذكره، بباب دكان ولد عمه، مولاي هاشم بن عبد الواحد بعد صلاة الجمعة، وسيدي عبد العزيز، صاحب الترجمة، مار على الطريق والناس له تبع، وهو يقول: الشرفاء وأهل الزوايات، والطلبة وأهل الدوايات، الخلاص راه قريب، (واللي) 2 يلعب(ما يشقر)3 ثم. فقال مولاي هاشم طاهر: إيش عملنا حتى نخلصوا. فقلت له: نتخلصوا فيما ضاع من حقنا، لا نخلصوا. فعانقني مولاي حمدون المذكور، وقبل رأسي، وقال لي: أصلحك الله، وجزاك عنا خيرا.ثم لقيته أيضا صبيحة غد بباب السلسلة واقفا بباب حانوت الحجام، والشيخ سيدي الحاج عبد الله العبادي المذكور، صاحب الترجمة قبل هاذه، جالس داخل الحانوت، وهما يتحاجان، فوقفت من وراء سيدي عبد العزيز نتجسس ما يقول، فسمعت سيدي الحاج عبد الله وهو يقول لسيدي عبد العزيز وينهاه عن الكلام والتعرض لما كان أو يكون، ويقول له: إن هاذه البلاد بلاد الله، السلطان وأهلها أقوياء، لا يحملون من يدخل سوقهم ولا من يتكلم فيه، الإعراض منهم أو من غيرهم، ولا سيما في هاذا؛ زمن الفترة، فإني خائف عليك. وسيدي عبد العزيز يقول: أنا أقول، ولا أقول إلا ما رأيت، ولا علي في أحد.

---

[1] ب: في الأسواق.
[2] ب: والذي.
[3] ب: بياض.

ثم إني سيدي الحاج عبد الله رآني، فنادى علي، فدخلت عنده، وسلمت عليه، فرد علي، وقال لي: الحمد لله الذي جاء بك الآن لتفصل بيني وبين سيدي الحاج عبد العزيز. قلت: ما ذاك؟ قال: الكلام، ما هو عند الناس؟ قلت: عيب من أقبح العيوب، لا سيما في هاذا زمن الحيزة أقبح وأقبح، ولولا الخوف لقال الناس أكثر مما تقول، لأن ما رأيته لم تره وحدك، وما سمعت سمعه غيرك ولم تسمعه وحدك. هاذا كله وسيدي عبد العزيز يقول: قلت وأقول ولا أخاف مما أقول. فقال لي الشيخ سيدي الحاج عبد الله: قل له يا شريف. فقلت: نعم يا سيدي. وحضرني كلام رباعي من بركته ﷺ، فقلت:

مَـــنْ جَـــا لِلَّعْـــبْ يَلْعَـــبْ وَيْكُـونْ فِـي اللَّعْـبْ فَـارَسْ
مَـنْ لاَ عْـرَفْ كِيـفْ يَلْعَـبْ يَبْقَـى فِـي الـدَّارْ جَـالَسْ

فلما قلت ذالك رجع القهقرا، حتى بلغ الحوانيت من الصف الآخر، ثم أقبل علينا. وقال: إن أهل البلاد حكموا علينا بالخروج عنهم من بلادهم على أن لا أبيت فيها، والآن تبقوا بخير. فقال له سيدي الحاج عبد الله: هاذا ما قلنا لك، ولم تقبله حتى وقفت عليه في حينك. وخرج من البلاد من يومه ثم رجع إليها بعد شهرين أو ثلاثا، ولقيته بالرصيف، فزدت أسلم عليه، فأعرض عني فناديته: يا سيدي عبد العزيز. فقال لي: لا أتكلم معك ولا مع غيرك. وانصرف، وبقي بفاس ثلاثة أو أربعة أيام، وخرج لبلاده، وتوفي بها، رحمة الله عليه، عام تسعة وتسعين، قبل الحاج عبد الله المذكور بنحو أربعة أعوام.

[محمد الأغصاوي]

ومنهم الفقير المرابط الأمي، الغريق في بحر الحقيقة، المتجرد الخامل الذكر، أبو عبد الله، سيدي الحاج محمد الأغصاوي.

كان، رحمه الله تعالى، فقيرا سالكا، أميا ذاكرا، خاملا متجردا، هاربا بنفسه من الخلق، لا يحب كثرة الكلام إلا فيما يعني. وكان، رحمه الله، يجيء إلى فاس فيقعد فيها ما شاء الله مقيما، وينصرف منها إلى بلده، ومدة مقامه بفاس، كان جلوسه بقبة مولانا إدريس، نفعنا الله به.

وكان، رحمه الله تعالى، عارفا بالحقيقة، رسخ فيها ورسخت فيه، ولا يتغفل عنها قط، حتى كنا إذا اجتمعنا معه، ونكون (نتكلموا)[1] معه، ونريد أن نغفله عن الحقيقة في التعبير، فلا يتغفل ولا يخرج عنها قط، لا عمدا ولا خطأ، ولا يجيب إلا بها.

كان، رحمه الله، من الذاكرين المعتكفين على ذكر الله، لا يدعي بدعوى قط، ولا ينسب لنفسه شيئا قط، ويمنع الناس من تقبيل يده امتناعا كليا، ويكره ذالك، ويقول: الفلوس

---

[1] كذا.

خير البوس، والفلوس تملأ الكيوس، والفلوس يزيغ النفوس. وكان، رحمه الله تعالى، يقول: الخيرة فيما يختار الله لنا، والذي اخترت في الدنيا كلها، فما وجدت أفضل من الدار والمسجد. وتخيرت فيهما فوجدت الدار أفضل، لأن المسجد فيه القبلة والصلاة والذكر، والدار فيها الصلاة والقبلة والذكر وزيادة الخبز.

ولما حج، رحمه الله تعالى، ورجع من الحج، جعل لا يمنع أحدا من تقبيل يده، وكان يجلس داخل القبة، صار يجلس خارجها متكئا على دفتها، (يمنة الداخل لها)[1]. فجلست معه يوما هناك بعد صلاة الظهر، والناس يجيئون عنده أفواجا، يسلمون عليه، ويقبلون يده، ويتركهم. فجاء رجل من أهل البيت، مسن من أهل الخير، وبيده حربة، ووقف عليه ينظر، والناس يقبلون يده، ويطلبون منه الدعاء. ثم نهض الشريف المذكور، وقال له: قم يا قليل الأدب، أما تستحيي؟ أنت بين يدي السلطان، وفي حجره، وتسوء الأدب، وتترك الناس يقبلون يدك، وتعطيه بظهرك؟ والله (يا ابن كذا)[2]، لولا حرمة هاذا المكان، لأخرجت هاذه الحربة من ظهرك. وصاحب الترجمة منحدر الرأس، ساكتا لم يجبه بشيء. واشتغل الشريف بالخصام والكلام، ودخل إلى القبة، وتغير الناس الحاضرون من أجل ذالك، وانصرفت عنه.

ولما صلينا العشاء ذالك اليوم، بمسجد سيدي أبي الشتاء بحارة قيس وخرجت، لقيته (هابطا مع)[3] بعض المنسوبين المحبين، فسلم علي سلام مودع، وقال لي: إن أهل هاذا البلد طردوني من بلادهم، وأنا هاذه الليلة من أضياف هاذا المحب، السيد الحاج علي أكومي، وصباحا، إن شاء الله، (ماشيا)[4] إلى داري. فخرج من الغد كما قال. واليوم الثالث أو الرابع بعد خروجه، جاء خبره بغرقه بوادي ورغة، ومات، رحمة الله علينا وعليه، وذالك سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

والشريف الذي هدده كان مستوطنا بفاس، وذهب إلى المشرق، وجاور مدة بمكة والمدينة، ثم جاء إلى المغرب أياما لقضاء حاجة حتى قضاها، ورجع إلى المشرق، ومات هناك، رحمه الله، سنة ثمانين ومائة وألف.

[محمد بن جامع اليوسفي] [5]

ومنهم الشيخ المسن البركة المقعد، أبو عبد الله، سيدي محمد بن جامع، اليوسفي أصلا (الحنصالي)[6] طريقة، وجامع جده لأمه.

---

1 ب: بياض.
2 ب: بياض.
3 ب: بياض.
4 كذا، والصواب: ماش.
5 أبو عبدالله، محمد بن جامع (-1191هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/203-205.
6 ب: بياض.

كان، رحمه الله، جوالا طوافا، لقيته أولا بفاس بدار السيد محمد بن أحمد بناني (بفرن الكويشة)[1] من أسفل طالعة فاس، ولما دخلنا عليه مع العلامة سيدي علي بن محمد قصارة، رحمه الله، المذكور آنفا، وجماعة من الفقراء؛ أصحاب سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي، وجلسنا بين يديه، كانت أول كلمة سمعناها منه، قال لنا: مرحبا برائحة بحر الصالحين. قلنا له: ومن هو بحر الصالحين؟ قال: هو الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان ﷺ. قلنا له: ادع لنا بخير. فقال: إذا جئتم ندعو لكم، ما أنا إلا رجل خراء، ما عندي ما نقل لكم، انظروا كيف أنا مكسور الظهر، مقعد زحاف. وأشار إلى أنه أصابه ما أصابه من جهة مولاي الطيب، نفعنا الله به، في لجاج وقع، فزرناه وانصرفنا عنه.

ثم إنه انتقل من تلك الدار إلى مستودع مولانا إدريس، نفعنا الله به، وبقي به ما شاء الله. ثم انتقل منه إلى دار الطالب المحتسب، سيدي محمد العواد الزروالي، بحومة الصاغة؛ وبقي بها ما شاء الله. ثم رجع إلى المستودع المذكور، وبقي به ما شاء الله. ثم صار يتردد من دار العواد إلى مستودع مولانا إدريس، إلى أن توفي، رحمه الله، بدار العواد، في شعبان سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن بمطرح الجنة، ملتزقا بحائط روضة الشيخ أبي ميمونة، الدراس بن إسماعيل، ﷺ، وذالك قبل هدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي الحسني الروضة المذكورة وجعلها قبة كبرى أوسع مما كانت. فصار، صاحب الترجمة، داخل الحائط بالقبة، وذالك عام أربعة ومائتين وألف.

وتوفي صاحب الترجمة، ابن جامع المذكور، عن سن عالية وهي مئة سنة واحدة وسبع عشرة سنة، وكانت له جنازة عظيمة.

ولم يركب ﷺ طول عمره دابة قط، سفرا ولا حضرا، إلى أن أقعد، ولم يتزوج امرأة قط إلى أن مات عازبا.

وقد نظم تاريخ وفاته بعض الأدباء، فقال:

[الرجز]

الْحَمْدُ لِلْمُعْطِـي الْحَكِـيمِ الْمَـانِعِ ... ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى الرَّسُولِ الـشَّافِعِ

هَاذَا ضَرِيحُ الصَّالِحِ الأَسْمَى أَبِـي ... عبد الإِلاَهِ مُحَمَد نجْـل جـامِعِ

مَنْ خَصَّهُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ بِصَالِحِ ... الأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا وَقَلْبٍ خَاشِـعِ

بِجَاهِه سَـلْ رَبَّنَـا يُعْطِيـكَ مَـا ... تَهْوَاهُ مِنْ زُلْفَى وَحُسْنِ مَنَـافِعِ

تَارِيخُـهُ شَـعْبَانَ صَـحَّ وَفَاتُـهُ ... بِجِوَارِ ذِي الْعَفْوِ الْعَظِيمِ الْوَاسِعِ

---

[1] ب: بياض.

أخذ، رحمه الله تعالى، عن الشيخ سيدي سعيد أحنصال دفين الدلاء ثاني عشر ربيع الأول سنة أربع عشرة ومائة وألف، وسيدي سعيد أخذ عن شيخنا وعمدتنا، سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي، المتقدم ذكره في طائفته.

[سعيد أحنصال]

وكان سيدي سعيد أحنصال المذكور، وأصله من المشرق، ثم جاء إلى المغرب، وجعل يتطوف على رجاله ويدور عليهم، وكل من اجتمع معه أو لقيه يصغر في عينيه ولم يقنعه، حتى ظهر له أن المغرب خال لا أهل له، وكان يقولها بلسانه، حتى أخبر بالشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان المذكور، ﷺ، فقصده. ولما اجتمع به، وهو باق على اتقاده، أنزل الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان إبهام رجله على إبهام رجل سيدي سعيد أحنصال، وقال له: وهل رأيت بالمغرب أحدا من الرجال؟ فقال له: نعم. أنت منهم. لأنه وجد كل ما عنده ذهب عنه، وبقي بلا شيء[1]. ثم قال سيدي سعيد: إني تائب إلى الله. وطلب القبول من الشيخ. فأعطاه الشيخ عند ذالك نوالة، وقال له: اجلس حتى تتأدب. فبقي سيدي سعيد في تلك النوالة سنة كاملة، والشيخ سيدي علي يمر به، ولم يكلمه حتى طلع ركب الفقراء الزيار أصحاب الشيخ، ورغبهم سيدي سعيد، وتكلموا للشيخ في أمره، فعطف الشيخ سيدي علي على سيدي سعيد، وأحضر بين يديه[2]. وجعل الشيخ سيدي علي إبهامه على إبهام سيدي سعيد، كما فعل به أولا، فرجع لسيدي سعيد ما مشى له وزيادة، ولقنه الأسماء الحسنى، وأمره بتلقينها، وقال له: سر ينتفع بك الناس. ﷺ، ونفعنا بهم، آمين.

[عزل القائد الصفار للزبادي من كراسي الوعظ]

وأما الشيخ سيدي محمد بن جامع، صاحب الترجمة، فإن القائد محمد الصفار تعدى علي وعزلني من كراسي الوعظ التي بيدي ونفذها لغيري، ومشيت عنده لمستودع مولانا إدريس أنا وبعض الفقراء نزوره، فقال لي: من هو الذي يقرأ في موضعك هنا؟ نائبك هو؟ فقال له بعض الحاضرين: إن القائد نزعها عنه وأعطاها للغير. وكان ذالك اليوم يوم جمعة. فقال له: من يتعدى على هاذا الموضع، لا يسلم من العقوبة، ولاكن إذا صليت الجمعة فراجعني. فلما صلينا الجمعة، نسيت ما قال، فلم نرجع عنده، ورجع عنده غيري ممن كان معي عنده، فقال له: قل للشريف صاحبك، إن صاحبه ضربه رجل في الجامع غيرة عليك، وضرب رجل آخر ذالك الضارب، وشف ما يفعل الله بهما. ومن الغد

---

[1] ماذا ذهب عنه؟ وكيف ذهب عنه؟ إذا كان علما، لا يذهب فجأة إلا بفقدان العقل. وإذا كان عبادة لا تذهب إلا بالعصيان والترك. وإذا كان سحرا، فالسحر يذهب السحر.... الخ

[2] إن هاذا يبين أن شيوخ الطرق الصوفية والزوايا كان لهم خدم وحراس، وأيضا كانت لهم سلطة نافذة.

خرج في القائد المذكور دماميل، وتألم منهم، وبقي ثلاثة أيام يدخل ويخرج متألما، وبعدها لزم الفراش. وكان كل يوم يخرج فيه دماميل أخر حتى بلغت فيه أربعة وثلاثين دمالا، من مفاصيل رقبته إلى عظم عجب ذنبه، وانتفخت كلها، حتى منعه ذالك من الجلوس ومن الرقاد، (وبقي شبكته في الهوى)[1]، وبقي كذالك حتى توفي ثم بعد هنيأة جعل يتكلم وحده وبقي كذالك حتى توفي من ذالك المرض، عفا الله تعالى عنا وعنه. ثم قال له بعض أقاربه وهو يتألم أشد الألم: يا فلان إن هاذا الأمر، والله أعلم، أصابك من الشيخ سيد محمود. فقال: لا. ما هي إلا ضربة نبوية، وأنا أعرفها.

وفي ضحوة الغد توفي، وباشرت غسله مع الغير، فوجدنا تلك الدماميل قد اختلطت حتى انشق ظهره طولا والدود يسقط منه كدودة الحرير التي تسقط تحت القدر، ولا كفن حتى جعلنا له في ذالك الجرح قطنا كثيرا مقرشلا، أدخلنا ما أدخلنا منه في الجرح، وما بقي لففنا فيه جسده. فالله تعالى يحفظنا بفضله ومنه وكرمه، آمين.

[عبد الرحمان بن عبد الله]

ومنهم الفقير الدريوش، المتقشف المتجرد، خادم الأولياء والصالحين، الأحياء منهم والميتين، ومحب آل بيت النبي الأمين، أبو زيد، سيدي عبد الرحمان بن عبد الله، الممنون عليه بالإسلام.

كان، رحمه الله، أميا سالكا حاضرا، وتعتريه الأحوال في بعض الأحيان.

كان، رحمه الله، في ابتدا أمره، حسبما سمعناه منه، يدعي بدعاوى كثيرة كبار، ثم إنه قبض من رجليه وأقعد، وبقي مقعدا مدة، زحافا لا يمشي إلا حبوا، حتى شاهدناه يمشي في الأسواق حبوا بقفة من الحلفاء مربوطة في مؤخره وهو يزحف بها فيه، ورجلاه كالخرق. ثم بعد مدة قال إنه رأى النبي ﷺ في المنام، فأخذ ﷺ بيده وأقامه، فقام وأصبح يمشي على رجليه، من بركة النبي ﷺ. وأمره النبي ﷺ بخدمة الصالحين، فكان يخدم الأموات بشهرة القبور، يعني القبور المندثرة، ويبانهم ويبخرهم ويشطبهم، والأحياء بما يناسبهم. وكان، رحمه الله تعالى، يقول: أنا مجبور النبي ﷺ. وإذا سئل عن شيخه، يقول: أنا كلهم سادتي، وأنا خديمهم، ومجبور النبي ﷺ من أنا، فلله الحمد، وله الشكر. كنت يهوديا، وأنقذني الله والنبي ﷺ من الكفر والضلالة إلى نور الهدى، وأخرجني من الظلمات إلى النور، وأقعدوني، فأقامني النبي ﷺ. ثم يغلبه البكاء عند هاذا الكلام.

وكان، رحمه الله، يعتمد ويخص ممن كان يخدم من الأموات الشيخ أبا ميمونة، الدراس بن إسماعيل ﷺ، والشيخ علي بن حرزهم ﷺ، وسيدي محمد الطالب، والشيخ

---

[1] كذا.

سيدي عبد الله التاودي، والشيخ سيدي مبارك بن عبابو[1]، رضي الله عن جميعهم، وسقانا من مددهم، وأغرقنا في بحر محبتهم، آمين.

كان، رحمه الله تعالى، يخص هاؤلاء المشايخ المذكورين بالثناء عليهم بالخير، ويدعي أنهم يتكلمون معه من قبورهم ويشاورهم في الأمور. وكان، رحمه الله، يقول: قال لي سيدي فلان، أو سمعت من سيدي فلان، أو أمرني سيدي فلان، أو أخبرني سيدي فلان، أو نهاني سيدي فلان، نوما أو يقظة، وإن حازه أحد في أمر، يقول: لا أقول لك شيئا حتى أستشير مع سيدي فلان، أحد هاؤلاء المشائخ المذكورين. وكلما أخبر بما كان أو يكون فإنه يكون كذالك. ولا ينسب من ذالك شيئا لنفسه، وإنما ينسب لواحد من هاؤلاء السادات المذكورين.

وكان، رحمه الله، تعتريه أحوال، مرة بالسكوت حتى لا يتكلم قط، وتارة بالكلام الكثير، بفائدة وبغير فائدة، وتارة يتكلم بلسان الشلحة، وتارة بلسان التركية، وتارة بالجنوية.

وكان، رحمه الله، يشير علي، ويقول لي: أنت المحتسب، أو الناظر، أو هما معا. وبقي سنين وهو يشير لي بهاذه الإشارة حتى كان ذالك بلطف من الله تعالى. وكان أيضا يقول لي: تجلس مجلسا مرتفعا، والناس كلهم أسفل منك، والسلطان والعلماء أسفل منك، وأنت أعلى منهم كلهم، ويقسم على ذالك. حتى توليت كراسي التوريق بمولانا إدريس ﷺ. وكنت أورق بين يدي السلطان بفاس العليا، فكنت أجلس على الكرسي والسلطان والعلماء وغيرهم من الناس أسفل مني. لقيني وقال: والله ما كذبت عليك، ولا خطبتك بالهزل، وإنما خطبتك بالجد.

ووجدني يوما، رحمه الله، اشتريت سمنا وأنا أخلص مولاه، فقال لي: وهل اشتريت سمنا كثيرا؟ قلت: ما يكفيني لعولتي. فقال لي، رحمه الله: زد اشتر السمن إذا عندك التيسير، واسمع ما قلت لك، وأعلم بذالك من تحبه من الإخوان، فإن السمن رأيته بستين مثقالا للقنطار. وكان السمن الذي اشتريته بخمسن أوقية بالقنطار الكبير. ثم إنه في العام القابل اشتريته بعشرة، وبلغ اثنا عشر بالقنطار الصغير، ثم جعل يزيد حتى بلغ عام خمسة وتسعين ومئة وألف ستين مثقالا. ولا ينسب شيئا من ذالك لنفسه، وإنما ينسبه لساداته المذكورين، ﷺ أجمعين.

ولما تعطل المطر مرة، وزاد سوق القمح، وكان عندي ما يكفيني، ولاكن خفت، واشتريت وسقا واحدا زدته احتياطا، وليس لسيدي عبد الرحمان خبرة به، ثم إنه جاءني بين المغرب والعشاء، وقال لي: أنت اشتريت القمح؟ قلت: نعم. فقال لي: لم؟ قلت له: تشوشت من قلة المطر. فقال: أنت تقول هاذا؟ فسكت عنه، فقال لي: بعه، ولا تتركه

---

[1] مبارك بن عبابو الكوش (-1025هـ). ترجمته في: الروض العطر الأنفاس: 275. نشر المثاني: 211/1. التقاط الدرر: 69. سلوة الأنفاس: 3/174-176.

عندك. فلم أفعل، وتركته، فإذا به قام بالسوس، وبعته بأقل مما اشتريته به. ثم بعد بيعه، رخص القمح، واشتريت بثمن الوسق الواحد وسقين اثنين.

ودخل علي يوما، رحمه الله تعالى، بين المغرب والعشاء، لمسجد سيدي أبي الشتاء بحارة قيس، نفعنا الله به، وجلس عندي، وأنا كنت أكتب. ثم بعد هنيئة، جعل يتكلم وحده، وذالك الكلام مرة خطابا، ومرة جوابا، فعرفت منه أنه يتكلم مع الغير، فقلت له: مع من تتكلم يا سيدي؟ فقال: مع صاحب لي بمدينة النبي ﷺ. قلت: ومن صاحبك هناك؟ قال: الحاج عبد السلام السلاوي. قال: عرفته؟ قلت: عرفته، تركته مجاورا بالمدينة هاذه سنون. ومن أين عرفته؟ فقال: عرفته بالمدينة منذ سنين، وفي كل سنة يكرمني ويدخلني داره بالزنقة الفلانية بالدرب الفلاني. وجعل يصف لي داخل الدار وخارجها، وأبواب المدينة وأسواقها، ومسجد النبي ﷺ والحجرة النبوية، حتى شككت في حجه، أحج أو لا. وسألته، فقال: لا. حتى أذنت العشاء وهو معي على هاذه الحال. ثم جعل يصف لي مصر وأسواقها، سوقا سوقا، وما فيها من الناس من أهل الخير وغيرهم من المزارات، حتى دهاني في عقلي. وعند انصرافه عني، أعطاني ثمرات من ثمر المدينة المشرفة، وقال لي: خذ، هاذا نصيبك مما أكرمني به صاحبي الحاج عبد السلام السلاوي، وفي كل عام، إن شاء الله، يصلك نصيبك مما يكرمني به ما دام حيا. فعلمت من قوله ما دام حيا، ولم يقل ما دمت، أن السلاوي ميت قبله. فكان الأمر كذالك.

ومن العام القابل، وجدني بباب دريب القطان من الديوان، وأنا مع أخينا الفقيه سيدي محمد بن العلامة سيدي محمد بناني المذكور آنفا، فأعطاني ثمرات أيضا من ثمر المدينة، وقال: هاذا نصيبك من عند السلاوي. فأعطيت منه لصاحبي.

فلما توفي السلاوي، انقطع ذالك، وأخبرني سيدي عبد الرحمان بموته قبل مجيء الخبر بموته، وكان يقول لي: اكتم عني. مات اليوم بمصر فلان، أو مات اليوم فلان بمكة، أو بالحجاز، أو بالمدينة، أو بغير ذالك، ويكشف الغيب عن ذالك كذالك.

ومن (غريب)[1] ما وقع، صليت الجمعة بفاس العليا ورجعت، فدخلت عند الشيخ سيدي علي بن علي المجذوب، المتقدم ذكره في ترجمة الحمادشة، لأزوره، فوجدته في غاية وأشد ما يكون من الهول، وهو يتكلم مع أناس عنده من أهل البادية، ثم قال: انظروا باب المحروق، هل هي مغلقة أم مفتوحة؟ قلت له: منها جئت يا سيدي، فإنها مفتوحة. فقال: ما عندك خبر، وجعل يقعد ويقوم. فخرجت من عنده، وتركته على تلك الحال. فلما صلينا العصر من ذالك اليوم بالقرويين، رأيت رجلا نائما عند الكرسي الذي عند مقصورة القاضي، وجاء رجل عليه مرقعة، وضرب النائم برجله، وقال له: قم، لا يحل لك أن تنام هنا، والناس يقتتلون على سد باب المحروق. وقام الرجل، فوجدته السيد محمد بوزوبع، كان متجردا خاملا، يدعي بالدعاوي، والناس يسخرون منه، ويحملون دعاويه على

---

[1] ب: أغرب.

المزاح، وهو كان لا يتخلف عن كراسي الوعظ، ملازما لهم، من هاذا إلى هاذا. فقام الرجل بوزوبع، النائم المذكور، وخرج مع الآخر، وخرجت من القرويين تابعا لهما، وأنا من ورائهما، حتى بلغنا السقاية التي بين القصبتين، الجديدة والقديمة، وأنا خلفهم بعيدا منهم، فإذا بضربة دخلت علي في رجلي اليمنى فوق كعبتي، ولا عرفت حجرا ولا غيره. فانعقلت في موضعي، وبقيت جالسا في الطريق، وذهب الرجلان عني، وقمت راجعا حتى بلغت سيدي أبي الرجا، ورجلان اثنان أحدهما هابط والآخر صاعد، فقال الطالع للهابط: ما الخبر؟ فقال: ضرب الحاج بوبكر ومات. ومن الغد أصبح الحاج أبو بكر ميتا، وأصبحت رجلي مؤلمة.

وكنت مسافرا لزيارة مولانا إدريس الأكبر، نفعنا الله به ورضي عنه، فأقمنا ذالك اليوم حتى حضرنا الجنازة، وسافرت من الغد ورجلي متألمة. ولما اتبعتها في السفر، اشتد علي ألمها، وانتفخت جدا، فما رجعت من الزيارة إلا بمشقة، وألزمتني الفراش، ولا بقي دواء ولا طبيب، وكل من نعت لي شيئا عملته، ولا نفع فيها شيء، وأنا كالأحمق، لا أنام ليلا ولا نهارا.

ودخل علي بعض الإخوان بعد صلاة الجمعة يعودونني، وخرجوا من عندي، وصبي لي في علو الدار يبكي، وأمه بالسفلي، فحملت به أخته وهبطت به لأمه، ولما كانت بوسط الدرج، عطفت في هرة ففزعت، وسقط الصبي من يدها، فصاح صيحة وانقطع حسه، وصاحت به أمه: قتلت لي ولدي. وحين سمعت هاذا نهضت قائما من غير هوادة، فلما وقفت على رجلي، تفزر موضع الضر وانفلق بالدم، كمن ذبح كبشا، وسقطت على الأرض مغمى علي، ورفعوني إلى الفراش، وفتحت عيني، فرأيت كثرة الدم في البيت، فحسبته أنه من رأس ولدي، فغشى علي، وبقي من بالدار محير من أجلي، ومن أجل الولد، وإذا بالشيخ سيدي عبد الرحمان، صاحب الترجمة، ينادي بباب الدار، وقال: حيدوا عن الطريق، لا باس ولا ما يشوش. والله جاء الرجال من مصر يغيثونكم، لا هي للدرج، ولا للبيت، ولاكن الله سلم. فدخل وأيقظني، وقال لي: قم، لا باس عليك. إن الشيخ سيدي أبا السعود، والشيخ سيدي عبد الله المغاوري جاءا من مصر ليداوياك، فوجدا الصياح من الدروج والصياح من البيت، فمنهما من لقف الولد، ومنهما من نكا ضرك، والآن مد رجلك. فمددت رجلي، وتفل على ذالك الجرح، ففتر الدم من حينه، وخمد الألم، ووجدت الراحة من الحين. ومن ثم لم أعمل لها مرهما ولا دواء قط، وما كملت ثلاثة أيام حتى وقفت على رجلي سالمة من العرج. فلله الحمد، وله الشكر على معرفة الأجواد. نفعنا الله تعالى ببركاتهم، وسقانا من مددهم، بمنه وكرمه، آمين.

ووجدني أيضا سيدي عبد الرحمان، صاحب الترجمة، المذكور يوما ورجل له علي دين، وأنا أدفع له البعض منه، ولم يقنع بما دفعته له، والناس يرغبونه، وأبى أن يقبل عذرا عدا الزيادة على ما دفعت له. فقال له سيدي عبد الرحمان: أنت حاج هاذه السنة؟

قال: نعم. فقال له سيدي عبد الرحمان: في البحر؟ قال: لا، في البر. فرد عليه سيدي عبد الرحمان، وقال: في البحر. ثم أعرض، وقال: والله لا رأيت غير البحر. وإذا بسيدي علي التواتي، المتقدم ذكره، وقف علينا، وهو يقول: البحر، البحر، البحر، ويكرر لفظ البحر. ثم سافر الرجل مع الركب وحج، وغرق في البحر، فمرض في السفينة ومات بها، وألقي في البحر.

وتوفي صاحب الترجمة، رحمه الله، عام خمسة وتسعين ومائة وألف.

[محمد أغيول] [1]

ومنهم المرابط الأجل، الفقير المتجرد الأفضل، المؤذن سيدي عبد العزيز بن المؤقت، السيد محمد أغيول، المدعو يا أهل الله.

كان، رحمه الله تعالى، عازبا متقشفا، لم يتزوج في عمره كله، سوى امرأة باتت عنده ليلة واحدة وطلقها، ولم يتزوج غيرها قط.

وكان، رحمه الله تعالى، صاحب دندنة يحبها ويحفظ طبائعها وينشدهم. كنت مارا يوما من عقبة السبطريين للصفارين، فسمعت صوته، وذالك عند الزوال، وجدته بالهادريين ملقى على ظهره، عاري الوجه عند المصيف، والشمس مشرقة عليه، وهو ينشد طبع غريبة الحسين، فقلت له: سيدي عبد العزيز، مالك في هاذه القائلة منصوبا لها بوجهك؟ فقال لي: هنا جاءتني، يا أهل الله. وكانت كلمة أجراها الله تعالى على لسانه.

وكان، رحمه الله تعالى، يحب أهل النسبة وأهل البيت والعلماء، ويحب الاجتماع معهم. وكان يؤذن بمولانا إدريس ليلة الجمعة، وفي بعض الأحيان وقت طلوع الفجر، وبعض المرات بالقرويين، وهو ماش، وهو يقول: يا أهل الله. حتى كان يعرف بها، وصارت علما عليه.

خرج معنا مرة في رفقتنا لزيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ راكبا على بغلة شهباء عوراء عرجاء، فلما وصلنا وادي سبو، قطع الناس كلهم على دوابهم، ونزل هو عن بغلته، وقال: أنا ما نركب في الوادي، يا أهل الله. فقلنا له: اركب يا سيدي. فقال لنا: يدور عقلي يا أهل الله. ثم قبض في شوال البغلة، وقال لها: ادخلي على الله. فلما توسط الوادي وهي تعوم، أطلق يده منها، وقال لها: سيري على ذمة (أهل)[2] الله. وسارت البغلة مع الوادي، وأخذ الناس بيده وأخرجوه، وخرجت البغلة من أسفل المشرع، وجاءت إلى الدواب.

---

[1] عبدالعزيز أغيول (-1199هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/408-409.

[2] ب: ساقط.

وكان في الليل إذا أراد أن ينام يقول: القمر والبغلة بيضاء، يا أهل الله. والبغلة من غير قيد والطرف، يا أهل الله، (يا أهل الله)[1]. (وينم)[2]. هاذه كانت عسته.

وتقدمت قضيته معي في حجتي في ترجمة سيدي علي بن ناصر الورياجلي الحمدوشي، رضي الله عنهما.

وبتنا معه ليلة مع الفقراء عند بعض الإخوان، أصحاب سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي، وكان الناس محتاجين إلى الشتاء غاية، فقال له أخونا وشيخنا سيدي علي بن محمد قصارة، رحمه الله تعالى: يا سيدي عبد العزيز، كانت وقفة، واحتاج الناس إلى المطر زمن مولانا إسماعيل، قدس الله روحه، وبات الفقراء إخواننا عند أخينا الدراوي ابن جلون، وحازوا أخانا سيدي الحاج عبد القادر جسوس، رحمه الله، في الشتاء، فقال لهم: نطلب الله يعطينا الشتاء. فقاموا إليه، وأوثقوه من يديه ورجليه، ورموه في خصة الدار في الماء، وحلفوا لا يطلقونه حتى تنزل الشتاء، وهو يبكي ويتضرع إلى الله ويبتهل ويدعوا، وهم يؤمنون. فوالله ما أطلقوه حتى نزلت الشتاء في تلك الليلة، واليوم لا يوجد شيء من هاذا. فقال له سيدي عبد العزيز: حتى اليوم الناس أو الرجال موجودون، لم ينقطعوا، كل وقت ورجاله، يا أهل الله. ثم قاموا إليه وأوثقوه، ورموه في الخصة المذكورة، وجعل يبكي ويدعو، والناس يؤمنون، فإذا بالسحاب قد طلعت، ونزل المطر قليلا، وأطلقوه، فما أصبح حتى (فتر)[3] المطر، فقالوا له: يا سيدي، قد فترت الشتاء من غير ري، يا سيدي عبد العزيز. فقال لهم: طلبتم الشتاء يا أهل الله، ولم تطلبوا الري، ولو كنتم طلبتم الري، لرويتم، يا أهل الله.

وكان، رحمه الله تعالى، يغضب ممن يقول له الصالح، ولا يحب ذالك، وفي ابتداء أمره كان يحبها، ويتحلى معها، وإن كنت معه في خلوة يقول لي: (من درا)[4] يا فلان، (كان رأيت في)[5] هاذه الصلوحية في عمرك أم لا؟ فنقول له: لا. فيقول: والله يا أخي، إلا أحببت أن أنظرها كيف هي. فنقول: هي عندك. فيقول: والله ما رأيتها، عييت نتبع ونخدم، والذي عنده شيء (صر)[6] عليه ولم يظهره لي.

وكان له، رحمه الله، حرفتان: حرفة (تفسير)[7] الكتب، وحرفة صنع المسابيح، يكون في هاذه مدة ويتركها ويسيح، ويعمل الأخرى مدة ويتركها، ويبقى متجردا. ثم إنه آخر عمره عمل صاحب السلام بمولانا إدريس ثم قطع، ثم عمل نيارا بالحانوت ذات البابين أولى يسرة الداخل لسوق الجديد من أسفله.

---

[1] ب: وحازوا.
[2] كذا.
[3] ب: نزل.
[4] كلمة دارجة معناها: هل.
[5] ب: رايت.
[6] كلمة دارجة معناها: ستره وأخفاه.
[7] كذا، وهو تصحيف من النساخ، والصواب: تسفير.

ووقفت يوما عنده وهو يتجادل مع بعض الطلبة جالس عنده، والطالب يحلف له إنه لصالح، وسيدي عبد العزيز ينكر ذالك. فلما سلمت، قال الطالب: الحمد لله الذي جاء من يفصل بيننا. فقال سيدي عبد العزيز: رضيت. وقال لي: بالله عليك يا سيدي محمد، أأنا عندك صالح؟ قلت: نعم. فقال: الله، أأنت تقول هاذا؟ من أين لك به؟ قلت: ومن أين لك بنفي الصلاح عنك؟ فقال: لا تحل لك هاذه الشهادة. وهل رأيت لي من علامات الصلاح؟ فرفعت عند ذالك بصري إلى الطراز المحمل على السوق، وحائط كله مشقوق، وكان منذ عمل بعيبه سنين، فقلت له: وهاذه أكبر العلامات. إنك منذ كذا وأنت متجرد عن الأسباب كلها، حتى جئت الآن وأقعدوك عنده دعيمة له ليلا يسقط، وليس المراد بجلوسك هنا لخدمة الصنعة. ولما قلت له هاذا، صاح صيحة عظيمة، وقال: الله، الله، إيش هاذه الفضيحة، خف الله. والله حتى تمشي عني. فانصرفت عنه، وتركته مع ذالك الطالب، وكان وقت الظهر.

فدخلت الدار، فوجدتهم يتغدون، فقام ولد أخي على المائدة، وجلست في موضعه، وخرج للمسيد؛ مسيد الشراطين، وأكلت لقمة أو لقمتين، وإذا بولد أخي يقول: يا عم، يا عم، طراز سوق الجديد سقط على من فيه من السوق ومن بحوانيت سوق الجديد، وبلغت الغبرة عند المسيد، والناس يقولون: سيدي عبد العزيز سقط عليه الردم. فقمت وخرجت مسرعا جزعا، فلحقت الغبرة باقية، وصلت إلى باب مدرسة الشراطين، وجاء سيدي عبد العزيز، رحمه الله تعالى، مع الغبرة وحايكه تحت إبطه، من غير عمامة ولا نعال، فقال لي: هاكذا أفضحت هاذه الفضيحة. ثم قبضني، وقال لي: بالله عليك، من الصالح الآن فينا؟ هل أنا أو أنت؟ ثم جاء الناس بعمامته ونعليه، ومات أناس بالردمة، رحمة الله علينا وعليهم.

صحب، رحمه الله تعالى، كثيرا من أهل الخير، من علمت ومن لم أعلم. فممن علمت: سيدي أحمد بن محمد الشيخ الإمام، القطب الهمام، ابن شيخ المشائخ، العلامة العامل، الورع الزاهد، سيدي عبد القادر الفاسي، والشيخ سيدي العربي بن عبد الله معن، المتقدم ذكره، والعلامة الورع، سيدي الحاج عبد الكريم السرغيني[1]، المتقدم، رضي الله تعالى عن جميعهم.

وكان، رحمه الله تعالى، يحضر معنا في الحكم في الخميس والجمعة عند شيخنا سيدي محمد جسوس، وعند أخينا سيدي عبد المجيد في قراءة النصيحة الكافية وغيرها.

وكان، رحمه الله تعالى، في آخر عمره يشهر قبور الصالحين المندثرين، ﷺ، ونفعنا بهم. وكان أيضا في الأواخر يمد شملة حائك في الأسواق، ويطلب من الناس الفلوس والدراهم، وما يجمع من ذالك، يشتريه حمصا وتمرا، فيفرق الحمص على الصبيان، والتمر يبيعه للناس بالواحدة والاثنين.

---

[1] عبدالكريم السرغيني(-1164هـ) ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/383-386.

بعث، رحمه الله تعالى، من ورائي، وهو في مرضه الذي توفي فيه، وقال لي: انظر لهاذا القمل الذي أصبح بي. فنظرت فإذا هو مكسو بالقمل البيض، وهو يمشي على وجهه ولحيته وعمامته وجميع ثيابه وفراشه وغطائه وجسده، وعلى جميع أعضائه، كان قمل رقيق أبيض، لا واحدة أكبر من الأخرى، فقال لي، رحمه الله تعالى: أردتك أن تفلي لي هاذا القمل، فإني رأيتك أولى به، وأحق من يكشف علي من غيرك، ولا نرد من يطلع على غيرك، ولاكن سر إلى الزوال، وارجع عندي. فخرجت عنده، وجئته عند الزوال فلم نجد عنده ولو قملة واحدة. فقلت له: يا سيدي، جئت عندك بقصد الفلي، والآن من أفلاه لك؟ فقال: لم يفله أحد، وإنما الذي أعطاه أخذه، والآن (لا تغيب)[1] عني. ورأيت الزايد معه، فقلت له: يا سيدي، كنت فرحتني بفلي القمل، فلم يكتبه الله لي، والآن أطلب منك تلك الوندية المباشرة للحمك، لوندية صوف كانت على لحمه دائما. فضحك، رحمه الله، من قولي، وقال لي: وهل هي لي؟ إنما هي لأهلها، يعطونها لمن أحبوه. فسبحان الله المتفضل على أوليائه وأحبائه.

وتوفي، رحمه الله تعالى، من يومه ذالك، سنة تسع وتسعين ومائة وألف، ودفن بالقبب، قرب سيدي أحمد اليمني[2] وسيدي يوسف الفاسي وسيدي أحمد بن عبد الله معن. وكانت له جنازة عظيمة، حضرها الخاص من الناس والعام، وكنت، والحمد لله، المتولي لغسله وحشره وتلحيده، رحمه الله تعالى، ونفعنا به وببركته آمين.

وأنشد الشريف العالم، سيدي محمد بن الطيب القادري الحسني أبياتا في تاريخ وفاته، رحمه الله تعالى، وهي مكتوبة في زلاليج عند رأسه.

[أحمد السلوي] [3]

ومنهم المرابط البركة، السالك الأمي، ذو الأحوال الربانية، والموارد الإلاهية، أبو العباس، سيدي أحمد، السلوي أصلا، التازي منشأ، الفاسي دارا وقرارا، الحرار حرفة.

كان، رحمه الله تعالى، قاطنا بوطا فرقاشة، قرب زاوية الناصريين وضريح سيدي محمد الحاج، نفعنا الله بالجميع، وكان يخدم صنعة الحرير عبارقى، وكانت ترد عليه أحوال. كان يخدم صانعا مع سيدنا الوالد، رحمه الله تعالى، في مرمة فيكون يخدم، ثم يرد عليه ما يرد، وينزل ويخرج إلى الأسواق، تارة بالحائك وتارة بغيره مجردا، ويسير إلى أين ما رده الله.

[1] كلمة دارجة معناها: لا تغب.

[2] أبو العباس، أحمد بن محمد بن إدريس اليمني (-1113هـ). ترجمته في: مباحث الأنوار: 285-292. نشر المثاني: 121/2-131. التقاط الدرر: 281. سلوة الأنفاس: 384/2-386. الإشراف: 95/1.

[3] أحمد السلوي (-1195هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي: 134-135.

وبقيت تلك المرمة بركة، لا يخدم فيها أحد إلا فتح الله عليه فتحا مبينا، خدم فيها الشريف سيدي عبد الله ابن الشريف الفقيه، الأستاذ الجامع للعشر، سيدي إدريس المنجرة، المتقدم ذكره. كان، رحمه الله، يخدم صنعة الحرير عبارقى في ابتداء أمره، وتولع بقراءة القرآن حتى حفظه، وجمع على أخيه سيدي عبد الرحمان المذكور الرواية، وقرأ الفقه والنحو والحديث، وكان بمراكش عالما علامة حتى توفي بها.

وخدم بتلك المرمة أيضا في أول أمره وفتح عليه، الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، الزاهد الورع، سيدي عبد الرحمان[1] بن الخياط حسين، رحمه الله تعالى. خرج عام خمسين من أجل العيلة من القراءة، ورجع في صنعة تحررت، فكان يخدم عند سيدنا الوالد متعلما في تلك المرمة، ووقت القراءة يخرج للقراءة.

كان صاحبا لأخينا سيدي عبد المجيد، رحمه الله، ملازما له، ويجلس عنده في مجالسه. ولما فتح عليه في العلم وذاق حلاوته، خرج، فكان كل من وجده يقرأ العلم يجلس عنده حتى مات أخونا المذكور.

وعرف العلامة سيدي عمر بن عبد الله الفاسي المتقدم ﷺ، فكان يقرأ عليه حتى كان منه ما كان، وتوفي عام خمسة وتسعين ومائة وألف.

وأما صاحب الترجمة، سيدي أحمد السلوي، ﷺ، فكان يخبر بأمور غيبية وقت فيضانه، فتكون مشرقة كالشمس.

وكان، رحمه الله تعالى، محبا في أهل البيت. ولما عزمت على السفر للحج، وبقي للركب يومين أو ثلاثة، جاء عندي بين المغرب والعشاء، وقال لي: أنت مسافر هاذه السنة؟ قلت: إن شاء الله تعالى. فقال لي: أو يمكنك الرجوع عن ذالك في هاذه السنة؟ فقلت له: لا. فقال لي: إن هاذا الركب تجوز عليه ضبابة، (أردناك أن تحد عنها)[2]، وفي العام القابل، إن شاء الله، نمشي أنا وأنت والسيد الحاج أحمد شقشاق، وكان صاحبه، إن شاء الله تعالى. فقلت له: لا أؤجله أبدا، والأجداد أقسموا علي إذا لم نسافر هاذه السنة لا كان مني شيء أو كائنة. فذهب عني خلفات، ورجع، وقال لي: تشتري لي غدا، إن شاء الله، رطلا من الحناء. فقلت: حبا وكرامة. وانصرف. ومن الغد جاء، فاشتريته له ودعا لي بخير وودعني وسافرنا.

فلما بلغنا واديا بالجريد، يقال له غبيران، وجدنا فيه نحو الأربعمئة فارس كامنين به، فغاروا على الركب، ونهبوا منه مالا كثيرا، ووقع الشر كثيرا، مات من مات، وجرح من جرح، وكل ما عندي في سحارة، وكلما غارت الخيل إلى تلك السحارة ترجع عنه بإذن الله، وتجيء أخرى كذالك، وأخرى وأخرى كذالك، إلى أن افترق الشر، وبقي من حولنا واقفا في الخلاء وحده بسحارته.

---

[1] أبو زيد، عبدالرحمان بن الخياط حسين (-1193هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 183/1.

[2] ب: ساقط.

ووقع كذالك في برقة في التشرقة في معطن التميمي، غاروا على الركب أولاد علي، ووقع الشر كذالك، ونهبوا ما نهبوا من الركب، وحفظ الله تعالى من حولنا بسحارته. وكانت الخيل تجوز عنه، ويتركونه بإذن الله تعالى وبركة الأجواد.

وتوفي صاحب الترجمة، سيدي أحمد السلاوي المذكور، بالحجاز قرب مكة في الخروج منها، عام سبعين ومئة وألف.

[علي بن أحمد طورة][1]

ومنهم الشيخ المرابط، المسن البركة، الجوال السائح، سيدي الحاج علي بن أحمد طورة، الأندلسي أصلا، الفاسي دارا، القاطن بجزا ابن عامر من فاس الأندلس.

كان، رحمه الله تعالى، من الأكابر، وفي ابتداء أمره كان يتجرد في الحضر والسفر، ثم تجرد عن الأسباب، وساح سياحة طويلة، ولبس الدربلة، واجتمع في سياحته بمشائخ شتى، فزار وأخذ، واستفاد وتبرك، وجال في بلاد المشرق ونواحيها، حاضرتها وباديتها، وتونس وأهلها، وما حولها من نواحي، وطرابلس وأهلها وما حولها، ومصر وأهلها، وبواديها وقراها، والأسكندرية وما فيها، وما هو من حضرها، والصعيد والحجاز وأهل ذالك، (وأهل مكة المشرفة)[2] ونواحيها، والطائف ونواحيه، والمدينة المشرقة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وأهلها ونواحيها، والشام ونواحيه وأهله ومدائنه؛ حواضره وبواديه، وكذالك بغداد والبصرة والكوفة والعراق، وبعض من المغرب. وزار قبور الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام. وكل هاذه الأقاليم المذكورة، سهلها وجبالها، زار الأموات فيهم ولقي الأحياء منهم، ولم أقف على معتمده منهم، ﷺ، وكل منهم يخبرك عن شيخه ومستنده وكراماته.

وكان، رحمه الله تعالى، ذاكرا لله شاكرا صابرا حازما في جميع أوقاته. وكانت حاله تارة جلالية، وتارة جمالية، ولما تبصر من عينيه، عادت أحواله جلها جلالية. وكان من أكثر دعائه، رحمه الله تعالى: من كان على سيرة حسنة، فأعنه وزده خيرا، ومن كان على سيرة خبيثة، فتب عليه، ونج الجميع.

وكان، رحمه الله تعالى، كثيرا ما يتبرأ من الدعوة من حيث هو، ولا ينسب شيئا لنفسه قط، متبرئا من الحول والقوة، ولا يخرج نفسه عن دار العجز وعدم القدرة وهو صاح إلا إذا اعترته حال وخرج منه بعض الكلام غلبة، وذالك قليل.

وكنت أعرفه، رحمه الله، ولا أزعم عليه، حتى وجدته يوما بعد صلاة الظهر بقبة مولانا إدريس، رحمه الله، فأدار وجهه عندي، فسلمت عليه، وقال لي: كيف أنت؟ قلت: بخير، والحمد لله. فقال: وما هو عملك اليوم؟ قلت: سفساوي. فقال: سفساوي؟ فقال: منهم

---

[1] علي بن محمد طورة (1191هـ). ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب: 2412/7..

[2] ب: ومكة المشرفة وأهلها..

أنت؟ قلت: نعم. فقال: اعرف ما تقول. قلت: عرفت ما قلت؟ ثم أعاد علي: أنت منهم؟ قلت: من كبرائهم. فقال: أو تقدر عليها تحضيها وتصونها؟ قلت: ببركتكم، إن شاء الله تعالى. فقال: أو نتعاهد عليها؟ قلت: نعم. فمد يده، وقال: هات يدك. فمددت يدي، وتصافحنا وتعاهدنا عليها. وقرأنا الفاتحة، وزورني مولانا إدريس، نفعنا الله به.

قلت ملحونا في بيت:

تَسَفْسَاوِيتْ عَنْدْهَا مَا هِيَ عَيْبْ (وَاهِيَ تْجِيبْ عَنْدْ تَسَافْسَاوِيتْ) [1]

فكان، رحمه الله تعالى، كلما حضرته مائدته يقول: أين شيخ السفساويين؟ وإن لم نحضر، يبعث من ورائي، من شدة حبه إياي، ويسأل عني وعن أحوالي كثيرا.

وكان، رحمه الله، إذا غلبه حاله سكت وسكن، وإذا تكلم كأنه أسد، لا يزعم عليه أحد، وإذا كلمته في حالة صحوه، يقول: ولعله نطلب الله تعالى يكن، إن شاء الله.

وبتنا عنده ليلة بداره مع جماعة من الفقراء بعد ذهاب بصره، فلما حضر الطعام وجلسنا عليه، قال: يا مولاي محمد، أعطوكم المغروف؟ فقلت: يا سيدي، الربح ربحنا كلنا، لا نحتاج إلى مغراف. فقال لي: الله يرضى عنك، والله إلا كذالك هو.

وكان، رحمه الله تعالى، كلما مرض يقول في مرضه: إني لا أموت في هاذه، وإنما أموت، والله أعلم، عام كذا من شهر كذا. فكان الأمر كذالك كما كان يقول.

توفي، رحمه الله، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ربيع الثاني، ودفن يوم الأربعاء سنة إحدى وتسعين ومئة وألف، وأوصى، رحمه الله تعالى، بمباشرة غسله، فباشرته، ودفن بزاوية الشيخ سيدي علي بن علي المجذوب، المذكور آنفا، في سيدي يعلى من طالعة فاس الأندلس، وبنيت عليه قبة هنالك، فكانت له جنازة حفيلة عظيمة، كان فيها كالعروس، رحمه الله تعالى، ونفعنا به وبأمثاله، آمين.

[محمد الشلح البقال]

ومن أصحاب الشيخ طورة المذكور، الطالب الأجل، المرابط الأفضل، الخير الدين الناسك الأكمل، أبو عبد الله، سيدي محمد الشلح، المدعو البقال، لكونه، رحمه الله تعالى، كان بقالا يبيع الزيت في ابتداء أمره، ثم انتقل لبيع الخضرا الصيفية والخريفية، إلى أن فتح الله عليه بملاقات الرجال ومعرفتهم، علماء وغيرهم، فعرف سيدي عبد الله بن عبد الله المذكور آنفا، وكان يعرف السادات الفاسيين.

---

[1] ب: ما هي عندنا عيب تسفساويت.

وتولع بمطالعة كتب القوم ابن عباد والشيخ زروق والشعراني، ﷺ. وكان أكثر ولوعه بكتب الشعراني، لأن كلامه كان يؤثر فيه، حتى كان يقول: إنه فتح الله علي من كلام سيدي عبد الوهاب، فإني أحبه وهو يحبني وشيخي.

ولما ورد الشيخ طورة على فاس واستوطها، عرفه ولازمه، وكان يخدمه (حتى ظهرت علامات الخير)[1]. ولما توفي طورة، اشتهر سيدي محمد وظهر، وعرفه الناس واتهم بالخير.

وكان، رحمه الله، عساسة قنطرة الرصيف. توفي، رحمه الله، في (واحد وخمسين)[2] ومئتين وألف، ودفن بمطرح الجنة بين سيدي الحاج عبد الوهاب التازي المتقدم وسيدي محمد بن يونس المتقدم، وكنت المباشر لغسله. وكانت له جنازة عظيمة، حضرها الخاص والعام من الناس، وبنيت عليه روضة هناك.

[عبد المالك الرويمي الدقاق][3]

ومنهم الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، مولاي عبد المالك الرويمي، الشهير بالدقاق، لبيعه الدقيق.

كان، رحمه الله تعالى، ذاكرا لله تعالى وملازما لقراءة دلائل الخيرات، ومحبا لأهل الخير، وكان الناس يردون عليه كثيرا بقصد الزيارة والتبرك، وكان من أهل العناية الربانية والأسرار الوهبية، والأحوال العرفانية، من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: "إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم"[4]، ويخبر بأمور غيبية فتكون كذالك، ولاسيما إن حلف على ذالك.

وكان، رحمه الله، في حالة البسط تمرغ عليه كيف شئت، وإذا كان في حالة القبض، فلا يقدر أحد أن يزعم عليه، ولا يقربه وهو على تلك الحال، إلا من لا خبرة له، لأن دعوته كانت لا تسقط في الأرض قط؛ لا بخير ولا بشر.

ولا أعرف له شيخا، وكل أهل الخير الموجودين في وقته كانوا يأتونه لدكانه، يعودونه ويتبركون به، ويتسارون معه، ﷺ.

توفي، رحمه الله تعالى، عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف، (ودفن بجزيرة أمام حمام قنطرة أبي الرؤوس، المسمى بحمام العرابين من طالعة فاس القرويين)[5].

---

[1] كذا، ولعلها ساقطة من الجملة كلمة عليه، فنقول مثلا: حتى ظهرت عليه علامات الخير.
[2] بياض في المخطوط، الزيادة من "الروضة المقصودة".
[3] أحمد السلوي (-1195هـ). ترجمته في: فهرسة التاودي: 134-135.
[4] انظر قريب منه فيض القدير: 540/2.
[5] ب: ساقط.

[محمد بن علي القيرواني]

ومنهم الشريف المرابط الأجل، المسن الجوال الأفضل، أبو عبد الله، سيدي محمد بن علي القيرواني. كان، رحمه الله، أميا سالكا، سياحا جوالا في المشرق والمغرب، ذاكرا متجردا، زوارا للأحياء والأموات كثيرا.

أصله من القيروان، وجال المشرق إقليما بعد إقليم، بواديه وحواضره، وجاء إلى المغرب وجال فيه كذالك حتى بلغ سوس الأقصى، ولقي بها بعض أهل الخير، وسأله عن سياحته، فأخبره بها، مشرقا ومغربا، حتى سأله عن فاس الإدريسية، فقال له: جلست بها كذا، ولقيت بها رجالا، فلانا وفلانا، وزرت بها الأحياء والأموات. ثم سأله عن كاتبه، فقال له: وهل لقيت بها فلانا؟ فقال: لا. فقال له الشيخ: لو لقيته لكان أفضل وأحسن. فلما سمع الشيخ الشريف، صاحب الترجمة، ما قال له الشيخ، قال: رجعت إلى فاس من سوس، وبقي بفاس نحو الشهرين أو أكثر، وهو يراني وأنا أراه في تلك المدة، ولا عرفني ولا عرفته، وهو أنسى اسمي، ولم يمكنه السؤال عني، وبقي تائها. وكان يجلس في بعض المرات بحانوت الشريف سيدي محمد بن الشريف البركة، مولاي عبد السلام الكانوني بالعطارين الكبرى، ويخطر في قلبي أن أسأل عنه الشريف رب الحانوت المذكور، ويثقل ذالك علي، حتى عزمه بعض المحبين ليلة يبيت عنده على وجه الضيافة والإكرام، وعزمني ذالك المحب، فقال لي: لقيت إنسانا بسيدي أبي علي، نفعنا الله به، وأعجبني حاله وكلامه ومرافقته، فعرفته هاذه الليلة وأردتك أن تجتمع معه، لأنه معه المعرفة، وأنت تقدر على الكلام معه عني. فبت عنده معه، وحضر معنا بعض الإخوان. ولما تلاقينا عرفته، وأنه هو الذي كان يجلس عند سيدي محمد الكانوني المذكور. فحضرت ساعة ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ، ونفحت نفحة إلاهية. سأل عند ذالك صاحب الترجمة رب الدار عني من أنا، فقال له: ذالك فلانا. فلما سماني له، صاح الرجل صيحة عظيمة، كاد أن يخرج عن حسه، وترامى علي وعانقني، وجدد معي السلام، وغلبه البكاء، وجعل يجازي رب الدار خيرا على الملاقات، لأنه هو السبب فيها. فقلت له: إن الشيخ سيدي أبا علي الذي التقيتما عند زيارته، هو الذي ألقانا، نفعنا الله به، لأنه رجل جواد يكرم ضيفه، ﷺ. فجلسنا عند ذالك وتذاكرنا، وسألته عن اسمه ونسبه، فأخبرني بذالك، وعن حاله وسيره، حسبما تقدم.

وبقي معي بعد تلك الليلة نحو الأربعة أشهر، لم يفارقني قط فيها، ليلا ولا نهارا، يقيل يوما بباب صومعة مولانا إدريس، نفعنا الله به، وبالليل إن عزمه أحد يقل له: قلها لفلان، فإني لا أمشي لأحد إلا بمشورته. فيمشي ونمشي معه، وإذا لم يعزمه أحد يبيت

عندي بداري، فهاذا كان دأبه [في تلك المدة. وكانت سيرته يقبض من الغني ويعطي للفقير.

وكنا ماشين معه ليلا بقصد المبيت عند من عزمنا، وجزنا على حومة الصاغة، وبها موضع معد للفساد والجماعة السوء، وبذالك الموضع ضوء، فسأل صاحب الترجمة عن ذالك الموضع فأخبرته، فدعا عليه بالسقوط، فأصبح من ليلته ساقطا.

ووجدني يوما جالسا مع بعض الإخوان كان يحب الظهور، ويحب أن يتزبب وهو حصرم، ويجمع عليه الناس ليكونوا مريدين له، وأنا أنهاه عن ذالك وأزجره، ونحن بمولانا إدريس، نفعنا الله به، فجلس صاحب الترجمة معنا، وقال بنفس ما جلس لذالك الإنسان: يا فلان، اسمع لما يقول لك مولاي محمد، والله لو خالفت أمره، لم يسخر لك شيئا. وقال لي: يا مولاي محمد، هاذا فلان صاحبك يعتزل عنك، والله لا زاد ولا نقص. ولا بقي إلا يدور لهاذا إلى هاذا حتى لم يحصل فائدة من هاذا ولا من هاذا، وها أنا أقول وأنا بمولانا إدريس. فمن ذالك اليوم اعتزل عني ذالك الإنسان، واعتزل عنه من كان يتبعه، وجمع آخرين وتفرقوا بعد الجمع، وانتصب للسياحة ولم تسخر له، وعمل الخلوة الأولى والثانية والثالثة ولم تسخر، وبقي على حاله إلى الآن من دعوة، صاحب الترجمة، لم يسخر الله له شيئا من ذالك، وبقي ينور ولم يغب.

ثم خرج صاحب الترجمة من فاس إلى فشتالة، وجاور هناك عند الشيخ أبي شتاء الخمار[1]، ﷺ ونفعنا به، مدة، ثم انتقل إلى مولانا عبد السلام بن مشيش، ﷺ ونفعنا به، ثم زار أهل تطوان، الأحياء والأموات، ثم رجع إلى وزان، ولقي بها الشيخ مولاي الطيب المتقدم ذكره ﷺ ونفعنا به، ثم زار مولانا إدريس الأكبر بزرهون، نفعنا الله به. وانقطع عنا خبره، إلى عام تسعة وتسعين جاء بعض الإخوان، وأخبر أنه لقيه بالشام وتركه عازما على المسير إلى بغداد لزيارة الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني، ﷺ ونفعنا به. ذهب ذالك المخبر إلى بغداد أيضا، ولقيه بها، وجاء وأخبرنا بأنه بخير كثير، وأدرك دنيا وعليه جمع كبير من الأتباع، وهو على حاله الأولى يقبض من الغني ويعطي الفقير.

[عبد الله اللبان] [2]

ومنهم المرابط الأجل، الخير الناسك الأفضل، المتقشف الخامل، أبو محمد، سيدي عبد الله، المعروف باللبان، لأنه كان يبيع اللبن بحانوت بسيدي موسى بن علي من حومة جرنيز من فاس الأندلس.

---

[1] أبو الشتاء، محمد بن موسى الخمار (-997هـ). سلوة الأنفاس: 155/1. وانظر مصادر ترجمته في الإشراف: 59/2، هامش: 205.

[2] عبدالله اللبان (-1194هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 47/2.

كان، رحمه الله تعالى، أسمر اللون، ربعة رطب العينين، دائما يسد أذنيه بالقطن، ساكتا، لا يتكلم إلا فيما يعني، سالكا سنيا، مسقط الدعوة، إلا عن غلبة، يحب العلماء وأهل الخير، كثير الذكر، ملازما لكراسي الوعظ، والناس كثيرا يقصدونه، ويلتمسون منه الخير.

ولقد جاء يوما بعض المنسوبين المدعين في الوقت من مراكش، حديث وله صيت، لزيارة مولانا إدريس، نفعنا الله به، فلما سمعنا به، اجتمعنا جماعة من الإخوان، وقصدنا مولانا إدريس لملاقاته والتبرك به، فوجدنا ذالك الإنسان جالسا عند الضريح الشريف، ونعليه ملتصقين بالدربوز، وهو يسجد للأرض، ورأسه تحت الكسوة، فقلت عند ذالك نيتي فيه، وقلت: هاذا سوء أدب. وإذا بسيدي عبد الله، صاحب الترجمة، أقبل علينا، وقال: قوموا. فقمنا معه، وخرجنا حتى وصل روضة الشيخ سيدي موسى بجرنيز، ودخل ودخلنا معه، وصلينا العصر هنالك جماعة، وجلسنا نتحدث معه. فعاتبنا على ما صدر منا من الزيارة لذالك الإنسان عند ضريح مولانا إدريس، نفعنا الله به، وقال: هو جاء زائرا، وأنتم تزورونه عند المزار؟ فقد ساء الأدب في سجوده لغير الله، وفي طرح نعليه عند الضريح، وأنتم سؤتم الأدب حين زرتموه، وهو بين يدي السلطان، ونويتم بذالك. والصواب أن من يجيء إلى ملاقات السلطان، فليسأل عن أصحابه ويزورهم ويتبرك بهم قبل زيارته، ليكونوا له واسطة بينه وبين السلطان، ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[1]، فتزورونه، ثم أنتم جئتم إليه ليزوركم، فأخطأتم كلكم.

وتكلم كثيرا في ذالك، فكان في كلامه في تلك الساعة إشارة بموت الفقيه سيدي محمد بناني المتقدم وقرب أجله، فمات في تلك الأيام. وأشار على أخينا سيدي محمد بقرب أجل أبيه وشيخنا، العلامة سيدي محمد جسوس، ﷺ، فكان الأمر كذالك. وكل ما أشار به في ذالك المجلس كله صح.

ومن كراماته ﷺ أن حاكم البلد (الكرسي)[2] الذي نقرأ فيه بمولانا إدريس، نفعنا الله به، وبفاس العليا من غير موجب شرعي، وإنما ذالك بموجب شهواني، من أهل النميمة والغيبة، (نعم)[3]، وحلفت أن لا أرغبه ولا أتذمم له، ولا أبعث له أحدا يرغبه. ثم بعد ثلاثة أيام، سقط القائد مريضا بدماميل، بقي بها حتى مات. وبقيت الكراسي في يد الغير يقرأ فيها، حتى لقيت سيدي عبد الله، صاحب الترجمة (قبيل)[4] الفجر يوما داخلا للقرويين من الباب المقابل للشماعين، فلما نزع نعليه، التفت إلي، وأنا لا معرفة لي به، وقال لي: ما فعل صاحبك؟ وما فعلت مع صاحبك؟ فقلت: الله الفاعل المختار. فقال لي:

---

[1] سورة البقرة:188.
[2] كذا، ولعله ساقط كلام، مثل: عزلني عن الكرسي، وجاء هاذا التعبير للمؤلف في موضع آخر عن هاذه القصة.
[3] كذا.
[4] ج: قرب.

اتفق الناس على ظلمه إياك، وإنك مظلوم. ورد وجهه إلى القبلة: اللهم أهلكه، ثلاثا. ثم قال: الذي ضربه حلف بالحرام عمره لا قام. وانصرف عني.

ثم بعد ذالك بأيام، سمعنا بالسلطان بمكناس، فاجتمع بالقرويين القاضي والعلماء وأمروني بالمشي بهم إليه، وتكفل لي القاضي بالكلام مع السلطان في أمري، وساعفتهم لذالك. وبتنا بنية السفر، وكنت نائبا عن إمام القرويين في الصلاة الليلية، فدخلت القرويين ليلة السفر بعد الفجر، وجلست عند العنزة أرتقب إقامة الصلاة وأنا أتلو القرآن حتى بلغت عند قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عبد هُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ من دُونه)[1]، إلى قوله (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّه)[2] الآية. فاقشعر عند ذالك جلدي، فجعلت أرددها في لساني، وكلما كررتها ازددت شجاعة وأمنا، حتى أقسمت أن لا أمشي لسلطان ولا لغيره، ثم أقيمت الصلاة وصلينا، وذهبت إلى الدار، فوجدت ولدي قابضا للبغلة التي نسافر عليها، فأمرته بردها إلى ربها. ولما جاء السلطان إلى فاس، وطلعنا عنده لفاس العليا لصلاة الجمعة، فروى الحديث الطالب الذي نفذ له القائد المذكور الكراسي. ولما فرغنا من صلاة الجمعة، سأل السلطان عن الراوي للحديث، فسموه له. فسأل عني، فقالوا: إنه حاضر هنا، وأخبروه الخبر، فأمر بنزول المنفذ له عن الكرسي، وأمرني بالقراءة، فصعدت على الكرسي وقرأت. وبقي القائد أياما ومات، وذالك عام ثمانين ومائة وألف.

وتوفي سيدي عبد الله اللبان، صاحب الترجمة، سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن بروضة القرطبي برأس القليعة.

[الحسن عيوش عوينة]

ومنهم الرجل الخامل المتقشف، الخفي الساكت الرطب، اللين العازب، سيدي الحسن عيوش، المدعو العونية.

كان، رحمه الله تعالى، بدكان فوق فندق خنوسة المقابل لمسجد الأبارين من حارة قيس يبيع فيها الخضر كل وقت ووقته، وكان يصنع الرفارف ويبيعهم للصبيان، ويصنع البريرات والمكبات للحرارين والطرازين، وكان يصنع في عاشوراء شميعات الفانيد الملون وأحكاك وما أشبه ذالك، هاذا كان معاشه، ﷺ. ولم تره يحلف قط، ولا يغضب قط، وإنما كان يتكلم مع الناس بكلام لين متبسما. هاذا حاله وسيره دائما.

[1] سورة الزمر: 35.
[2] سورة الزمر:36.

وإذا اشتريت منه شيئا، أو ساومته عن قيمته، تشتريه منه، يتبسم ويقول: بكذا. وإن قلت: بعه لي بكذا، بأقل مما قال. يقول لك: يا ابن سيدي، خذ أو خلي، ولا تكثر كلاما، وذالك بصوت ضعيف جدا.

ولم يكن أحد يتهمه بشيء قط، من كثرة خموله وتستره، حتى لترى أحدا يكثر الوقوف عنده بحانوته، ولا يكثر الهدر معه.

وكان يأوي ليلا بزنقة حجامة؛ بدويرة لأولاد الغرديس، ولن تراه قط في ليلة أو في نزاهة أو في جنازة، وإنما كان عازبا عازلا عن التباعات والعلائق كلها. وبقي على هاذه الأوصاف، إلى أن توفي، رحمه الله، عليها وبها.

وكنت أعرفه من جملة الناس، ولما مات لم أعلم به، وكان يوم جمعة، حتى فرغنا من صلاة الجمعة، وأقيمت الصلاة على الجنازة، ونحن في أثنائها، إذا بهاتف قال لي في أذني: احضر هاذه الجنازة، فإن صاحبها من أهل الجنة، أو من أهل الخير. فلما سلمنا، سألت من كان بإزائي عمن قال تلك المقالة، فأجابوا بأن لم يروا أحدا. فخرجت إلى باب المسجد، وسألت لمن الجنازة، فقيل لي: العوينة عيوش. فقلت: الله أكبر، والله كانت حاله حال الصالحين، رحمة الله عليه. ومشيت مع الجنازة على القبر، ونزلته في قبره وأقبرته، رحمه الله تعالى، وذالك قرب الشيخ سيدي مبارك ابن عبابو خارج باب الجيسة، ﷺ وأرضاهم، سنة ثمان وسبعين ومئة وألف.

[محمد جرواح]

ومنهم الفقير المرابط، الخير الناسك، الغريق في بحر الوحدة، أبو عبد الله، سيدي محمد جرواح.

كان، رحمه الله تعالى، من الذاكرين لله، والمخبين في الله وفي رسول الله ﷺ، وكان من أصحاب الشيخ مولانا أحمد الصقلي المذكور، نفعنا الله به.

وكان له دكان بالشماعين يبيع فيها الفاكهة، وكان لسانه ليلا ونهارا لا يفتر من: الله، الله، حتى كان من يسومه على شيء في حانوته، يقول له: الله، الله، برطل وربع. وإذا أراد المشتري أن يختار مشتراه، يقول له: الله الله، لا تخترش. الله الله، كل واحد.

بقي، رحمه الله، على هاذا الحال، حتى سكن ذالك في سويداء قلبه، وامتزج بدمه ولحمه، ثم غلب ذالك عليه حتى خرج عن الدكان بما فيه وتركه، وصار يهيم في الأسواق وغيرها، في قميص لا غير، ولسانه لا يفتر من قوله: الله، الله. ومن تكلم لا يكون له جوابا إلا: الله، الله. حتى لم يشاهد إلا الله في كل شيء، لغيبته فيه حتى نفسه، حتى توفي، رحمه الله تعالى، وهو يقول: الله، الله، الله، عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

ومن غريب ما وقع لي معه، دخلت يوما قرب الفجر للحمام وهو في ظلمة يتوضأ، ولا عرفت أنه هو، فدخلت حذاءه في ذالك الموضع المظلم من غير معرفة به،

وإذا برجل دخل فطلب كرب الفارغ فلم يجده، فقال: بالله يا إخواننا، من عنده كرب فارغ يقضي لنا به حاجة ونرده له، الله يقضي حاجته، فأجابه رجل آخر، فقال: والله يا أخي ما عندي أو ما عندنا إلا واحدا وغير واحد. فإذا أنا بسيدي محمد، صاحب الترجمة، قائما في وسط الحمام يرقص، ويقول: (امت)[1] يا حبيبي كانوا زوجا، امت يا أخي كانوا زوجا، وهو، رحمه الله تعالى، يكررها ويرقص بها.

وجاء يوما، رحمه الله تعالى، للقرويين عند صلاة العصر، ومولانا أحمد الصقلي، المذكور آنفا، جالس بالعنزة، وأنا عند سارية مقابل له، فقال لمولانا أحمد: الله، الله، كنت أتحدث مع بعض الطلبة، وذكرت أهل التصرف، الله، الله، فقالوا لي: ومن يتصرف غير الله تعالى؟ أو هل يتصرف أحد غير الله تعالى؟ فقلت: لا. فقالوا: إذا كان لا متصرف إلا الله، فما معنى قولكم أهل التصرف؟ قال: ولا عرفت لهم جوابا، فجئتك الآن يا سيدي تبصرني بالجواب. فقال له الشيخ مولانا أحمد: قم عند فلان، يعني عند كاتبه، واسأله عن الجواب. فقام عندي وسألني، فقلت له: قل لهم لا متصرف إلا الله، وبالله، وبأمر الله وإذنه، وقدرته الصالحة لكل شيء، ولا يغلبها شيء أو يعجزها، وهم أهل الكمال البالغون مع الله، يتصرفون بأمر الله، ويتكلمون وينطقون بالله، وينصتون بالله، ولا يتحركون إلا بالله، ولا يسكنون إلا بالله، ولا يشاهدون غير الله في الملكوت كلها، ولا يتزحزحون عن مراد الله، فيما كان وفيما يكون، ولا نطقوا بشيء حتى كان قبل نطقهم فالله أنطقهم به.

فقام، رحمه الله، بيني وبين الشيخ مولاي أحمد وهو يرقص ويقول:الله، الله، هاكذا هو يا حبيبي، هاكذا هو يا حبيبي. ومولاي أحمد ﷺ يتبسم من ذالك.

[عبد القادر البيجري][2]

ومنهم الشيخ المسن، المهمل الخامل، الصامت المتقشف، أبو محمد، سيدي الحاج عبد القادر البيجري، الحرار حرفة. كان، رحمه الله تعالى، خاملا، هاربا من الخلق ومتسترا منهم، قليل الكلام إلا فيما يعني، مستغرقا في محبة النبي ﷺ وفي الصلاة عليه ﷺ، لا يفتر لسانه عنها قط، وفي آخر عمره كانت له حانوت بقنطرة الرصيف يدور بها الحرير، لأن تلك القنطرة نصر الناس عليها، لا تخلوا من واحد أو اثنين من أهل الخير، وهو كذالك، فكان، رحمه الله تعالى، يده تدور الناعورة، ولسانه يصلي على النبي ﷺ

---

[1] كلمة دارجة، معناها: متى.

[2] عبدالقادر البيجري(-1194هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 390/3.

سرا. وكان، رحمه الله تعالى، إذا سمع مَن (يتحدث)[1] عن النبي ﷺ، أو يذكره، أو يصلي عليه ويمدحه، يفنى فناء كليا وتغلبه الدموع.

وكان، رحمه الله تعالى، دائما أصفر اللون، قليل الأكل، قليل النوم، نحيل الجسم، ضعيف الصوت، إذا تكلم لا يسمعه إلا من ينحني عليه، كثير الزيارة للصالحين، ولا سيما مولانا إدريس، نفعنا الله به.

ودخلنا عليه يوما مع بعض الإخوان وهو يحتضر، وفتح عنده الذكر والصلاة على النبي ﷺ، فقبضني، رحمه الله تعالى، وضمني إليه وفنى، حتى قلنا قبض، وخرجنا عنه ورائحة تخرج منه لا يشبهها طيب، وكذا عند غسله وهو بين يدي. توفي، رحمه الله تعالى، عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

[محمد المعطي الشرقي]

ومنهم السيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، العارف بالله، الغريق في بحر محبة رسول الله ﷺ، والمولع بالصلاة عليه ﷺ، والناطق بها سرا وجهرا، والمؤلف لها نظما ونثرا، ذو العلوم الفاخرة، والأقوال المحمدية الساطعة الظاهرة، الدالة على أحوال الدنيا والآخرة، والمواهب الإلاهية والآيات، من صفات أحوال الأرضين والسماوات، ذو الأحوال الربانية، والسيرة النبوية، والأخلاق الكريمة الحسنة، والأوصاف الحميدة المستحسنة، ومن علامة بحر العجاج، تأليفه "ذخيرة المحتاج"[2]، التي لم يسبق بها في الأوائل ولا في الأواخر، وإنما هي من بحره الزاخر، أبو عبد الله، سيدي محمد المعطي بن الولي الصالح، الشهير الناصح، أبو المكارم، سيدي محمد الصالح، رحمه الله تعالى، بن سيدي محمد المعطي بن سيدي عبد الخالق بن عبد القادر بن الشيخ الكامل، العارف الواصل، سيدي أبي عبيد محمد، المدعو الشرقي، ابن سيدي أبي القاسم بن سيدي محمد الزعري بن عمر بن حم بن مهدي بن حمامة بن سعيد بن عبد الله بن إمام أهل الورع الزاهد، أبي حفص، سيدنا عمر بن عبد العزيز بن محمد بن سليمان بن محمد بن يعقوب بن خاصل بن محمد بن مسعود بن موسى بن أحمد بن محمد بن مرداس بن هلال بن عمر بن عامر بن حبر الاسلام، سيدنا عبد الله بن مولانا عمر بن الخطاب، ﷺ أجمعين.

لقيته ﷺ ببلاده بأبي الجعد من تادلة، واجتمعت معه هناك بالمسجد قرب داره، وذالك في شهر صفر الخير عام ستة وسبعين ومائة وألف، فوجدته غير مزور، وعلى وجهه نور، وعلى مجلسه طلاوة، ولكلامه حلاوة، فسأل عني رفقائي فعرفوه بي، ثم قال لي: مرحبا بأخي مولانا عبد المجيد، وحازني في صدره، وجعل ذراعيه على عاتقي،

---

[1] ج: يحدث.

[2] مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 587 ك.

واشتغل بالكلام مع الرفقاء ساعة، وأنا كذالك، كما فعل الشيخ الحفناوي ﷺ، فكنت أشم رائحة كرائحته، وأسمع قلبه يتكلم كما كنت أسمع قلب الحفناوي يتكلم. ولما أطلقني، دعا لنا بخير، وبتنا تلك الليلة فأكرمنا غاية الإكرام.

وعند الخروج يوم السفر، دخلت عنده وطلبت منه التلقين، فقال لي كما قال الحفناوي: ما فيك يكفيك، فلا تنبغي لك الزيادة حتى تأمن من التفريط، ونحن وقفنا على ما عندك، والله المستعان.

كان، رحمه الله تعالى، شيخا كبيرا، عارفا بأحوال الظاهر والباطن، ذو تواضع وخضوع، وبكاء وخشوع، غارقا مستغرقا في بحر ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثنا سلطان الوقت عنه، سيدي محمد بن عبد الله بن مولانا اسماعيل العلوي الحسني، قال: لقيت العلماء والصالحين، وكل من طلبنا منه الدعاء يدعو لنا، إلا سيدي المعطي بن الصالح حين لقيته وتصافحنا، وطلبت منه الدعاء، فقال لي: (إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا)[1]. ولما أردنا الانصراف عنه قلت: ادع لنا بخير. فقال لي الآية المذكورة، ولم يزدني عليها شيئا.

وحدثني بعض الإخوان عن أبيه وكان صاحبه وخديمه، أن الشيخ لما شرع في تأليف الذخيرة بعث سفرا منها لمدينة فاس بقصد التبرك، ووقف عليه بعض علماء الوقت ممن لا ذوق له في الطريق، فاعترض وأنكر عليه ذالك وقال: أينزل عليه الوحي؟ فبلغ ذالك للشيخ ﷺ فبعث قصيدة جوابا للمنكر، وهي هاذه:

[الطويل]

بِنَفْسِي بَـدْر نـورُهُ (لَـيْسَ) يَكْـسِفُ ... مَكْمَلُ حُسْنٍ نَال شَـطْرَهُ يُوسُـفُ][2]

هُوَ الجَـوْهَرُ الفَـرْدُ المُقَـدَّسُ وَصـْفُهُ ... بِـلاَمِ الملاَمِـينَ الـوَرَى يَتَعَـرَّفُ

شَـاهَتْ قَـوَافِي المَـادِحِينَ بِوَصـْفِهِ ... وَكَلَّتْ وَفِي عَلَيَـاهُ لَـيْسَ يُوصَـفُ

وَقَـدْ مَدَحَتْـهُ آيَـةُ اللهِ فَانْـسَبَتْ ... جَمِيـعُ المَعَـانِي دُونَهَـا تَتَوَقَّـفُ

وَغَايَتُهَا القُصْوَى قُصُورًا وَمَـا عَـسَى ... يَقُول الوَرَى وَلَـوْ تَقَـالُوا لَـأجحَفُ

وَمَنْ ذَا يُجَارِي الْـوَحْيَ فِيـهِ وَمَدْحُـهُ ... أَجَلُّ وَأَعْلَـى مَـا يُقَـالُ وَأَشْـرَفُ

فَإِنْ قِيلَ مَتَى الـشمْسُ نُـورًا وَرِفْعَـةً ... فَشَمْسُ الضُّحَى مِنْ نُـورِه تَتَـشَرَفُ

وَإِنْ قِيـلَ كُـلُّ المَجْـدِ طَـيٌّ بُـرُودةٍ ... فَعَقْـدُ نِظَـامِ المَجْـدِ فيـهِ مُولَـفُ

وَإِن قِيلَ كُـل الوُجُـودِ رُوحُ وُجُـودِهِ ... فَلَـولاَهُ لاَ دُنيَـا وَلاَ كَـانَ يُعـرَفُ

---

[1] سورة الأنفال: 71.

[2] ب: ساقط من قوله : "في تلك المدة" إلى "شطره يوسف".

وَأَحمَدُ رَوْضٌ لِلمَحَاسِنِ جَامِعُ
وَزَهْيُ الجَمَالِ مِنْهُ يُجْنَا وَيُقْطَفُ

وَأَحْمَدُ أَسنَى المُرْسَلِينَ وَخَيرُهُم
وَأَعلَمُهُم حقًّا بِاللهِ وَأَعْرَفُ

تَجلَى عَلَى قَلْبِي جَلاَلُ جَمَالِهِ
فَصيرَنِي دَكًّا وَلاَ عَيْنَ تَطْرَفُ

فَعِشْ آمِنًا يَا قَلْبِي قَدْ سَكَنَ الْحَشَا
فَلاَ أَنَا مِنْ هَجْرِ النَّوَى أَتَخَوَّفُ

سَقَانِي بِكَأْسِ الوَصْلِ صَرْفُ وِدَادِهِ
فَشَاهَدْتُ نُورًا لِكَأْسٍ فِي السِّرِّ يُقْدفُ

فَفَاضَتْ عَلَى فِكْرِ الخِلِّ مَوَاهِبٌ
مِنَ المَدْحِ لاَ تُحْصَى وَلاَ تَتَكَيَّفُ

عَلَى أَنَّ فَيْضَ الْمَدْحِ مِنْ فَيْضِ حُبِهِ
فَلاَ المَدْحُ يُشْهَى وَلاَ الفَيْضُ يَضْعُفُ

وَقَفْتُ ثَوَاءُ المَادِحِينَ بِجَمْعِهِم
وَخُضْتُ بِحَارًا دُونَهَا قَدْ تُوقَفُ

وَأَبْرَزْتُ مِنْ دُرِّ المَدَّاحِ لآلئًا
إِلَيْهَا النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ تُشَوَّفُ

نَسَجْتُ عَلَى مِنْوَالِ غُرٍّ مِثَالِهِ
كَمَا عَزَّ لِي فِي حَلْبَةِ الصِّدْقِ مُنْصِفُ

فَقُلْ لِلَّذِي يَنْهَى وَيُنْكِرُ حَالَنَا
فَهَاذَا مَقَامٌ مَا فَوْقَهُ أَنْتَ تَعْرِفُ

تَمَسَّكْ بِمُقْتَضَى الشَّرِيعَةِ تَهْتَدِي
فَمَا أَنْتَ بِالْعِلْمِ اللَّدُنِي مُكَلَّفُ

فَكَمْ بَينَ مَنْ يُدلِي بِظَاهِرِ عِلْمِهِ
وَمَنْ هُوَ مِنْ عَينِ الحَقِيقَةِ يَغْرِفُ

وَبِالْعِلْمِ تَدْرِى الْمَعَانِي وَدُونَهَا
وَبِالسِّرِّ أَسْرَارُ الْحَقَائِقِ تَكْشِفُ

فَسَلِّمْ لِأَهْلِ الْحُبِّ تَسْلَمْ وَدَعْهُمْ
فَقَدْ شَرِبُوا رَاحًا بِهَا العَقْلُ يَكْلَفُ

مُعَتَّقَةٌ مَخْتُومَةٌ بِخِتَامِهَا
فَمَا مِثْلُهَا فِي حَضْرَةِ الرَّاحِ قَرْقَفُ

بِهَا شَطَحُوا شَوقًا وَصَاحُوا وَصَرَخُوا
بِمَكْنُونِ سِرٍّ فِي الحَشَا فَتَعْطِفُ

دَعَانِي نَدِيمُ رَاحِهِمْ لِشَرَابِهِمْ
فَمَنْ ذَا الَّذِي عَنْ شُرْبِهِمْ يَتَعَفَّفُ

وَهَلْ أَنَا مِنْ بَابِ الحُبِّ أَنْ دَعَوْا
أَجَبْتُ وَلَسْتُ عَنْهُمْ أَتَخَلَّفُ

وَطُفْتُ كَمَا طَافُوا بِكَعْبَةِ وَصْلِهِمْ
وَفِي عُرَفَاتِ قُرْبِهِمْ لِي مَوْقِفُ

وَغِبْتُ كَمَا غَابُوا فِي حُبِّ حَبِيبِهِمْ
وَسِدْرَةُ المُنْتَهَى هِيَ لِي مُؤْلَفُ

وَلاَحَتْ نُجُومٌ فِي سَمَاءِ ذَخِيرَتِي
يَكَادُ شَذَاهَا لِلنَّوَاظِرِ يَخْطَفُ

ذَخِيرَةُ مُحْتَاجٍ تَجَلَّتْ وَقَدْ غَدَتْ
بِطِيبِ شَذَا مَمْدُوحِهَا تَتَعَرَّفُ

جَمَعْتُ بِهَا شَمْلَ المَدِيحِ وَلَمْ يَزَلْ
لِسَانُ الثَّنَا يُمْلِي الثَّنَا وَيُؤَلِّفُ

لَقَدْ عَابَهَا الْوَاشِي وَقَالَ طَوِيلَةٌ
فَقَالَ حَسُودٌ بِالأَبَاطِلِ يَرْجِفُ

فَقُلْتُ لَهُ بُشِّرْتَ بِالْخَيْرِ إِنَّهَا
حَيَاتِي فَإِنْ طَالَتْ إِنَّكَ مُنْصِفُ

وَمَـــا عِنْـــدَهُ إِلاَّ أَيَـــادِي نَوَالِـــهِ	وَكُــلُّ كَمَــالٍ مِــنْ بِحَــارِهِ يَغْــرِفُ
وَثِقْــتُ بِوَعْــدٍ قَــدْ أَتَــى بِــشَفَاعَتِي	لِمَادِحِـــهِ وَوَعْـــدِهِ لَـــيْسَ يَخْلُـــفُ
وَأَحْمَـدُ أَوْفَــى الْخَلْــقِ وَعْـدًا وَذِمَّـــةً	وَأَعْظَـــمُ خَلْـــقِ اللهِ طُـــرًّا وَأَرْأَفُ
عَلَيْـــهِ مِـــنَ الـــرَّحْمَنِ أَزْكَـــى تَحِيَّـــةٌ	وَأَسْـــنَى صَـــلاَةٌ قَـــدْرُهَا لاَ يُكَيَّـــفُ
وَآلِهِ وَالأَزْوَاجِ وَالـــصَّحْبِ مَـــا غَـــدَتْ	بِأَمْدَاحِـــهِ بَلاَبِـــلُ الـــشَّوْقِ تَهْتِـــفُ

وزاره أيضا الشيخ سيدي أحمد العباس بن الشيخ الكامل، سيدي أحمد السوسي، دفين مراكش، القاسمي طريقة، المتقدم ذكره.

ولما رجع من تلك الزيارة لقي الفقيه العالم، سيدي الصغير، ﷺ، فظهر لسيدي الصغير في سيدي أحمد العباس الزايد، فقال له: من أين لك بهذا؟ فقال له: من الشيخ المعطيْ. فقال سيدي الصغير علينا بزيارته. فرحل، رحمه الله، إليه بجمع غفير من أصحابه، ولما أقبل عليه، وأنزله بدار الضيافة وأكرمه، جاء صاحب الشيخ ينادي: أين الطالب المراكشي الذي هنا ياخد غداه؟ فخرج عند ذالك الوفراني هو وأصحابه مغضبا من تلك القولة، وقال: هو ماؤه من دار بناصر، وأنا أذهب لدار بناصر. فلما جن عليه الليل، أعطاه الله السحاب والظلمة والرياح من كل جانب ما لا يطاق، فنزل هو وأصحابه عن الدواب، ورجعوا إلى الشيخ المعطي على أقدامهم قائلين:

جئناكم يا ناس الفضل واقفين على بابكم، نطلب الله الكريم يسقينا من مددكم.

وأما الشيخ لما صلى العشاء تلك الليلة، قال لأحد الطلبة الذين يكتبون الذخيرة: اجلس، فلا تذهب، فإن لربك حاجة. ودخل الشيخ بخلوته، وجعل ينادي الطالب: يا فلان، وهل دق أحد الباب؟ فيقول الطالب: لا. فناداه مرتين أو ثلاثة، وفي الثالثة أو الرابعة فتح الشيخ باب الخلوة، وقال للطالب: ادخل. فدخل وجلس، فقال له الشيخ: أين الدواة؟ فقال له: ها هي. فأحضر الطالب الدواة، فقال له الشيخ: اكتب:

[الطويل]

سَـــقَانِي مَحْبُـــوبِي بِكَـــأْسِ الْمَحَبَّـــةِ	فَتِهْتُ عَلَى الْعُشَّاقِ سُكْرًا بِخَلْـــوَةِ
وَلاَحَ لَنَا نُـــورًا لِجَلاَلِـــهِ لَـــوْ أَضَـــا	لَـــصَمَّ الْجِبَـــالَ الرَّاسِـــيَاتِ لِدَكَّـــةِ
وَكُنْتُ أَنَا السَّاقِي لِمَنْ كَـــانَ حَاضِـــرًا	أَطُوفُ عَلَـــيْهِمْ كَـــرَّةً بَعْـــدَ كَـــرَّةِ
وَنَـــادَمَنِي سِـــرًّا بِـــسِرٍّ وَحِكْمَـــةٍ	لأَنَّ رَسُـــولَ اللهِ شَـــيْخِي وَقُـــدْوَةِ
وَحَكَّمَنِي فِـــي سَـــائِرِ الأَرْضِ كُلِّهَـــا	وَفِي الْجِنِّ وَالأَشْبَاحِ تَـــمَّ الْمُرِيـــدَةِ
وَفِي أَرْضِ صِينِ الصِّينِ وَالشَّرْقِ كُلِّهِ	وَأَقْصَا بِلاَدِ الْغَرْبِ صَحَّتْ وِلاَيَتِي

أَنَــا حَــرْفٌ لاَ أُقْــرَءُ لِكُــلِّ نَــاظِرٍ   وَكُلُّ الوَرَى عَنْ أَمْرِ رَبِّي رَعِيّــةَ
وَكَمْ عَالِمٌ قَــدْ جَاءَنَــا وَهُــوَ مُنْكِــرٌ   فَصَارَ مِنْ أَهْلِ الله مِنْ أَهْلِ خِرْقَةَ
وَمَا قُلْتُ هَاذَا الْقَــوْلَ فَخْــرًا وَإِنَّمَــا   أَتَى الإِذْنُ كُلٌّ يَجْهَلُــونَ طَرِيقَــةَ
تَجَلَّى لِي الْمَحْبُوبُ فِي كُــلِّ وِجْهَــةٍ   فَشَاهَدْتُهُ فِي كُلِّ مَعْنَــى وَصُــورَةَ

فكان الشيخ، ﷺ، يملي وينشد، والطالب يكتب. ولما فرغ من نظمها، إذا بالدق على الباب، فجاء الشيخ الوفراني وأصحابه، ودخلوا إلى الشيخ خاضعين خاشعين متاقين، فأقبل عليهم، ﷺ، جميعا، فسقى كل واحد منهم على قدر شربه وذوقه.

توفي صاحب الترجمة، ﷺ، يوم عاشوراء عام أحد وثمانين ومائة وألف.

وأخذ ﷺ أولا عن والده، الشيخ العارف الناصح، العالم العلامة الصالح، التقي الزكي، الشهير الواضح، أبي عبد الله، سيدي محمد الصالح بن محمد، الملقب بالمعطي، رحمه الله تعالى، ونفعنا ببركاته وبركة أمثاله آمين.

ويفهم من كلام صاحب الترجمة في قصيدته المذكورة، وهو قوله:

سَقَانِي مَحْبُوبِي بِكَأْسِ الْمَحَبَّةِ ** فَتِهْتُ عَنِ الْعُشَّاقِ سُكْرًا بِخَلْوَةِ

إلى أن قال ﷺ: لأن رسول الله شيخي وقدوة، أنه أخذ عن رسول الله ﷺ.

ويفهم أيضا من قوله: وحكمني في سائر الأرض كلها، أنها اشارة إلى مقام القطبانية، ﷺ، أن هذه إشارة إلى أنه أخذ عنه ﷺ إما يقظة أو مشافهة، وكل كلامه في الذخيرة يدل على هذا المعنى، وهو معلوم ومفهوم عند أهله.

وله، رضي الله تعالى عنه، ولوالده سيدي الصالح كرامات لا تحصى ولا تعد، نفعنا الله بهما وأمدنا من مددهما بمنه وفضله آمين.

ومن كلام والده سيدي الصالح المذكور، رحمه الله تعالى:

[المجتث]

يَــا سَــادَتِي وَمَــوَالِي   يَــا خَيْــرَ آلٍ وَوَالِ
مَا لِي سِوَاكُمْ حُــصُونٌ   مِــنْ حَادِثَــاتِ اللَيَــالِي
لَــوْلاَكُمْ مَــا تَلاَشَــى   وَبَــادَ بِالْبَــالِ بَــالِ
أَنَــا الْفَقِيــرُ إِلَــيْكُمْ   أَنَــا غُبَــارُ النِّعَــالِ
فَــإِنْ رَضِــيتُمْ بِــذُلِّي   وَفَــاقَتِي فِــي مَقَــالِ
رَبِحْتُ رِبْحًــا كَثِيــرًا   وَنِلْــتُ خَيْــرَ مَنَــالِ
وَإِنْ صَــدَدْتُمْ وَدِدْتُــمْ   فَمِــنْ مَنِــيحِ فِعَــالِ

وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي السَّهْلِ أَوْ فِي الْجِبَالِ
فَرَحْلُهُ فَوْقَ رَأْسِي وَحُبُّهُ رَأْسُ مَالِ
فَقَابِلُوا الْقَبُولُ وَحَسِّنُوا سُوءَ حَالِ
وَغَيْرُ خَافٍ عَلَيْكُمْ أَنِّي مِنَ الْخَيْرِ خَالِ
حَاشَاهُمْ أَنْ تَظُنُّوا بِمَقْصَدِي مِنْ سُؤَالِ
وَفَضْلُكُمْ فِي ازْدِيَادٍ وَجُودُكُمْ فِي تَوَالِ

[محمود الشنقيطي]

ومنهم الشيخ الاستاذ المجود، العارف الخامل الخلوتي، أبو عبد الله، سيدي محمود الشنقيطي. كان، رحمه الله تعالى، عالما بأحكام القراءات، متجردا خاليا، من الصائمين القائمين القانتين، المعتكفين على طاعة الله وعبادته وطاعة رسوله، كثير الصمت، قليل الكلام، ذو همة عالية وهيبة، وحرارة في الطبيعة، لباسه في الصيف لباسه في الشتاء، لا تراه إلا مصليا أو يطالع الكتب، ولن تراه بطالا قط. كان، رحمه الله تعالى، يخلو للعباة ليلا ونهارا في الأسبع الأعلى من مسجد القرويين، بقي بالأسبع المذكور يتعبد مدة مديدة وسنين عديدة إلى أن توفي، رحمة الله عليه.

وكان له أصحاب وأتباع من أعيان الناس، يجتمعون عليه في الموضع المذكور يتبركون به، ويسيرون بسيره. وكان، رحمه الله، يلقنهم أسماء الله الحسنى، وهي كانت طريقته، ويأتون إليه، الأشراف والعلماء والطلبة، ولا يتكلم إلا فيما يعني، نهاره في خلوته على الحالة التي وصفنا، وليله بين سوارى القرويين واقفا يتهجد في الظلمة، ورأسه عار، عمامته بالأرض مطروحة، وإذا كان في زمن الشتاء تكون في رأسه عراقية قطن. وفي ليالي الإحياء من رمضان يبيت واقفا مع سارية من الصف الأول وحده، يركع ويسجد إلى وقت الفجر عند الختمة ويختم مع الناس.

توفي، رحمه الله تعالى، شهيدا، قتله ملك الوقت على يد بعض أصحابه، كانوا ينقلون عنه الكلام ويبيحون به، وهم كاذبون فيه. وكان السلطان مريضا، وشنعوا على الشيخ أنه أخبرهم بموت السلطان من ذالك المرض، ولم يقم منه قط، وشاع ذالك في الناس. فلما عافا الله السلطان من مرضه، بلغه ذالك عنه، وذالك عام أحد وثمانين ومائة وألف، فأمر بقبضه وسجنه مسلسلا مكبلا، ودخل عليه بعض الإخوان للسجن، فوجده من غير حديد، فقال لهم الشيخ: تيك المرأة صفية لبادة، جزاها الله عنا خيرا،

(انقضتنا)[1] من هذا الحديد. وسرحه السلطان بعد ذالك بمكناسة، ثم عاد لقبضه بمراكش وسجنه في بنيقة أو مطمورة، وبنا لوجهه حائطا، (حتى)[2] نسأل الله السلامة والعافية، حتى توفي فيها جوعا وعطشا، رحمة الله عليه، ووقع التفتيش والبحث عن أصحابه. ودفن، رحمه الله تعالى، بمراكش، بباب الرب، عند الإمام السهيلي، عام خمسة وثمانين ومائة وألف.

[أحمد المزدغي]

ومنهم الطالب الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، أبو العباس، سيدي الطالب أحمد المزدغي. كان، رحمه الله تعالى، حافظا للقرآن، ينسخ المصاحف ودلائل الخيرات بحانوت العطارين، خافيا نفسه مستترا من الناس، بقي بها مدة، وعرفه الناس كثيرا وجعلوا يقفون عنده بها. ثم جعل يتكلم معهم كثيرا على سبيل المسخرة والمزاح، ثم انتقل منها وفتح حانوتا بقنطرة الرصيف، فكان يصنع فيها المرآة، وكثر صيته وكلامه كذالك فيما يعني وفيما لا يعني تتليفا وإخفاء، والناس يأتون إليه؛ طلبة وعامة وأهل الخير وغيرهم، ويكون يتكلم كلاما طيبا مثبتا، ثم إنه يخرج لكلام لا يفهم ولا يفيد، ويحلف في بعض الأمور بلفظ الحرام لا كان أو حتى يكون، ويكون ذالك كما قال، وفي بعض الأحيان يكون حلفه عليه الحرام حتى يقد الرجل أو الناس يفعل أو يفعلون كذا وكذا، وفي بعض الأحيان يقول: عل من يفعل كذا، فيكون ذالك كذالك، وكانت له معان في كلامه وإشارات بين ضحك ولعب.

دخلنا يوما على أخينا في الله، الطالب الأجل، الناظر الأفضل، سيدي عبد السلام ابن الخياط حسين نعوده في مرضه الذي توفي منه، ودخل علينا صاحب الترجمة فوقف على المريض ورجع ولم يجلس، فطلبنا منه الجلوس، فقال لنا: عليه الحرام إلا برئ ولم يبق به ألم. والمريض ذالك اليوم على خير. فخرجنا من عنده ولا كمل نهاره إلا ميتا.

وكان، رحمه الله تعالى، آخر عمره يقول: أنا هو السلطان، والناس يسخرون منه ويضحكون.

توفي، رحمه الله تعالى، سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

---

[1] كذا في ج.
[2] كذا في ج.

[محمد بن العربي الفيلالي]

ومنهم الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، الخير الناسك المقعد، أبو عبد الله، سيدي محمد بن سيدي العربي الفيلالي الحسني، من أولاد الحسن القاطن بقنطرة الرصيف في حانوت هنالك. كان، رحمه الله تعالى، بها ليلا ونهارا سنين وأعواما، وفي آخره عمره كان لا يجلس ولا يطلب لأحد، ولا يشتكي بردا ولا حرا، وإنما سبحته بيده، وهو يذكر الله تعالى الليل والنهار على جنبه. وكان، رحمه الله تعالى، نحيل الجسم، لين الطبيعة، كريم الأخلاق، هاربا خاملا متقشفا، حامدا الله على حاله. توفي، رحمه الله تعالى، على هذه الحالة عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

[محمد بن أحمد الغازي]

ومنهم الشريف الأجل، الخامل الأفضل، المسن البركة الأمثل، أبو عبد الله، سيدي محمد بن الشريف الأرضى، سيدي أحمد بن الشريف الأحضى، سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد بن محمد بن الولي الصالح، سيدي عمرو بن محمد، القادم على فاس في أول المائة العاشرة من جبل العلم، وبفاس توفي ودفن بعرصة له إزاء الإمام سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي قرب المصلى خارج باب فتوح؛ أحد أبواب فاس. وهو: ابن ابراهيم بن موسى بن عيسى الملقب الغازي، لإقامته بثغر سبتة، واستشهد في الجهاد، وحمل ودفن بالعلم قرب مولانا عبد السلام بن مشيش.

وهو أي سيدي الغازي بن محمد، المدفون مع ولده الغازي بن علي، دفين بني خالد بني عمران، بن داوود بن خالد بن يحيى بن منصور بن الولي الصالح، أبي العافية، سيدي الحسن، دفين جبل العلم، بن محمد بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن محمد بن أبي بكر، الذي تفرعت منه أشراف العلم، بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام، الذي فر من فاس ونزل قلعة حجر النسر بصوماتة، وبها توفي ودفن، ابن علي بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة وعلي، رضي الله عنهما.

كان، رحمه الله تعالى، تاجرا متسببا مجاورا بقاهرة مصر، أمنها الله، وممن لا يتهم نفسه ولا يتهمه الناس بشئ من أمر الصلاح ولا من طريقه، ولا كان هو يفتش على شيء من ذالك، ولا يتبع أهله، وإنما كان تاجرا من جملة التجار الذين يتجرون سفرا وحضرا.

وجدته بمصر مقرا فيها، مجاورا عام ستة وستين ومائة وألف، وطلعت للحجاز وتركته بها، ولما نزلنا من الحجاز، وجدناه سافر في البحر للمغرب، ولما بلغنا مدينة

طرابلس، لقينا الركب المشرق وهو معهم، فبلغ مصر وجلس بها مجاورا بها إلى أن أذن له في الخروج منها والغروب. وسئل، رحمه الله، عن السبب في ذالك، فقال: كنت بمصر جالسا ولا علي بسفر، حتى رأيت في المنام رجلا دخل علي، يقال له الشيخ أحمد، وقال لي: قم إلى بلدك، ولم نرد له بالا، فقال لي: أهل البلاد قالوا لك اخرج عنهم إلى بلدك، قال: فضاقت علي أرض مصر بما رحبت، حتى لا نستطيع أن نراها، فأغلقت دكاني، ودفعت المفاتيح إلى الدار، وركبت دابتي وسرت إلى بولق، فوجدت مركبا فركبت إلى الأسكندرية، ومنها ركبت في البحر أياما قلائل، وأنا بفاس وكانت غيبتي عنها سبع سنين أو ما يزيد عليها، وكله بمصر، فوجدت زوجتي قطعت علي وتزوجت، وهي رائحة تلك الليلة للشيخ أبي مدين الفاسي، فخيرت حينا باثنين، فاختارت زوجها الأول، وردت للثاني مهره، ورفع عنها نزاعه، وراحت عندي. وبقيت معها بفاس، وذالك في شهر ربيع الأول، وفي رجب الموالي سافرت إلى مصر. فهاذا من كراماتهم وبركاتهم ﷺ.

قال رحمه الله: وقعدت بمصر أياما، ثم جاءني الشيخ المذكور أيضا، وقال لي: قم إلى مغربك تخدم، فإنهم اتفقوا عليك. وأخبرني بموت السلطان مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل، وبتولية ولده سيدي محمد في ذالك اليوم. قال، رحمه الله: فقلت للشيخ أحمد: وما أصنع يا سيدي في الغرب؟ فقال: اغرس. فلما بلغت إلى فاس، اشتغلت بغرس موضع عندي بدار بن عمرو، خارج باب الفتوح، وإذا بالشيخ سيدي الحاج أبي بكر الطربلسي، رحمه الله، وقف علي هناك، وقال لي: ما تفعل هنا ليس بالغرس. هنا أمروك؟ وإنما أمروك بالغرس في جبل لمطة. واشتغلت بالغرس واندثر الغرس الذي بدار بن عمرو وجاح، ونجح الذي بلمطة. وهذا الكلام كله لم يبرز منه ولا تكلم به قط، حتى طال سجنه ما ينيف على أربعة أعوام وهو قاعد بداره، معتكف على قراءة المصحف الكريم، ولا يخرج إلى السوق إلا قليلا.

وقرب وفاته بنحو أربعة أشهر، لم يخرج قط إلى أن خرج ميتا. وفي تلك المدة كثر كلامه وإشاراته، وأما قبل سجنه، فكنت أمشي معه لجنانه بلمطة (في)[1] فصل الخريف ومعي بعض الكراريس من كتابي "تنبيه الفقير" أو من كتابي "روضة البستان"، وأنا أسرد وهو يسمع، وذالك يؤثر فيه، ويخبرني عن أمور المشايخ الذي لا أظن أنه يدرك ذالك، وكنت أتعجب منه، ويكثر لي الإشارات بكلام كالسؤال، تارة يكون ذالك من قبله، وتارة من قبلي، حتى قال لي مرة: أنت من الصالحين الذين لا يعرفون أنفسهم، وأنا كنت لا أتهمه بشيء من ذالك إلى أن سجن وحكم عليه بالسجن، لاسيما السجن القريب من موته. فكنت أسمع الكلام عليه، وعرفت منزلته، وأنه خليفة الشيخ علي طورة المتقدم ذكره.

---

[1] ساقط من المخطوط الزيادة من عندي ليستقيم الكلام.

ومن كلامه أيضا، رحمه الله تعالى، قال: رأيت في المنام يوما وأنا بمصر كأني بفاس وأنا ماش لناحية مولانا إدريس، نفعنا الله به، إذ جاء أقوام من ناحية الشماعين، وهم نساء ورجال، يذكرون الله تعالى بلغة حنينة حسنة، ولما بلغت باب مولانا إدريس، وجدت أقواما أكثر من الأولين، وهم مسلحون خيلا ورجالة، كأنها محلة أمير، فخفت منهم، وقلت في نفسي وإذا يقول السلطان لا حرم عندي، إذا بامرأة منهم حسناء، عليها ثياب خضر، وهي تعدد عليهم وتهددهم بأفعال أهل فاس المذمومة، وهي تقول: يقول لكم السلطان، والله إن لم ترجعوا عن هذه الأفعال الذميمة، لسلط الله عليكم البلاء، فالبلاء، فالبلاء. قال: وقمت فزعا مرعوبا من أجل ذالك.

ووجدت مقيدا في كناشه بخط يده: رأيت ليلة الأربعاء كأني جالس بباب بيتي، وجاءني رجل حسن الصورة عليه ثياب بيض، ما رأيت أحسن منه ولا منها، ورجل آخر معه، جميل الصورة، فقال لي: هذا جبريل عليه السلام. وهو قائم يروح علي وأنا جالس، وقال لي: ارفع شاشك على جبهتك. فرفعته مرة أو مرتين، من كراماته، رحمه الله تعالى.

ووجدت أيضا مقيدا بخط ولده سيدي أحمد، وأنهم في أيام سجنه وحبسه اشتروا ثورين اثنين بقصد الخليع، فذبحا ولم يوجد بهما شحم لعزلهما، وراموا شراء الشحم، فقال لهم رحمه الله: انصبوا الطنجير. فنصبوه ورموا فيه القديد. وجعل، رحمه الله، يصب الماء في الطنجير على القديد حتى امتلأ ونضح الخليع، وطاب وجعلوه في الخوابي، فعام الإدام على الخليع وفضل ما فضل.

قال: ودخلت عليه امرأة فقالت له: يا سيدي القمح اليوم بلغ سبعين أوقية، وأنا والله ما عندي منه ولو مدا واحدا، فقال لها: كيل ما تأكل اليوم بسبعين أوقية، فإنه في الشهر الداخل يكون بأكثر من ذالك، ويكون كذا وكذا أمورا، وتكون فيه فتنة. اطلبوا من الله اللطف.

توفي، رحمه الله تعالى، صبيحة يوم الخميس التاسع عشر من ذي الحجة الحرام متم ثلاثة ومائتين وألف. ذكر لي ولده المذكور انه يوم النحر، قال لهم: إني بقي لي معكم تسعة أيام، فلما كان يوم الجمعة، رابع يوم النحر، قال لهم: الجمعة الآتية الملتقى إن شاء الله. قال: وكان، رحمه الله، يخبره بمغيبات، ولم يكن قبل ذالك يخبر بشيء. ولما كان يوم الاثنين، جمعنا أنا وأخي عبد الواحد، فقال: أين ولدي أحمد؟ قلت: نعم. فقال لي: لم يبق إلا ملاقات الله تعالى، واعلم أن الله تبارك وتعالى أعطاني السر، وطلبت عليه أن لا يفضحني في الدنيا، وأنا كنت أكتم ذالك، والآن لم يبق إلا ملاقات الله تعالى . ودعا لي بإصلاح حالي وبالتوبة، ورضي عني وعن أولادي، جزاه الله عنا خيرا. وقال: أجلسوني. ثم غلب وغاب. ولما أفاق، قال: أين ولدي أحمد؟ قلت: ها أنذا يا سيدي. قال: ادع للناس بخير، وقف مع عباد الله، واقض

للمسلمين حوائجهم، وأوصيك بتقوى الله. واشترط عليك شروطا وهي: أن تصلي الصبح كل يوم، وتختم دلائل الخيرات، وتزر مولانا إدريس كل يوم، لأن مولانا إدريس، ﷺ، ونفعنا به، على يده أعطاني الله ما أعطاني، لأني كنت صاحبه، وهو الذي بعث من ورائي أصحابه وخدامه، كسيدي عبد الكبير السرغيني، وسيدي عبد السلام التواتي، وغيرهم، رضي الله عن جميعهم. قال: وقال لي، يعني مولانا إدريس، نفعنا الله به: اشرب، فشربت. ثم قال لي: اشرب، فشربت ثلاث مرات. فقلت له: لا أقدر يا سيدي على الزيادة، ولو زدت لافتضحت لعباد الله. فقال لي مولانا إدريس، ﷺ: وكيف يكون، والله لا خصك من نصيبك شيء، اشرب. فشربت، وجاء عزيزي القنيت فشرب ما بقي. وقيل لي: أعطاك الله السر والستر، وكان ذالك غرامي وقصدي. ولما كان بعد صلاة العشاء من ذالك اليوم، جعل يقول: مرحبا، مرحبا، مرحبا بأولياء الله، هاذا سيدي عبد الكبير السرغيني وسيدي عبد السلام الدقاق وغيرهما جاءوا من عند السلطان، وقالوا لي: الرجال من ورائنا، والسلطان من ورائهم. ثم قال لنا: اخرجوا عني، اخرجوا عني. فأبينا الخروج. فجعل يشفع لنا إلا ما خرجتهم عني، فخرجنا وسمعناه يقول ويجاوب ساعة، ودخلنا عليه فوجدناه غائبا، فلما أفاق، صاح بالتشويق وقام يتحير، ويقول: صلوا على الهاشمي. وصلينا معه على النبي ﷺ، ثم جعل يقول: مرحبا بأصحاب رسول الله ﷺ، وجعل يقرأ ونحن نقرأ معه، حتى غشى عليه. فلما أفاق، قال: اذكروا الله. وجعل يدعوا للناس كلهم، فخص كل من يعرف باسمه. ثم أوصاني، فقال لي: يا ولدي، لا تفعل فعلا، ولا تبرم أمرا دنياويا كان أو أخراويا إلا عن مشورتي، فإني أكون معكم، إن شاء الله، أكثر مما أنا عليه اليوم، فإذا هممت بأمر فتوضأ، واقدم إلى القبر أو الروضة وسلم، وصل ركعتين، وأوصيك بكذا وكذا، والذي يفرط يخف.

ويوم الأربعاء رأى رؤية وأصبح يطعم الطعام ويبعثه إلى المساكين والسادات وجميع الطلبة والمصاحف وختمنا القرآن مرتين، وبعده فتح لنا سورة الرعد، فختمناه. ودخل عنده عشية التاودي بن سودة فوجده غائبا فقال الفقيه: (وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى)[1]. فانتبه السيد، وقال: للأبرار المقربين المحبوبين. ثم فتح الفقيه المذكورسورة يسن، فجعل هو يقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)[2]، وجعل الفقيه يقرأها معه، ثم توادعا وافترقا. ثم رجعنا بعد ذالك غدوة العيد وجعل يقول: لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونحن نقولها معه نحو ساعة أو ساعتين، ثم قال: أين أحمد؟ قلت: نعم. فقال أين أخوك عبد الواحد؟ فحضر، فقال له: أذن. قل: الله أكبر، الله أكبر. فجعل يؤذن، وعبد الواحد يرد عليه، حتى تم الأذان. فقال له: قم صل ركعتين،

---

[1] سورة القصص: 60.
[2] سورة الإخلاص: 1.

فهاذه ساعة الإجابة. ففعل. ثم قال له: اقرأ آية الكرسي. فقرأها، وسمعناه يقول: اذهب يا عدو الله، اذهب يا ملعون، والله إن شاء الله ما لك إلينا سبيلا، اضرب عدو الله بالعصا. ثم ضحك، وقال: ذهب والله عدو الله. ثم قال: اقرأ يا أحمد البقرة فقرأتها، إلى: (وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ)[1]. ثم افتتح سورة الرحمن، فقرأه معنا حتى ختمناه. ثم قال لي: اقرأ البردة. فقرأتها وهو يقرأها معي سرا، وغلطت في بيت منها، فنهض علي وردني. ولما ختمناه، قال لي: اقرأ معي دلائل الخيرات، فكنت أقرأه أنا وهو. ثم قال: طلع النهار، تقدم علي سيدي. فقلنا له: لم يطلع. فقال: أبها، والله علي. ثم قال لنا: صلوا على سيدي رسول الله ﷺ، مرحبا بأبي بكر الصديق، مرحبا بعمر بن الخطاب، مرحبا بأصحاب رسول الله ﷺ، قربوا فتلقوهم. ثم قال: أرجعوني، أرجعوني، أرجعوني، (فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ)[2]. من المقربين، من المقربين، من المقربين. حضروا والله كلهم. ثم قال: يا أولادي، تهلوا في دينكم وصلاتكم، وعليكم بالصدق. يا ولدي عبد الواحد، أذن معي. فأذن عبد الواحد، وهو يرد عليه. فلما تم الآذان وسكت، فاستجرناه فوجدناه قضي، رحمة الله عليه، وذالك بعد صلاة الصبح من يوم الخميس كما تقدم. وباشر غسله الفقيه الأجل، الأستاذ، أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي، والطالب الشريف، سيدي علي بن سيدي محمد الزبادي الحسني. وكانت له جنازة حفيلة، وصلى عليه العلامة سيدي التاودي بن سودة المذكور بمسجد الاندلس، ودفن، رحمه الله، قرب المصلى خارج باب فتوح، بروضة جدة سيدي عمر، وفي جوار الإمام الشهيد، سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي، نفعنا الله تعالى ببركاتهم، وسقانا من مددهم بمنه وفضله، آمين. وبنيت عليه هنالك روضة.

قلت. وكنت مريضا مرض الشهدة، فرأيت في الليلة التي توفي فيها صاحب الترجمة جماعة من أهل الخير من أهل الديوان، أحياء وأمواتا، في موضع. ولما تفرقوا، أشار لي واحد منهم بأربعة، وأشار لي بأصابعه الأربعة وانصرف مقلقا، واستيقظت. فدخل علي رجل بعد صلاة الصبح من يوم الخميس، وقال لي: عظم الله الأجر في الشريف سيدي محمد بن عمر، رحمه الله تعالى، وبارك فيمن خلفه. فقلت له: أتوفي ؟قال: نعم. وأوصى بكر تغسله. فأخبروه بمرضك، وسأل عن ولدك. فأردت أن أسأله عن معنى الأربعة، ومن هم، وهل الميت المذكور منهم، وهل أنا رابعم، أو بقي عن عمري أربعة أيام، أو شهر، أو أعوام. وتحيرت من أمري من ذالك حتى خرج عني، وكان مزعجا، ولم أسأله عن شيء من ذالك. ودخل علي بعده جماعة من أهل الخير، ممن يحضر الديوان يعودونني، ولما رأيتهم، قلت: قرب الحال، وأنا من الميتين الأربعة. ثم إنهم أخبروني بموت سيدي محمد، صاحب الترجمة المذكور، وأنه أول الأربعة، والثلاثة

---

[1] سورة المائدة: 91.
[2] سورة الواقعة: 91 92.

مولاي الحفيد، والشريف الأمراني، والمرابط سيدي علي بن عبد الوارث، والفقيه المؤدب، سيدي الحسن السلالي، وأنا سالم من (تلك)[1] المرض. وان سبب الجمع كان لأجل تولية الخلفاء الأربعة الذين خلفوا الأربعة، ومن هم، وبما تفرقوا عليه، وبأن الشريف المتوفى هو أعلاهم مرتبة. وأخبروني بمقام كل واحد من الأربعة المذكورين .

[الحفيد بن عبد الرحمان الفيلالي]

ويوم السبت، الموالي ليوم الخميس الذي توفي فيه الشريف صاحب الترجمة، وهو الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام متم ثلاثة ومائتين وألف، توفي فيه الثاني من الأربعة، وهو الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، الخير الناسك الأكمل، الذاكر القانت، العالم الصامت، إلا فيما يعني، وكان، رحمه الله، كثير المحبة في أهل البيت وأهل الخير، وهو الشريف الأجل، المسن التالي كتاب الله عز وجل، مولاي الحفيد بن الشريف المقدس، المنعم المبجل، مولاي عبد الرحمن بن مولاي عمر الفيلالي الأمراني الحسني. كان، رحمه الله تعالى، من الذاكرين الله تعالى كثيرا، مواظبا ومعتكفا على قراءة المصحف الكريم ودلائل الخيرات، حتى من شدة (ولوعه) [2] واعتنائه به، كان دائما متحرفا بدلائل الخيرات من فوق كسائه، والمصحف الكريم معلق بين كتفيه كذالك. فهذه كانت حاله في سفره وحضره، وفي السوق والمسجد، دينا لينا، خاضعا متواضعا، هاربا متباعدا من الخلق ومن الدعوى، حتى توفي، رحمه الله تعالى، على هذه الأوصاف، ودفن (بروضة ولي الله تعالى عنهم)[3] ونفعنا ببركاتهم، خارج باب فتوح، قرب الشيخ الكامل، علي حماموش، نفعنا الله به.

[علي بن عبد الرحمان اليصلوتي]

وتوفي الثالث من الأربعة المتقدمين، وهو المرابط سيدي علي بن المرابط سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد بن الولي الصالح، سيدي أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ الكامل، سيدي عبد الوارث بن سيدي عبد الله اليصلوتي، ﷺ أجمعين.

كان رحمه الله تعالى من أول نشأته خاملا، هاربا عن الخلق، ومن الذاكرين الله الذين لا يفتر لسانهم عن ذكر الله، ولا عن الصلاة على النبي ﷺ. وكان رحمه الله تعالى يدور "طرنوا" بالأجرة، وطول نهاره يده تدور ولسانه يذكر ويصلي على النبي ﷺ، سنون وهو على هذا الحال. وفي آخر عمره عمل جنانا بلمطة، قرب الشيخ سيدي أحمد البرنسي، ﷺ، فكان يخدمه بيده بالفأس ويغرس بيده، ولسانه لا يفتر من الذكر.

---

[1] كذا.
[2] كذا.
[3] كذا، ولعلها: رضي الله تعالى عنهم.

كان، رحمه الله تعالى، ذو أخلاق حسنة، ومحبة عظيمة في جانب الله تعالى وفي جانب أهل بيت رسول الله ﷺ، كثير الخشوع والخضوع، والبشاشة والرطوبة، واللين والحياء. وكان من أهل الحب في الله والبغض في الله، ساقط الدعوة براء منها.
وكان، رحمه الله تعالى، يمين الشيخ عبد الوهاب التازي، المتقدم ذكره، ويجالسه ويلازمه. ثم انتقل إلى الشيخ مولانا إدريس، نفعنا الله به، فكان يقيل بباب القبة معتكفا على دلائل الخيرات، بقي على ذالك سنين. ثم زاد على ذالك قراءة المصحف الكريم، وبقي على تلك الحالة مداوما عليها، إلى أن توفي، رحمه الله تعالى، أوائل ربيع الأول النبوي المفضل، عام ثلاثة ومائتين وألف. ودفن بروضة عمه، سيدي عبد الواحد الصغير بزقاق الحجر من فاس القرويين.

[الحسن بن علي السلاسي]

وتوفي الرابع من الأربعة مع الثالث في يوم واحد: يوم جمعة من الشهر والعام. ولم تتقدم لي معرفة به دون معرفة العين فقط، حتى سمعت بموته يوم مات. وسألت عنه فلم أجد من يتحقق معرفته.

وهو الطالب الأجل، الأستاذ المجود، مؤدب الصبيان بمكتب سوق الغزل. قيل إنه سلاسي، وقيل سنوسي، وقيل صنهاجي، واسمه سيدي الحسن بن علي .
كان، رحمه الله تعالى، دينا كثيرا صامتا، خاليا بنفسه، مستخفيا من الخلق. مات وأنا مريض في المرض المذكور المتقدم، ولم أحضر جنازته، رحمه الله ونفعنا به.
هذا ما أمكن ذكره من حديث الأربعة.

[عبد العزيز بن محمد المشاط المنافي]

وأما غيرهم، فمنهم الفقيه الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، العارف المتجرد، أبو فارس، سيدي عبد العزيز بن محمد المشاط المنافي.

كان، رحمه الله، له بيت بمدرسة العطارين. وفي ابتداء أمره، كان إماما بمسجد الشيخ عبد الله المكي، المدعو الزيتوني البصير، ﷺ، أسفل الحفارين. وكان، رحمه الله تعالى، كثير التلاوة منذ كان الليل والنهار، لا تلقاه إلا تاليا، وفي ليالي الإحياء من رمضان، يدخل محراب القرويين يقرأ خمسة أحزاب. ثم بعد ذالك صار يقرأ العشر (والخمس وعشر)[1]، حتى كان في بعض الأحيان يكون يقرأ، ثم إنه يغيب ويسكت سكتة

---

[1] كذا.

طويلة، والناس وراءه واقفون، ويلقنه من يلقنه الفتية ولم يبال. ثم بعد ذالك يرجع وحده للقراءة من أين سكت.

وكان، رحمه الله تعالى، لا تراه إلا تاليا، ولا ينام من الليل إلا ثلثه أو ثلثيه. وكان يخرج من موضعه وقت ما استيقظ من الليل. وكان يدعي أنه كان يلقى (قط)[1]، يلقى في خروجه ليلا، فيقول: ليتني اليوم في الموضع الفلاني جني أو إنسي، وقال لي كذا وكذا. ثم إنه صار يكون يتكلم الكلام المفيد، ثم إنه يخرج ويصير يدخل ويخرج في كلامه . ثم إنه لازم بيته بمدرسة العطارين إلى أن توفي به.

وكان يخبر بأخبار غيبية لبعض دون بعض، حتى انتبه له الناس، وصاروا يقصدونه ليخبرهم بغلاء الأسعار وبرخصه، وبالمطر هل ينزل أو لا، وغير ذالك من الاشتغال بالفضول. ولما وقعت الفقرة، عام أربعة وسبعين ومئة وألف، وانقطع الكلام على أهله، جعل سيدي عبد العزيز يجلس بصحن القرويين، ويجيء المرابط، السيد الحاج عبد الله يزرور، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، ويشتغلان بالخصام فيما بينهما، بالشتم والخطا والمعيار، كلما تلاقيا معا، وكذالك كان يكون في تلك الأيام بينه وبين المرابطة صفية لبادة، الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى، وقت ما لقيته.

وكنا جلوسا يوما بباب مدرسة العطارين قبل فقد بصره، فجاء بعض المنسوبين يسأل عن سيدي عبد العزيز، فقلنا: خرج من المدرسة، وليس الآن هو هنا. فقال: إذا جاء، قولوا له: والله لو وجدته هنا، لعلقت رأسه على باب هذه المدرسة، أو أزحفه، أو أعمي بصره. فضحكنا عند ذالك وتعجبنا من كلامه. ثم التفت إلينا، وقال لنا: قولوا له، والله لو لم ينته من كلام الفضول، حتى يحل به الذي قلت لكم. ولما انصرف، جاء سيدي عبد العزيز ودخل المدرسة، ولم يقدر منا أحد أن يبلغه ذالك وسكتنا، فإذا به أصبح صبيحة الغد أو بعد الغد ضريرا، عديم البصر فاقده. وحين وقع له ما وقع في بصره، ضاق خاطره، وشانت أخلاقه، وصحبه القبض، وغاب عن حالة البسط، ولم تبق له أخلاق، حتى لو نزل عليه الرباب، لدعا على الدنيا بالحزاب. وكلما هو على هذه الحالة، والمصائب تترادف عليه، ويكثر وهو زائد في دعواه. وتارة تراه يتكلم وحده ويرفع رأسه إلى السماء. وكان في آخره يتكفف إلى الناس في الموزونة والدرهم.

وكان، رحمه الله تعالى، قوي الباءة، يدخل الحمام كل يوم، وفي بعض الأحيان مرتين. وفي آخر عمره، كان يأمر أصحابه بذكر لا إله إلا الله لا غير.

توفي، رحمه الله، عاشر رمضان المعظم، عام ثلاثة ومائتين وألف، وكنت المتولي غسله، رحمه الله. ودفن قرب الشيخ سيدي علي حماموش، نفعنا الله ببركاتهما، خارج باب فتوح، وبنيت عليه قبة هناك.

---

[1] كذا.

[عبد العزيز بن الطيب ميارة]

ومنهم الأجل الصالح، الطالب الأجل، الضرير الأفضل، سيدي الحاج عبد العزيز بن الحاج الطيب ميارة، الفاسي أصلا، المصري دارا وقرارا.

كان، رحمه الله تعالى، بفاس، وسافر للمشرق عام خمسين واستوطن مصر. ولقيته سنة سبع وستين ومئة وألف، وكنت ملازما له ومرافقا، وهو كذالك، مدة إقامتي بمصر. فكان، رحمه الله تعالى، متقشفا متجردا عن الدنيا وأهلها، مواظبا على زيارة الصالحين، الأحياء والأموات، كل صباح، وكذالك العلماء، فكنت كل صباح أمشي معه لزيارتهم، فيزورني ويطوفني عليهم. وكانت له، رحمه الله تعالى، خصوصية بمعرفتهم أمواتا وأحياء، حتى (قالوا)[1] لي أهل البلد: إنه يعرف من الأولياء ما لا يعرفون، ويحضر مجالس العلم بمصر في كل وقت. وكانوا يعدون له كرامات عديدة. وفي آخر عمره فقد بصره وتكفف، لأني رأيته حين كنت هناك أعمش رطب العينين، وأخبرونا أنه بقي على حالته في الزيارة بعد فقد بصره إلى أن توفي على ذالك. وكان رحمه الله تعالى يحب الفقراء والعلماء والاجتماع معهم وكان من الذاكرين.

توفي، رحمه الله تعالى، عام أربعة وسبعين ومئة وألف.

هذا ما تيسر وسهل ممن لقيناه من أهل السلوك إلى مالك الملوك فقط.

[من لقي المؤلف من أهل السلوك والجذب معا]

ومن أهل السلوك والجذب معا، نفعنا الله تعالى ببركاتهم، وسقانا من مددهم، بمنه وكرمه، آمين.

[بوجيدة بن زكري]

ومنهم الرجل الفقير المتجرد، سيدي الحاج بوجيدة بن زكري.

كان، رحمه الله، في ابتداء أمره جنانا فلاحا، يعمل بحيرة اللفت والفجل والخضر والمكور والسفرانية والبصل، وغير ذالك من الخضر، وفي بعض الأحيان يشتري الفدان والبحيرة من ربه ويخدمه للأسواق وهو بجلابته وحماره. هذا هو كان حاله، ومع هذا كان نقي الأطراف، ويحضر صلواته.

ثم إنه سافر للحج وحج، ورجع زاهد في ذالك كله، وصارت أحواله أحوال أهل الخير، يفتش على أهل الخير أين ما كانوا وكيفما كانوا. فإذا به فتح دكانا بحرم مولانا إدريس، نفعنا الله ببركاته، فكان يبيع فيه مدة، كل وقت بوقته، بقي بها سنين، وجعل الناس

---

[1] كذا، والصواب: قال.

يتهمونه بالخير حتى صار عيان الناس يقفون عنده في كل يوم ويجلسون عنده. ثم في آخر عمره بنحو العامين، مرض مرضا طويلا، أقعد وسقط لسانه وأعضاؤه.

توفي، رحمه الله، ليلة يوم الخميس، الثامن والعشرين من ربيع النبوي الأول المفضل، عام تسعة ومئتين وألف، وهو على هذه الحالة. ومن يقل له كيف أنت، لا يقول له في الجواب إلا الحمد لله والثناء عليه.

[من لقي الزبادي المؤلف من أهل الجذب الكامل وغير الكامل]

فمن لقيناه من أهل الجذب الكامل وغير الكامل.

[محمد بن علي بن ريسون]

فمنهم الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، الغريق في محبة رسول الله ﷺ، أبو عبد الله، سيدي محمد بن علي بن ريسون الحسني العلمي، القاطن بتازروت، قرية من جبل العلم.

وهو: أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله بن يونس بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن مولانا إدريس الأصغر، باني فاس، بن إدريس الأكبر، دفين وليلى من جبل زرهون، بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وفاطمة، رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ.

كان، رحمه الله تعالى، من أهل العناية، ممن له اليد مع الله عز وجل. وفي ابتداء أمره، كان سالكا سنيا في حياة والده، مولاي علي المذكور، وكان، رحمه الله تعالى، تعتريه أحوال عند سماع مدح النبي ﷺ، ثم إنه صارت أحواله تغلبه ويخرج سائحا في الغابة مجرد الثياب، ويبقى قائما فيها باليومين والثلاثة. ثم في آخر عمره، غلب عليه الجذب الكامل، الغيبة التامة المسقطة التكليف في الظاهر، حتى تحول وصار كالأسد في الغابة، فلا يقدر أحد أن يقدم عليه، وجعله أهله في بيت من داره وسجنوه به، وأغلقوه عليه، ولا يقبل من يدخل عليه إلا الخصوص. فقال لي: زرت مولاي عبد السلام؟ قلت: لا. فقال: ولم؟ قلت: حتى أمشي عنده بالمفتاح. فقال: أين المفتاح؟ قلت: هو أنت. فقال يه، يه. وقال: أين بغلتك؟ قلت: هي هناك. فقال لأصحابه: هاتو بغلته. فأتوا بها، فقال لهم: ركبوه، ركبوه. فرفعوني بين أيديهم، وركبوني، وجعل يقول لي: انده، انده تلحق السوق، انده ولا تلتفت. وبقي يقول ذالك حتى غبت عنه.

[عبد الواحد الزنبور]

ومنهم الشيخ المتجرد، الجامع بين السلوك والجذب، والجذب أغلب، أبو عبد الله، سيدي الحاج عبد الواحد الزنبور.

كان، رحمه الله تعالى، في أول أمره من أكابر اللصوص في وقته، ومن أهل الخمر والدخان والحشيش، وكانت له تباعة، وكان اجتماعهم على الدوام عند ضريح الشيخ سيدي حرازم بالسخونات، ثم وقع له ما وقع مع ذالك الشيخ، وتاب لله وتاب الله عليه من بركة ذالك الشيخ، ﷺ، وحسنت توبته وحالته وسيرته، وكذالك حال بعض أصحابه. وأذن بالحج، فسافر وحج، ودخل تونس، وأقام بها ما شاء الله، ولقي بها ما لقي من الرجال، من أهل الخير بها والصلاح، كسيدي أبي العظام، والشيخ الكامل، سيدي علي عزوز، صاحب العناية الربانية، وأمثالهما، ﷺ ونفعنا بهم. فانتفع هناك منهم، وكان منه ما كان. ورجع إلى فاس على حالة غير الحالة التي خرج عليها، فكان، رحمه الله تعالى، متجردا عن الدنيا وزينتها وأسبابها، يمشي دائما في قشابة خضراء، ومن غير حائك، وبرأسه طربوش، ولم يلبس النعال قط، ودائما يحمل حناك البهائم الجيف وغيرها، حميرا وبغالا وأفراسا، لا يطرحهم عنه لحظة واحدة حتى مات على هذه الحالة، ولم يبدلها قط. ومهما ظهرت جيفه أخرى، إلا أخذ أحناكها، وطرح الأولى وحمل الثانية، وأنزل الأخرى بداره، حتى توفي عن كثير من تلك الأحناك، وتركها مرتبة في داره. وهي السيرة التي أخذها عن الشيخ أبي العظام، دفين تونس، رحمه الله تعالى.

وكان لصاحب الترجمة كلاب وقناجير وعظام بقصد الصيد معدة له مسجونة عنده، وأصحابه يأتونهم بلحوم الجيف المنزوعة الأحناك. ولقد أكثر الناس القول فيه على شأن تلك الأحناك التي يحمل في ذراعه، حتى قالوا: إنه لا يصلي قط، ولا يدخل المسجد، ولا رأوه فيه قط ولو في الجمعة. واحتج عليه بذالك قاضي الوقت، الفقيه العالم الشريف، سيدي علي بن العلامة سيدي عبد الواحد بوعنان، وقبضه وضربه، وطوفه وسحبه، على أن يطرح تلك الأحناك، وأبى إلا حملها. وبقي في السجن أياما، حتى بعث إلى القاضي الفقيه المرابط، سيدي أحمد بن العلامة، سيدي عبد الرحمن بن الإمام، سيدي عبد القادر الفاسي، رضي الله عن جميعهم، وكانت دار سيدي أحمد المذكور مثوى للمجاذيب في وقته كلهم، يأوون إليها، فبعث إلى القاضي، وقال له: هذا سوق غير سوقك. فاترك عنك الزنبور، ولا تتعرض له في شيء قبل أن يلدغك الزنابير. فلم يبال القاضي بكلام سيدي أحمد، حتى وقع للقاضي ما وقع في فضيحة لا ينبغي ذكرها. فكان الزنبور يلقى القاضي، ويقول له: ما أنا بقاض، وإنما أنا زنبور.

وكان، رحمه الله تعالى، كلما لقي الفقيه العالم، سيدي عبد القادر بوخريص، المتقدم ذكره، يقول له سيدي عبد الواحد: يا سيدي الفقيه، تحب أن تكون قاضيا؟ فيقول له الفقيه: ما أراد الله أردناه. ثم لقيه يوما بباب السلسلة والرصيف، فقال له سيدي عبد الواحد: اركب يا سيدي الفقيه على ظهري. فأبى ذالك. فأقسم الزنبور عليه، فركب عليه، ومشى به خلفات وأنزله، وقال له: أنت والله القاضي. هكذا سمعناه بالمعنى من القاضي سيدي عبد القادر بوخريص، المتقدم ذكره، رحمه الله تعالى. ثم إنه بعد ذالك تولى القضاء بفاس، وبقي قاضيا فيها ثلاثا وثلاثين سنة، فهذا من كراماته، ﷺ.

ومنها أيضا:

لما خالفت فاس على السلطان مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل، وطالت الحسرة سبعة وعشرين شهرا، مبدؤها شعبان عام تسعة وخمسين ومائة وألف، ضاق الأمر على الشريف العلامة شيخنا، سيدي عبد الهادي العراقي الحسني، المتقدم ذكره، وقنط وعزم، رحمه الله، على الخروج من فاس لبلدة أخرى. ثم إن بعض المحبين أشار عليه أن يذهب إلى الشيخ الزنبور، صاحب الترجمة، يشاوره في أمر الخروج من فاس، ففعل وذهب إليه يشاوره، واستشاره، فقال له الشيخ: إن الباب يحل في الشهر الداخل، وأنت لا تقنط، ولا تخف من شيء. فرجع الشريف من عنده فرحا مسرورا، وتأخر عن ما كان عزم عليه من الخروج، وجعل ينتظر الوعد الذي وعده به الشيخ. ولما حل الأجل الذي حد له، حلت الباب ووقع الصلح مع السلطان.

ومنها أيضا:

كنت يوما مارا عند الزوال بالخراطين، وأنا قلق، وبعض الأولاد يتمارحون، فدمروني وهم ورائي، فالتفت، وقلت لهم: ما هاذا؟ وإذا بالشيخ واقف، فأجابني وقال: ذاك كثرة الخبز وقلة الزلاط. ثم بعد ذالك قريبا، جاءت الأحكام الجائرة والمسغبة، وانعكس الأمر بقلة الخبز وكثرة الزلاط.

ومنها أيضا:

كانت عندي أمة، وضربتها لأمر أوجبه، فهربت وغابت عني خمسة أيام ما ظهرت، ولم توجد بفاس العليا ولا السفلى حتي يئست منها. ثم خطر ببالي أن نمشي عند الشيخ، صاحب الترجمة، ونتكلم معه. فذهبت إليه، وجلست عنده ساعة حتى فرغ من أمور الواردين عليه، وما فرغ وانصرفوا عنه حتى إلى ضحوة النهار. ولما فرغ ناداني: يا فلان، قم في أمان الله ورسوله، وخادمك إما تجده في الدار، أو يأتيك خبره في الطريق. وأنا والله جالس ما تكلمت معه كلمة واحدة لا في شأنها ولا في غيره سوى السلام. فانصرفت من عنده، وكان الأمر كما قال، رحمه الله تعالى. ولما بلغت فندق اللبادين، لقيني رجل من أهل فاس، فسلم علي، وقال لي: هل غابت عليك خادم؟ قلت: نعم. قال: كم لها غائبة عنك؟ قلت: منذ خمسة أيام. فقال: ما اسمها؟ قلت: مباركة، ووصفتها له وذكرت

له سبب هروبها. فقال لي: إنها عندي، وجدها بعض الناس ليلا في حومة تدور، ودفعها لي حتى يظهر ربها، وهي أبت أن تقول لمن هي. فأدخلتها الدار، وأنا أقيل في الجنان لا أروح إلا ليلا، وبقيت عندنا حتى (حازوها)[1] أهل الدار فانتسبت لك. والآن سر أمامي لدارك، فإني قادم بها عليك. فما بلغت الدار حتى جاء بها. ولما لقيت الشيخ سيدي عبد الواحد، قال لي: جاءت الأمانة؟ قلت: نعم، جاءت كيف قلت، جزاك الله عنا خيرا. فقال: وأين هي؟ قلت: هي في الدار. فقال: لا تتركها عندك في دارك قط، ها أنا قلت لك. ثم إن المرابط سيدي علي التواتي، المتقدم ذكره، وقف بباب الدار، وقال: أخرجوا هذه الخادم عنكم من هذه الدار، فإنها لا تليق تكون فيها، وإن تركتموها عندكم، فلا تلوموا إلا أنفسكم. وتركنا الخادم عندنا حتى نجد بدلها، فإذا بها عملت لنا الرهج اشليمان في قدرة العشاء، وأكلناه بأربع عشرة نفسا، وأشرفنا على الهلاك بجميعنا، (وبعتها)[2] عند ذالك وخرجت عن المدينة. وقلت هذا كلام السادات ﷺ، فلا ملامة عليهم.

ومنها:

طلعت يوما بملاح فاس العليا لغرض، ولما رجعت، وجدت الشيخ سيدي عبد الواحد قاعدا بباب السبع، أحد أبوابها، مكبا على وجهه بالدكاكين، فنادى علي: يا فلان. وكنت خرجت، فرجعت إليه. فقال لي: (اتقد)[3] تعطيني موزونة لله. قلت: نعم. وأعطيتها له. ثم قال لي: أنت عادل من عدول المسلمين. وكنت في تلك الساعة لا أجلس بسوق العدول، فكانت إشارة إلى ذالك. وإذا بكبير من أكابر الوداية الطغاة خارج راكب على فرس، وهو يشرب الدخان، فقال لي، وأشار إليه: اشهد علي أني عييت ما نلاقها على هذا الناس بدراعي ومتاعي ولساني ورقبتي. الآن، اللهم إني قد عييت وغلبت، فإن أحبوا أن يعطوا مفاتيح البلد لربها بالتي هي أحسن، فنعم، وإلا فأنا يدي على راسي ولا ملام علي، ولا يلوموا إلا أنفسهم. وقال لي: سر في أمان الله ورسوله، واشهد علينا بهذا الأمر، وإني براء. فانصرفت. وكانت منانة الجامعية مولات القطوط، الآتي ذكرها إن شاء الله، قالت لي حتى هي تلك المقالة وأنا خارج من باب الصرف في شأن مفاتيح البلد وحمقتها فيه. ثم لما بلغت باب السبع، قال لي الشيخ ذالك، فقلت: هذا مما لا يقبله عقل قط. ثم لما وصلت المرس عند بير الزلالات الذي هنالك، لقيني المرابط السيد الحاج محمد غازي، المدعو القنيت، المتقدم ذكره، فسلمت عليه، فقال لي: من لاين جئت؟ قلت: من فاس الجديد. فقال: وهل لقيت أحدا. قلت: من؟ فقال: ما قال لك أحد شيئا؟ قلت: قالوا لي كلاما لا يقبله العقل. فضرب عند ذالك الأرض برجله، وقال لي: معك أنا، عليه الحرام حتى يكون ما قالوا، ولا يكون إلا هو، ولا يكون غيره. وبعد هذا كله لم يقبل عقلي ذالك. ثم بعد يوم أو

---

[1] كلمة دارجة، ومعناها: أدخلوها عندهم للدار.

[2] كذا. كان الناس يباعون ويشترون، والخادم كانت كالأمة، وخاصة إذا كانت من البادية. وفي موضع آخر، قال الزبادي: بعث لي رجل صاحبي من البادية أمة بقصد البيع. انظر ص:130.

[3] كلمة دارجة، معناها: أتقدر.

يومين، جاء السلطان وقبض كبارهم، أعني الاودابة، وأعطوه المفاتيح، وأخرجوا من البلد، وتركوها لغيرهم رغما على أنفسهم، وصدقت مقالتهم، ﷺ، وذالك سنة أربع وسبعين ومئة وألف.

وكانت عادة الشيخ، صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، يطلب من خصوص الناس الفلس والموزونة، ويعطي ذالك للضعفاء من أهل البيت.

ورأيته في المنام بعد موته نهارا، وهو بمولانا إدريس، نفعنا الله به، خارجا من القبة لناحية الصحن، وعليه كسوة ما لها نظير (وهو يجر كماما نحو كامرة)[1]، وداخل القبة أقوام مثله، والناس يجيئون بأقوام، بالاثنين والثلاثة، من طغاة أهل فاس، ويدخلون بهم للقبة، وسيدي عبد الواحد بباب القبة، فقربت عنده وسلمت عليه ورحب بي. ثم إن أهل فاس الذين دخلوا للقبة خرجوا جملة مطلوقين، فسألته عن ذالك الأمر، فقال لي: ذالكم كلهم كانوا في سخط من الله وتعينوا لأشد العذاب، ثم وقعت الشفاعة فيهم وانطلقوا آمنين مما كان نازلا بهم. وانصرف عني، ودخل القبة وتركني. واستيقظت، فوجدت رجلين اثنين عند رأسي جالسين، دخلا علي يعودونني، وهم من الذين كانوا مسخوطين، وجدوني نائما فأبا أن يوقظاني. فقصصت رؤياي عليهما، ففرحوا برؤيتي ونشطوا.

وتوفي الشيخ سيدي عبد الواحد، رحمه الله سنة خمس وسبعين ومئة وألف، وأوصى بالدفن في داره، فدفن بها، بعقيبة القيروان، وصارت زاويته لأصحابه يجتمعون بها. وكانت له جنازة عظيمة حضرها الخاص والعام من الناس.

[حسين طرطورة][2]

ومنهم الشيخ المجذوب الجذب التام، سيدي حسين، المدعو طرطورة، أصله من الجبل، ولسانه جبلي.

كان، رحمه الله، غائب العقل غيبة اتصال، مستوطنا فاس الجديد، ويقيل بفاس البالي. وكان لباسه الجلابية الواحدة والاثنين مع قلنسوة، ويطلب في الأسواق الفلس والموزونة، وكلما وجد النعل الشنك البالي يلتقطه ويرتبه في حانوت عند جامع الجنائز من السبيطريين، كان يجلس فيها عند المعلم، حتى مات الزنبور وترك الأحناك مرتبة في داره، وفي أي ما موضع.

وكان صاحب الترجمة، رحمه الله، كل ما يسعى من الناس في نهاره يجمعه في قب جلابيته ويمشي بذالك، فلوسا ودراهم، وكان لا يقبض إلا الفلس الكبير، ويرمي ذالك كله في الميضات، إما ميضة الجامع المزلجة من أعلى حومة السياج، أو في ميضات سيدي

---

[1] كذا.

[2] حسين طرطورة (1172هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 291/3.

عبد الرحمن المليلي عدوة فاس الأندلس. ففطن له بعض الأشراف، فكان يحضيه آخر كل يوم ويتبعه للميضات ويأخذ منه ذالك.

وسبب مسألته وطلبه من الناس، أنه قتل روحا من الأوداية، وقبض وسجن، وفي طول سجنه وقع له ما وقع في السجن. فأطلقه أهل الروح من السجن على أن يعطي لهم الدية، فكان يسعى في الفدية ويعطيهم. ولما ظهر فيه ما ظهر، سامحوه وابرأوه، فجعل يسعى، وما يجمع يكبه في الميضات والأودية. فهذا هو السبب في سعيه وفي رميه في الميضات والأودية.

وخرج يوما من فاس الجديد هابطا لفاس البالي، وجلس في المرس يبول قرب مطمورة من المطامير التي هناك. فسقط في المطمورة وانكسرت رجله، وبقي بها لم يشعر به أحد حتى جاء رجل يوم السوق يبول عند تلك المطمورة، فسمع سيدي حسين يئن. فقال: من هنا؟ قال له: حسين. فقال له الرجل: وما لك في هذه المطمورة ؟ فقال له: والله غير الجلابة طاحت في المطمورة وحسين كان في قلبها. فاستغاث ذالك الرجل بالناس، وطلعوه من المطمورة، فوجدوا إحدى رجليه قد انكسرت، وصنعوا له اجبيرة، فتجبر، وبقي يعرج بها، وبها عصابة صوف حتى مات كذالك.

وقال له رجل: الله الله سيدي حسين، أردت الحج هذه السنة. فقال له: توكل على الله. فقال له الرجل: أحببت ما نجوع ولا نعطش. فقال له سيدي حسين: إذا جعت، كل الكسرة، وإذا عطشت، اشرب من الكربة. فقال الرجل: ما عندي لا كسرة ولا كربة. فقال له الشيخ: آش عباك يا ابن الخاوي.

وكان، رحمه الله تعالى، قرب عام الخمسين، لا أعاده الله، كلما وجد بابا لمسجد أو لدار أو غير ذالك، سد فرخة ذالك الباب في الخواء، يفعل ذالك كل يوم. ولما كان عام الخمسين، ما قفل فرخة دار إلا خلت الدار وتخربت، ولا مسجدا إلا تخرب وسد، وكذالك الحوانيت والدروب والطرازات.

وكان، رحمه الله تعالى، يوما هابطا أو طالعا بالشرابليين، في وباء ثلاثة وستين ومائة وألف، ونحن جالسون بباب دار جنازة، فقال لرجل: اعطني موزونة. ففسخ الرجل حزامه، وكانت فيه دراهم كثيرة، وأعطاه موزونة، فقال له: زد أخرى. فأعطاه ثانية، فقال له: زد أخرى. فأعطاه ثالثة. وبقي يقول له زد أخرى وهو يزيده، حتى قال له: هاتهم كلهم، ما عندك ما تعمل بهم، أنت تموت، والناس كلهم يموتون، وتسد الباب بالمفتاح. فدهش الرجل ودخله الرعب، وإذا بالرجل ضرب في ذالك اليوم. وفهمنا من قوله: سد الباب، أنها باب المدينة، وإذا به باب الجنازة التي كنا فيها، مات أهلها كلهم وسدت الدار بالمفتاح.

وقال، رحمه الله، يوما لرجل من أهل فاس، من أهل الحل والربط، جاء مع جنازة لمسجد الجنائز، وهو، رحمه الله، صاحب الترجمة بحانوته المعلومة بعقبة السبطريين،

فنادى على الرجل المذكور: يا فلان، إني رأيت لك منامة، فهات البشارة. فأعطاه موزونة. فقال له: زد أخرى. فزاده. فقال له: إني رأيتك مربوطا من رجليك في بغلة زرقاء، وجروك. فانصرف الرجل مرعوبا. ولما فتحت المدينة، وكانت محسورة، قبض السلطان ذالك الرجل وجره في بغلة زرقاء، رحمة الله عليه، كما أخبره الشيخ.

وكان، صاحب الترجمة، يجلس عند خراز بحانوته، ويلتقط التنوك من الأزقة، ويرتبهم في تلك الحانوت، حتى مات، رحمه الله، وترك تستيفة منهم في تلك الحانوت.

وتوفي عام اثنين وسبعين ومئة وألف.

[أبو عياد بن جلون]

ومنهم الشيخ المسن المجذوب، الغائب غيبة دوام واتصال، سيدي أبو عياد بن جلون.

كان، رحمه الله تعالى، في ابتداء أمره، حسبما سمعناه من أسلافنا ومن الناس المسنين، حاضر العقل، تاجرا يتجر بالقيسارية وغيرها، وكان مولعا بالدندنة، ويضرب العود بيده، وله أهل وقرابة بالسودان، وكانت له أخت عند الطالب محمد القرطبي الزواق، وأخت أخرى عند ولد عمها، ولها ابن أو حفيد جاء من السودان، ثم خلق، كان اسمه الحاج عبد السلام.

وكان صاحب الترجمة يأوي إلى أخته، زوجة القرطبي المذكور، إلى أن لقي الشيخ الكامل، سيدي الحاج الخياط. فكان سيدي بوعياد طول صحبته معه يطلب منه أن يسقيه مما أعطاه الله، وسيدي الحاج الخياط يقول له: لا تطق ذالك. ولما توفي سيدي الحاج الخياط، أشرق في سيدي بوعياد ما أشرق، وبقي ملازما لزاويته المدفون بها بالشرشور، وأكثر الزيارة والانحياش إلى أهل وزان ومن ينسب إليهم، حتى عظم أمره وغلب عليه، حتى ما أدركناه إلا غائبا لا يفرق بين البرد والحرارة، ولا بين الإعطاء والمنع، واجتمعت فيه أوصاف الجذب والملامتية، تنكر الشريعة كل ظاهرها، يمشي في الأسواق وعليه جلابية مكتوب فيها بين كتفيه: حبس، ويغيط على رجليه ولا يبالي، ويدخل المساجد ومولانا إدريس، نفعنا الله به، ويكون وهو على تلك الحالة، ينفض رجليه على حصور المساجد ورشاش العذرة يطير منه عليها، لأن جلابته كانت تكون ملطخة جدا، ولا ترى يده اليسرى دائما إلا قابضا بها ذكره، يستمني بها في الأزقة والمساجد قائما وقاعدا. واشتكى الناس لقاضي الوقت، الشريف العالم، سيدي علي بن العالم المرحوم، سيدي عبد الواحد أبي عنان، فقبض سيدي بوعياد وسجن بالمارستان عشية. وعند الصباح، القاضي جالس يحكم بباب داره، بدرب سلمى، وإذا بسيدي بوعياد جائز يضرب الأرض برجله على عادته وحاله، فبعث القاضي لأهل المارستان يسألهم عن

طلوقه، فقالوا: عهدنا به بالبيت. ودخلوا البيت، فوجدوا السلسلة على حالها مربوطة، فسلم له القاضي عند ذالك وتركه.

وكان صاحب الترجمة، رحمه الله، لا يطلب من أحد من الناس شيئا، ومن أعطاه شيئا، تارة يقبضه، وتارة لا. وذكر لي رجل ممن كان ينفي الولاية والصلاح عن صاحب الترجمة، وأنه نوى إن لقيه أن يسأله عن مقامه، حين كان رآه على تلك الحالة البشيعة، فلما لقيه، ضرب قبل السؤال برجله الأرض، وقال له: وتر.

وأصبح، ﷺ، يوما، في عام أربعة أو خمسة وأربعين ومائة وألف، عند الساقية المنسوبة ليدونة، الكائنة بين المدن وفاس، ملقى على ظهره، ورجلاه مرفوعتان على الحائط، وهو كالميت المعلق، حتى مات وقت الضحى، وقرب الزوال وقام. وفي الغد، أصبح في ذالك الموضع المذكور علج من علوج المخزن مذبوحا ذبحة من أذنه إلى إذنه، ورجلاه مرفوعتان على الحائط، كما كانت رجلا سيدي أبي عياد، رحمه الله تعالى.

وكان رجل من الحرارين، يخدم صنعة الحرير، يقال له الحاج محمد الطوبي، مهما لقي سيدي بوعياد يشتكي له بقلة اليد وضيق الحال، ويلح عليه في ذالك، حتى جعل سيدي بوعياد يأتي عنده للطراز، وكلما جاء عنده طرح له فيه، حتى فتح الله عليه، واستغنى وذهب عنه الفقر حتى مات مستورا من بركته.

وسمعت من الشريف الأجل، الماجد الأفضل، مولاي محمد بن عمرو بن رحمون، وكان يخدم صنعة الحرير بطراز بدرة الأمانة من حومة النجارين وفاس القرويين، وكان سيدي بوعياد، ﷺ، يدخل عنده للطراز ويطلع للمرمة ويخدم له فيها وينزل، حتى فتح الله عليه في الدنيا من أجل الصنعة، وجعل يدخل عليه للطراز، ويقول له: قالوا لك، يكفيك ما خدمت من هذه الصنعة وهاذا الطراز، فاتركه واخدم صنعة أخرى في طرازة آخر. بقي يجيء عنده ويقول له ذالك حتى توفي مولاي قاسم بن رحمون، نفعنا الله به ورحمه. وتوفي مقدم مولاي الطيب من بعد مولاي قاسم، وتولى التقديم والزاوية مولاي محمد، وترك الطراز والصناعة، ودخل سوقا آخر، وهو سوق الفقراء والجمع معهم، والذكر والنظر في أمورهم كلها، إلى أن كان منه ما كان، وظهرت عليه علامات الخير حتى توفي على ذالك، ودفن بزاوية مولاي قاسم، بين قبره والمحراب.

وكان صاحب الترجمة، سيدي بوعياد، ﷺ، له صوت حسن، فكان في بعض الأحيان من أوله تراه بين سوار القرويين يعيط بالعروبي بأعلا صوته، حتى لا تحب أن تسمع غيره.

وكنا غدوة يوم بالقرويين نقرأ على العلامة شيخنا، سيدي علي قصارة، المتقدم ذكره، سيدي خليل، وإزاءنا كرسي كان يقرأ عليه العلامة، سيدي عمر بن عبد الله الفاسي، إذا بسيدي بوعياد صاحب الترجمة جاء وجلس على الكرسي المذكور، وجعل يقول: يوم الأربعاء، اسمع، اسمع ما نقول لك، يوم الأربعاء قبضة فجل بسبعة عشر فلسا،

ويكرر ذالك. ثم إنه يوم الأربعاء الموالي قتل السلطان مولاي عبد الله سبعة عشر رجلا من أهل فاس، رحمة الله عليهم، وأصبح الخبر بالمدينة صباح يوم الخميس، وذالك عام ثمانية وأربعين ومائة وألف.

وكان، ﷺ، يدخل لأسطوان الخواجة الحاج أحمد بن الحاج العربي صفيرة الزحاف قبل زحفه، ويجلس به ويطول جلوسه به أو نومه، بقي على هذه الحالة مدة، وأقعد الخواجة رب الدار، وكان يخرج محمولا، ويجلس على كرسي بالموضع الذي كان يجلس به سيدي بوعياد، وبقي مقعدا حتى مات، رحمة الله عليه.

وسمعت من بعض الثقات، قال لي: كنت في حالة الصغر مشتغلا بما لا يعني، حتى ألهمني الله لخدمة سيدي أبي عياد، فكنت أمشي عنده وأجلس بين يديه وأولع له دواة الدخان، بقيت معه على هاذه الحالة مدة إلى أن قال لي يوما: قال لك بوعياد: مكنه من "طوطة" متاعك. فقلت: يا سيدي، من فوق السراويل؟ فقال لي: والله حتى تفتحه. ففتحته، وقبض ذكري بيده ومصه ثلاث مرات بفمه وأطلقه، وقال لي: شد سراويلك. فشددته. وبالله الذي لا إلاه إلا هو، من ذالك اليوم ما رميت علي الحرام قط.

وروي لي عن الشريف سيدي محمد الغالي الإدريسي، أنه قال له: عزمت يوما على رجل أقتله، فأخذت سبولتي وسرت إليه. فلقيني سيدي أبوعياد بن جلون وطرشني، وقال لي: قال لك السلطان، يعني مولانا إدريس، نفعنا الله به، ارجع عن مقصودك.

وكان لصاحب الترجمة ولد أو حفيد لأخته، اسمه الحاج عبد السلام، خلق بالسودان، أسمر اللون، وكان، رحمه الله، ذو نخوة، يلبس أفخر الثياب وهيئة التجار، فرأيته يوما جاء حاضرا لجنازة، ولما وضعوه بمسجد الجنائز من القرويين، وطلع الحاج عبد السلام، لقي الشيخ سيدي أبو عياد خاله خارجا من زنقة المدرسة الرشيدية، فسلم عليه وقبل كتفه، فلطمه سيدي أبو عياد لطمة منكرة، وجعل الحاج عبد السلام يدور في موضعه، وخرج عن حسه، وجعل يخلع ثيابه حاجة حاجة، ويرمي بها إلى الأرض وهو ذاهب، حتى بقي في القميص والسراويل فقط، وترك ما خلع في الزقاق وسار. وبقي كذالك يهيم في الأسواق في القميص، صيفا وشتاء، حتى مزق القميص، وعملوا له الجلابية كخاله، ويتكلم بكلام لا يفهم، والصبيان يتبعونه. وبقي كذالك إلى أن توفي مقتولا عند عين القادوس في عيطة تفات، رحمة الله عليه، لقي الشظمة بروحه، كما فعل سيدي العربي بن عيشون، رحمه الله، حسبما يأتي، إن شاء الله، في ترجمته.

وعيطة تفات هاذه كانت عام ستة وخمسين ومئة وألف. ولما خالف أهل فاس على السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل، قدس الله روحهما، عام تسعة وخمسين ومائة وألف، وحاصرهم مدة من سبعة وعشرين شهرا، وأخذوا له عدة من القفاطين من الملف تجرونين ملونين من فندق النجارين، وفرقوهم على الرماة صباح عيد الأضحى من كل حومة، بقي لأهل حومة الصاغة قفطان أخضر زائد، فقال بعضهم: هاذا والله لا يليق

إلا بسيدي بوعياد. فتراضوا على ذالك، وقالوا: إن هو قبله ولبسه، بقينا على ما نحن عليه ولبسناهم، وإن امتنع من لبسه ورده علينا، تركنا ذالك من حيث هو. فدخلوا عليه بدار القباج، فوجدوه بأعلاه، فنادوه، فطل عليهم، وهبط وخلع عنه الجلابية قبل رؤيته للقفطان، فجعل الشيخ يزغرت ويولول، ويقول: تبارك الله على سيدي أبو عياد، ويمقط أكمام القفطان، ويطل على رجليه وينظر. ثم جلس متكئا على دفف البيت، وجعل يشرب الدخان، ويتكلم وحده، فطلبوا منه الدعاء، وقالوا له: ادع لنا يا سيدي، نحن قطعنا هاذه القطعة على الله وعليكم. فجعل، رحمه الله يتكلم مع الأرض، حادرا رأسه، ويقول: حار الناس مع هاذا الزبي بناني، كيفما فعلوا معه وحلوا ولا لحقوا له غرضا، اعطوه قطيعة صغيرة، إذا مد رجليه مسه البرد من الأرض وكمشها، فاشفقوا منه وأعطوه قطيعة كبيرة، فرشها (الزبي)[1] بناني، ورقد الزبي بناني، وغطا الزبي بناني، وسخن الزبي بناني، وبال في القطيعة. فقالوا: والله قطيعتنا لا تنجس. فسلوا قطيعتهم من تحته وتركوه على الأرض. فلما سمعوا منه هاذه الإشارة، خرجوا من عنده فرحين آمنين.

وفي آخر تلك الحسرة كان، ﷺ، يطل على الصاغة من سطح الدار، ويقول: ذهب اليل بظلامه، وأقبل النهار بضيائه، والحمد لله على فضله وإحسانه. أصبح ولله الحمد، أصبح ولله الحمد. بقي يقولها حتى فتحت الأبواب. وبعد حلها، أطلعه يوما عم القباج إلى السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل، قدس الله روحهما، وعلى الشيخ القفطان الأخضر المذكور، وحين رآه السلطان من البعد، سأل عنه من هو. فقالوا له: مرابط. فأمر بإطلاق القناجير عليه، فأطلقوهم، وجاءوا إليه، فجعلوا "يمرحبون" به، ويلحسون ثيابه ورجليه، ولما بلغ إليه زاره وأعطى للقباج خمسين ريالا.

وحكى لي من أثق به أن أخاه ابتلى بالوسوسة، واشتكي لأخيه، فقال له: عليك بسيدي بوعياد، ونمشي معك تزوره في هاذه المسألة، عل يجعل الله على يديه فرجا. قال: فمشينا عنده، فوجدناه يشرب الدخان، فأعطى للمشتكي الدواة من فمه في فمه، وقال له: خذ يا سيدي الفقيه البركة. قال: فقبضها منه بفيه وسفها، فمن ذالك اليوم لم ترجع لأخيه الوسوسة، رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به، آمين.

وذكر لي أيضا آخر أنه سمع ممن يثق به قال له إنه كان جالسا بقبة مولانا إدريس، نفعنا الله به، يقرأ دلائل الخيرات نهارا، ودخل سيدي بوعياد، رحمه الله، للقبة ينفض رجله، وهو ملطخ بالنجاسة على تساريح القبة، قال: فقلت في نفسي، إن هاذا على هاذه الحالة، ولا رده أحد عن تنجيس هذه الموضع الشريف؟ قال: فقرب إليه سيدي بوعياد، وقال له: هاذا بوعياد القرشي، على رجليه يمشي يطوف بالعرش.

---

[1] كذا، وهي كلمة سفه بالدارجة، وتعني ذكر الرجل، ونقلها الزبادي كما جاءت على لسان صاحبها. ونقل كلام السفه في مكان آخر أيضا.

وقد تقدمت حكايتي معه في الزواج حين بعثتني إليه البستيونية، وبعثني هو إلى إلى الشيخ سيدي أحمد البرنسي، دفين جبل لمطة، ﷺ، وبعثني سيدي أحمد البرنسي إلى مولانا عبد السلام بن مشيش، رضي الله عن جميعهم، وسقانا من مددهم بمنه وفضله، آمين.

ولما عرفه، ﷺ، القباج، وحازه لداره، واشتغل بخدمته، تنظف وشفي من الدنس والقذر، ولم يبق به شيء من ذالك، وقل خروجه للسوق، بل انقطع.

ولما قرب أجله، رحمه الله، كان يقف على سطح الدار؛ دار القباج، ويطل على الزقاق يعني الصاغة، ويقول: عزم اليل بالرحيل، وما بقي غير القليل، قرب الصباح، قرب الصباح.

توفي، رحمه الله، في أول رجب الفرد الحرام في وباء عام ثلاثة وستين ومئة وألف، ودفن بالدار، ليست بدار القباج، من حومة الصاغة وفاس القرويين، كان فيها نصيب للمعلم ولد أخته الشيخ السيد محمد القرطبي، والباقي لغيره، فوهبوه على الشيخ يدفن فيها، وبناها القرطبي وزوقها، وقبره بها مشهور، فهي عليه هناك زاوية لها إمام راتب. وكان يعمرها الشيخ مولانا أحمد الصقلي الحسيني المتقدم قبل موته، (وعمروها)[1] بعده الفقراء العيساويون، وهو بها إلى الآن.

[العربي بن عيشون]

ومنهم سيدي العربي بن عيشون المجذوب، الغائب الغيبة التامة.

كان، رحمه الله تعالى، يلبس الحائك ابن شقرة فقط من غير فلنسوة ولا نعل، كثير اللحية وافرها من غير تحسين، مزرزر بالشيب، ويداه دائما تحت عملته، وهو يحرك أصابع يديه من تحت الحائك، ويجر شملته العليا، والصبيان يجذبونه من حائكه، وهو يدعو فيهم، وكان دعاؤه لهم: الناموس العسري. وإذا حرقوا عليه، يقول: سيروا، الله يسلط عليكم البرانية بالخل والسمن. ولما خالفت فاس على مولاي أحمد الذهبي العلوي وشدوا الأبواب وحسروا مدة من سبعة أشهر، وولت عاشوراء في تلك الحسرة، وليلة عاشوراء بعد صلاة العصر، جاء سيدي العربي بن عيشون وهو في غاية الهول والروع، ووقف عند باب العطارين مقابلا للمدرسة، وجعل يقول: ما رأيت غير ذكر العبد في فرج الفاسية، يقولها ويعيدها. فسمعه رجل من أصحاب مولاي قاسم بن رحمون، وكان مولاي قاسم بالقرويين، فأخبره صاحبه بما قال سيدي العربي، فقال له موي قاسم: اخرج عنده وقل له: قال لك أبو القاسم: الغرب برقبتك. فخرج الرجل، وقال لسيدي العربي: قال لك مولاي قاسم: الغرب برقبتك. ومن الغد أصبحت عاشوراء، وأصبحت الجيوش دائرة

---

[1] كذا في المخطوط.

بالمدينة محيطة بها من كل ناحية، دور بالخيل ودور بالزجالة. ودهش أهل المدينة من ذالك، ودخل قلوبهم الرعب، وغلقوا الأبواب، وطلعوا على الأسوار، فخرج سيدي العربي بن عيشون إلى باب المسافرين، فوجده مغلقا، والناس فوق سطح الباب، ووراء الباب من داخلها بالعلوم والرايات، فأمرهم سيدي العربي بفتح الباب، فأبوا، ثم قال لهم: افتحوا الباب. فأبوا. فقال لهم: والله إن لم تفتحوه حتى يحل أو يقع بكم ما لا تطيقونه. ثم جاء سيدي عبد المجيد التريكي، فقال لهم: ما لكم؟ فقال له سيدي العربي: قالوا لنا: نلقوها برقابنا، او برقبتنا، فها نحن جئنا (نلاقوها) [1] بما قالوا. فقال لهم سيدي عبد المجيد التريكي: حقا ما يقول؟ فأمرهم عند ذالك بعض من له الكلام من أهل المدينة بفتحها، ففتحوها وخرجوا بالرايات والأعلام، وشوقوا بالصلاة على النبي ﷺ، ونادوا بمولانا إدريس، نفعنا الله به، وخرج سيدي العربي وسيدي عبد المجيد أمام العلوم، وتكلم البارود من الجهتين، ولم يسقط إلا سيدي العربي أولا وسيدي عبد المجيد، وماتا معا في الحين، ولم يمت في ذالك الباب غيرهما، وانهزم العدو، ومات بباب فتوح مرابط آخر، سيدي محمد الشريف التونسي لا غير، وانهزم العدو من كل ناحية، وذالك فاتح اثنين وأربعين ومائة وألف.

[عبد المجيد التريكي]

وسيدي عبد المجيد التريكي هاذا كان رجلا مجذوبا فائقا، مجردا على الفطرة، في قشابة وقلنسوة بيضاء، كان يأوي في دويرة عند روضة الشيخ سيدي محمد عزيز بالدرب الطويل، وفي المسيد الذي بباب مسجد سيدي أبي الشتاء بحارة قيس، ويبيع الرفارف للصبيان، وكان يوقظ الناس للسحور في رمضان، وهو يقول: يا محمد، يا مظلل بالغمامة، عليك سلام الله يا زين العمامة، ويدق على باب كل دار، ويقول: ءا كسكسو، ءا الغنمي، أبو هزة. هاذه حالته في كل رمضان.

وكان رحمه الله يسوق بالصبيان عند الختمة، يكون الذي ختم راكبا على فرس والصبيان أمامه يسوقهم سيدي عبد المجيد، وهو يقول: يا مولانا يالرسول، بك نصلي، بك نصوم، بك نقضي حاجتي. والصبيان يردون عليه، ونوبة الطبالين من وراء الخاتم، إلى أن يصلوا لمولانا إدريس، نفعنا الله به، يزورون الذي ختم، ويرجعون على تلك الحال إلى الدار.

توفي، رحمه الله تعالى، يوم عاشورا مع سيدي العربي بن عيشون كما ذكرنا، وفرج الله على المسلمين ما كانوا فيه من الخوف والرعب والكرب، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] كذا في المخطوط.

[عبد السلام الرمان]

ومنهم الشيخ المجذوب، الغائب غيبة اتصال، أبو محمد، عبد السلام، المدعو الرمان، أصله والله أعلم من الجبل.

كان، رحمه الله، غائبا عن الجوع والعطش، وعن البرد والحرارة صيفا وشتاء، حافي الرأس والقدم، عاري الجسد إلا ستر العورة بطرف ثوب رث، ساكت لا يتكلم إلا قليلا، ولا يأخذ من أحد شيئا. رأيته يوما في فرن زقاق الماء وجاء رجل فأعطاه حائكا جديدا، فأخذه من يده وعزم على أن يرميه في بيت النار، ثم إن الذي يوقد النار قبضه من يده وأعطاه لربه. وكان، رحمه الله تعالى، لا يبيت قط إلا في بيت النار صيفا وشتاء. وكان، رحمه الله، إذا وجد من يشرب الدخان يأخذها من يده ويشرب منها ويردها له، وإن أعطاها له ربها في أول وهلة لم يأخذها منه. وبعض المرات، وهو قليل، تراه يأخذ نصف الخبزة أو ربعها من الحوانيت ويأكله من غير إذن، وإن أعطاها له أحد لم يأخذها.

وكنت يوما جالسا بحانوت بعين علولين المغرب والعشاء عند خباز صاحبي، فجاء سيدي عبد السلام وأخذ خبزة وسأل عنها بكم وطرحها، ونظر إلي وقاء نحو الكيل من الماء، وذهب لناحية التيالين، ثم رجع وقبض الخبزة بيده، وسأل أيضا عنها بكم هي، ونظر إلي وقاء مثل المرة الأولى، وذهب لناحية العطارين، ثم رجع وفعل كما فعل أولا، وثانيا، ثم ثالثا، ثم رابعا، حتى كمل أربعة عشر مرة، وفي كل مرة منها ينظر إلي ويحرف النظر، فقلنا: الله تعالى يجعل لنا السلامة في هاذه النظرة وإشارة القيء. ثم لما أذنت العشاء، ذهبت وصليت العشاء بمولانا إدريس، نفعنا الله به، ورحت إلى الدار، فوجدتهم قد تعشوا، ونام من نام منهم، وعشائي في المائدة، وكانت اللحم بالدباء والبطيخ. ولما أردت الأكل، لم أقدر على شيء، لا لحم ولا غيره، وهربت (فرابيس)[1] من ذالك الطعام، وحين كنت خائفا، أكلت شيئا ما وغلبت، فجعل فمي يرشح بالماء الباسل، وتكمش فمي، وذهب عني النوم، وإذا بأهل الدار قاموا كلهم يقيئون، من بأسفلها ومن بأعلاها، وبتنا كذالك، وظلنا كذالك ونحن أربعة عشر رقبة، كلنا أكل من تلك العشاء، ونحن كالجنائز والناس داخلون علينا خارجون، أفواجا أفواجا. فكان ذالك هو قيء سيدي عبد السلام أربعة عشر مرة. والنظر الذي كان ينظر إلي والناس كل واحد وما يقول، منهم من قال حنش مجروح تمرغ في الملح، وطبخ العشاء بالملح، ومنهم من قال: الوزغ بسقت في القدر ولم تغسل، وطبخ فيها كذالك. وعشية اليوم الثاني تبين لنا أن الرهج عملته لنا الخادم في قدرة العشاء، وهي إشارة الشيخ الزنبور المتقدمة ببيع الخادم، وإشارة الشيخ سيدي علي التواتي، ﷺ.

---

[1] كذا.

وتوفي الشيخ سيدي عبد السلام، صاحب الترجمة، عام اثنين وتسعين ومائة وألف، رحمه الله، ودفن بالشرشور، بزاوية سيدي محمد بن الشيخ مولاي التهامي بن محمد العلمي الوزاني اليملحي الحسني، نفعنا الله تعالى بهم وسقانا من مددهم بمنه.

[عبد الله يزرور]

ومنهم الشيخ الجامع بين السلوك والجذب أكثر، أبو محمد، سيدي الحاج عبد الله يزرور، الشرقي أصلا، الفاسي دارا، اللمطي نسبا.

كان، رحمه الله تعالى، قوي الحال، ضيق الخاطر، إذا قوي عليه حاله واشتد تراه يرد (ويعتر) [1] بالسفه (والختا)[2] والكلام الرديء، ويدخل لمولانا إدريس، نفعنا الله به، وللقرويين بتلك الحال الردية والسفه، ويقطع على الناس التلاوة والذكر والصلاة على النبي ﷺ، ويشوش على من يسمع الوعظ من الواعظين في سماع التفسير والحديث. وسألت يوما بعض العارفين، ﷺ، عن حاله، فقال لي: إنه (محجر)[3] لم يرشد، وله أمانة كبرى تحت يد من هي عنده، وهو يراها ويعلمها ولاكن ممنوعا منها حتى يرشد أو يموت من هي عنده. لأنه كان إذا كلمه أحد يقول: تعدوا علي وقهروني بجنودهم، وأنا أشارع معهم على ديني. وفي آخره سكت عن ذالك الكلام، وصار يتكلم بكلام لين، ويدخل لمولانا إدريس، نفعنا الله به، ويجلس على سارية متكئا ساكتا حتى يفرغ الناس من الصلاة، ويمشي إلى القرويين، وإذا تكلم يتكلم بالمعاني. فقلت: لعله قد رشد وتمكن من حاجته، لأن العامة يقولون: الذي أصابها سكت.

ودخل يوما قبل رشده لمولانا إدريس عند الفجر، فوجدني على الكرسي أسرد التفسير، فجعل يصيح بأعلى صوته بالسفه القبيح والختا، حتى وقف على المجلس وهو على تلك الحالة، فقطعت القراءة وسكت، لعله يصد أو يصمت، فلم يصد ولم يصمت، وكان مداوما على تلك الحال في ذالك الوقت، فقلت عند ذالك للحاضرين: اللهم إن هاذا منكرا من أعظم المناكر في هاذا الوقت وفي هاذا المكان المحترم وأنتم فيه مراءون، ولو فعل هاذا الفعل غريب، لفعلتم به ما فعلتم، وحين هو فاسي، وبعد فاسي يزرور، لم يرده أحد عن فعله الشنيع البشيع. فقام عند ذالك أهل المجلس كلهم إليه ودفعوه وأخرجوه عن المسجد، وهددوه بالمارستان. فبقي نحو أربعة أشهر لا يدخل لمولانا إدريس ويدخل القرويين، ويشتكي إلى الناس، ويقول: انظروا سيدي الزبادي قهرني بجنوده، وأرادوا أن يجعلوني في المارستان. ثم صار يجيء عندي نهارا ويقول لي: نتصالحوا. فأقول: لا.

---

[1] كذا ولعلها يعير.
[2] كذا، وهي كلمة دارجة معناها: السب.
[3] كذا، والصواب: محجور.

حتى جاء يوما، وهو يظفر الدوم، وجلس مقابلا لي، وقال: يا سيدي الزبادي، أما أنت الذي تفتش كتب الصالحين عنهم وعن أخبارهم؟ قلت: نعم. فقال: أما رأيت فمنهم ومنهم ومنهم؟ قلت: نعم، ولاكن لم أر رهطك، ولا وقفت عليه، الذي لا ينطق إلا بالفحش والسفه، ولا سيما في حرمات الله الواجت تعظيمها، وفي وقت الخير والربح. فقال لي: والصلح خير. قرأتها؟ قلت: نعم. ولاكن لا نقبل منك عذرا في ذالك قط. فقال: هاكذا قلت؟ قلت: نعم. فقام وانصرف. وصار يجيء كل يوم لمولانا إدريس فيجدني أقرأ، فيقول: صباح الخير يا سيدي الزبادي. فأشتغل بقراءتي، ولم أجبه. فمن تم عاد لا يكون أمر واقع أو سيقع إلا ويجيء يخبرني به بالمعنى والأمثلة والآي القرآنية، ولا يصرح بشيء من أجل الفترة الحاكمة عليه وعلى غيره.

وكان يوما يتوضأ قبل الفجر في سقاية مولانا إدريس، نفعنا الله به، فسرقت له البلغة، فأغلق أبواب مولانا إدريس كلها، ووقف بالقبة، وقال: هاكذا يا مولاي إدريس، الزعماوة في الخميس يبقى المحراث عنده مطروحا عاما ولم يتعد عليه أحد، وأنا جئت لنتوضأ عندك، تمشي لي بلغتي. فقال له الرجل: وإذا كان محتاجا إليها؟ فقال له: ما احتج إلا بلغتي، وأما بلغتك فلم يحتج إليها. فقلت له: بلغتك أخذها بقصد البركة. فقال لي: إذا كانت البركة، بلغتك أولى، شريف وفقيه ويجلس على الكرسي. ثم قام وفتح الأبواب.

وكان، رحمه الله، لا يأكل إلا من عمل يده، يصنع الشطاطيب ويظفر الشريط ويحتطب من الخلاء، ولا يقبض من أحد كثيرا ولا قليلا، والشطابة إذا قال بأربعة فلوس، ما يمكن يقبض ثلاثة ولا خمسة، وكذالك الشريط والحطب، إذا قال فيه سوما، فلا يقبض ولا يقبل نقصا ولا زيادة.

ومن ورعه، رحمه الله، مرض مرضا ألزمه الفراش، فجاء رجل من أصحابه ومن جيرانه يعوده، فطبخ حريرة وجاء بها، فقال له: اشربها. فجعل يرغبه في شربها، فقال له: لا أشربها حتى تعمل لها القيمة، وإلا رد متاعك لدارك. فقال له: يا سيدي، هي لك حلال عن طيب نفس، جعلتها لله. فقال له: لا، إلا بقيمتها. وردها الرجل لداره، أو تصدق بها.

وكان، رحمه الله تعالى، في صغره يخدم صنعة الحياكة وحزوم الصوف مع المعلم، المرحوم الحاج أحمد بن زكري بطراز الصقلي الكائن بباب درب زنقة الجياد من أعلى البليدة. وفي عام الخمسين، لا أعاده الله على المسلمين، سافر للحج، فحج ورجع، ودخل تونس وأقام بها مدة، لقي هناك من لقي من المشايخ وأهل الخير، فأمروه وجلبوه، وانقلبت أحواله من صغره حتى رموه بالحمق والجنون، وجعلوه في المارستان، ثم أخرجوه وبعثوا أهل الخير إلى فاس، فجاء على الحالة التي كان عليها. وكان لا يحب تقبيل يده، ولا يدعي دعوى قط، ولا ينسب لنفسه شيئا.

وكان، رحمه الله تعالى، يحج للقرويين بعد صلاة الصبح، ويقف علينا في حزب باب المحراب، ويجلس حتى يقرأ الحزب، فيقول لنا: الله يعظم الأجر، لله ما أعطى، وله ما أخذ، الاقدام لله. ثم مرض الفقيه العدل الواعظ، سيدي أحمد بن محمد زاكور، أحد الحزابين، وتوفي، رحمة الله عليه.

وجاء يوما لمولانا إدريس عند طبوع الشمس، وكان السلطان حارسا على مليلية، فقال لي: يا سيدي الزبادي، تعرف مليلوا؟ قلت: نعم. قال: تعرف مليلية؟ قلت: لا. قال: واين هو مليلوا؟ قلت: بين وادي القطب وملوية. فقال: إذا تزوج مليلية ومليلوا تكتب لهما الصداق؟ قلت: نعم. قال: وإذا افترق حيون من حيونة، تكتب لهم الطلاق؟ قلت: نعم. فقال: بلغ لعمك الحاج السلام، وقل له: إذا عنده القرون، ينطح هذا الأرض أو الحائط. ثم انصرف. ومن الغد أو بعد الغد، جاء الخبر بأن السلطان عمل المينة فخرجت في الفضاء، وأهدم صورا بالكور، فأصبح مبنيا. ثم لقيت بعد ذالك سيدي الحاج عبد الله، فقال لي: إذا رأيت المعلم، قل يقرئ لهم السلام. واليوم الذي سافر فيه السلطان لمليلية لقيته فقال لي: يا سيدي الزبادي. قلت: نعم. قال: أنتم قرأتم، ونحن عامة، إذا نسألكم عن شيء لا بأس به. قلت: نعم. قال: الرجل إذا يكون عليه العذر، الجنابة مثلا، يزولها الماء النجس. قلت: لا، الماء الطاهر الطهور. قال لي: هاكذا. قلت: نعم. فقال: بلغ لعمك الحاج عبد السلام.

ولقيته يوما قرب المغرب بالحفارين وأنا بباب حانوت الحداد، وأنا أنظر إلى الحديد أخرجوه من النار، واجتمعوا عليه بمطاريق يطرقونه والنار طايرة منه إلى المحجة، وإذا بسيدي الحاج عبد الله ناداني من باب فندق الحمص: يا سيدي الزبادي، سمعت المطرقة ما تقول؟ قلت: لا. فقال: اسمع، فإنها تقول: طن طن في رأس من لا يفطن. وكلامه، ﷺ، ومعانيه لا تنحصر ولا تحصى، ما يفهم منها وما لا يفهم.

وكان، رحمه الله تعالى، لا يقطع القناطير التي بين العدوتين، لا تراه بجهة الأندلس ولا بالعدوة قط.

توفي، رحمه الله تعالى، يوم الجمعة يوم عرفة تاسع ذي الحجة الحرام متم تسعة وتسعة ومائة وألف، ودفن، ﷺ، بداره بزقاق الرمان، وكنت المباشر لغسله وإترابه في قبره، والحمد لله رب العالمين.

[أحمد الفيلالي]

ومنهم الرجل المجذوب الغائب الغيبة التامة، أبو العباس، سيدي أحمد، الفيلالي أصلا، المعروف بالعريان.

كان، رحمه الله تعالى، من الغائبين غيبة اتصال، استوى عنده البرد والحرارة، فكان يطوف في الأسواق والمساجد عريا كما ولدته أمه، في الصيف والشتاء، ولا يبالي

بشيء من ذالك. وفي أول أمره، رحمه الله، قدم إلى فاس وهو لا يتعرى، وكان لا يمسك شيئا من البول ولا من غيره، قائما كان او قاعدا، ويطوف كذالك في الأسواق ولا يبالي، ولا يتكلم مع أحد بقليل كلام ولا بكثيره، ثم تقرر جلوسه مقابلا لبوطويل من شرق الجامع، وكل من جاءه يخرج منه من قبل ودبر، ويقوم كذالك حين يقوم ملطخا بالنجاسة، والناس يجيئونه ليلا يوديهم، والناس يباشرونه بالطعام بما تقوم به النية. بقي هناك على تلك الحال مدة ثم انتقل من ذالك الموضع إلى باب حمام الصفارين المعدة للنساء، وبقي به مدة، وهو ملقى إما على ظهره وإما على جنبه، حتى أطلق الله سراحه، وجعل يمشي في الأسواق منظفا من القاذورات وبين سواري القرويين، ويشترون له الجلابية أو القشابة فيكون مستورا، وحين يشتد به الحال ويضيق، تعظم ذاته فلا تحملها جلابية ولا قشابة، فينزع ذالك عنه أو يمزقه من شدة الذي به. وتراه ينفخ نفخا شديدا وهو كيف ولدته أمه، وتارة يرمي ذالك عنه، وتارة يحملها على كتفه، وتارة يشق الجلابية من جنبه وتبقى عليه، وحين يشتد به ذالك، تراه بين سواري القرويين وهو على قفاه ونفسه تسمع من الصحن، وهو يجلس ويقوم إذا كان الليل. وإذا كان النهار، يخرج إلى السوق كذالك. وطلع يوما في عشية عندي للحانوت وهو عريان على تلك الحال، في أشد ما يكون من التعب، وجعل يفتش في الحانوت ويدور، ويقول لي: خصني ما ناكل. فقلت: نسقه لك من الدار. فقال: لا، خصني ما ناكل. ثم نزل من الحانوت. فقلت: يا سيدي، إن هاذا الناس أهل البلد يشترون العدة، ويجتهدون في ذالك، فقال لي: لا حسرة، ولا يسخر لهم شيء من ذالك. فعرفت أن الحسرة لا حسرة، وأن الغلاء يكون. فكان الأمر كذالك، نفعنا الله به.

وبتنا ليلة من الفقراء العيساويين عند بعض المحبين، وخرجنا في نصف الليل أو ثلثيه، فأدخلنا بعض الفقراء داره (لنأخذوا)[1] عنده راحة، فوجدنا سيدي أحمد، صاحب الترجمة، نائما عنده في بيته على القرقطون مع سيدي أحمد، فأبى ونزل على الفراش، وقال لرب الدار: من أين جئت بهاذه رباعة السياب معهم هاذا الطرمون. وخرج وذهب عند النساء للبيت الآخر، وضربه بعض الأشراف ضربة منكرة، جرحه وأشرف على الموت، وبرئ وقام، ونزل بالضارب ما نزل، ومات قريبا.

وكان، رحمه الله تعالى، لا يقطع القناطير، لا يدخل تراب الأندلس ولا العدوة، كما كان عليه سيدي الحاج عبد الله يزرور، المذكور قبله.

توفي سيدي أحمد، صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، سنة تسع وتسعين ومئة وألف.

[1] كذا، والصواب: لنأخذ.

[أبو بكر الطرابلسي]

ومنهم الطالب الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، سيدي الحاج أبو بكر، الطرابلسي أصلا.

كان، رحمه الله، من الطلبة القاطنين بالمدرسة المصباحية، ويحضر في القرويين مجالس العلماء بالعلم، وكان يكثر البحث والمجادلة في المجلس. وكان يحضر معنا في قراءة الشيخ خليل على شيخنا العلامة سيدي محمد جسوس.

وكان في بعض الأحيان يتخلخل عقله وتسرقه أحوال، ثم جعل ذالك الأمر يتقوى عليه ويكثر نزوله به، وجعل يزيد شيئا فشيئا حتى غلب عليه، وجذب وتجرد، وصار يهيم في الأسواق، وتساوت عنده الحرارة والبرد، وسكت لا يتكلم مع أحد إلا قليلا، وجعل يلتقط فضلة الحطب الساقطة في الأزقة، ورثت ثيابه وصار لا يبالي بوسخ ولا بخلق الثياب ولا بتحسين الشعر. ثم صار يحمل الأدباش في ثوبه من قلاليش القطران والزيت والسمن والشحم وزلايف وأحجار وحايد ويحمل ذالك على عنقه يطوف به في الأسواق، ويجلس بذالك عند الخصة الوسطى من القرويين، ويطرح الحمل على ظهره، ويصفف تلك القلابيش واحدة واحدة، ويخرج الدواة والقلم واللوح ويشتغل بالكتابة، كتابة لا تقرأ وكلاما لا يفيد. وإذا أراد القيام يرد ذالك العفش إلى شاميته ويحمله على ظهره، ويسرح به. وإذا مر بسوق العطارين يأخذ من الحوانيت الحنة والسرغينة والغسول والشب والمقصاة والإبر، ويجعل الكل في شاميته. فهاذه كانت سيرته.

وكان، رحمه الله تعالى، يشير بإشارات لا تفهم حتى تقع.

وحكاية سبب موته تقدمت كاملة في ترجمة سيدي عبد الرحمان، الممنون عليه بالإسلام، وذالك عام ثمانين ومائة وألف. وكانت له جنازة، حضرها الخاص والعام. ودفن بمطرح الجنة، خارج باب فتوح.

[محمد أبو عجارة]

ومنهم المجذوب الغائب غيبة اتصال، أبو عبد الله، المدعو أبو عجارة.

كان في أول نشأته قبل غيبته، وهو أصله من الجبل، يخدم بالشهر مع أهل بوعجارة جنان قرب باب الجديد، وبه بدئ، رحمه الله تعالى، في تبديل حاله وسيرته، حتى جذب فكانوا يسمونه بأبي عجارة، وكان يغضب من ذالك أولا ولم يرض بذالك. ثم صار يغيب ويجذب شيئا فشيئا حتى كملت غيبته وجذبه، وجعلوه من العساسة يتكلم بمعاني لا تفهم وإشارات، وأجلسوه أولا بالفخارين قرب البلاحين، بقي هنالك مدة، ونقلوه إلى عين علون، فكان تحت باسط حانوت سفاج.

وجزت به يوم عيد الأضحى وهو بالفخارين، وولدين (صغارين)[1] يتكلمان معه، وهو يقول لهما: اعطوني ما ناكل. وهما يقولان له: ما تحب أن تاكل، نأتوك به. قال لهما: ما أردت إلا الخل والزيتون. فقال أحدهما: نسوق لك اللحم من الدار من طعام العيد. وهو يقول: ما أحببت إلا الزيت والخل والزيتون. وانصرفا عنه. فسألتهما: أعندكما أحد مريض أو غائب؟ قالا: أبونا غائب. فقلت لهما: وما خبره عندكما؟ قالا: سمعناه مريضا. فقلت في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هاذه إشارة. ثم إن غدا أو بعد غد جاءهما الخبر بموت والدهما.

وكنت يوما جائزا على عين علون، وأنا أتحدث مع نفسي بولدي ختم السلكة بالمسيد، أن يكفيك. فقلت: نعم. وانصرفت. ولما جئت يوم (البدي)[2] لنشتري السفنج للولد، قال لي: أنت عورته. وخرج الولد من القراءة. وكان سببه أغضبني في الدار بفعل يغضبني، فحملني الغضب على أن دعوت فيه دعوة قبيحة.

توفي صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، عام تسعة وثمانين ومئة وألف، ودفن بسقاية الدمناتي بزاوية سيدي الشيخ بن أحمد، نفعنا الله به.

[عبد الرحمان حليمة الجبلي]

ومنهم الفقير المجذوب المتقشف، المتجرد عن الدنيا وأسبابها، سيدي عبد الرحمان، المدعو حليمة، الجبلي أصلا.

وسبب تسميته، رحمه الله تعالى، بحليمة، كان تزوج بامرأة من دار الشيوخ العميان برياض جحا اسمها حليمة، وكانت جميلة جدا، فحسده فيها صاحب له، كان اسمه حد، كان يبيع الحمص بباب شرق الجامع، ويأوي في البيت الذي هنالك، يعمل فيه الجير الآن. وكان حد رآها قبله وعول على أخذها لنفسه، فسبقه إليها سيدي عبد الرحمان، صاحب الترجمة، وأخذها صاحبه الذي كان يقول له فيها ما يقول. فلما تحقق لسيدي عبد الرحمان الأمر، هاج عليه حبها، وندم على مفارقتها، وعرف بهتانهما. فكانا في كل يوم وفي كل ساعة يختصمان، وتقع الفتنة بينهما على حليمة، ويترافعا لمجالس الحكام، ولم يجد لها طريقا حتى خرج عن حسه وعقله، حتى كان يمشي في الأسواق يبكي وينادي: يا حليمة. وفي كل ساعة يمشي لباب دار الشيوخ، وينادي: يا حليمة، طلي علي. ويبكي. فسموه من أجل ذالك حليمة، وأين ما رأوه الصبيان ينادون عليه: يا حليمة. وبقي كذالك سنين وهو يبكي مع كل زنقة وينادي: يا حليمة. حتى توفيت وزوجها عام خمسة أو ستة وخمسين ومائة وألف. وبقي هو على حاله يبكي، حتى انقلبت أحواله وسكن الخلوة.

---

[1] كذا، والصواب: صغيرين.
[2] كذا، وهي كلمة دارجة، معناها: البدء.

وكان، رحمه الله، نقي الثياب، نقي الأطراف، وكان عنده أقوام يعطونه، مولى الفلس الواحد، ومولى الفلسين، ومولى موزونة، فكان يطوف عليهم كل يوم ولا يقل لأحد اعطني، ولا يمد يده لأحد إلا إذا أعطاه عن طيب نفس، وإذا سأله أحد عن خبر من أخبار الدنيا، (قيهر يوا واها، ما هنا عير اعراي) [1].

وقد مرض لي ولد (عتم الشرشام)[2]، عام أربعة وتسعين ومئة وألف، وأصبح بخير بعدما كان مغلوبا، وخرجت عنه للحانوت. ثم إن الخادم جاءتني عشية النهار تبكي وقالت لي: إنه ينازع. فرعبت ودهشت من أجل ذالك. ونزلت وسرت إلى الدار، فإذا به لقيته، فضحك، وقال لي: والله، باس ما كان غير أرى الفليس متاعي. فناولتهما له. ودخلت الدار، فوجدت الولد في غاية الشدة، وإشارات الموت كلها فيه، وأمه مرعوبة. فجلست مستمطرا للقدر. ولما صلينا المغرب، رشه العرق شيئا، فقلت: هاذا عرق الموت. فما أذنت العشاء حتى كان يعوم كله في العرق، وفتح عينيه وأكل وشرب، والحمد لله. وتكلم وبات بخير وأصبح لخير. فجاء سيدي عبد الرحمان، صاحب الترجمة، وقال لي: قيهريوا واها.

وكان، رحمه الله، يأوي في خلوة الشيخ سيدي علي المصالي، الكائنة بالمسجد الذي ينسب لسيدي علي ويعرف به، وبقي فيها إلى أن توفي بها، رحمه الله تعالى، عام خمسة وتسعين ومائة وألف، ودفن بالقليعة بروضة القرطبي هناك مع الشيخ سيدي عبد الله اللبان، المتقدم ذكره آنفا. وكنت، رحمه الله، غاسله ومقبره، والحمد لله رب العالمين.

[محمد الزكاري]

ومنهم الشريف الطالب المجذوب، أبو عبد الله، سيدي محمد الزكاري.

كان، رحمه الله، يأوي بحانوت فوق البكار، يسرة الداخل لرحبة الزرع من ناحية قبيب الناقص، لا يبيع فيها ولا يشتري، وإنما يتلوا فيها ويذكر الله سرا، وعنده أوراق كان مكبا عليها يطالعها، ثم يقع له ما يقع، وينزع عنه ثيابه، وينزل من الحانوت ويسيح في الأسواق كذالك. وحين يسكن حاله يرجع للحانوت، ويلبس ثيابه. ثم إنه صار يضرب الناس، ويضرب اليهود، ويضرب النساء، وكسر لشريف درويش يتمعش في الفخار في باب القرويين نحو المتقالين من الفخار بعصا، وضرب امزارب بالقفاصين بحجرة من الملح الكبيرة، وأعمل بالمارستان، ورغب فيه الشيخ سيدي الحاج عبد الله يزرور، وطلق. ثم ضرب امرأة بباب القرويين بحجرة حتى سقطت إلى الأرض، ودفع امرأتين على قرون ثورين، وضرب رجلا بالمسافرين بقلة مملوءة ماء ففك يده. فقبضه الحاكم وسجنه

---

[1] كذا.
[2] كذا.

في المارستان، وعمل له السلسلة، وبقي فيها أربعة عشر شهرا، وذالك عهدي به، حتى وجدته يوما عند طلوع الشمس بباب القرويين، المسمى بباب الورد قاعدا وهو يتكلم وحده كلاما مخلطا، فقلت له: من أطلقك؟ فقال: الذي قبضني. أما حكمتي والله معها ما تطلع، أما حكمتي والله معها ما تمد عنقك. وهو ثيابه عليه، وبقي كذالك بثيابه يسيح نهارا أو يروح ليلا لبيت المارستان، يبيت فيه، حتى توفي على هاذه الحالة، ودفن بسقاية الدمناتي، بزاوية الشيخ سيدي ابن أحمد، عام تسعة وسبعين ومائة وألف.

[علي الشرحبيلي]

ومنهم الشريف المجذوب، الخامل المتقشف، أبو الحسن، سيدي علي الشرحبيلي.

كان في أوله يضرب الرباب مع أهل الغناء، ثم إنه في عام الخمسين لا أعاده الله، كان يضربه بين الحوانيت بنية السعاية، وكان يشرب الخمر، ويأكل الحشيش والعفيون، ويشرب الدخان، وهو ملازم للأوقات الخمسة، والشعر أكل وجهه من قلة الحسانة، ورثت ثيابه.

صحب أولا الشيخ المجذوب أبا دحيم الخطار، الآتي ذكره إن شاء الله، فكان يتبعه ويتقدمه، حتى مات، رحمه الله. وبعد موته صحب الشيخ أبا عياد بن جلون، المتقدم ذكره، فكان يتبعه ويخدمه إلى أن توفي، رحمه الله تعالى. وبقي على حاله المذكورة.

وكان له قراب على كتفه لا يفارقه قط.

ونزل بالمدينة أمر سلطاني صعب، فزع الناس منه وضاقوا، فإذا به، رحمه الله، كان جالسا عند الفجر بقبة مولانا إدريس، نفعنا الله به، فصاح سيدي علي، صاحب الترجمة، صيحة عظيمة، وقام قائما، وتجرد من الثوب الذي عليه، وبقي مفضوح العورة، وجعل يقول: يا مولاي إدريس، كيف يا مولاي إدريس، عليه الحرام يا مولاي إرديس حتى تعمل للمسلمين الشرع، وعليه الحرام يا مولاي إدريس حتى تعمل لنا الشرع، وإلا شكوناك لجدك ﷺ. فقمت إليه نزجره على ذالك، فأبى، وقال لي: والله ما عندك خبر، ولو كان عندك خبر لعذرتني وما تكلمت، ولاكن أنت تائه. أما سمعت إذا حضرت المحبة ارتفعت شروط الأدب؟ ثم لما صلينا الصبح والفجر، سمعته يقول: الله يحرز عليه دار النبي.

وكان يخدم أيضا السيخ عبد الواحد الزنبور، المتقدم ذكره، رحمه الله تعالى.

ولما توفي الشيخ سيدي محمد بن منصور، المذكور آنفا، أصبح صاحب الترجمة محسن الشعر، مغسولا منظفا، وعليه ثياب كلها جديدة، الحائك المحربل والعمامة والقميص والسراويل، ونحن خارجون بالجنازة والناس باكون، وهو وجدناه داخلا للدار ضاحكا على الحالة الموصوفة، ففهم الناس من ذالك أنه وارث لابن منصور المذكور.

توفي صاحب الترجمة، رحمه الله تعالى، سنة تسع وثمانين ومئة وألف.

[أحمد بنونة]

ومنهم الشيخ المجذوب، صاحب الأحوال، غائب أكثر من حاضر، أبو العباس، سيدي الحاج أحمد بنونة، الفاسي أصلا، المصري دارا وقرارا.

لقيته بمصر عام سبعة وستين ومئة وألف، واجتمعت معه، فوجدته يغيب كثيرا ويحضر قليلا. وبات معنا عند بعض الإخوان ليلة بحومة الخرنفس، وبات مع قوم آخرين في تلك الليلة بعينها بحومة الماوردیین عند أخي الذي بتنا عنده مع جماعة أخرى، بات معهم الليل كله ومعنا الليل كله، ونحن في الخرنفس وهم بالماورديين. ولما أصبح الصباح، كانت كل فرقة تحلف أنه بات معهم، وقال وقال، وعمل وعمل.

واجتمعنا معه أيضا في دار الفقيه العالم، سيدي محمد السقاط نهارا مع جماعة من المحبين، وبمحضر الشيخ محمود الكردي، المتقدم ذكره، وكنا (نذكروا)[1] الله وقصائد في مدح النبي ﷺ، فإذا بصاحب الترجمة تواجد وسكر وغاب. ولما حضر الطعام، وجدناه نائما وهو يعوم في الماء من رأسه إلى قدمه، والساقية تجري من تحته، وفيه رائحة البحر. فأيقظناه، وقلنا: ما هاذا يا سيدي؟ فقال لنا: فركاطة المسلمين موسوقة بالدجاج جاءوا بها لمصر، فلقيها فرسان النصارى، فحفرها وأراد أسرها، فنادوا على أحمد بنونة، فدخل البحر، وأنزل رجله على سفينة النصارى حتى منعت فركاطة المسلمين، ونجاها الله بمنه.

وكذالك هي عادته، تارة تراه بكسوة المغاربة، وتارة تراه بكسوة أهل مصر، وتارة تراه مكسوا بقلع السفينة محزوما بحبل السفينة وعلى رأسه أيضا طرف حبل، وهو في غاية ما يكون من التعب.

وكان، ﷺ، يجيء كل عشية لدكان الفقيه، سيدي عبد الرحمان بن شيخنا العلامة، سيدي محمد جسوس بالبندقانيين، (وكانوا)[2] المغاربة المجاورين يجتمعون عندنا، وكنت أجلس معه في دكانه، ويجيء سيدي أحمد (ويعطونه)[3] الحاضرون كلهم فضة فضة، ولا يقل لي شيئا، حتى قال له يوما صاحب الدكان: يا سيدي أحمد، هاذا الشريف آخذ عليك حين لم تأخذ منه البركة وتأخذ من الناس وتعرض عنه. فأعرض ورجع، وقال لي: هات. فأعطيته فضة، فقال: زد. فزدته. ثم قال: زد. فزدته، حتى مكنته من سبع فضة، ولم يكن عندي غيرها، وعندي نصف ريال، فقال لي: هات لي ذاك. فأعطيته إياه، فأخذه

---

[1] كذا.
[2] كذا، والصواب: وكان.
[3] كذا، والصواب: ويعطيه.

وانصرف. وبعد ثلاثة أيام أو أربع، جاء إلى تلك الدكان، وجعل يطل برأسه ويمده يمينا وشمالا مع سبابته، فقال له صاحب الدكان: ما هاذا يا سيدي؟ فقال له صاحبه: ما أحب. ورد لي ما كان أخذ بعينه. وقال لي: صاحبك لم يرض، وأنا رجل لا أحب إلا الخاطر. وانصرف عني.

توفي، رحمه الله تعالى، سنة سبعين ومئة وألف.

[أبو الشويات الفلاح]

ومنهم الرجل المجذوب المتقشف، المتجرد السائح، أبو الشويات الفلاح، من أرياف مصر، يطلع الحجاز في كل سنة من غير نعال. طلع معنا تشريقة وتغريبة في قشابة زرقاء من كتان، عاري الرأس، حافي القدمين، وقف يوما بباب خيمة بعض المصريين، وجده فتح المفرش ليأخذ ما يبدل به الثياب التي عليه، فقال له أبو الشويات: يا سيدي، ضرني الحفا. هات لي نشتري بلغة؟ فقال له: ما عندي شيء. فأعاد عليه، فامتنع ولم يعطه شيئا. فأعاد عليه الثالثة، فطرده. وصد من عنده وهو يبكي ويقول: والله يارب حتى يعطيني ولم آخذ. فخرج ذالك الخواجة لظهر الخيمة وترك المفرش في الخيمة والحوائج، وتكلم مع من تكلم، ورجع للخيمة يلبس عليه، فلم يجد الحوائج. وتغير، فقيل له: إن ذالك المرابط سمعناه يقول حين صد عنك: والله يارب حتى يعطيني ولم آخذ. ففتش عليه وطلبه في الركب فلم يجده. ولما وجده بعد ذالك أعطاه بلغة فلم يقبلها منه، أعطاه ريالا فلم يقبله، أعطاه "شريعى فندفلي"[1] فلم يقبله.

ثم بعد ذالك بسنين، غرب للمغرب مع الركب، ونزل عند الحاج عبد الكريم زاغون التطواني بفندق خنوشة من حارة قيس.

ووجدته يوما جالسا بعد المغرب فقال: بحارة قيس. فاشتريت ثمرا من حانوت لنفسي، واشتريت له ثمرا من ملخة مجهولا، فجاءني طرف كبير وطرف صغير. فوقفت بحانوت البقال، وأعطيته إياه، وقلت في نفسي: أين علم ذالك؟ ثم إني سمعته يوما بحانوت البقال يقول: الغرب ملعون، (وملعونون) [2] أهله. فنهيته عن ذالك، فلم يثنه. ثم وجدته غدا عند الظهر بحارة قيس واقف مع أحد من الناس، وهو يخطي ويشتم ويلعن ويخزي في المغرب وأهله، والرجل الواقف معه ينهاه عن ذالك ويرده، وهو يزيد في الشتم. وانصرفت عنه وتركته بعدما قلت له: احفظ لسانك، إن هاذه البلاد هي دار السلطان، وأهلها مانعون لا يقبلون التعدي والفضول. فإياك ثم إياك. فما زاده ذالك إلا نفورا. ثم إني بين المغرب والعشاء من ذالك اليوم، وجدته بباب مسجد الأبارين وهو جالس ورجلاه

---

[1] كذا.

[2] كذا.

ممدوتان، وهو يبكي أشد البكاء، ويقول: الملاعن كشطوني وأخذوا لي متاعي. فوقفت عليه، وقلت له: أما قلنا لك هاذا ونصحناك، وقلنا إن هاذا دار السلطان لا يليق ولا ينبغي الدخول إليها إلا بأدب؟ وأما هاذا القول الذي تقول، يسوق لك الضرر لا غير. ثم إن صاحبه التطواني ناداه من الفندق ليتعشى فأبى أن يجيئه، وانصرفت عنه وتركته.

ولما سافر التطواني صاحبه إلى مراكش، ذهب به معه إليها، فكان كل من لقي هنالك من الناس من أهل الخير، يقول له: حاجتك بفاس. ثم رجع مع صاحبه لتطوان، وزار مولانا عبد السلام بن مشيش، نفعنا الله به، ونزل إلى وزان، وزار أهلها، ولقي الشيخ مولاي الطيب، نفعنا الله به. ثم مرض هناك بالمرض الكبير، وأنزله مولاي الطيب في نوالة، وأعطاه خادما تخدمه، فخدمته حتى برئ، وقال له مولاي الطيب: سر إلى فاس، واطلب متاعك. فجاء إلى فاس.

ووقف يوما عندي بباب الحانوت، فسلمت عليه، وقلت: كيف أنت؟ قال: بخير. قلت: أمن درا، هل رجعت لك الأمانة التي ضاعت لك؟ فلما ذكرت له ذالك صاح، وقال: أنت يا ملعون، أنت الذي عملتها لي. وقبض علي، وما أطلقني إلا بكلفة.

وبقي يدور بالمغرب قشعة خاوية، ما خلا مكناسة، ولا تازة، ولا صفرو، ولا مراكش، ولا غير ذالك. ثم إن مولانا علي، ولد السلطان، عزم على السفر للحج، فقال له: تمشي معي لبلادك؟ تأكل وتشرب وتركب، وكل ما تحتاج إليه نعطيكه ولا يخصك شيئا. فقال له: أنا قبل ذهاب متاعي، ما كنت أرضى بالظل الذي على رأسك، ولا (بالمكنة)[1] التي أنت فيها. وغلظ عليه في الكلام. فسافر الشريف وتركه، وذالك عهدي به.

ثم لقيته بمكناس بعد ذالك بعام أو ما ينيف عليه، فسألت عنه أهل مكناس هنا، فقالوا: يغيب ويحضر. ولا علمت أين مات، رحمه الله تعالى.

[أحمد المنيعي]

ومنهم الرجل المجذوب، الغائب غيبة اتصال، الأعمش، أبو العباس، سيدي أحمد المنيعي.

كان، رحمه الله تعالى، غائبا عن البرد والحرارة، والجوع والشبع، قليل الكلام، ويشرب القطران، ويدهن به في جسده، ويخمر به ثيابه، ويدخل بيت النار من الفرن الذي والاه ولا يبالي، ولا تضره النار ولا يحس بحرها، والقطران هو جل قوته.

وكنا يوما، بعد صلاة الجمعة، ونحن جماعة عند أخ في الله بحانوت العطارين، وإذا بسيدي أحمد، صاحب الترجمة، جاء ووقف ينظر فينا واحدا واحدا، ثم قال: رائحة ابن عبد الرحمان والله فيكم. فقلنا له: انظر. فجعل يده علي وقال: هاذه رائحة ابن عبد

---

[1] كذا، ولعلها المكانة، وهو تصحيف من الناسخ.

الرحمان. وقال لرب الحانوت: حتى هاذا من رائحة ابن عبد الرحمان. وعزلنا من بين الناس، وانصرف.

وغسلت يوما رجلا من الجيران أنا ورجل معي، وخرجنا من عنده، ودخلنا مسجد سيدي أبي الشتاء التي بحارة قيس، وسدنا الباب علينا، وجعلنا نفطر، أنا وذالك الرجل، فإذا بسيدي أحمد من وراء الباب، يقول: والله إلا شميت رائحة ابن عبد الرحمان هنا في هاذا المسجد. ثم دفع الباب علينا، وقال: هاتوا لي موزونة ابن عبد الرحمان. فأعطاه الرجل الذي معي موزونة، فلم يقبلها منه، وقال له: موزونة بن عبد الرحمان عند ذالك. وأعطيتها له، فقبضها مني وانصرف.

وبات معنا ليلة عند بعض أصحاب بن عبد الرحمان، فبات يتكلم بكلام منقطع. وحين اشتغل الناس بالذكر، وقف يهيم، ولم يأكل الطعام مع الناس حين الأكل، ونام الناس ولم ينم، وهو هائم يتكلم بإشارات ومعاني إلى أخر الليل، وخرجنا.

ولقيته يوما بالعطارين وهو بالجلابية المقطرنة عليه، وعلى كتفه جلابية جديدة، فقال لي: أرى حقك في جلابية ابن عبد الرحمان. فأعطيته موزونة، وسار. ومن الغد لقيته بالجلابية ذات القطران، فقلت له: أين جلابتك الجديدة التي كانت عندك بالأمس؟ فقال: سرقت. فقلت له: ليس الصاحب أنت، إن الرجل يحضي صاحبه، ويحرسه من بلد إلى بلد، وأنت جلابتك على ظهرك لم تقدر على حرسها، وفرطت فيها. ماذا يرجى من معرفتك؟ فبقي ينظر إلي ساعة، ولم يتكلم وذهب. ومن تلك العشية ما رأيته قط.

[أحمد حميد]

ومنهم الرجل الأبله خلقا وخلقا، سيدي أحمد، المدعو حميد، الموجود الآن، ابن المؤذن المرحوم، السيد الحاج محمد بنونة، مؤذن سيدي أحمد الشاوي، نفعنا الله ببركاته. يقسم على الله تعالى ويبره، لأنه يطلب الناس عليه الحاجة، فيقول: والله حتى تكون على الله وبابا قاسم، يعني بوعسرية، فيكون ذالك كذالك، لأنه ينتسب عليه. وكان يزوره في كل سنة مع الفقراء، ويجيء عند مولانا إدريس، نفعنا الله به، ويقف عند الدربوز، ويقول: يا مولاي إدريس، اليوم قبضتني أمي في كذا، وأنا ما عندي شي باش نشتريه. والله يا مولاي إدريس تشتريه بالله وبكم.

ولقد نزعني القائد الصفار من كرسي الوعظ بمولانا إدريس، نفعنا الله به، الحكاية المتقدمة، وولاه غيري، وكنت يوما عند بعض الإخوان بقبة القيسارية، فجاء صاحب الترجمة، سيدي حميد بنونة، وقال لي: والله تتركني نفعل بك ما نحب. قلت: افعل ما بذا لك. فحملني على ظهره، ومر بي حتى بلغ عند دربوز مولانا إدريس، نفعنا الله به، ورمى

بي إلى الأرض، وقال: ها هو ذا يا مولاي إدريس. ثم بعد أيام قلائل، جاء السلطان، وردني لموضعي.

وجاء سيدي حميد صبيحة يوم إلى مولانا إدريس، وجاز على القيسارية، فجعل أهل القيسارية ينادونه، فقال لهم: أنا ماش عند مولانا إدريس، حتى نجيء من عنده. فبلغ إلى مولانا إدريس، ﷺ، وقال له: يا مولاي إدريس، الناس كلهم أكلوا الحوت الشابل، وأنا لم آكله؟ واليوم والله لا قلتك في زوجة حوت ورطل من الزيت. وخرج من عنده وجاز على القيسارية، فقالوا له: كنت عند مولانا إدريس؟ قال: نعم. فقالوا له: وما طلبت عليه؟ فقال: قلت له كذا وكذا. فعرضوا له قيمة زوجة من الحوت وزيتها، وذهب في الحين يشتري ذالك.

وكان يمشي لزيارة الشيخ سيدي قاسم بوعسرية مع عزيزي القنيت، وكان لا يقدر أن يحبس روحه في الركوب، فكانوا يربطونه (بالأطولة)[1]، ويجلس عند الشيخ أو في الركب، يظل ويبيت يبيع للناس الحوائج، ويحلف على ذالك، وتقضى حوائجهم، بإذن الله تعالى.

[عمر بن أحمد السجلماسي]

ومنهم الشريف المجذوب، الغائب الكامل الجدب، أبو حفص، مولاي عمر بن مولاي أحمد السجلماسي المحمدي الحسني.

كان، رحمه الله تعالى، تارة يكون بفاس، وتارة يمشي لتافيلالت، وبفاس تارة يكون على فرس له، وتارة يكون راجلا، وتارة يجعل للفرس السراويل، وهو بالرتعة، ويجلس على الأرض ولا يبالي في أي موضع جلس، ولا بالوسخ ولا بغيره، والقبض معه أكثر من البسط. وتراه في بعض الأحيان يتخاصم وحده، ويهدد ويشتم، وتهديده تارة يكون بالسكين، وتارة بالسبولة، وتارة بالكابوس، وتارة تجده جالسا بالطريق منحدر الرأس ساكتا، وتارة يكون ممدودا كالميت، ويشير بإشارات لا تفهم حتى تقع.

لقيته صبيحة يوم بالنخالين، فقبضني بيديه من كتفي، وقال لي: عرفت أم لا؟ قلت: كيف ذالك؟ قال، وهو يهززني، ويقول: قلت لك، أعرفت محمد بن عبد الله؟ قلت: نعم. قال: أعرفت اليزيد ولده؟ قلت: نعم. قال: أعرفت عبد الرحمان؟ قلت: نعم. قال: عرفتهم قبالا؟ قلت: نعم. فقال لي: قلت لك، محمد بن عبد الله يقتله اليزيد، واليزيد يقتله عبد الرحمان، والله لا يكون منهم شيئا قاع. سمعت؟ قلت: نعم. وأطلقني. ثم بعد ذالك بنحو الشهر، مات سيدي محمد بغصة اليزيد، ثم انتصر اليزيد وتولى ملك والده وسار حاركا لأخيه مولاي هشام، (والتقيا)[2] الجمعان، جمع اليزيد ومحلة أخيه هشام المذكور،

---

[1] كذا، كلمة دارجة، معناها: الحبال.

[2] كذا، والصواب: والتقى.

ووقع القتال بينهما، ومات مولاي اليزيد، قتله محلة عبد الرحمان بن ناصر، لا عبد الرحمان أخو مولاي اليزيد كما توهمناه. رحم الله الجميع.

ومن كراماته:

كانت لي جارة معي في الدار، وكانت تؤذيني كثيرا، جارة سوء، كثيرة اللجاج والخصام، قليلة الدين، قليلة الحياء، خاصمتها يوما على قبيح فعلها، فجسرت علي وشتمتني أقبح الشتم، فخرجت وتركتها، فنشبت مع زوجتي، ودخل زوجها فوجدهما كذالك، فجاءته النفس على امرأته، وشتم امرأتي، ولحقها بأقبح القول، وخرج إلى السوق، وكان يجلس في العدول، فجاء وجعل يشتمني ويخاصم، فلم أجبه. (وعابوا)[1] عليه الناس، فطلع إلى موضعه وجلس وهو على غير شور، فإذا بمولاي عمر، صاحب الترجمة، دق على باب الدار، وجعل يقول: اخرج يا الفاجرة من هاذه الدار، أخرجوا الفاجرة من هاذه الدار. واش هاذه الفاجرة التي تكون في هاذه الدار. اخرجي يا فاجرة، يا الفاسدة، يا الداسرة السفيهة من هاذه الدار. يش اشتركنا معك حتى صرنا في هاذا معك. والله حتى يفضحك الله عن قريب وتخرج منها، أحببت أم كرهت. وما أقبح من هاذا، حتى خاف كل من في الدار. وجاء إلى الحانوت، وجعل يهد على زوجها بالسبولة، ويكرر عليه القول، وينصرف، ويرجع إليه كذالك، والآخر خائفا منه. وفي مرة، هو انصرف، والآخر نزل من الحانوت هاربا، وطلع لحانوت أخرى، وحين رجع، لم يجده. ثم بعد هاذا طلقها الزوج، وبقيت بالدار. فلقيني مولاي عمر بالصفارين، وقبضني من أنفي وشد عليه بأصبعه شدا عنيفا، وقال لي: اخرج من تلك الدار، ففيه الخير. فرحلت منها ست سنين. وخرجت تلك المرأة، وانفضحت كما قيل لها، الفضيحة الأولى والثانية، وبلغت للحاكم، حتى قال لي الحاكم: سر عليك، لو كان ما خرجت من تلك الدار، حتى يكن وقع بك ما وقع. وبعد غيبته عن تلك الدار مدة من ستة أعوام، لقيت مولاي عمر بالقبابين وقت الظهر، والمطر ينزل كأفواه (القرض)[2]، وكنت سائرا إلى الدار التي أنا فيها، فقبضني بيديه، وجعل يدفعني ويردني، ويقول لي: ارجع إلى دارك قلت. فكنت أقول له: إني سائر إليها. وهو يعود علي: سر إلى ذالك. وما فهمت قصده في تلك الساعة، وهو كان يشير على داري الأولى، وأنا كنت أفهم الدار التي أنا فيها. ثم إن مولاي عمر سافر إلى الصحرة وغاب فيها ما شاء الله، ورجعت أنا إلى داري الأولى. ولما رجع من الصحرة، جاء إلى الحانوت فوجدها مغلقة بالسفلي، فجعل يدق عليها بيده، وهو يقول: كيف انت يا هاذا الحانوت؟ وكيف هم أهل الدار يا هاذه الحانوت؟ فإذا جاء صاحبك، قل له: الله يخلف له، ولاكن قاع ما يصيب كيف ذاك الشيء. بقي ساعة وهو يهدر مع الحانوت، والناس واقفون يسمعون، وانصرف. ولما جئت إلى الحانوت، أخبرني من الناس من حضر لذالك.

---

[1] كذا، والصواب: وعاب.

[2] كذا.

ثم مرضت لي الزوجة، وماتت، رحمة الله عليها، وهي التي عنى بقوله بحانوت: الله يخلف له، ولاكن قاع لم يجد مثل ذالك.

وجاء، رحمه الله تعالى، يوما إلى الحانوت، وكنت أسطر كراسا، وأنا أكتب هاذا التقييد، فسطرت زرقة وطرحتها بالأرض، فأخذها ونظر إلي، وقال لي: بأي شيء عولت تشهد في؟ وأنا ساكت. ثم قال لي: قل لي كيف أردت أن تشهد في في هاذا الكاغيد، ويكرر علي، ويقول: ولا بد تقول لي كيف ما شي تشهد فيه وكيف تقول. وطرحها من يده، وانصرف.

فصــل
في ذكر من لقيته بتطوان

[أحمد بن موسى]

فمنهم الشيخ المسن البركة السالك، المجذوب الخامل، الملازم للمسجد، أبو العباس، سيدي أحمد، المدعو بن موسى، القاطن بتطوان، ولقيته بها مرارا من غير معرفة.

كان، رحمه الله تعالى، خلوتيا، متجردا عن الدنيا وزينتها وأهلها، ذاكرا جالسا معتكفا، ومواظبا على الذكر بالجامع الكبير من تطوان، ولا تجده يتكلم مع أحد قط، ولا جالسا معه، ولا تراه خارجا عن المسجد قط. هاذه كانت حالته منذ سنين، ومنذ أن رأيته في الموضع الذي رأيته فيه، لم يبدله، وذالك من عام ثلاثة وخمسين إلى تسعة وثمانين من المائة الثانية عشر، وأنا أعرفه في ذالك الموضع على الحالة الموصوفة، لأني كنت لا أتخلى عن زيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، نفعنا الله ببركاته كل عام من تلك الأعوام، وفي كل عام أراه على حالته المعهودة في الموضع المعهود. ولا زعمت عليه حتى كان عام تسعة وثمانين ومائة وألف، فزعمت عليه وزدت عنده، فقلت له: السلام عليكم. فرد علي، ورأسه وعيناه إلى الأرض، وهو يخرج العزف من فتحة الجلابية التي بصدره، ويظفر الشريط، ويدخله تحت ركبته من أسفل الجلابية، وأنا واقف عنده أسلم عليه نحو الأربع مرات، وهو يرد علي في كل مرة، ولا نظر إلي، ولا صافحني. وبعدها قلت له: انظر إلي يا سيدي. فقال لي، وهو على حاله الموصوفة: أما كفاك الذي ينظر إليك؟ فقلت له: هو حسبي. ومددت يدي إليه عند ذالك، وقلت له: هاذا عرفناه. وأين سنة النبي ﷺ؟ فرفع عند ذالك بصره إلي، ومد لي يده وصافحني، وقال لي: قلت عرفته؟ ولو عرفته لاستغنيت به عن غيره، وبنظرته عن نظرة غيره. فقلت له: إذ لولا الواسطة لذهب الموسوط. فقال لي: اجلس. فجلست بين يديه، وجعل يتكلم معي، وأخبرني بجميع ما كان في زيارتي، وبمن لقيته فيها، وصار يسألني عن أناس من أهل الخير من فاس، ما رأوه ولا رآهم، لأنه لم يدخل فاسا قط. وكان من جملة من سألني عنه الشيخ سيدي عبد الله يزرور، المتقدم ذكره، وأخبرني بكلام كان وقع بيني وبين سيدي الحاج عبد الله بفاس ليلة السفر، حسبما هو في ترجمته.

ولم أقف على تاريخ موت صاحب الترجمة.

[أحمد بن أبي سلهام الجبلي]

وممن لقيته بتطوان أيضا من المجاذيب، الشيخ سيدي سيدي أحمد بن أبي سلهام الجبلي، بين حضور وغيبة، والغيبة غالبه عليه، كثير جلوسه بحانوت بباب الملاح من تطوان عند يهودي يحك طابة، وحين يقوم من عنده، يكون يطوف بالأسواق، ويتكلم كلاما لا يفهم معناه.

ورأيته بالجامع الكبير من تطوان وهو جالس على كرسي الوضوء يتوضأ ويتكلم الكلام ويجاوب، وهو يفرق الراتب على الجيوش، ويسمي القواد، فلانا فلانا. ولما جئنا من تلك الزيارة، جعل السلطان يجمع "كلخ"[1]، وكان يعطيهم الراتب، وكتبت له كناشا بتراجيم القواد، كل قائد ورباعته. فقلت: هاذا الجيش الذي كان سيدي أحمد بن أبي سلهام بتطوان.

وكان يقول للناس: هات لي موزونة، ويكون لك كدا، فيكون. أو يطلب الناس عليه شيئا، فيقول: هات لي، ويقضي الله لك ذالك، إن شاء الله.

وقد أصبحنا يوما في تطوان بنية السفر إلى فاس، ولقيته غدوة، فقال لي: أنت مسافر الآن أو غدا؟ قلت: الآن. فقال: اعطني موزونة وأقول لك؟ فأعطيته إياها. فقال لي: لا تسافر اليوم ولا غدا، وأخبرني بخبر دارنا بفاس. فتأخرت عن السفر، وبقيت نحو خمسة أيام، حتى جاء، وقال لي: تسافر غدا، إن شاء الله. وإذا بكل من سافر في ذالك اليوم قطع عليه اللصوص ونهبوه. وسافرنا في اليوم الذي قال لنا في أمن وأمان إلى فاس، ووجدت في الدار ما أخبرني به، نفعنا الله به.

[عبد الله الحاج البقالي]

وممن لقيته بتطوان أيضا، المرابط المجذوب، الخير الناسك المقعد، أبو محمد، عبد الله الحاج البقالي، القاطن بتطوان.

زرته، رحمه الله تعالى ورضي عنه، فوجدته رجلا مسكنا صامتا، هينا لينا، رطب الكلام، حلو المنطق، وله غديرتان من شعر إلى حزامه، ولما وقفت بباب داره، وكان اليوم يوم جمعة، وكان من عادته لا يدخل عنده الرجال يوم الجمعة، فخرج عندي ولده، وقال لي: يا سيدي، سر إلى بعد الصلاة، تفرغ الدار من النساء، وجئ عند السيد. وأما الآن، فإنه مشغول مع النساء، والدار عامرة بهن. فإذا بالنداء عليه من داخل الدار، والنساء (يخرجون)[2] أفواجا. فدخل وخرج، وقال لي: إن النساء (أعطاهم)[1] السيد الفاتحة،

---

[1] كذا.
[2] كذا، والصواب: يخرجن.

وقال (لهم)[2]: (اخرجوا)[3] حتى يقضي الضيف حاجته، وها أنت تراهم (يخرجون)[4]. ولما فرغت الدار من النساء، أدخلني. فدخلت، ووجدته على الحالة التي وصف. فسلمت عليه، وصافحني وعانقني، وفرح بي أشد الفرح، وأجلسني معه على طرف سريره، وحازني لصدره، وقال لي ما قال في أذني مما أنا بصدده في الماضي والمستقبل، ثم رفع يديه للفاتحة. ولما فتح، أمرني بزيارة ثلاثة من رجال أهل البلد الأموات. فخرجت من عنده لزيارتهم، وأنا في نفحة لا توصف، وقال لي ولده: والله يا سيدي، ما رأينا منه هاذه الأخلاق التي لقاك بها. هنيئا لك.

وقصدت السادات الثلاث الذي أمرني بزيارتهم، وهم: سيدي السعيدي، وسيدي المنظري، وسيدي علي الفحل، ﷺ، ونفعنا ببركاتهم وسقانا من مددهم، بمنه وكرمه، آمين. ولما زرتهم ورجعت من عندهم وأنا في هيام، إذ فتح الله تعالى علي في أبيات، فقلت:

[الكامل]

قَسَمًا بِكُمْ وَبِحَقِّكُمْ وَبِجَاهِكُمْ ... لاَحَتْ عَنْ عَهْدٍ لَكُمْ طُولَ الأَبَدْ
يَا سَاكِنِينَ بِمُهْجَتِي وَبِخَاطِرِي ... اللهُ يَشْهَدُ لِأَنَّكُمْ لِي مُعْتَمَدْ
أَبَا عَبْدِ عَبْدِ عُبَيْدِكُمْ وَبِبَابِكُمْ ... أَرْجُو الْقَبُولَ سَادَتِي الْمَدَدُ الْمَدَدْ
مُتَوَسِّلاً بِمُحَمَّدٍ وَبِبِنْتِهِ ... وَبِبَعْلِهَا وَابْنِهِمَا خَيْرِ وَلَدْ
صلى عليه الله جل جلاله ... والآل والصحب الكرام ذوي الرشدْ

[رجل آخر]

وممن لقيته أيضا في تلك الزيارة أخبرني بعض الرفقاء برجل مجذوب غائب أبكم، سماه لي ونسيت اسمه.

ونحن في الطريق نازلين من مولانا عبد السلام بن مشيش، ﷺ، فلما دخلنا تطوان يوم الجمعة قرب الصلاة، ونزلنا بالفندق، وقصدنا المسجد لصلاة الجمعة، لقينا الرجل المذكور، طويل أحمر جدا، يميل للسمرة، حافي الرأس والقدم، وعليه قشابة، فقال لي صاحبي: ها هو ذا. فزدت إليه ومددت يدي إليه لأصافحه، فجمع يده مني ووقف مع

---

[1] كذا.
[2] كذا.
[3] كذا.
[4] كذا.

الحائط (ينظر وفي الناس)[1]، فقلت له: متاع الله لله، نحن من أضيافكم. فجعل الناس يقولون لي: إنه أبكم لا يتكلم. فقلت لهم: بيني وبينه. ثم قلت له: الضيافة سنة في الشرع، "من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[2]. وهو مع الحائط واقف ينظر. واجتمع علينا الناس كثيرا، حتى قلت له: إذا أردت أن نعمل الزيارة على الوارد، فإنا أجواد، نفعلوا ذالك إذا ما تروه عارا. فمد عند ذالك يده، وأشار إلي بالسبابة، وقال لي: الناس كرموه هاذا، سر إلى الصلاة تصلي. وبقي الناس كلهم متعجبون من ذالك الكلام، وهو مدة من سنين لم يروه تكلم ولا نطق بكلمة قط مع أحد. فانصرفنا عنه، وتبعني الناس الحاضرون يطلبون مني الدعاء، وظهر لهم أني أنطقته، والله سبحانه هو الذي أنطقه.

ثم إني رأيته صبيحة السبت بعد صلاة الصبح في سوق الحوت واقفا من البعد، فلما وصلت عنده، وجدته ممتدا مع الحائط ميتا، وفمه مفتوح، ولا نفس له، فكان رجل من أهل الحوت هناك، فغطاه بقشابة نشرها عليه. وعند ضحى، قالوا: قام ورأوه في السوق. وأنا منذ رأيته ميتا ما رأيته إلى الآن.

[علي الريفي]

وممن لقيته أيضا بتطوان الشيخ علي الريفي المجذوب، رحمه الله.

لقيته قرب قبة شيخه، المسمى عليه، سيدي علي الريفي، خارج المدينة في أعلا كيتان. وكان معي (فيقي لي)[3] وذالك عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف، فزرناه وأمر (صاحبا أو يزوره سيده)[4]، وقال له: اعط لهاذا خبزة سخنة، ولهاذا خبزة باردة، وأما هاذا الشريف فلا تعطه شيئا. فسرنا معه إلى عين هناك، فجددنا الوضوء، وأدخلنا لقبة السيد، (فتركعنا) [5] وزرنا وقمنا. فدخل الرجل من وراء الدربوز، وخرج، فأعطى لواحد من رفقائي خبزة سخنة، وأعطى للآخر خبزة باردة كما أمره سيدي علي. وهبطنا عنده، فقال: زورتهم؟ قلنا: نعم. فقال: أعطاكم ما قلت له؟ قلنا: نعم. فقال لي أنت خبزتك خير من خبزتيهم، ودعا لنا بخير. وهاذه الحكاية قد تقدمت في هاذا المجموع كاملة في ترجمة مولاي الطيب بن محمد الوزاني، رضي الله تعالى عنه.

ولقيت أيضا سيدي علي الريفي هاذا مرة أخرى بعد ذالك، بعد صلاة الجمعة في مسجد الباشة الجديد، وكنت أنا ورفيق، أخي في الله، سيدي محمد بن شيخنا العلامة،

---

[1] كذا، لعلها: ينظر في وفي الناس.
[2] صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم:6018.
[3] كذا.
[4] كذا.
[5] كذا.

سيدي محمد جسوس، رحمه الله. ولما جلسنا][1] بين يديه بباب المحراب، أخرج لنا بزولته كبزولة المرأة وعصرها، فطار الحليب منها في وجهي ووجه صاحبي. ثم حلب منها في يده وأعطاه لصاحبي، فشربه من يده. ثم حلب مرة أخرى في يده ورشنا به، وأعطاني البزولة فرضعتها، وقال لنا: الآن تمت وثبتت أخوتكما وكملت. وكانت بيني وبين ذالك الإنسان أخوة ومحبة كبيرة.

توفي سيدي علي، صاحب الترجمة، بالمشرق، سافر مع ركب الحجيج ومات هناك، ولم أتثبت أي سنة.

[أحمد المنضري السلاوي]

ومنهم الرجل المجذوب، أبو العباس، سيدي أحمد المنضري، السلاوي أصلا. كان، رحمه الله تعالى، مجدوبا غائبا دائما، وكان يطوف بأسواق فاس، وإذا رأى صبيا حسنا يقول له: يا محمد، يا محمد، انظر، انظر، حتى ينظر فيه، ويقول له: أحذر عينيك، العمى. وإذا أعطيته شيئا قبضه، ويقول للناس: أرني موزونة لله، اعطها ليه، انوها ليه. ولا يسمي الناس كلهم إلا بمحمد، ويجلس في القرويين يتلو القرآن ويرتله كما ينبغي بلسان فصيح وصوت حنين، ويطلع على الكراسي، ويجلس يقرر ويفسر رسالة ابن أبي زيد، وتارة في النحو، وتارة يقرأ التفسير، وكل بكلام فصيح بين، ويوضح الكلام، وينقل الأقوال، ثم إنه يخرج عن ذالك ويشتغل بالكلام الغير المفيد.

وكان، رحمه الله، يمشي لمكناسة الزيتون ويلاقي هناك()[2] بوبدنة، وكان من أمثاله.

كنا يوما بالجامع الكبير بمكناس بين المغرب والعشاء جماعة من الناس، فيهم سيدنا الوالد وعمي وأخي سيدي عبد المجيد والشيخ سيدي الطيب بصري، المتقدم ذكرهما، وجاء سيدي أحمد (المنذري) [3]، صاحب الترجمة، وجلس معنا، والسلطنة في أشد ما يكون من الجور، وسيدي أحمد طارق رأسه ساكت، والناس يكملونه ولا يكلمهم ساعة. ثم إنه نهض عشية من الحصير وسلها وقام وذهب يجري، ويقول: اهرب، واهرب، حتى خرج على باب المسجد.

ومن الغد أصبح أبو بدنة المذكور يطوف (بصور)[4] القصبة الجديد وأبراجه، ويقول فيه: ابني وعلي، وامشي وخل، قل عليك الحرام يا من كذا ما تهرب. ولما رجعنا

---

[1] ما بين المعقوفتي [] ساقط من أ وب، وهو من قوله: هو الجوهر الفرد المقدس وصفه. إلى قوله: ولما جلسنا. الزيادة والتصحيح من ج.

[2] بياض في النسخ قدره كلمة واحدة.

[3] كذا.

[4] كذا.

إلى فاس، وكنا زوار مولانا إدريس الأكبر، نفعنا الله به، بقينا بعد ذالك أياما ونزع السلطان، وهرب وولي غيره، وذالك عام ستة أو خمسة وأربعين ومائة وألف.

وكانت لي أخت من أبي وأمي وسافر بها زوجها للحج وتوفيت بالتنعيم، ويقولون: المنعم بأول برقة ولا علم لنا، حتى جاء سيدي أحمد، صاحب الترجمة، عند أبي للقيسارية، وأعطاه خبزة وضلعة من اللحم الشوى، وقال له: كل هاذا أنت وزوجتك. فجاء به الوالد إلى الدار، فدفعه للوالدة، وقال لها: هاذا من عند سيدي (أحمد المنضري)[1]، وأوصاني لا آكله إلا أنا وأنت. فقالت له الوالدة، يرحمها الله: الله سيدي، سيدي أحمد، ولو كان سامحتاه في هاذا الشوى، والآن لا حول ولا قوة إلا بالله. لأني رأيت في المنام ما لا يسرني، وأصبحت منكسة من أجله، والآن الحبس بالله تعالى، الله يرضى عليك يا طيمة يا بنتي. ثم بعد ذالك جاء الخبر بموت البنت المذكورة.

[الحسن بن مبارك السوسي]

ومنهم الرجل المجذوب، الجذب المتصل، سيدي الحسن بن مبارك السوسي.

كان، رحمه الله، قاطنا بمكناسة الزيتون، بحانوت حجام كان ساكنا بها قرب الشيخ سيدي عمر، نفعنا الله به. يتكلم بكلام معك وهو للغير، ويكون يتكلم مع الغير، وهو مقصوده أنت وأنت. تراه كالأسد لا يقدر أحد أن يكلمه، ويخطي ويشتم، ويضرب بما والاه، والناس يأتون إليه من كل ناحية، بواد وحواضر.

وكان علي دين لأحد، كنيته علي ميتة، من آسفي، ودعاني إلى السلطان، فلما دخلت مكناسة، قصدته ودخلت عنده، فرحب بي، وقال لي: المضطر يأكل الميتة. الله (يجيرك)[2] من تحريكة باطل، قم اخرج عني. وخرجت عنه، ﷺ، فكان الأمر كما قال، تحريكة باطل.

وزرته مرة أخرى وجدت عنده بعض المعارف، فقال لي: يا سيدي، اتهلا في هاذا الشريف، إنه من دار كريمة الشرف والعلم والصلاح. فقال له السيد: حق ما قلت وأكثر، ولاكن حتى هو خير، ولاكن باقي، وما عرف أين هو، أنا ما رأيته إلا قريبا من مولانا إدريس، نفعنا الله به. ثم دار في موضعه، وقال: والله ما رأيته إلا في حجره، وبين كتفيه. فلما خرجنا من عنده قال الحاضرون: والله إلا صادفت في هاذه الساعة خاطره، ما رأينا منه هاذه الأخلاق قط.

ولقيته في زيارة أخرى، دخلت عنده، ولما جلست، وكان بيده قدح من عود مملوء ماء، صبه علي، وقال لي: سر عني، اخرج عني. فخرجت عنه.

---

[1] كذا.
[2] ب: بياض.

وزرته مرة أخرى، فقال لي: أنتَ هو أب المساكين، أنت صاحب الدراويش، أنت هو المقدم على جميع الفقراء بالموافقة والاتفاق، ولاكن في زمن الخفاء لا في زمن الظهور.

[الحاج المحجوب]

ومنهم الحاج المحجوب، المعروف مع مولاي علي بن السلطان بالقائد المحجوب، هو من عبيد سيدي البخاري.

كان خفيا يرفد المكحلة أمام مولاي علي المذكور، وكان طالبا عارفا سالكا، وكانت تعتريه أحوال منذ ستة أعوام أو خمسة، وأنا ألقاه في كل جمعة بفاس العليا، لأني كنت أصلي الجمعة هناك، وأورق بمولاي علي، ويكون الكلام بيننا كثيرا، فوجدته عارفا بسلوك الطريقة والحقيقة، وله فيها اليد الطولى، وكان سلوكه من طريقة الأسماء، وهي معتمده (وجل أيام الصيام)[1]. حج مع مولاي علي الجمعة الأولى راجلا، حسبما أخبرني من حج معهم تلك السنة.

وكان، رحمه الله، مغيثا لمن يستغيث به، وكلامه لا يسقط قط. وكان هو سبب غيبة الشريف سيدي محمد بن سيدي محمد الكتاني الحسني الحمدوشي، الموجود الآن، فكان الشريف المذكور يطلع عند المحجوب، صاحب الترجمة، كثيرا ويخدمه، حتى لقنه بعض الأسماء، فكان الشريف مواظبا عليها، حتى غاب غيبة باق عليها إلى الآن.

تراه يجلس في الأسواق والدروب كيف ما تيسر له الجلوس، من غير اختيار، متجردا على هاذه الحالة، لا يختار موضعا، ويجلس في موضع مرة أو مرتين، وفي بعض المواضع العشرة أو أكثر، والعشرين في بعضها، وهاكذا، وهو ملازم للذكر لا يفتر لسانه، وقليل كلامه مع الناس، وجل كلامه بالمعاني، وصار يخبر بأخبار غيبية، بالإشارة لمن يفهمها، وقليل ما هم.

[علي مول السلال]

ومنهم الرجل المجذوب، الغائب المسن، أبو الحسن، سيدي علي، المدعو مول السلال، لأنه، رحمه الله تعالى، كان له سلتان حواتيتان (مملوءتان بالدبش)[2] يحملهما دائما على ظهره، من جملة ما فيهما الدواة والأقلام في جعبة والألواح والكراريس مكتوبة قرآنا وغيره، والقلة فيها الماء مغلقة بالقداوير والشريط، وعلى رأسه شاشية بيضاء، وعليه

---

[1] ب: يصل أيامه، وبعدها بياض قدره كلمة.
[2] ب: بياض قدره كلمة.

قشابة وجلابية، وهاذا لباسه كان، ولا يتكلم مع أحد قط، وفي أيام الشتاء تراه يجلس بصحن القرويين، وينزل الحمل على ظهره، ويخرج كل ما فيه في الأرض، ويشتغل بقراءة الكراريس أو بكتابة اللوح، والشمس عليه مشروقة. وفي المصيف يفعل ذالك بباب الحفاة، إزاء سيدي علي المقدم، وكان لا يتكلم إلا معه، ولا يطلب من أحد قط، ومن أعطاه شيئا يأخذه.

وكان، رحمه الله، قبل عام الخمسين يشير بإشارات تدل على الغلاء، كما كان يشير على أمور بالفعل لا بالقول، وتقع.

توفي، رحمه الله تعالى، عام خمسين ومئة وألف.

فصـــل

في ذكر من لقيناه وتبركنا به من النساء الصالحات المجذوبات والصالحات

[آمنة البستيونية] [1]

فمنهن السيدة الجليلة المجذوبة، الغائبة التامة الدائمة، ذات المعان، السيدة آمنة البستيونية، ذات اللحية، دفينة دارها في ما بين مسجد السمارين من الرصيف وقنطرة الصياغين عام اثنين وسبعين ومئة وألف.

كانت، رضي الله عنها، من الصالحات الغائبات، لا تتكلم إلا بالمعاني والإشارات، ولها لحية كلحية الرجل، وكلامها (مع يجيء إليها) [2]: أين كنت؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين ماش؟ وأين أمك؟

وقيل لبعض العارفين: إن هاذه السيدة ليس لها كلام إلا: أين كنت؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين ماش؟ وأين أمك؟ فقال: كلامٌ حسن. تعني بأين كنت؟ أي: في العدم، وجئت من العدم، وماش إلى العدم، وأين أمك؟ تعني الأرض ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ [3] الآية.

وتكون تتكلم مع أحد، وهي قصدها الغير من الحاضرين، وجل كلامها لا يفهم حتى يقع، إذا أخبرت بشيء إشارة، خيرا كان أو شرا.

وكان الناس يردون عليها في كل ساعة على الدوام، رجالا ونساء، ومنهم من يفهم معناها وإشارتها، ويصدر من عندها بالخير والشر، ومنهم من لا يفهم شيئا منها حتى يقع ما يقع.

وفي بعض الأحيان تكون جلالية ضيقة مقبوضة، لا تتكلم مع رجل ولا امرأة إلا بالخطا والشتم والدعاء القبيح، وتردهم وتسد الباب في وجوههم.

ولباسها دائما قشابة خضراء فقط. وقد تقدمت حكايتي معها في الباكور في ترجمة الشيخ مولاي الطيب بن محمد العلمي الوزاني، نفعنا الله به.

---

[1] منانة البستيونية (-1164هـ). ترجمتها في: فهرسة التاودي: 152. نشر المثاني: 98/4. سلوة الأنفاس: 1/350-351.

[2] كذا، ولعلها: مع من يجيء إليها.

[3] سورة طه: 54.

[آمنة بنت عبد الرحمان الفاسي]

ومنهن المرأة المسنة المقعدة، جدتنا للأم، السيدة آمنة بنت العلامة، سيدي عبد الرحمان بن الشيخ الإمام، شيخ الجماعة (المشايخ)[1]، سيدي عبد القادر الفاسي، ﷺ.

كانت، رحمة الله عليها، امرأة صالحة، ذاكرة قانتة، ذات عقل ودين، وجد وصمت، وهيبة وسكينة ووقار، ولها من الناس أتباع يخدمونها ويلازمونها. وكانت كثيرة الذكر، قليلة الكلام، لها سبحة كبيرة من ألف، في طبق بين يديها دائما، لا تفارقها قط، في صحة ولا في مرض، ولا إذا ذهبت عند واحدة من بناتها، ويكون معها.

وإذا حضرت جماعة النساء عندها (واشتغلوا)[2] بكثرة الكلام والهدر، تقول (لهم: قوموا واخرجوا عني، وتكلموا بما بدا لكم)[3].

وكانت، رحمها الله، تشير بإشارات لما يستقبل، وكلها كانت كما قالت، من جملتها:

كانت تجيء عندنا على وجه الضيافة عند ابنتها، فكانت تجيء في القفة (زرزايه)[4] ليلا، وترجع كذالك ليلا. فكانت تكون تتكلم مع سيدنا الوالد ونحن جلوس، وكان يوما يتكلم معنا على شأن السلطان مولانا إسماعيل، رحمه الله، وهو يحكي لنا قول الناس: هاذا مولاي إسماعيل، خلقنا في أيامه، وكبرنا وتزوجنا في أيامه، وولدنا في أيامه، وكبروا أولادنا وتزوجوا في أيامه، وولدوا في أيامه، ولا عرف أحد منتهاه. فقالت له السيدة: إن هاذا الناس لو علموا ما وراء مولانا إسماعيل، لم يقولوا هاذا القول. فقال لها سيدنا الوالد: أنت موقرة، محترمة أنت وأهلك ومن تعلق بكم، والناس في أمر لستم أنتم فيه. فقالت: أنا أطلب الله تعالى أن لا يتركني بعده ولو يوما واحدا. يا سيدي، إذا غاب مولاي إسماعيل، تخلق صورة وتذبح عند رأس ماء وادي فاس، ويهبط دمها في الواد، فيدخل للديار والمساجد والحمامات، من لم يشربه، يغتسل به. فقال لها: وما اسم هاذه الصورة؟ قالت له: النفاق.

فتوفي مولانا إسماعيل، رحمة الله عليه، في التاسع والعشرين من رجب الفرد الحرام سنة تسع وثلاثين ومئة وألف، وتوفيت صاحبة الترجمة، رحمة الله عليها، في أوائل الحجة الحرام مع العام المذكور، وتوفيت بزاوية جدها سيدي عبد القادر المذكور، عند الخوخة النافذة لروضة سيدي الحاج، نفعنا الله به.

وكانت، رحمها الله، تقرأ دائما بعد صلاة المغرب الحزب الفلاح للجزولي ﷺ والذكر بعده للشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ، وبعده الصلاة لمولانا عبد السلام بن

---

[1] كذا، ولعلها: والمشايخ.

[2] كذا.

[3] كذا، ويلاحظ أخطاء في التصريف أو في النسخ، وقد تكرر هاذا كثيرا.

[4] كذا.

مشيش، ﷺ وننفعنا ببركاتهم آمين. وبعد صلاة صبح كل يوم حزب الفلاح المذكور، وبعده المسبعات العشر، والحزب الكبير للشيخ الشاذلي ﷺ، وتختم بالهيللة والاسم المفرد، كما هو ذالك في زاوية جدها سيدي عبد القادر إلى الآن، ولا تترك ذالك في صحة ولا في في مرض، ولا في أين ما كانت.

[عائشة بنت علي بن تابع]

ومنهن ابنتها، سيدتنا الوالدة، رحمة الله عليها، السيدة عائشة، المدعوة عشوة بنت الحاج علي بن تابع.

كانت، رحمة الله عليها، حسنة الخلق مع الناس، لينة الكلام، حسنة العشرة مع كل واحد، ولا سيما مع بعلها سيدنا الوالد، ما رأيت من النساء مثلها في عشرته وطاعته، ولا تغضب إذا غضب، وإذا أغلظ عليها في الكلام، تجيبه بكلام لين، رضاها في رضاه في الأمور كلها، وقليل جدا هاذا في النساء.وكانت، رحمة الله عليها، من الخاشعات القانتات الصائمات، ماتت لها، رحمها الله، أمها المذكورة وأربع أخوات وأولادهم، الذكور والإناث، ومات لها بعلها، سيدنا الوالد، رحمة الله عليه، وأولاده منها الذكور ثلاثة وأنثى وأولادهم، ولم ترها قط باكية على أحد ممن ذكر بالصوت متسخطة، ولا جلست بأسطوان الدار، سوى البكاء الخفيف بالدمع لا غير، وتقول لمن احتضر: أستودعك الله الذي لا تخيب ودائعه.

وكانت، رحمة الله عليها، ملازمة الأوقات الخمسة وتوابع ذالك، وملازمة الذكر مع الذاكرات، وكانت تقرأ الأحزاب التي كانت تقرأ أمها المذكورة، كما ذالك في ترجمتها. وفي آخرها كانت لا تبقى على غير وضوء قط، وكثيرة الزيارة للصالحين، تتنفل بالليل كثيرا، كانت تحب أهل الخير المنسوبين.

كانت في حياة الوالد تحضر مجلس البخاري عند ضريح سيدي أحمد بن يحيى[1] بعد صلاة الصبح عند الشيخ سيدي أحمد بن مبارك الفلالي، المتقدم ذكره، ﷺ، ثم بعده مجلس شيخنا، سيدي محمد جسوس للبخاري في الموضع المذكور إلى أن توفيت. وكانت تحضر عندي للوعظ في مولانا إدريس عند الفجر. وكانت تحضر معنا مجلس أخينا سيدي عبد المجيد للنصيحة الكافية، ورسالة ابن أبي زيد، وشمائل الترمذي بالقرويين، وبين المغرب والعشاء. (وكانت في آخر)[2] جل صلاتها مع الجماعة إما في القرويين أو بمولانا إدريس، نفعنا الله به.

---

[1] أحمد بن يحيى. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 465/3.

[2] كذا، ولعلها: وكانت في آخر حياتها.

توفيت، رحمة الله عليها، عام سبعة وسبعين ومائة وألف، ودفنت مع سيدنا الوالد بمطرح الجنة.

[آمنة بنت الطيب الشرقي] [1]

ومنهن المرأة الصالحة السالكة، الخيرة الدينة، الناشئة من صغرها في طاعة الله تعالى، السيدة آمنة، المدعوة آمنة بنت الطيب الشرقي، المعروف والمشهور بالصميلي، أخت العلامة الأديب، سيدي الحاج محمد بن الطيب، عالم المدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وخطيب مسجدها المتقدم ذكره.

كانت، رحمها الله، من الصالحات العابدات، الذاكرات العارفات، معرضة عن الدنيا وأهلها وزينتها منذ نشأت. وزوجها أهلها في أولها بمشقة ولم ترض بذالك، فكانت دائما تاركة لزينة الدنيا، وكانت مشورة، مشورتها من أحسن وأفضل ما يكون من مشورة الأغنياء، لا تلتفت إلى شيء من ذالك قط، ولا تلبس إلا ما يلبس الفقراء، ولا يقربها الرجل إلا بمشقة وكلفة بعد حين، حتى طلقها الرجل، وبقيت عازبا حتى ماتت كذالك.

وكانت، رحمها الله، لا تحب الاجتماع مع النساء مطلقا إلا مع أمثالها، كريمة الأخلاق، لا تراها مشتغلة إلا بما يعنيها من غزل أو خياطة، ولسانها يذكر الله، محافظة على الأوقات والتوابع من النوافل والقيام والصيام وغير ذالك، ولا تأخذها في الله لومة لائم.

وفي آخر عمرها، رحمها الله، تولعت بالصلاة في الجماعة بمولانا إدريس والقرويين، وتحضر مجالس العلم والوعظ والحديث مع سيدتنا الوالدة، رحمة الله عليهما، عند العلامة سيدي أحمد بن مبارك الفلالي، وعند العلامة شيخنا، سيدي محمد جسوس، رضي الله عنهما، عند ضريح الشيخ سيدي أحمد بن يحيى، نفعنا الله به، آمين، حتى فتح الله عليها في الحفظ والفهم والولاعة.

وكانت، رضي الله عنها، تسكن بدارها عدوة فاس، (برحيبة)[2] ابن رزوق، بالدرب المقابل لسيدي عبد الرحمان الملياني، نفعنا الله به.

وكانت، رحمة الله عليها، لا يطلع عليها الفجر صيفا ولا شتاء إلا بمولانا إدريس، نفعنا الله به، لسماع التفسير، للحديث والوعظ ولصلاة الصبح مع الجماعة، وتجلس بعدها لقراءة الحزب الكبير للشاذلي، وتذهب منه إلى قراءة البخاري بسيدي أحمد بن يحيى عند محمد جسوس، وتخرج منها إلى دارها تصلي الضحى، وتجلس لشغلها في دارها إلى وقت العصر، وتخرج لسماع الحلية بالقرويين والصلاة بالجماعة. هاذا كان حالها دائما

---

[1] آمنة بنت الطيب الشرقي(-1187هـ). ترجمتها في: سلوة الأنفاس: 3/66-67.
[2] ب: بياض قدره كلمة.

وسيرها، رحمة الله عليها، حتى كان كلاب السوق، من دارها إلى مولانا إدريس، كلهم استأنسوا بها، واستمرا معها، لا يلهتون عليها قط، ويرحبون بها.

ولما مرضت، رضي الله عنها، المرض الذي توفيت منه، كنت أمشي وأدخل عندها لأعودها، ولا أجدها إلا مستيقظة محزومة، وحالها حال أهل الخير، وكلامها كلام العارفين.

وكنت عندها يوم وفاتها عشية إلى المغرب، وخرجت وتركتها محتضرة، فلما بت تلك الليلة، رأيت الناس في الأزقة يهرولون وهم مشورون وصلا باب الفتوح، ولا عرفت ذالك ما هو، فتبعتهم حتى وصلنا عقبة ابن بكار من حومة المخفية، والناس طالعون أفواجا أفواجا، وعرفت رجلا منهم، فسألته: إلى أين يسرعون الناس؟ فقال لي: إلى مطرح الجنة. قلت: لم ذا؟ فقال لي: أتى النبي ﷺ هناك، جاء يحضر جنازة امرأة ماتت. فأسرعت لذالك جدا، ولم أسأله عن المرأة من هي، لأجل أن أرى النبي ﷺ. فاستيقظت من شدة إسراعي وفرحي بالحبيب ﷺ، فوجدت الوقت، فتوضأت، وخرجت لمولانا إدريس ﵁. وعند طلوع الفجر، وجدت هناك بعض الإخوان ممن هو لها ومطلع عليها، فسألته عنها، فقال لي: خرجت من عندها بعد العشاء، وتركتها على حالها. فقلت له: الله، الله، إن القراءة الآن منعتني من الذهاب إليها، وأنت مرادف الآن إليها، فإنك ستجدها نهضت، وتقبض بمحضرك، وأكدت عليه. فقام وصلى الصبح عند الفجر ومضى عندها، فوجدها قبضت في الحين، رحمة الله علينا وعليها، وهم عند الباب يبكون، فقالوا له: الآن قبضت. ورجع إلي بعد صلاة الصبح، وأخبرني بموتها، رحمة الله عليها. وسألني عن سبب بعثه إليها والحرص على ذالك، فقصصت عليه رؤياي.

ودفنت بمطرح الجنة عند قبة سيدي العايدي، جوار العلامة سيدي محمد أبو الرخاء المتقدم ذكره، ﵁.

وكانت لها جنازة عظيمة حفيلة، حضرها كثير من أهل الخير من الناس ظاهرا أو باطنا؛ من غير نداء ولا إعلام بها، غير من كان لله كان الله له، وذالك في أوائل ذي الحجة الحرام متم سبعة وثمانين ومائة وألف.

[آمنة بنت محمد الجامعي]

ومنهن المرأة الصالحة المجذوبة، السيدة آمنة بنت المرحوم السيد محمد الجامعي، ذات الكلاب والقطوط، مات أبوها وأمها في يوم واحد في وباء خمسة وخمسين ومئة وألف، وبقيت يتيمة مهملة مخزونة على الناس.

وتولعت بالقراءة من صغرها في حياة والديها، وكان لها صوت حسن، لم يدركه أحد من النساء والرجال. فكانت تكتب الشعر والبراويل والتواشيح والموال والعروبي،

وكلما سمعت شيئا من ذالك تحفظه، حتى بلغ بها ذالك لمواضع الجماعة واللهو والفساد، وخرقتها معاني الكلام.

وفي يوم عيد الأضحى لقيها بعض أهل الفساد، وكان مخمرا، وأكرهها تمشي معه للفساد، فامتنعت، وكان من طبعها تكره النكاح والجماع، وإنما كانت تحب الكلام لأجل المعاني التي كانت تخرقها، فضربها الرجل المذكور بالحديد وجرحها جرحا جريحا ودفعه الناس عنها، وغابت، فكان ذالك السبب في غيبتها وجدبها. وكانت، رحمة الله عليها، قريبة الدموع كثيرة البكاء، لا تقول شعرا ولا تسمعه لحنا أو وزنا، إلا كانت دموعها كالمطر. وإذا كانت تقول أو تسمع من غيرها، وتكلم أحد مع أحد، إلا ضربته بما وجدت. وأما إذا سمعت الناس يتكلمون في المحبة أو العشق، فتكون باكية طول كلامهم. وكانت، رحمة الله عليها، تقول: أنا لا يعجبني الكلام الذي فيه القدود والخدود والورود، وإنما يعجبني الكلام الذي فيه الذل والغبن، وتقول: إنا لا نحب الكلام الذي لا نفهم معناه ولا نحفظه.

وبقيت على هاذه الحالة حتى صارت تخرج مكشوفة الوجه في الأسواق من غير لثام، وكانت تحمل القطوط والكلاب، وكان لها كليب يتبعها، سمته "خنارا". وكانت تغيب عن فاس، وترجع مرة لتطوان لأن لها من هناك، وكثير غيبتها بفشتالة، بسيدي أبي الشتاء.

وبقيت في آخرها مدة طويلة وهي بشرق الجامع جالسة الليل والنهار تحت ساباط مدرسة العطارين، تقيل ساكتة، وتبيت تعيط بالشعر والموال، وغير ذالك، ودموعها تسيل، وكل من له بيت من أهل المدرسة يلي طريق شرق الجامع إلا شغلته عن نومه.

وكانت، رحمها الله، إذا رأت جماعة من الناس يتحدثون في محجة أو دار أو مسجد وقفت أو جلست تنصت إليهم. فإن وجدت حديثهم الدنيا والهدر، تصد عنهم، وتقول لا فرق بين هاؤلاء والبقر، وإن وجدتهم يتحدثون في طريق المحبة والعشق، جعلت تبكي.

وغابت عن فاس نحو الشهرين، ما ظهرت حتى ظننا أنها بتطوان أو فشتالة، لأنها كانت كثيرة الزيارة لسيدي أبي الشتاء ﷺ، حتى طلعت يوما لفاس العليا، فوجدتها هناك قاعدة بباب الصرف، فقلت لها: منانة هي؟ قالت: هي. قلت: أين كنت غائبة؟ قالت: منذ شهرين وأنا هنا جالسة. قلت: وما جلوسك هنا هاذه المدة؟ قالت: أجلسوني هنا استرعاء على أهل هاذه المدينة على أن يعطوا مفاتيحها لربها بالتي هي أحسن، وإلا فلا يلومون إلا أنفسهم، وهم غافلون عني في الجواب، وحملوني على المسخرة، وحقهم أن يقصروا ما يطولوا، ويطلقوا بتراخي. ثم إنهم غفلوا عني وتركوني متقفة هنا. فانصرفت من عندها قائلا في نفسي: هاذا والله التهرتيل.

ولما بلغت باب السبع وجدت بها الشيخ عبد الواحد (الزنبور)[1] المتقدم ذكره. فقال لي كما قالت لي كما تقدم في ترجمته، وانصرفت من عنده. فلقيني عزيزي القنيت عند السير الذي هناك، فسألني: هل لقيت أحدا؟ قلت: نعم. فقال: وما قالوا لك؟ قلت: قالوا لي ما لم يكن ويبعد عن العقل. فقال لي: عليه الحرام حتى يكون ما قالوا لي ولا يكون غيره. ثم بعد ثلاثة أيام جاء السلطان، وأخرج أهل البلد منها ومكنوه من المفاتيح، وذالك عام ثلاثة وسبعين ومئة وألف.

وفي تلك السنة توفيت صاحبة الترجمة، رحمة الله عليها، من سبقت له العناية لن تضره الجناية، توفيت بفشتالة، ودفنت عند ضريح أبي الشتاء ﷺ.

[منانة مزوارة المكناسية]

ومنهن الفقيرة المجذوبة السيدة (منانة)[2] مزوارة المكناسية.

كانت، رحمها الله تعالى، امرأة غائبة، تخرج في أسواق مكناسة الزيتون بادية في قشابة خضراء، منقبة بثوب أبيض أو أحمر، وتقف كثيرا عند باب الجامع الكبير، وتجلس في بعض الحوانيت، وتتكلم مع الناس بكلام لين، في بعض الأحيان لا تكلم أحدا. وكانت، رحمة الله عليها، تقول للناس: اعطني كذا، يكن لك كذا. هاذه كانت حالتها، لم تبدلها بغيرها، حتى ماتت عليها. ولها مكاشفات، فكنت أزورها كلما دخلت مكناسا تبركا بها وبدعائها.

ولما قرب أجلها، لقيتها بقبة السوق فسلمت عليها، وقالت لي: إني تزوجت. جئت تحضر عرسي؟ قلت: نعم. فقالت لي: عاهدني على ذالك. فقلت: إن شاء الله تعالى.

ولما رجعت إلى فاس مرضت، وفي أثناء مرضي، رأيت في المنام أني بمكناسة الزيتون، وجازت جنازة عظيمة معها خلق كثير، فسألت عنها، فقالوا: منانة مزوارة. قلت في ذالك المنام: الحمد لله الذي أكرمني الله بحضور هاذه الجنازة المباركة. وتبعتها حتى دفنت بروضة السيدة العلمية، واستيقظت.

ومن الغد أو بعد الغد، دخل علي بعض الفقراء يعودني، وذكر لي أنه جاء من مكناسة، وبلغني السلام عن الإخوان هناك. فسألته عن السيدة المذكورة، فقال لي: توفيت بالأمس، رحمة الله عليها. ودفنت بروضة السيدة العلمية، وكانت لها جنازة عظيمة، فكان (يصفها)[3] لي وأنا أنظر إلى ذالك، وذالك سنة أربع وتسعين ومئة وألف.

---

[1] ب: بياض قدره كلمة.
[2] ب: حنانة.
[3] ب: يصف.

[الساقمة]

ومنهن المرأة الغائبة المجذوبة المدعوة الساقمة، دفينة خارج باب السبع على ضفة وادي فاس.

كانت امرأة غائبة غيبة جذب، تكون بحائك وبغير حائك. وكانت تجلس في حوانيت الشطاطبيين عند سوق الغزل وبحارة قيس وبيديها ورجليها (بما يا ليهم)[1] الصفر والدوم من ركبتيها إلى ساقيها، ومن مرفقيها إلى زندتيها، دائما على هاذه الحالة، كثيرة السكوت، لا تطلب من أحد شيئا، ومن أعطاها شيئا، تأخذ من بعض وترد لبعض.

توفيت، رحمة الله عليها، قرب عام خمسين ومئة وألف.

[السيدة لبادة]

ومنهن المرأة الصالحة السالكة المجذوبة، والجذب غالب حالها، (صفية)[2] لبادة، كنية بحرفتها، لأنها كانت تصنع اللباد قبل جذبها، وشهرتها ببنت (كعيرو أغلب)[3]، كانت صنعتها ما ذكر. ولما نزل بها ما نزل، صارت تخرج للأسواق بادية وتتكلم بكلام لا أصل له، أكثره سفه، حتى خرجت من فاس وهاجرت بالقبب خارج باب فتوح بأعلى مطرح الجنة، وبقيت في هجرتها هنالك نحو العامين، صيفا وشتاء. ورجعت إلى المدينة، فكانت تهيم في الأسواق، وتتكلم بمعاني، فيها ما يفهم وما لا يفهم، ثم يضيق حالها وتتكلم بالسفه، وتكشف عورتها، ولا تبالي بأحد، ولا بما فعلت.

ثم بعد مدة، هاجرت عند الشيخ الكامل، الشهير الواصل، سيدي أحمد البرنسي، نفعنا الله به، بلمطة، وبقيت في جواره في تلك الكآبة نحو السنة، ثم أرسلت من ورائي لنجيء إليها مع أقوام من زيارة الشيخ المذكور. فلما أكثرت علي، طلعت من عندها يوما، فخرجت من كهف هناك، كانت تأوي فيه من الحر والبرد، (متوكئة)[4] على عصا والجرح في رأسها والجبيرة بذراع يدها وفخدها وبعنقها، وهي في أشد ما يكون من التعب والمشقة، فسلمت علي، فقلت لها: من فعل بك هاذا يا فقيرة؟ فقالت: إني هاربة هنا خوفا من غلظة أهل الوطا وشدتهم وضيقهم، وهربت إلى الجبل والغابة، فوجدت أهله أشد غلظة وضيقا. والآن تراني اخترتك، وبعثت إليك تستشر علي السلطان مولانا إدريس، نفعنا الله به، لنهبط إلى المدينة، وإلا جالسة هنا مقيمة حتى أهلك، أو يفعل الله بي ما يشاء. فقلت لها: يا فقيرة، أما علمت أن مولانا إدريس له التصرف في جميع المغرب، في

---

[1] ب: كذا.
[2] ب: بياض قدره كلمة.
[3] ب: بياض قدره كلمتان.
[4] ب: بياض قدره كلمة.

هاذا الموضع وغيره، والمغرب كله في صحيفته، ولا يتصرف فيه أحد إلا عن إذنه. فقالت لي: ليس الخوف منه، وإنما الخوف من أهل بلده. فقلت لها: البلد بلده، وأهلها قومه، وأنت إذا صدر منك ذنب أو أمر مخالف، فتب إلى الله. فقالت: نعم، ولاكن تستشر علي مولانا إدريس، لأني أختارك عن غيرك لهاذا الأمر. فقلت لها: إن العبد إذا زل زلة ما له إلا مولاه، وإذا ظلم ما له إلا مولاه، إن صبر، وإلا فالسلطان، لا سيما إن كان السلطان عادلا شفيقا حليما، وأنت ظهرت مدة في باب الله، ومن كان منسوبا إلى الله، فلا يخلوا من المصائب، تصيبه البلايا لأنه معرض لها. والآن، اصبري (ودبب)[1] عند السلطان مولانا إدريس، نفعنا الله به، وتمرغي عليه، فإنه حليم يعطف عليك، وإذا عطف عليك، فلا عليك فيما دونه، وإن عجزت عن القدوم في هاذه الحالة، فعليك بالصبر حتى يصح بدنك أو جسمك.

فبينما نحن في هاذا الكلام، إذا بعبد الله بن السيد محمد الزرهوني، المدعو المريبح، المدعو بعبد رب الأسود، كان مجاورا هناك، فقالت لي: هاذا هو سبب فيما حل بي، لأني منذ طلعت لهاذه الغابة وهو موكل بي يطلب مني التزويج، ولا أريد شيئا من ذالك، وضيق بي المتسع، وأكثره لي جدا في ذالك حتى وعدته بحضور العدول. ولما وعدته، حل بي ما رأيت بسبب ذالك الوعد.

ولما انصرفت عنها راجعا، وتواعدنا بالقدوم لمولانا إدريس ﷺ، تعرض لي المريبح المذكور، وقال لي: لا تفهم يا سيدي أن قصدي من تزويجها الجماع، لأني والله لا غرض لي في ذالك، وإنما غرضي منها ما رأيت فيها من الأنوار، وما (يجتمعون)[2] عليها من الفحول، فعرفت أن لها لشأنا. فمن أجل ذالك، طلبت منها ما طلبت.

ولما برئت السيدة وهبطت، وجدنا البريح وقع بالفترة، فما رأيتها حتى رأيتها بالكلاب معها، منهم ما بظهرها، ومنهم ما تجره بحبل، ومنهم ما يتبعها، وهي تتكلم بالمعاني، فعرفت أنها قد سرحت.

وخلفت منانة الجامعية ذات القطوط والكلب، فكانت صاحبة النرجمة لا تتكلم إلا بالمعاني، وتسكت عن قول السفه، وكل ما أشارت به، كان في القرب أو في البعد. وكانت تقف بباب المساجد عند صلاة الجمعة، وتقول: يا العلما، يا الظلما.

ورأيتها يوما جالسة على باب القرويين بالعدول زمن الجعيدي بعد صلاة العصر، وجعلت تقول: أنا والله ما رأيت غير الحاج محمد بن حد اكحل العيون ساكن بدرب بوبكر من حمامة ابن حد، هاذاك حد. وبقيت تقولها، حتى كان الأمر كذالك.

ولما قبض السلطان أهل فاس الذين كانوا بالصويرة، وسجنهم بمراكش، وجاء المخبر إلى فاس، وتغير الناس من أجل ذالك، وكان من جملة من سجن الكبير الجزولي،

---

[1] كذا، كلمة دارجة معناها: اذهبي.
[2] كذا، والصواب: يجتمع.

وكانت السيدة صاحبة الترجمة تأوي إلى داره تأكل فيها وتشرب وتفعل ما تريد، وتحمل أولاده في ظهرها وتفرح بهم، وتخرج بهم إلى السوق.

ثم وجدتها يوما عند ضريح الشيخ أبي بكر بن العربي ﷺ ونفعنا به آمين، فقلت لها: كيف ظهر لك في هاذا الأمر؟ هاكذا عمل الناس؟ وهاذه معرفتكم؟ هاكذا يحل بمن يعرفكم؟ أين الطعام؟ وأين فرح السلطان؟ فقالت: وما هو عملي، ولا عمل لي في وعد الله؟ فقلت لها أنا: هو عار على أهل الدوار أن يفرطوا في كلابهم ويجوزونهم، ويتركون الدوار من غير كلاب معرض للضرر من السراق وغيرهم. فقالت: والله حتى نمشي ونقول. فقلت لها: وكيف تقول؟ قالت: نقول أنا بالله وبالشرع، الدوار لا يبقى بغير كلاب فيحقر، وعار الكلب على سيده. وفارقتها على هاذا العهد. ثم جعل أمر المسجونين يسلك بلطف الله تعالى شيئا فشيئا، حتى سلكوا جميعا عن آخرهم، إلا من مرض منهم في السجن ومات.

وبت ليلة من المصيف على سطح مولانا إدريس، نفعنا الله به، لحاجة، فسمعتها وهي على سطح المارستان، وهي تتكلم مع من كان معها على ذالك السطح. ثم لما كان وسط الليل ونام الناس، رأيتها تباعدت عن الناس النائمين، واشتغلت بالركوع تركع وتسجد، حتى غلبني النوم، ونمت وهي كذالك، حتى استيقظت آخر الليل، فوجدتها وهي تدعو دعاء ما سمعته قط، يذيب الجبال، ويتوسل فيه بجبريل ومكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وبأسماء ملائكة ما سمعتها قط، وبأسماء الأنبياء والأولياء والصالحين من المشاهير وغيرهم، وهي تبكي وتتضرع إلى المولى جل جلاله، وهي كذالك إلى طلوع الفجر، ولو قال لي أحد إنها تعرف ذالك ما قبلت حتى أطلعني الله عليها الليلة.

ورأيتها غدوة يوم دخلت القرويين بكلابها معها فقام إليها بعض الطلبة، وضرب كلابها بالعصى، وشتمها وأطردها حتى أخرجها عن المسجد. ثم لما خرجت، التفتت إليه، وقالت له: استحقرتني وغلبت علي، والله يهدك في ذاتك ومالك. فمن ذالك اليوم وهو مستمرض عديم الصحة حتى مات، وكانت له فلوس عند الناس، وتم ماله مع صحته.

توفيت، رحمة الله عليها، أول عام تسعة وتسعين ومئة وألف، ودفنت بروضة الجعيدي، قرب الشيخ سيدي أبي غالب، نفعنا الله به، وكانت لها جنازة عظيمة جدا.

[عائشة بنت المير]

ومنهن الفقيرة المجذوبة المتجردة السائحة عائشة بنت المير، بهاذا اشتهرت.

كانت، رحمة الله عليها، تطوف بالأسواق بادية من غير حائك ولا لثام. وكانت، رحمة الله عليها، تتكلم بإشارات، ثم يبدو ما أشارت به ويظهر.

جاءت عندي صبيحة يوم خميس عند طلوع الشمس، وقالت لي: سمعت هاذا؟ قلت لها: وما هو؟ فقالت لي: الصفار في الكبل، وسيدي محمد في الحبل، ولا عند أحد ما

يعمل. فظهر لي من كلامها: الصفار هو القائد، وسيدي محمد هو السلطان. فقلت لها: اسكت قبل أن يسمعك الناس في المارستان. فقالت لي لما نهيتها: والله ما قلت حتى سمعت ورأيت، وأكثرت علي من هاذا الكلام. وذهبت وهي تقول: والله حتى نمشي إلى الخميس ونبرح بهاذا. ولما جاء الناس من الخميس، جاءوني وأخبروني أنها تبرح في الخميس بذالك.

ثم بعد ذالك بأيام، جاء الأمر من السلطان بقبض القائد العربي الصفار وجعل في الكبل، وبقبض الشريف سيدي محمد الغالي الإدريسي، (وبعث)[1] إلى مراكش في الحبل.

وجاءت يوما عندي إلى الحانوت، وعندي جماعة من الناس، فسلمت، وقالت: الله يعاونكم. ورددنا عليها. فقالت: من القائد فيكم؟ فسكتنا. فعادت لقولتها، فقلنا لها: ما في هاذه الجماعة من يكون قائدا، وإنما هم فقهاء وطلبة. فقالت: والله إلا فيهم القائد جالس، والله ما كذبت. فأشارت إلى الطالب السيد محمد بن عبد السلام المنقاد، وكان (فينا)[2]، وذهبت وانصرفت. جاءنا المرابط الشريف مولاي الخياط القادري[3] وسلم، وقال للمنقاد المذكور: الله يعينك يا القائد؟ فقلنا: من القائد؟ فقال: ذاك، وأشار إليه وعينه. فقال المنقاد: هاذا كلام ريح. فقال له الشريف: والله لا بد لك منها، ولاكن والله لا خير لك فيها. فكان الأمر كذالك (...)[4] قريب.

توفيت، رحمها الله، عام خمسة وتسعين ومئة وألف.

[منانة الثرية]

ومنهن المرأة الفقيرة المجذوبة السيدة منانة الثرية، من ناس الثرى.

كانت، رحمها الله، في ابتداء أمرها يبرأ منها الجذب في بعض الأحيان، حتى كان الناس يتهمونها بالارياح، ويقولون مجنونة، وهي مجذوبة.

وفي آخرها كانت تسكن بحومة المخفية، بدرب سيدي يوسف الفاسي، بدار الشرفاء الطاهريين، وذالك حين غلب عليها الجذب، وكانت تتكلم كثيرا، وكانت تخبر بأخبار غيبية كانت أو ستكون. ولما وقعت الفترة سكنت وسكتت، وصارت تتكلم بالمعاني والإشارات.

توفيت، رحمة الله عليها، عام تسعة وتسعين ومئة وألف.

---

[1] ب، ج: ومشى.
[2] كذا.
[3] أبو محمد الخياط بن محمد القادري (-1187هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 1/326-327.
[4] كلمة من ثلاث حروف غير مقروءة. في ب: بياض قدره كلمة.

خـــاتمـــــــــة

أذكر فيها، إن شاء الله، جماعة من البهلاء والمجاذيب الغائبين عن الصواب، مما يظهر لنا ممن أدركناهم في حال الصغر

اعلم أنه كان خالنا الفقيه الأجل، المرابط الأفضل، سيدي أحمد، المدعو الأحمر، ابن العلامة الحافظ، سيدي عبد الرحمان بن الشيخ الإمام، العالم الهمام، شيخ المشائخ، سيدي عبد القادر الفاسي، ﷺ، ونفعنا ببركاتهم، آمين، كان، رحمه الله، يحب البهلاء المجاذيب، ويقبل عليهم كيف ما كانوا، ويحسن إليهم بما أمكن، ويدخلون داره في كل يوم، وفي كل وقت، ولا يردهم أحد، حتى كانوا منهم من يدخل ويخرج من حينه، وتارة يقيل عنده، وتارة يبيت. ومنهم من يكون عنده بالأيام، وهو يطعم ويسقى مساعفا لكل حال، كالسيدة البستيونية المتقدمة، كانت تضيف عنده كثيرا.

[عزوز المجذوب]

وكالسيد الجليل، سيدي عزوز، دفين السراجين من أعلا طالعة فاس الأندلس. كان، رحمه الله، شابا صغيرا، بهلولا غائبا مقعدا، واللعاب والخنان سائل من أنفه وفمه دائما. وكان له ﷺ خديم يخدمه، ويحمله على ظهره لأي موضع شاء، وهو رجل غليظ أسمر طويل. وبعد وفاة السيد، كان يجلس بباب روضة سيدي عزوز، وفي بعض الأحيان تراه قاعدا بباب الشيخ سيدي أبي بكر بن العربي ﷺ.

وجدت يوم مات سيدي عزوز، صاحب الترجمة، بدار خالنا سيدي أحمد الفاسي المذكور، وكانت سيدتنا الوالدة، رحمها الله، عنده، ودخل سيدي أحمد المذكور، وبيده سفنج منظوم في شريطه، وأعطاه لسيدي عزوز. فقالت له الوالدة: أعطني يا سيدي واحدة للبركة. فعض واحدة وأعطاها لها فردتها له، وقالت له: اعطني أخرى. لعلها عافتها من أجل لعابه. فرماني عند ذالك بها، وقال لي: كلها. فأكلتها. وضرب الوالدة بأخرى، وقال لها: الله يعطيك سبع بنات. فكانت السفنجة مع الباكورة التي أعطتني البستيونية معضوضة من كوني تزوجت امرأة ثيبا، وثانية بعدها ثيبا، وثالثة بعدهما كذالك. ودعوته بسبع بنات لم تحصلهم من صلبها، ولاكن كانوا أحفادا لها لأولادها.

[أحمد المتوي]

وكذالك السيد أحمد (المتوي)[1] المذكور آنفا.

[محمد شتوان]

والبهلول السيد محمد شتوان، كان قاطنا بحومة البليدة، يكون في قشابة، وتارة في جلابية فقط، يجلس بالأزقة مع الحائط الذي والاه، ويشتغل بهز رأسه، ويضربه للحائط، ولسانه يذكر: الله، الله، الله.

[عشب]

ورجل آخر يقال له عشب. كان يطوف بالأسواق ببوقيدر يضرب فيه من غير وزن، ويجلس كذالك بالأزقة.

[مومو صغير السن]

ورجل آخر كانوا يسمونه مومو صغير السن، من أولاد ابن القاضي. إذا قيل له: إن كنت تحب الله، فانزع عنك سلهامك، ينزعه. وكلما قيل له إن كنت تحب الله، فافعل كذا، يفعله كيفما كان، ولا يمكن تركه له.

[طوته لالا]

ورجل آخ مثله يقال له (طوته) [2] لا لا. له جهد عظيم، يقف بصحن القرويين ويرمي بيده الحجر إلى السماء، وتخرج من يديه كأنها خرجت من مدفع، ولا ترجع إلى الأرض قط.

[اريط عجولك]

ورجل آخر أسمر يقال له اربط عجولك.

---

[1] ب: المنوي.
[2] ب: طومة.

[الحس في اقرب]

وآخر أسمر أيضا دائما بقرب على كتفه، كانوا يقولون له الحس في اقرب.

[رجل آخر]

ورجل آخر أحمر غليظ طويل بارز العينين واسعهما، بيده مسلوت صغير، وهو جهير الصوت، يكون ماشيا أو واقفا ثم يصيح بأسيادها: ما حس احد بأحد.

[رجل آخر]

ورجل آخر كان يكون ماشيا ثم يقف ويدير وجهه لناحيته ويقول: آه يا هاذاك، الذي ظهر على بالك تعبا. ثم يدير وجهه إلى الناحية الأخرى، ويقول: آه يا هاذاك، الذي عنا بالك تظهر يه بأسيادها. ما حس أحد بأحد.

[أبو دحيم الخطار]

ورجل آخر يقال له أبو دحيم الخطار، من أولاد الخطار، كانوا بحومة البليدة، أشيب، للقصر، ضيق العينين، يشرب الدخان، والغالب عليه يكون مخمرا. وكان يشير إشارات تكون كفلق الصبح.

كان يوما حكيم المدينة، الشريف مولاي عبد المجيد الطالبي المشاري وخليفته عبد الخالق أمراس خارجان بالهدية إلى السلطان، كان سيدي محمد بن عربية، إلى مكناسة، والناس يجتمعون في الحومة، وهما يتهيآن للخروج، والدواب مسرجون، وأبو دحيم جاء، فقال للخليفة المذكور: هات أعطني. فأعطاه شيئا ما عرفته. فقال: إلى انت مريض، ادخل لدارك مريض، ولا تمش، وصد عنه، والآخر قبضه القيء، فجعل يقيء، ودخل لداره. وأبو دحيم هبط مع الطريق إلى باب درب جيارة، فوجد القائد مولاي عبد المجيد راكبا، فقال له سيدي بودحيم: ادع لي يا سيدي. فمد له يده، ففسخ القائد طرف كمه، وأعطاه موزونيتين، وقال له: ادع لي. فأشار بودحيم بسبابته، ومدها مع أنفه، علامة على السكوت، وجوزها على جرجومته، فصد القائد. فلما صد، أعطاه بأصبعه الوسطى مع بصر شديد وانصرف. فصد القائد، ومرض الخليفة، فبات القائد سائرا. ومن الغد، هو إلى وادي ويسلن وخيل عبيد البخاري قاموا معه وقبضوه، ومروا به مقبوضا، لأنهم

نزعوا السلطان بن عربية، ونصروا مولاي المستضيء. فجاء الخبر من الغد أن القائد قبض، والعبيد نصروا مولاي المستضيء، فبقي مسجونا حتى مات من تحت العذاب. نسأل الله السلامة والعافية.

[مبارك بع]

ورجل آخر اسمه مبارك بع. كان بدار ابن قدار في وادي الشرفة في صقلابية يقول: بع. الليل والنهار، لا يفتر، (فسمي)[1] عند ذالك بسيدي مبارك بع. كان عند الساكنين بالدار المذكورة ناس ابن جلول، كانوا يخدمونه بها حتى مات عام ستة وأربعين ومئة وألف. ودفن بمطرح الجنة، قرب سيدي الدراس، وبنى عليه حوش، وهو الحوش المدور بالحجارة فوق البناء.

[أبو جيدة الكفيف]

ورجل آخر اسمه سيدي أبو جيدة الكفيف، من أولاد الكفيف.

كان، رحمه الله تعالى، أبيض، أشقر، أبيض الشعر، لا يتكلم مع أحد قط، صغير السن، حافي الرأس والقدمين، وعليه قشابة خضراء لاغير، يسيح في الأسواق، ويدخل للديار والمساجد، وكثيرا ما يكون بيده جليدة يأخذها من الخرازين أو عظم، وكان أجهر العينين، فيقبض ذالك الجليدة أو العظم ويقرب ذالك من عينيه، ويرفع رأسه إلى السماء ويدور بخصة العين من القرويين دورانا كثيرا في كل يوم. هاذه حالته، رحمة الله عليه. توفي عام تسعة وأربعين ومئة وألف.

[طاهرة الشريفة العلمية]

وامرأة اسمها السيدة طاهرة الشريفة العلمية.

كانت، رحمة الله عليها، جوالة، تمشي لتطوان ولمكناس ووزان، وغير ذالك. وتدخل للديار، فتدعو لأهل الديار، ويعطونها ما وجد. وكانت لها قفة طحانية، بيدها دائما، أين ما مشت تمشي بها، لا تفارقها قط، وكل من أعطاها شيئا، تجعله في تلك القفة، فيوجد فيه القمح، والشعير، والخبز، والكسكس، واللحم، والفول، والخضر، كل وقت بوقته، والدراهم والفلوس، ولأن النساء كانت تعمل لهم الحاجة بالجعل، وتدخل للديار، وتقول لأهلها، إذا كانوا أكلوا طرفة: أين حقي من كذا الذي أكلتم؟

---

[1] ب: بياض.

توفيت، رحمة الله عليها، بتطوان، عام خمسين ومئة وألف.

[آمنة الساقمة] [1]

وامرأة اسمها آمنة الساقمة، دفينة خارج باب السبع من فاس العليا، قرب وادي فاس.

كانت امرأة غائبة، كانت دائمة بادية من غير حائك، وكانت تجلس كثيرا بحوانيت الشطاطبيين من حارة قيس، ومن سوق الغزل، كثيرة الدماليج من يديها، من الصفر والشريط، وكذالك رجليها بخلاخل الصفر والدوم. لا تطلب شيئا من واحد، والناس يعطونها، فمنهم من تأخذ منه، ومنهم من لا.

فهاؤلاء المجاذيب والبهلاء المذكورون كلهم كانوا يركنون إلى خالنا سيدي أحمد الفاسي المذكور، ويأتون داره دائما، ولا يخطوا داره قط.

[سبب تأليف الكتاب]

والسبب في جمع هاذا الكتاب هو لما كانت لي خلطة بالفقراء المذكورين، رحمة الله عليهم أجمعين، وخلطة من بعدهم من الفقراء الموجودين، ظهر لي من محبتي فيهم أن أوقظهم من غفلتهم عن السنة، وأردهم عما تولعوا به من البدعة. وتردد في ذالك الكلام بيني وبينهم في ليلة، حتى قال بعضهم: ليس هو من طائفتنا، ولا له مدخل فينا. وقال آخر: إنا نراه مع كل الطوائف، ولا عرفنا من أي طائفة هو.

فكان ذالك هو السبب في ذكر هاؤلاء الطوائف ومشائخهم، وذكر سيرتهم وسيرة من تعلق بهم، تبركا بهم، واحتراما وانتسابا لجنابهم، منة وتفضلا وإنعاما.

زادنا الله تعالى ببركاتهم عزا وإكراما، وزادهم منا تحية وسلاما، فإن معرفة الأشياء خير من جهلها، والتحدث بالنعم شكر، خير من دبيبها وخبوها، لأن من لم يشكرها فقد تعرض لزوالها، ومعرفة الأخيار تبعد من النار وتقرب من الجبار.

نسأل الله العظيم، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي من علينا بمعرفتهم وزورتهم، وهدانا للانتساب إليهم، أن يمن علينا بما من به عليهم، وأن يمدنا من مددهم، ويسقينا من خيرهم، وأن يذيقنا حلاوة طاعته، ويشرح صدورنا بمعرفته، ويباعد بيننا وبين معصيته.

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وكافة صحابته، وجميع التابعين الصالحين من أمته، صلاة وسلاما دائمين تامين قدر وسع رحمته. واجعلنا اللهم من أهل

---

[1] آمنة الساكمة (-1150هـ). ترجمتها في: سلوة الأنفاس: 259/3.

حزبه وملته، العاملين التابعين لطريقته وسنته، وأمتنا تائبين موحدين مستغفرين في بحر محبته.

وحسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، والصلاة والسلام على مولانا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وكافة أصحابه الحائزين العناية والتعظيم.

اللهم اختم لنا بالحسنى، يا ذا الفضل العظيم، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

---

[1] سورة آل عمران:101.

فهرس الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية:

فهرس الأحاديث:

فهرس الأعلام:

— ب —

— ت —

— ج —

— ح —

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

فهرس التراجم:

— غ —

— ق —

— م —

— ي —

فهرس الأعلام الجماعية:

أ

— ب —

— ج —

— ح —

— ر —

— س —

— ش —

فهرس الأماكن:

– ح –

– خ –

– د –

— ر —

— ن —

— هـ —

— و —

فهرس القوافي:

طيب	الطويل	علي بن وفا	07	.101
ظهروا	الطويل	أبو العباس المرابي	03	.52
عافية	الرجز	عبد المجيد الزبادي	05	.115
عثرات	الطويل	يوسف بن الحسين	03	.52
العجب	الرجز	مجهول	01	.63
عدلا	البسيط	مجهول	04	.48
العديدة	الخفيف	عبد المجيد الزبادي	04	.110
عرس	الطويل	أبو مدين الغوث	01	.330
عظيم	الطويل	الصالح بن المعطي	01	.90
فسامحنا	الطويل	أبو مدين	03	.90
القرى	الطويل	عبد المجيد الزبادي	55	.131
القطر	الطويل	مجهول	01	.88
الكرم	الطويل	ابن الفارض	02	.100
للتنوير	السريع	عبد المجيد الزبادي	09	.115
للقائه	البسيط	مجهول	04	.46
مجد	المقتضب	مجهول	05	.161
المجيد	الرجز	مجهول	15	.149
مستترا	البسيط	أبو مدين	01	.45
المستهام	المديد	محمد المنالي الزبادي	14	.103
المضيئة	الطويل	طاهر القسطنطيلي	02	.270
معضله	البسيط	عبد المجيد الزبادي	04	.111
معنا	الخفيف	مجهول	03	.48
مهر	الطويل	أبو فراس الحمداني	01	.47
نسائها	البسيط	أبو القاسم القشيري	01	.70
نعيمها	الطويل	عبد المجيد الزبادي	40	.112
نوره	المنسرح	أبو مدين الغوث	01	.46
هو	البسيط	الرفاعي	11	.99
يختار	البسيط	الجنيد	04	.68
يخطبنا	المديد	مجهول	06	.129
يدخلوا	الطويل	محمد بن قاسم جسوس	04	.129
يشير	السريع	ابن البنا	01	.48
يفرح	الطويل	محمد المنالي الزبادي	05	.101
يقين	الطويل	مجهول	02	.45

فهرس الأزجال:

فهرس الكتب:

لائحة المصادر والمراجع :

ـ القرآن الكريم.

ـ أـ

ـ الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز، لأحمد بن المبارك. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. 1423هـ 2002م.

ـ إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبدالرحمان بن زيدان. المطبعة الوطنية الرباط. 1400ـ 1990م. 5ج.

ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد، محمد الغزالي (ـ505هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1423هـ 2002م. 5ج.

ـ إرشاد القلوب، المنجي من عمل القلوب. للحسن بن محمد الديلمي. تحقيق: هاشم الميلاني. دار الأسوة. طهران. 1424هـ.

ـ الإشراف، على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، لأبي عبدالله، محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج ـ السلمي المرداسي الفاسي (ـ1273هـ). تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي. منشورات جمعية تطاون أسمير، سلسلة تراث 11. ج1: 1424هـ 2004م. ج2: 1425هـ 2004م.

ـ الإعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم المراكشي. المطبعة الملكية. الرباط. 1975م. 10ج.

ـ إيقاظ الهمم، في شرح الحكم، لأحمد ابن عجيبة (ـ1224هـ). المكتبة الثقافية. بيروت. دون تاريخ.

ـ ب ـ

ـ البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد، لأحمد ابن عجيبة (ـ1224هـ). تحقيق عمر أحمد الراوي. دار الكتب العلمية. بيروت. 1423هـ 2002م. 8ج.

ـ البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي علي الشريف، لأبي القاسم الزياني (1241هـ). تحقيق رشيد الزاوية. منشورات مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني. الجزء الأول. 1992م.
ـ بغية المسالك، في أشرف المسالك، لأبي عبدالله، محمد بن محمد الأنصاري الساحلي (678-754هـ). دراسة وتحقيق: رشيد مصطفى. منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية. مطبعة الخليج العربي. تطوان. 2004م.

ـ ت ـ

ـ تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، لمحمد الضعيف الرباطي (1165ـ 1233هـ). تحقيق أحمد العماري. دار المأثورات. الرباط. ط114061986م.
ـ التدوين في أخبار قزوين، لعبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني. ضبط وتحقيق: عزيز الدين العطاروني. دار الكتب العلمية. بيروت. 1408هـ ـ 1987م.
ـ تحلية الآذان والمسامع، بنصرة الشيخ ابن زكري، العلامة الجامع، لأحمد بن عبدالسلام بناني (1232هـ). مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم 650ك.
ـ ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى السبتي (544هـ). تحقيق محمد بنشريفة. مطبعة فضالة. المحمدية. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1982م.
ـ التشوف، إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ـ617هـ). تحقيق أحمد التوفيق. مطبعة النجاح الجديدة. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. 1997م.
ـ التعريف بالتاودي ابن سودة، لأبي عبدالله، محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي (ـ1273هـ). تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي. مطبعة الكاتب العربي. دمشق. 1991م.
ـ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير (ـ 774هـ). دار ابن حزم. بيروت. 1420هـ ـ 2000م.

ـ تفسير القرطبي، والمسمى: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ـ671هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. دون تاريخ.
ـ تنبيه الغافلين، لأبي الليث، نصر بن محمد السمرقندي. دار الفكر. بيروت. 121هـ ـ 2000م.
ـ الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، لأبي القاسم الزياني (ـ1249هـ). نشر أ. هوداس. باريس. 1303هـ 1884م. 2ج.
ـ تحفة الإخوان، ببعض مناقب شرفاء وزان، لحمدون الطاهري الجوطي الحسني الفاسي (ـ1191هـ). المطبعة الحجرية فاس. 1324هـ .
ـ الترجمانة الكبرى، في أخبار المعمور برا وبحرا، لأبي القاسم الزياني (1147ـ 1249هـ). تحقيق عبدالكريم الفيلالي. دار نشر المعرفة. الرباط. 1412هـ 1991م.

ـ ج ـ

ـ جامع القرويين، لعبدالوهاب التازي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1972م.
ـ الجامع لجمل من الفوائد والمنافع، لأحمد زروق. مخطوط خاص.

ـ ح ـ

ـ حاشية ابن الحاج على ميارة، لأبي عبدالله، محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج (ـ1273هـ).دار المعرفة. الدار البيضاء .1418هـ 1998م. 2ج.
ـ حاشية الرهوني، والمسماة "أوضح المسالك، وأسهل المراقي، إلى سبك إبريز الشيخ عبدالباقي"، لمحمد الرهوني (1230هـ). دار الفكر. بيروت. 1398هـ 1978م. 8ج.
ـ الحركة الفكرية في المغرب على عهد السعديين، لمحمد بن عبدالله حجي (ـ1423هـ). منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، المحمدية. 1398هـ /1978م. 2ج.
ـ الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر. دار الرشد الحديثة. الدار البيضاء. 1977م.

ـ حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني (ـ430هـ). تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. 1418هـ 1997م. 12 ج.

ـ د ـ

ـ دلائل الخيرات، وشوارق الأنوار، في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ، لأبي عبدالله محمد بن سليمان الجزولي (ـ870هـ). دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. 1422هـ 2001م.

ـ دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني (ـ986هـ). مطبعة الكرامة. الرباط. منشورات مركز التراث الثقافي المغربي. الدار البيضاء. 1424هـ 2003م.

ـ الدر المنثور، في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت. 1993م.

ـ ديوان أبي مدين الغوث. جمع محمد بن العربي بن مصطفى الشوار. مطبعة الترقي. دمشق. 1357هـ ـ 1938م.

ـ ديوان البوصيري، شرف الدين، أبي عبدالله، محمد بن سعيد البوصيري (ـ696هـ). تحقيق محمد سيد كيلاني. نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. القاهرة. 1374

ـ الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي ابن فرحون (ـ799هـ). تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. مكتبة دار التراث. القاهرة. 1426هـ ـ 2005م.

ـ ديوان أبي نواس، لأبي نواس، الحسن بن هانئ (ـ199هـ). دار صادر. بيروت. د. ت.

ـ ر ـ

ـ رسائل ابن عربي، لمحيي الدين، أبي عبدالله ابن عربي (ـ638هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. دون تاريخ.

ـ الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس، لمحمد ابن عيشون الشراط (ـ1109هـ). تحقيق زهراء النظام. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط. سلسلة رسائل وأطروحات 35. 1997م.
ـ الروضة السليمانية، في ملوك الدولة الإسماعيلية، ومن تقدمها من الدول الإسلامية، لأبي القاسم الزياني (1147ـ 1249هـ). مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم 1275د.
ـ الروضة المقصودة، والحلل الممدودة، في مآثر بني سودة، لأبي الربيع، سليمان الحوات(ـ1231هـ). دراسة وتحقيق عبدالعزيز تيلاني. مطبوعات مؤسسة أحمد ابن سودة الثقافية. 1415هـ 1994م. 2ج.
ـ الرسالة في فقه الإمام مالك، لعبداللہ بن أبي زيد القيرواني (ـ386هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. دون تاريخ.
ـ الرسالة القشيرية، لأبي القاسم، عبدالكريم بن هوزان القشيري (-456هـ). مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. 1420هـ-2000م.
ـ رياض الورد، فيما انتمى إليه هاذا الجوهر الفرد، لأبي عبدالله، محمد الطالب ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي (ـ1273هـ). تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي. منشورات جمعية تطاون أسمير. سلسلة تراث 8. ومنشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. تطوان. 1420هـ 1999م. ج2.

ـ ز ـ

ـ الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي، لمحمد حجي. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. 1409ـ 1988م.
ـ زهر الآس، في بيوتات أهل فاس، لعبدالكبير الكتاني (ـ1350هـ). تحقيق علي بن المنتصر الكتاني. مطبعة النجاح الجديدة .1422-2002م. 2ج.
ـ الزهد الكبير، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي (ـ 458هـ). دار الجنان. بيروت. 1407هـ ـ 1987م.

ـ س ـ

ـ سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس. لمحمد بن جعفر الكتاني (1274ـ 1345هـ) تحقيق عبدالله الكتاني، وحمزة الكتاني، ومحمد حمزة الكتاني. دار الثقافة. الدار البيضاء. 2004. 3أجزاء.

ـ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث (202ـ 275هـ). ضبط محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف. الرياض. 1424هـ..

ـ سنن الترمذي، والمسماة: الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (209ـ 279هـ). دار ابن حزم. بيروت. 1422هـ 2002م.

ـ سنن النسائي، لأبي عبد الرحمان، أحمد بن شعيب النسائي (ـ 303هـ). بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع. الرياض. دون تاريخ.

ـ السر الظاهر، فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر، من أعقاب الشيخ عبدالقادر، لسليمان الحوات (ـ1231هـ). المطبعة الحجرية. فاس. د.ت.

ـ الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري (ـ1316هـ). تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري. دار الكتاب الدار البيضاء.

ـ ش ـ

ـ شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف (-1360هـ). دار الفكر. بيروت. دون تاريخ.

ـ شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح، عبدالحي بن العماد الحنبلي (ـ1089هـ). المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. د. ت.

ـ شرح ابن عباد على الحكم العطائية، لمحمد بن إبراهيم، ابن عباد النفزي الرندي (ـ792هـ). دار إحياء الكتب العربية. مصر. 1338هـ. 1920م. 2ج.

ـ شرح الحكم العطائية، لأحمد بن أحمد زروق (-899هـ). تحقيق ودراسة محمد بن علي البدري. دار الكتب العلمية. بيروت. 1426هـ - 2005م.

ـ شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (384ـ 458هـ). تحقيق محمد السعيد سبيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. 1410هـ .
ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض السبتي (476ـ 544هـ).دار الفكر. بيروت. 1423ـ 2002م.

ـ ص ـ

ـ صحيح البخاري، لأبي عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري (194هـ ـ 256هـ). تحقيق وتخريج: أحمد زهوة وأحمد عناية. دار الكتاب العربي. بيروت. 1425هـ ـ 2004م.
ـ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206ـ 261هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت.تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. دون تاريخ. 5ج.

ـ ط ـ

ـ طبقات الحضيكي، لمحمد بن أحمد الحضيكي (ـ1189هـ). تحقيق أحمد بومزكو. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. 2006م. 2ج.
ـ طبقات الشاذلية الكبرى، لأبي علي، الحسن بن محمد الكوهن الفاسي (ـ1347هـ). وضع حواشيه مرسي محمد علي. دار الكتب العلمية. بيروت. 1422هـ 2001م.
ـ الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع (168ـ 230هـ). دار صادر. بيروت. دون تاريخ. 8ج.

ـ ع ـ

ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبدالرحمان الجبرتي. دار الجيل. 1978م.
ـ عدة المريد الصادق، لأحمد زروق(846ـ 899هـ). تحقيق إدريس عزوزي. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1419هـ 1998م.
ـ عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين، لأحمد الرهوني (1288ـ 1373هـ). تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي. منشورات جمعية تطاون أسمير. سلسلة تراث 6. 4ج الأولى.

ـ ف ـ

ـ فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (773ـ 852هـ). دار مصر للطباعة. 1421هـ 2001م. 13ج.

ـ فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبدالحي بن عبدالكبير الكتاني (ـ1382هـ). دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1402هـ . 1982م. 3ج.

– الفهرسة الصغرى والكبرى، لأبي عبدالله، محمد التاودي ابن سودة (–1209هـ). دراسة وتحقيق عبدالمجيد خيالي. دار الكتب العلمية .بيروت. 1423هـ–2002م.

ـ فيض القدير، لعبدالرؤوف المناوي. المكتبة التجارية. مصر. 1356هـ . 6ج.

ـ الفتوحات الإلاهية، في شرح المباحث الأصلية، لأحمد ابن عجيبة (ـ1224هـ).تحقيق وتقديم محمد عبدالرحمان الأويسي. دار اليمامة. دمشق . 1418هـ 1998م.

ـ الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع، شيرويه بن شهردار الديلمي (ـ 509هـ). تحقيق السعيد زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. 1406هـ ـ 1986م.

ـ الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد الحجوي (1291ـ 1376هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. 1416هـ 1995م. 2ج.

ـ ق ـ

ـ قبيلة بني زروال، مظاهر حياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، لمحمد البشير بن عبدالله الفاسي الفهري. منشورات جمعية علوم افنسان. الرباط. د.ت.

ـ قواعد التصوف، لأبي العباس، أحمد بن محمد زروق الفاسي (ـ899هـ). تقديم وتحقيق عبدالمجيد خيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. 1424هـ 2003م.

ـ اقتفاء الأثر، بعد ذهاب أهل الأثر، لأبي سالم العياشي (1037ـ 1090هـ). تحقيق ودراسة نفيسة الذهبي. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. 1996م.

ـ ك ـ

ـ الكواكب السيارة، والبحث والحث على الزيارة، لمحمد المكي السرغيني المراكشي الساوري، المعروف بابن مريدة (ـ1234هـ). مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم 3551د.

ـ الكوكب الأسعد، في مناقب سيدنا ومولانا علي بن سيدنا ومولانا أحمد، لمحمد بن محمد بن حمزة المكناسي. المطبعة الحجرية. فاس. 1324هـ .

ـ ل ـ

ـ لطائف المنن، في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي، وشيخه الشاذلي أبي الحسن، لأحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري (ـ709هـ). دار المعارف . القاهرة.1999م.

ـ لواقح الأنوار، في طبقات الأخيار، لعبدالوهاب بن أحمد الشعراني (ـ973هـ). ضبط وتصحيح خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1413هـ 1997م.

ـ التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيان المئة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري (1124ـ 1187هـ). تحقيق هاشم العلوي القاسمي. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت. 1403هـ 1983م.

ـ م ـ

ـ مباحث الأنوار، في أخبار بعض الأخيار، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي (ـ1128هـ). دراسة وتحقيق عبدالعزيز بوعصاب. مطبعة المعارف الجديدة. الدار البيضاء. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. سلسلة رسائل وأطرحاي رقم 48. 1999.

ـ المدخل، لابن الحاج، أبي عبدالله، محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي (ـ737هـ). تحقيق أحمد فريد المزيدي. المكتبة التوفيقية. مصر. دون تاريخ. 4ج.

ـ الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبدالعزيز بن عبدالله. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1395هـ 1975م.

ـ مؤرخو الشرفاء، لليفي بروفنصال. تعريب عبدالقادر الخلادي. دار المغرب. سلسلة التاريخ5. الرباط. 1397هـ 1997م.

ـ المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله، أبو الحاكم النيسابوري (321ـ405هـ). دار الحرمين. الرياض. 1417هـ 1997هـ . تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. 4ج.

ـ مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري. تحقيق محمد حامد الفقي. دار المعرفة بيروت. دون تاريخ. 8ج.

ـ مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني. مؤسسة قرطبة – القاهرة. 6ج. مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

ـ المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260ـ360هـ). دار الحرمين. القاهرة. 1415هـ. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني. 10ج.

ـ المعزى في مناقب أبي يعزى، لأحمد الصومعي التادلي (ـ). تحقيق علي الجاوي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. أكادير. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1996م.

ـ الموطأ، للإمام مالك بن أنس (95ـ 179هـ). رواية يحيى بن يحيى الليثي. تجقيق وتخريج محمد الإسكندراني وأحمد إبراهيم زهوة. دار الكتاب العربي. بيروت. 1424هـ 2004م.

ـ مرآة المحاسن، من أخبار الشيخ أبي المحاسن، لمحمد العربي الفاسي الفهري (988ـ1052هـ). دراسة وتحقيق محمد حمزة الكتاني. دارابن حزم. 1429هـ ـ 2008م.

ـ مسند أحمد، لأحمد بن حنبل (164ـ 241هـ). مؤسسة قرطبة. مصر دون تاريخ. 6ج.

ـ معراج التشوف، إلى حقائق التصوف، لاحمد بن عجبة (ـ1224هـ). تحقيق عبدالمجيد خيالي. مركز التراث الثقافي المغربي. الدار البيضاء. 1425هـ 2004م.

ـ معلمة المغرب. لمجموعة من المؤلفين. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. نشر مطابع سلا. 1411هـ 1991م.
ـ موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1417هـ 1996م.

ـ ن ـ

ـ نشر المثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري . تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق. نشر وتوزيع مكتبة الطالب الرباط.الطبعة الأولى 1407هـ 1986م. 4ج.
ـ النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، لأبي العباس، أحمد بن محمد زروق الفاسي (ـ899هـ). دراسة وتحقيق وتخريج عبدالمجيد خيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. 1422هـ 2001م.
ـ نيل الابتهاج، بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (963ـ 1036ـ). منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ليبيا. 1398هـ 1989م.
ـ النبوغ المغربي، لعبدالله كنون. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1961م.

ـ هـ ـ

ـ هدية العارفين، أسماء المؤلفين، وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي (ـ1339هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. د.ت. 2ج.

ـ و ـ

ـ وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، أحمد بن محمد البرمكي (ـ681هـ). تحقيق إحسان عباس. بيروت. 1972.

فهرس المحتويات

موضوعات النص المحقق:

الطائفة الثانية:

الطائفة الدرعية

فصل: 322

في ذكر من لقينا من غير أصحاب سيدي العربي بن عبد الله، رضي الله تعالى عنه وعنهم، ونفعنا ببركاته بمنه وكرمه، آمين.

فهرس الفهارس 422

الثمن: 100 د

العنوان
ساحة 9 أبريل. ص. ب. 633. تطوان. الهاتف - الفاكس: 25 20 70 39 05
e-mail: tetouan.asmir@caramail.com
www.asmir.web.ma